

الإنيس الماطري

بروض القرطاس

في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس

تأليف

علي بن أبي زرع الفاسي

دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط

1972

تنبيه

تعمدنا - أثناء طبع هذا الكتاب - أن
نكتب الألف اللينة ألفاً مطلقاً (الفتا = الفتى ،
ورما = رمى) ، وأن نمد رسماً كل ما هو ممدود
لفظاً (هاذا = هذا وداود = داود) مما يحسبه
القارئ خطأ مطبعياً وما هو إلا تصويب لأخطاء
لا موجب للاستمسك بها وإن مضى على العمل
بها زمن طويل

فوجب التنبيه

هَذَا الْكِتَابُ

★ اسمه الكامل على أصح الروايات (الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس)

★ زعم بعض المستشرقين أن كلمة القرطاس مصحفة عن كلمة الفرطاس لقب زيري بن عطية المغراوى غارس الزيتون الذي يمر فى وسطه سور فاس بين باب فتوح وباب الجديد (الحصن الجديد) ، وأن روض القرطاس المحرف الى القرطاس هو زيتون ابن عطية وكان من مقننات فاس الشهيرة فى العصر الوسيط ، وبهذا التأويل يفهم اسم الكتاب

★ كان الكتاب يعرف باسمه الطويل المسجوع المذكور فى الفقرة الأولى ، ثم صار يعرف اختصارا باسم القرطاس فقط ، خصوصا فى القرنين الأخيرين بعدما ألف محمد بن الطيب العلمى كتابا سماه أيضا الأنيس المطرب

★ نسب الكتاب لابن أبى زرع عدد من المؤرخين الكبار الذين عاصروه أو كانوا فى زمان قريب من زمانه ، مثل علي الجزائى فى (جنا زهرة الأساس) ومحمد بن الخطيب السلمانى فى (الاحاطة) ، ومحمد بن مرزوق العجيسى التلمسانى فى (المسند الصحيح الحسن) ، وعبد الرحمان بن خلدون الحضرمى فى (كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر) ، وكذا عدد كبير من العلماء والأدباء والمؤرخين الذين جاءوا من بعدهم مثل أحمد المقرئ القرشى التلمسانى صاحب (نفح الطيب)

★ اسم ابن أبى زرع أبو الحسن علي بن عبد الله كما ورد فى (جنا زهرة الأساس) ، المؤلف بعد (القرطاس) بقليل ، وسماه أحمد ابن القاضى فى كتابه (لقط الفرائد من حلق الفوائد) أبا عبد الله محمد ، وجعله ممن توفي عام ٧٤١ فى واقعة طريف ، وسماه (أصحاب بيوتات فاس الكبرا) أبا العباس أحمد ونعته بالشيخ الكبير الامام الخطيب البليغ الواعظ الورع الزاهد الولي الصالح العلامة المدرس المفتى ، وذكروا أن العامة قدمته للامامة بجامع القرويين والراجح أن أبا الحسن علي بن عبد الله هو الاسم الحقيقي لابن

أبى زرع مؤلف (القرطاس) لعدة أسباب ، منها

- أن الجزئائى ذكره بهذا الاسم ، وهو أعرف به ، لأنه معاصر له
- أن اسمه كتب كذلك على عدد من نسخ الكتاب المكتوبة ببداية من القرن الثامن الهجرى ، ومنها النسخة العتيقة المحفوظة بمكتبة أكسفورد
- أن محمد بن أبى زرع الذى زعم ابن القاضى أنه مؤلف تاريخ فاس هو شخص آخر ذكره الجزئائى فى (جناز هرة الآس) أيضا وجعله من مصادر تاريخه

- أن أحمد بن أبى زرع الذى نسب اليه أصحاب (بيوتات فاس الكبرى) تاريخ فاس وردت أخباره فى (جناز هرة الآس) وفى (القرطاس) فى الفصل المتعلق بخطباء جامع القرويين ، وفى كلا الكتابين وصف الرجل بالزهد والصلاح ولم يشر الى اهتمامه بالتاريخ ولا الى تأليفه فى تاريخ فاس على الخصوص ، ولو أنه فعل ذلك لما أغفل الاشارة اليه مؤلفا الكتابين المذكورين ، ثم ان المدة الفاصلة بين تقديم أشياء فاس وفقهائها أحمد بن أبى زرع للإمام بجامع القرويين وبين تأليف (القرطاس) لاتقل عن ٦٠ سنة ، فلو فرضنا أن عمر امام يقدمه الفقهاء والأشياخ والعامه للإمامة بأكبر مساجد المغرب لايمكن أن يقل عن ٤٠ سنة يكون ألف (القرطاس) على فرض تأليفه اياه وهو ابن مئة سنة وذلك مستحيل ، أما النعوت والأوصاف التى أضفاها أصحاب (بيوتات فاس الكبرى) على الامام أحمد بن أبى زرع فهي من وحي الخيال قطعاً

★ لايعرف شيء عن حياة ابن أبى زرع مؤلف (القرطاس) سوى ماذكر من أنه كان شاهداً بسماط العدول ، والغالب أن ماذكر عنه صحيح ، لأن فى ثنايا الكتاب ماينم عن ذلك

★ أسرة ابن أبى زرع أسرة نبه ذكرها بفاس فى أواخر العصر الموحدى وأوائل العصر المرينى ، وقد ذكر منها رجال عرفوا بالصلاح والزهد والفضل ، مثل أبى العباس أحمد الذى قدمه الفقهاء والأشياخ للإمامة بجامع القرويين بعد وفاة الامام علي بن حنف ، وأبى عبد الله محمد أول خطباء الجامع الكبير بفاس الجديد ، وأبى عبد الله محمد المتوفى فى وقعة طريف سنة ٧٤١ ، وعليه ابن عبد الله مؤلف (القرطاس)

★ نسب (القرطاس) أيضا الى رجل يسما صالح بن عبد الحليم ، ذكر فى بعض الكتب أنه غرناطى ، وفى كتب أخرى أنه من كتاب الدولة المرينية ، وثبت هذا الاسم فى عدد من نسخه التي كتبت ابتداء من أواخر القرن الثامن الهجرى ، وقد حاول واحد ممن أسهموا فى تأليف (بيوتات فاس الكبرى) التلقيق بين النسبتين ، فزعم أن القرطاس قرطاسان كبير وصغير ، أحدهما من تأليف ابن أبى زرع والآخر من تأليف صالح بن عبد الحليم ، والظاهر أن هذا التلقيق هو من باب جبر الخواطر إذ لا يعرف قرطاس آخر غير القرطاس المتداول الذى ننشره اليوم إلا أن يكون المراد بأحد القرطاسين كتاب (الذخيرة السنية ، فى تاريخ الدولة المرينية) الذى نشرناه أخيرا ، وهو أيضا من تأليف ابن أبى زرع

★ صالح بن عبد الحليم أو أبو علي صالح ابن أبى صالح ! رجل تاريخى معروف ينقل عنه أحمد ابن عذارى فى (البيان المغرب) وهو مصمودى من قبيلة هيلانة (ايلان) كان يقيم فى مدينة نفيس ويعيش فيها عيشة خمول أشار اليه باقتضاب صاحب كتاب (مفاخر البربر) الذى قد يكون هو ابن عذارى نفسه ، وذكر أنه كان حيا وقت تأليف الكتاب سنة ٧١٢هـ أما صالح ابن عبد الحليم الغرناطى كاتب الدولة المرينية الذى يزعم البعض أنه مؤلف كتاب القرطاس فهو حتى الآن غير معروف والغائب على الظن أنه شخص خيالى

★ قد يكون صالح بن عبد الحليم الهيلانى أملا كتابا فى التاريخ ، وقد يكون له ولد اسمه عبيد الله هو الذى سمع أملاءه ودونه ، يرجح هذا العثور على أوراق تتعلق بالفتح العربى لبلاد المغرب منسوبة الى عبيد الله بن صالح ابن عبد الحليم ، نشرها الأستاذ الكبير ليفى بروفانصالح فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد (١) وبعض ما فى هاذه الصفحات مطابق لما ينقله ابن عذارى عن صالح بن عبد الحليم ، ولكن لاوجود له فى القرطاس ، مما يدل على أنه كتاب آخر غيره

★ موضوع القرطاس هو تاريخ المغرب عموما وتاريخ مدينة فاس خصوصا كما يدل عليه اسمه ، بداية من الدولة الادريسية الحسنية الى سنة ٧٢٦ من سنوات عهد السلطان الرينى عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المشهور بكنيته أبى سعيد .

★ أسلوب ابن أبى زرع أسلوب فقيه أو عدل متوسط المعرفة بعلوم اللغة ، وعباراته تختلف باختلاف المؤلفين والرواة الذين ينقل عنهم ولا ينسب اليهم كلامهم فى أغلب الحالات ، فلهاذا يوجد فى هاذد الببارات البليغ والمتوسط والركيك .

★ طريقة ابن أبى زرع ليست طريقة الحوليات التى جرى عليها أغلب المؤرخين المسلمين فى العصر الوسيط ، ولكنها طريقة من يؤرخ للدول ، فهو يذكر الدولة ونسبها وتشعب قبائلها ومراحل تأسيسها ثم يذكر سلاطينها واحدا واحدا وماقاموا به من أعمال ، ثم يذكر فى نهاية الكلام على كل دولة ماحدث فى أيامها من أحداث اجتماعية واقتصادية وظواهر طبيعية كوفيات الأعيان ورخاء الأسعار وانتشار الأوبئة والمجاعات ونزول الامطار بغزارة وظهور نجوم غريبة .

★ بقي كتاب القرطاس على مافيه من أغلاط من أهم مراجع المؤلفين المغاربة منذ تأليفه نظرا لشموله ووفرة أخباره ، ولما ظهرت الطباعة الحجرية بفاس طبع بها أربع مرات أولها سنة ١٣٠٣ هـ أما فى الخارج فان الكتاب نال حظه من اهتمام المستشرقين منذ بداية عصر النهضة ، بأول ترجمة معروفة له هي ترجمة بتس ديلاكروا الى اللغة الفرنسية سنة ١٦٩٢ ثم ترجمه فى القرن التالى الى الالمانية مستشرق نمساوي يسما فراز فون دومبي ، ثم ترجمه الى البرتكالية الراهب خوسى دي سانطى نطونيو وطبعت هاذه الترجمة فى لشبونة سنة ١٨٢٨ كما ترجم كوندى مايختص منه بالاندلس الى اللغة الاسبانية ، وفى سنة ١٨٣٤ نشر المستشرق السويدى ك.ج. تورنبرك قسما منه ، ثم نشر ذاك العالم نفسه بين سنة ١٨٤٣ وسنة ١٨٤٦ نصه العربى مع ترجمة لاتينية وعدة حواشى فى أربعة مجلدات ، وأخر محاولة

لضبعه هي التي قام بها الأستاذ الجليل السيد الهاشمي الفيلاي ، فقد حقق نصه وشرح ما يحتاج الى الشرح من عباراته وألفاظه ، وقدمه الى شركة النشر الغربية التي كان انشائها بسلا الأستاذ الوطني المرحوم سعيد حجي فجزأه الى ثلاثة أجزاء صدر منها جزأان عن المطبعة الوطنية بالرباط سنة ١٩٣٦ ولم يصدر الجزء الثالث .

★ عندما تأسست دار المنصور للطباعة والوراقة في العام الماضي جعلت من مخطوطات برنامجها لبعث التراث العلمي والأدبي والتاريخي لأقطار المغرب العربي طبع كتاب (القرطاس) ، فقامت بتحقيق نصه على عدد من نسخه المخطوطة في أزمنة مختلفة وحررته من الأخطاء التي اعتقدت أنها من عمل النساخ ونبعت على الأخطاء التي اعتقدت أنها مما وقع فيه المؤلف نفسه .

★ قامت دار المنصور - علاوة على تحرير النص - بتحقيق الأعلام الواردة فيه ومقابلة التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي ، وحذف الكنا التي تضيع معها أسماء الناس الحقيقية أو تحدث تشويشا في أذهان القراء ، واجتنبت الشروح والحواشي الا فيما اعتقدت أن شرحه ضروري أو مفيد ، ووضعت له الفهارس المتنوعة التي تسهل على القراء العثور على مايبغونه بسرعة ، وطبعته على الطريقة التي طبعت بها الكتب الصادرة عنها من قبل .

★ تعتقد دار المنصور أنها بطبع هذا الكتاب طبعة كاملة عصرية تخطو خطوة مهمة في طريق بعث تراثنا التاريخي وتؤمل أن تجد من معونة المثقفين وتشجيعهم مايعينها على قطع مراحل أخرا في طريق البعث الطويل ، والله ولي التوفيق

دار المنصور للطباعة والوراقة

الأُنيس المطرب بروض القرطاس
في اخبار ملوك المغرب
وتاريخ مدينة فاس



تأليف

علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلا الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله مصرف الأمور بمشيئته وتدبيره ، ومسهل العسير بمعونته
وتيسيره ، ومبدع الأشياء بحكمته وتصويره ، خالق الخلق بقدرته وبأسط
الرزق بتقديره ، أحمداه حمد معترف بذنوبه ومقر بتقصيره ، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص بقلبه وسره وضميره ،
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اصطفاه برسالته وحباه بمحبته وتفضيله
وتخييره ، صلا الله عليه وعلى آله الطيبين وأزواجه الطاهرات الذين
أذهب الله عنهم الرجس وخصهم بتطهيره ، ورضي الله عن صحابته
السابقين بتصديقه ونصرته وتعزيزه وتوقيره ، وعن التابعين لهم بإحسان
إلى يوم الدين ما اختلف الليل بظلامه والنهار بنوره ، والدعاء للدولة
السعيدة العلية ، المرينية العبد الحقة أعلا الله كلمتها ورفع قدرها ،
وأبقا على مر الأيام فخرها ، بالتأييد والتمكين ، والنصر والفتح المبين .
أما بعد أطل الله بقاء مولانا الخليفة الامام معلى الاسلام ورافعه ،
ومذل الكفر وقامعه ، تاج العدل وناشره ، ومأوى الظلام وهاتكه ، ملك
الزمان ، وسراج الاسلام والايمان ، أمير المسلمين أبو سعيد عثمان ،

ابن مولانا الامام المظفر المنصور ، الملك العابد الزاهد المذكور ، الذي تقدم بكل فضيلة وسبق ، الامام العدل القائم بالحق ، أمير المؤمنين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق ، نصره الله وأعلا كلمته ، وأيده وخلد ملكه وأيامه ، وفسح له فى البلاد شرقا وغربا ، وأوطأ له رقاب الأعداء سلما وحربا ، وفتح على يديه الفتح المبين ، وجعل الخلافة كلمة باقية فى عقبه الى يوم الدين ، ولازال للخلافة يحيى آثارها ، ويجدد اظهارها ، ويرفع مزارها ويجلو أنوارها ، والسعد مخيم بفنائها وعتباته ، والنصر مقرون ببراياتها ، وقلوب الأمة مجتمعة على طاعته ومحبتة ، مامحا النور الظلم ، وغنا الحمام على غصن وترنم .

لا زال يحى حما الاسلام مجتهداً فى الحق ينظر للدينين وللدينين
ينال ما شاء من دنياه قاصده يغنى ويعطى عطاء غير ممنون

وانى لما رأيت مكارم دولته السعيدة أطالها الله وخلدها ، وأعلا كلمتها وأيدها ، تنظم نظم الجمان ، وسور محاسنها تقلا بكل لسان ، وغرر مآثرها وبركاتها تشرق بكل ناحية ومكان ، وغرر أنوارها تلهى عن الغزل ، وتسير سير المثل ، أردت خدمة جمالها ، والتقرب الى كمالها ، والتفيا بظلالها ، والورود من عذب زلالها ، بتأليف كتاب جامع للطيف الأخبار وملح الآداب ، يحتوى على غرر التاريخ وعجائبه ، ونوادر الأثر وغرائبه ، يخبر بنبذ من أخبار ملوك المغرب المتقدمين ، وأمرائه الماضين ، وأممه السالفين ، وتاريخ أيامهم وذكر أنسابهم وأعمارهم وسيرهم ، وغزواتهم وأحوالهم فى دولتهم ، وما رسموه بالمغرب من المراسم ، وصنعوا من المصانع والمعالم ، وفتحوا من البلاد والأقاليم ، وبنوا من الحصون والمدن والمكارم ، وأذكروهم أميرا بعد أمير ، وملكا بعد ملك ، وخليفة بعد خليفة ، وأمة بعد أمة ، على حسب تواليهم فى أعصارهم ومراتبهم فى دولتهم وأزمانهم كما وقع فى الزمان ، من أول دولة الامام ادريس بن عبد الله الحسنى الى هذا الأوان ، أبذل فيه جهدى وأظهر جلدى بقدر الوسع والامكان ومساعدة الزمان ، فاستخرت الله تعالا فى تأليفه ، واستعنته

فى تقويده ، فسهل الله تعالى ما أردته من ذلك ويسره بفضله وبركات مولانا أمير المؤمنين الظاهرة الباهرة ، فألفت هاذا المجموع المقتضب ، انقيت جواهره من كتب التاريخ المعتمد على صحتها ، والمرجوع اليها ، سوى مارويته عن أشياخ التاريخ والحفاظ والكتاب ، وقيدته عن الرواة الثقات الأنجاب ، وحذفت فيه الاسناد خيفة الاكثار والامتداد ، مع الميل الى ترك الاسهاب والتطويل ، وتجنب الاختصار والتقليل ، وجعلته كتابا مخرجا على التوسط فهو خير الأمور ، ومعتمدى فى ذلك على مارواه الجمهور ، عن النبي صلا الله عليه وسلم من الحديث المأثور ، اذ قال يؤدب أمته ويبسطها : (خير الأمور اوسطها) .

وسميته (الأنيس المطرب بروض القرطاس ، فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) ، والله سبحانه يعصمنا من الزلل ، ويجنبنا الخطأ فى القول والعمل ، ويبلغ السؤل والامل ، ويبقى لنا أمير المسلمين تعلقا على الدولات دولته ، وتمضى فى الأعداء صولته ، منصورا أعلامه ، محمودا أيامه ، لارب غيره ، ولاخير الاخير .



الخبر عن ملوك المغرب

من الادارسة الحسينيين وذكر قيامهم وبنائهم مدينة فاس

دار ملكهم وقرار سلطانهم رضي الله عنهم

قال المؤلف عفا الله عنه :

كان السبب فى دخول الادارسة الحسينيين المغرب وتملكهم عليه أن الامام محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضي الله عنهم كان قام على أمير المسلمين أبى جعفر المنصور العباسى بالحجاز ، منكرا لجوره وعسفه ، وذلك فى سنة خمس وأربعين ومئة (١) (وكان الامام محمد يدعا بالنفس الزكية لنفسه وكثرة عبادته وزهده وورعه وعلمه وفضله ، وكان له ستة اخوة ، وهم : يحيى ، وسليمان ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وادريس ، فبعث اربعة منهم دعاة الى الأمصار يدعون الى طاعته وبيعته ، وبعث عيسا الى أفريقية فأجابها بها خلق كثير من قبائل البربر ، وبقي هناك الى أن توفي ولم يتم الأمر ، وبعث أخاه يحيى الى خراسان ، فأقام بها حتى مات أخوه محمد ففر الى بلاد الديلم فأسلم على يديه خلق كثير ، ودعا لنفسه فباعه عالم عظيم فقوي أمره ، وذلك فى أول خلافة الرشيد ، فلم يزل الرشيد يبعث اليه الجيوش ويدبر له الحيلة حتى أتاها سلما فأقام عنده مدة الى أن مات مسموما فى أيام الرشيد ، وبعث (اي الامام محمد النفس الزكية) ايضا أخاه سليمان الى بلاد مصر داعيا للبيعة ، ولما اتصل به قتل أخيه سار

(I) هنا خلط ابن أبى زرع بين ثورة الامام محمد النفس الزكية على الخليفة أبى جعفر المنصور سنة 145 وبين ثورة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى على الخليفة موسى الهادى سنة 169 فجعل الثائرين ثائراً واحداً ، وتبعه فى الخلط كل من نقل عنه من المؤرخين المغاربة وقد تصرفنا فى الفقرات التى وقع فيها الخلط - وهى المطبوعة بحروف غليظة - تصرفاً أعاد الحقائق التاريخية الى نصابها .

الى بلاد المنوبة ، ثم الى بلاد السودان ، ثم خرج الى زاب أفريقية ، ثم سار الى تلمسان من بلاد المغرب فتنزلها واستوطنها ، وذلك فى أيام أخيه ادريس ، فكان له بها أولاد كثيرون ، ، فكل حسنى هناك من نسل سليمان ابن عبد الله بن حسن ، وقد دخل ولده الى بلاد دكالة والسوس الأقصا وبعث أخاه ابراهيم الى البصرة فغلب عليها وعلى الاهواز وفارس ، وبعث الحسن بن معاوية الى مكة فملكها ، وبعث عاملا الى اليمن ، ودعا لنفسه وخطب عن منبر رسول الله صلا الله عليه وسلم وتسميا بالمهدي ، وحبس رباح بن عثمان المرى عامل المدينة) .

(ولما بلغ الخبر الى أبى جعفر المنصور أشفق من أمره وكتب اليه كتابه المشهور ، ثم عقد على حربه لابن عمه عيسا بن موسا بن علي ، فزحف اليه فى العساكر وقاتله بالمدينة فهزمه وقتله فى منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ، ولحق ابنه علي بالسند الى أن هلك هناك ، واخنفا ابنه الآخر عبد الله الأسترالى أن هلك فى أخبار طويلة ، ورجع عيسا الى المنصور فجهزه لحرب ابراهيم أخى محمد النفس الزكية الداعى له بالبصرة ، فقاتله آخر ذي القعدة من تلك السنة فهزمه وقتله)

(ثم خرج فى أيام الخليفة المهادي الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى ، وذلك فى سنة تسع وستين ومئة ، وسار الى مكة ، وكتب المهادي الى محمد بن سليمان بن علي ، وكان قدم حاجبا من البصرة فولاه حربه فقاتله يوم التروية بفتح على ثلاثة أميال من مكة ، وهزمه وقتله واقترب اصحابه ، وكان فيهم عمه ادريس بن عبد الله الكامل ، وبقي القتلا من أصحابه فى موضع المعركة حتى اكلتهم الطيور والسباع لكثرتهم ، وكانت هاذة الواقعة بوم السبت ، وهو يوم التروية ، الثامن من شهر ذي الحجة سنة تسع وستين ومئة) .

(ولما قتل الحسين بن علي وشيعته فر عمه ادريس) بنفسه مستترا فى البلاد يريد المغرب ، فسار من مكة حتى وصل مصر ومعه مولا له

اسمه راشد فدخل اليها والعامل عليها للهادي (٢) علي بن سليمان الهاشمي ، فبينما ادريس ومولاه راشد يمشيان في شوارعها ويجولان بطريقها اذ مرا بدار حسنة البناء والهيئة فوقفا ينظران اليها ويتأملان حسن بنائها واتقانها ، واذا بصاحب الدار (٣) قد خرج وسلم عليهما ، فردا عليه ، فقال لهما ما الذي تنظران من هذه الدار ؟ فقال له راشد ياسيدي انه أعجبنا حسن بنائها واحكام اتقانها وشكلها ، قال أظنكما غريبين عن هاذي البلاد ، قال راشد : جعلت فداك ، ان الأمر كما ذكرت قال : فمن أي الاقاليم أنتما ؟ قالا من الحجاز ، قال من أي بلاده ؟ قالا من مكة ، قال واخالكما من شيعة الحسينيين الفارين من وقعة فخ ، فأرادا أن ينكرا له حالهما ويخفيا عنه أمرهما ، ثم انهما توسما فيه الخير والفضل ، فقال له راشد : ياسيدي أرا لك صورة حسنة ، وقد توسمت فيك الخير لحسن صورتك وطلاقة وجهك وبشرتك ، ولا بد ان تكون أفعالك وشيمك مطابقة ومشابهة لصورتك الجميلة ، ولكن أرايت ان اخبرناك من نحن وما خبرنا وأمرنا أكننت تستر علينا ؟ قال نعم ورب الكعبة أكنتم أمركما وأصون سركما وأبذل جهدي في صلاح حالكما ، قال راشد : ذاك الظن بك والثقة بفضلك ، هاذا إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وأنا مولاه راشد ، فزرت به خوفا عليه من القتل قاصدا الى بلاد المغرب ، فقال لهما الرجل : لتطمئن نفوسكما وتسكن روعتكما ، فاذى من شيعة أهل البيت ومواليهم ، وأولا من كنتم سرهم وستر أمرهم وبذل جهده في حقهم ، فلاتخافا ولا تخزنا فانتما من الأمنين ، ثم أدخلهما الى منزله ، فأقاما

(2) في الأصل للمهدي ، والصواب أن الهادي هو الذي كان خليفة ببغداد عند فرار ادريس بن عبد الله الكامل الى المغرب بعد مقتل الحسين بن علي بفخ يوم 8 ذي الحجة سنة 169 وقد كانت وفاة المهدي والد الخليفة موسى الهادي في شهر محرم قبله ، أما علي بن سليمان الهاشمي فقد كان حنفاً عاملاً على مصر ، ولها من قبل الخليفة موسى الهادي في آخر سنة 169 .

(3) واضح مولا صالح بن المنصور ، وكان صاحب البريد بمصر ، رافضى النزعة ، وقد ضرب الخليفة الهادي - وقيل هارون الرشيد - عنقه وصلبه لما بلغه خبر تهريبه ادريس الى المغرب (الكنل لابن الأثير 5 : 76) .

عنده مدة فى اكرام ونعيم ، فاتصل خبرهما بعلي بن سليمان الهاشمي عامل مصر ، فبعث الى الرجل الذى هما عنده ، فقال له انه قد رفع الي خبر الرجلين اللذين هما عندك فى منزلك مخفيان ، وأن أمير المؤمنين قد كتب الي فى أمر الحسنين والبحث عن من وجد منهم ، وقد بعث عيونہ على الطرقات وجعل الرصاد في أطراف البلاد ، فلا يمر أحد من الناس حتى يعرف ويعلم صحة نسبه وحاله ، ومن أين قدم وإلى أين يسير ، وإنى أكره أن أتعرض لدماء أهل البيت أو أن ينالهم أذى بسببى ، فلك الأمان ولهما ، فسر اليهما وأعلمهما بمقالتى لك وقل لهما يخرجان من عملى ليلا يصل خبرهما الى الهادى (٤) فيخرجكم من يدي ، وقد أجلتكم فى الخروج ثلاثة أيام ، فسار الرجل الى ادريس ومولاه راشد فأعلمهما الخبر فعزما على الخروج الى المغرب ، فاشترا الرجل لهما راكبتين ولنفسه أخرا وصنع لهما زادا يبلغهما الى إفريقية وقال لراشد: اخرج أنت مع الرفقة على الجادة وأخرج أنا مع ادريس على طريق غامض لاتسلكه الرفاق وموعدا مدينة برقة (٥) أنتظرك بها حيث أمان عليه من الطلب ، فقال : الرأي مارأيت ، فخرج راشد مع الرفقة على الجادة فى زى التجار ، وخرج ادريس مع الرجل المصرى على البرية حتى وصل به مدينة برقة ، فقعدا بها حتى لحق بهما راشد ، فجدد لهما الرجل هناك زادا يبلغهما وودعهما وانصرف راجعا الى مصر ، وسار ادريس مع مولاه راشد الى إفريقية يجدان السير حتى بلغا الى القيروان، فأقاما بها مدة ثم خرجا الى المغرب الأقصى .

وكان راشد من أهل النجدة والشجاعة والحزم والقوة والعقل والدين والنصيحة لأهل البيت رضي الله عنهم ، فعمد الى ادريس حين خرج به الى القيروان ، فالبسه مدرعة صوف خشنة وعمامة غليظة وصيره

(٤) فى الأصل المهدى ، انظر التعليق نمرة ٢ .

(٥) هى مدينة المرج الحالية الواقعة على الطريق الداخلى الذى يربط بين بنغازى وطلمينة على بعد ٤٤ كلم الى الشرق من الأول و ٢٦ كلم الى الجنوب الغربى من الثانية ، أنشأها اليونان فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد .

كالخادم له يأمره وينهاه ، كل ذلك خوفاً عليه وحيطة له ، فلم يزا لا على ذلك حتى وصلا الى مدينة تلمسان ، فاستراحا بها أياما ، ثم ارتحلا عنها نحو بلاد طنجة فسارا حتى عبرا وادي ملوية ونحلا السوس الأدنى وحده من وادي ملوية الى أم الربيع ، وهو اخصب بلاد المغرب واعظمها بركة ، والسوس الأقصا من جبل دون الى بلاد نول ، فسار ادريس ومولاه راشد حتى نزلا بمدينة طنجة ، وهي يومئذ قاعدة بلاد المغرب وأم مدنه ، إذ لم يكن بالمغرب مدينة أعظم ولا أقدم منها ، وقد ذكرنا تاريخها ومن بناها في كتابنا الكبير المسما بإزهار البستان ، في أخبار الزمان .

فلما وصل ادريس طنجة أقام بها أياما ، فلم يجد بها مراده ، فرجع مع مولاه راشد حتى نزل مدينة وليلي قاعدة جبل زرهون ، وكانت وليلي متوسطة خصبة كثيرة المياه والغروس والزيتون ، وكان لها سور عظيم من بنيان الأوائل ، فنزل بها ادريس رضي الله عنه على صاحبها اسحاق بن محمد بن عبد الحميد (٦) الأوربي المعتزلي فاقبل عليه اسحاق وكرمته وبالغ في بره ، فأظهر له ادريس أمره وعرفه نفسه ، فوافقه في حاله (٧) وأنزله معه في داره وتولا خدمته والقيام بشؤونه وكان دخول ادريس رضي الله عنه المغرب عام مئة وسبعين (٨) .

ونزوله على اسحاق بمدينة وليلي في غرة ربيع الأول المبارك من سنة مئة واثنين وسبعين (السبت ٩ غشت ٧٨٨ م) فلما دخل رمضان من السنة المذكورة جمع عبد الحميد اخوانه وقبائل أوربة فعرّفهم بنسب ادريس وفضله وقرابته من رسول الله صلا الله عليه وسلم وشرفه

(٦) في الأصل عبد الحميد وهو خطأ ، والصواب هو أن صاحب وليلي في زمن وصول الامام ادريس بن عبد الله الكامل الى المغرب كان هو اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ، ذكر ذلك مؤرخون كبار متقدمون على ابن أبي زرع .

(٧) الذي يظهر من سياق الكلام أن اسحاق هو الذي وافق الامام ادريس ، أما المؤرخون قبل ابن أبي زرع فيذكرون أن الامام ادريس هو الذي وافق اسحاق في مذهبه الاعتزالي .

(٨) في الأصل (المغرب ونزوله) والصواب هو ما ذكره المؤرخون الذين تقدموا على ابن أبي زرع في الزمان من أن الامام ادريس وصل الى المغرب سنة ١٧٥ ونزل على اسحاق سنة ١٧٢ .

وعلمه وكمال خلال الفضائل المجتمعة فيه ، فقالوا له الحمد لله الذى
أتانا به وشرفنا بجواره ، فهو سيدنا ونحن عبيده نموت بين يديه ، فما
تريد منا ؟ قال تبايعونه ، قالوا سمعاً وطاعة ، مامنا من يتوقف عن
بيعته ومايريد •

الخبر عن بيعة الامام إدريس الحسنى رضي الله عنه

هو الامام القائم بالمغرب الأقصى ادريس بن عبد الله بن حسن بن
الحسن بن علي بن أبى طالب رضي الله عنه ، بويع له بمدينة ولىلى
يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومئة (٦
يبرابر ٧٨٩ م) ، وكان أول من بايعه قبائل أوربة ، بايعود على الامارة
والقيام بأمرهم وصلواتهم وغزوهم وأحكامهم ، وكانت أوربة فى ذلك
الوقت أعظم قبائل المغرب واكثرها عددا وأشدّها قوة وبأسا وأحدّها
شوكة ، ثم بعد ذلك أتته قبائل زناتة وأصناف قبائل البربر من أهل
المغرب منهم زواغة ، وزواوة ، ولماية ، وسدراتة ، وغياثة ، ونفزة
ومكناسة وغمارة ، فبايعوه ودخلوا فى طاعته ، فقويت أموره وتمكن
سلطانه ، ووفد عليه الوفود من سائر البلدان ، وقصد اليه الناس من
كل صقع ومكان ، فاستقام أمره بالمغرب ، وأخذ جيشا عظيما من وجوه
قبائل زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم ، فخرج بهم غازيا الى
بلاد تادسنا فنزل أولا مدينة شالة ففتحها ثم فتح بعدها سائر بلاد
تامسنا ثم سار الى بلاد تادلة ففتح معاقلها وحصونها ، وكان اكثر هاذه
البلاد على دين النصرانية ودين اليهودية ، والاسلام بها قليل ، فأسلم
جميعهم على يديه ، ثم قفل الى مدينة ولىلى فدخلها فى الآخر شهر ذي
الحجة من سنة اثنتين وسبعين المذكورة فأقام بها شهر محرم مفتتح سنة
ثلاث وسبعين حتى استراح الناس •

ثم خرج برسم غزو من بقي بالمغرب من البربر على دين النصرانية واليهودية والمجوسية ، وكان قد بقي منهم بقية متحصنون بالمعاقل والجبال والحصون المنيعه ، فلم يزل الامام ادريس يجاهدهم ويستنزلهم حتى دخلوا فى الاسلام طوعا وكرها ، وفتح بلادهم ومعقلهم ، وأباد من أبا الاسلام منهم بالقتل والسبي ودمر بلادهم وهدم معقلهم ، منها حصون فندلاوة ، وحصون مديونة وبهلولة ، وقلع غياثة وبلاد فازاز .

ثم رجع الى مدينة ولىلى فدخلها فى النصف من جمادى الأخيرة سنة ثلاث وسبعين المذكورة ، فأقام بها بقية جمادى المذكورة والنصف من رجب التالى له حتى استراح جيشه ، ثم خرج فى نصف رجب المذكور (٨ دجنبر ٧٨٩ م) برسم مدينة تلمسان ومن بها من قبائل مغراوة وبنى يفرن ، فوصل مدينة تلمسان ، ونزل بخارجها ، فأثاه أميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوى الخزرى فطلب منه الأمان فأمنه ادريس ، وبأيعه محمد بن خزر وجميع من معه بتلمسان من قبائل زناتة ، فدخل ادريس المدينة صلحا وأمن أهلها وبنا مسجدها وأتقنه وصنع فيه منبرا وكتب عليه :

(باسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أمر به ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وذلك فى شهر صفر سنة أربع وسبعين ومئة) .

فاتصل بالرشيد أن ادريس قد استقام له أمر المغرب وبأيعه كافة من به من القبائل ، وأنه قد فتح مدينة تلمسان وبنا مسجدها ، وأخبر بحربه وحاله وكثرة جنوده وشدته فى الحرب ، وأنه قد عزم على غزو أفريقية ، فخاف الرشيد أن يعظم أمره فيصل اليه لما يعلم من فضله وكماله ومحبة الناس فى أهل بيت النبي صلا الله عليه وسلم ، فاغتنم لذلك غما شديدا وعظم عليه شأنه ، فبعث الى وزيره القائم بأمر مملكته وصلاح سلطانه ، يحيى بن خالد بن برمك ، فأخبره بأمر ادريس واستشاره فى أمره ، وقال له انه ولد علي بن أبى طالب وابن فاطمة بنت النبي

صلا الله عليه وسلم وقد قوي سلطانه وكثرت جيوشه وعلا شأنه واشتهر أمره واسمه ، وفتح مدينة تلمسان وهي باب افريقية ، ومن ملك الباب يوشك ان يدخل الدار ، وقد عازمت على أن أبعث له جيشا عظيما لقتاله ، ثم اني فكرت في بعد البلاد وطول المسافة وتنائي المغرب عن المشرق ، ولا طاقة لجيوش العراق على الوصول الى السوس من أرض المغرب ، فرجعت عن ذلك ، وقد هالني أمره ، فأشر علي برأيك فيه ، فقال يحيا يأمر المومنين أرا من الرأي أن تبعث اليه برجل ذى حزم ومكر ودهاء ولسان واقدام وجرة فيقتله وتستريح منه ، فقال الرأي ماذكرت ، من يكون الرجل ؟ فقال يأمر المومنين ، أعرف بحاشيتي رجلا اسمه سليمان ابن جرير من أهل الحزم والاقدام والفتك والشجاعة والعلم بالجدال والكلام والمكر والدهاء تبعث به اليه ، فقال أسرع بذلك الآن ، فخرج الوزير يحيا الى سليمان بن جرير فعرفه المقصود وما يريد منه أمير المومنين ووعده على ذلك الرفعة والمنزلة العالية والصلات السنية وأعطاه أموالا جزيلة وتحفا مستطرفة وجهزه بما يحتاج اليه ، فخرج سليمان بن جرير من بغداد يجد السير مظهرا النزوع (الى ادريس) فيمن نزع ومتبرئا من الدعوة العباسية ، ومنتحلا للطب حتى وصل الى المغرب ، فقدم على ادريس رضي الله عنه بمدينة ويلي ، فسلم عليه ، فسأله الامام ادريس عن اسمه ونسبه ومن أي البلاد قدم وماسبب قدومه الى المغرب ، فذكر له أنه من بعض موالى أبيه ، وأنه اتصل به خبره ، فأثاء برسم خدمته لأجل محبته وولايته لأهل البيت ، ان لا يعدل بهم أحد ولا يقاس بهم سواهم ، فأنس به ادريس وسكن الى قوله وسر به سرورا عظيما وركن اليه وحل من قلبه بمنزلة رفيعة ، فكان لايقعد ولاياكل الا معه ، لانه لم يجد في بلاد المغرب من يأنس به ويستريح اليه غيره ، وذلك لجهل أهل المغرب في ذلك الوقت وجفاء طباعهم ، ولما ظهر له ايضا من سليمان بن جرير من النبل والأدب والظرف والبلاغة ، فحل منه محلا رفيعا •

فكان سليمان بن جرير اذا جلس الامام ادريس رضي الله عنه بين رؤساء النبرابر ووجوه القبائل يتكلم فيذكر فضائل أهل البيت ، وعظيم

بركانهم ويقيم الدلائل على امامة ادريس رضي الله عنه وأنه الامام لا امام غيره ، ويأتى على ذلك بالحجج البينة والبراهين القاطعة وبأحاديث تعجب ادريس ، فكان ادريس يتعجب من فصاحته وبلاغته ومعرفته بالجدال ويستظرفه ويحبه ، فلم يزل سليمان بن جرير عند ادريس يرتقب فيه الفرصة ويعمل فى قتله الحيلة فلا يجد الى ذلك سبيلا من أجل مولاه راشد الذي لايزايله ولا يفارقه ، الى أن غاب راشد ذات يوم فى بعض شؤونه ، فدخل عليه سليمان بن جرير فوجده وحده ، فجلس بين يديه على عادته ، فتحدث معه مليا ، فلم ير لراشد أثرا ، فانتهز الفرصة واغتنم الخلوة ، فقال ياسيدى جعلت فداك ، انى جئت من المشرق بقارورة طيب أطلب بها، ثم انى رأيت هاذة البلاد ليس بها طيب قرأيت ان الامام اولا بها منى ، فخذها تطيب بها فقد أثرتك على نفسى ، وهو من بعض مايجب لك علي ، ثم أخرجها من وعاء ووضعها بين يديه ، فشكره ادريس على ذلك ، ثم أخذ القارورة ففتحها وشمها ، فلما رآا سليمان بن جرير الامام ادريس قد فتح القارورة وشمها وتحصل بمراده منه وتمت حيلته فيه جعل يده فى الأرض وخرج كأنه يريد قضاء حاجة الانسان فسار الى منزله وركب فرسا من عناق الخيل وسباقها كان أعدها لذلك ، وخرج من مدينة وليلي يطلب النجاة ، وكانت القارورة مسمومة ، فلما استنشق ادريس الطيب صعد السم فى خيشومة وانتهى الى دماغه فغشي عليه وسقط بالأرض على وجهه لايفهم ولا يعقل ولا يعلم أحد ما به ولا ما أصابه ، فاتصل خبر غشيته بمولاه راشد ، فأقبل اليه مسرعا فدخل عليه فوجده يجود بنفسه وقد أشرف على الموت لايقدر أن يبين الكلام ، فقعده عند رأسه متحيرا فى أمره لايعلم ما به ، حتى قطع سليمان بن جرير مسافة من الأرض ، وأقام ادريس فى غشيته الى عشي النهار ، فتوفي رحمه الله ، وكانت وفاته فى مفتتح شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومئة (الثلاثاء ١٦ يوليوز ٧٩٣ م) فكانت امارته بالمغرب خمسة أعوام وسبعة أشهر ، واختلف فى سبب وفاته ، فقليل سمه فى طيب كما تقدم وقليل سمه فى حوت من الشابل، وقليل سمه فى سنون لأنه كان يشتكى باسترخاء لثاقته ، والله أعلم

بصحة ذلك .

فلما توفي ادريس رضي الله عنه نظر راشد الى سليمان بن جرير فلم يجده فسأل عنه ، فأخبر أنه لقي على أميال كثيرة من البلاد ، فعلم حينئذ أنه هو الذى سمى ، فركب فى جمع كثير من البربر وخرج فى طلبه وجد المسيرة طول ليلته ، وتقطعت الخيل فى أثره فلم يلحق به أحد من القوم الا راشد وحده أدركه وهو يجوز نهر ملوية ، فصاح به راشد وشده عليه بالسيف فقطع يده اليمنا وشجه فى رأسه ثلاث شجات وجرحه فى جسده ، كل ذلك لا يصيب له مقتلا ، وعيى جواد راشد ، وفر سليمان بن جرير وهو مثخن بالجراح حتى وصل العراق فأخبر بعض الناس أنه رآه بالعراق ببغداد مبطولة (٩) يده اليمنا وبرأسه وجسده اثر الجراحات قد برئت ، فرجع راشد من تبع سليمان بن جرير الى مدينة ولىلى ، فدفن بقربها ادريس رضي الله عنه ليتبرك الناس بقبره وزيارة تربته رحمه الله تعالى ، ولم يكن لادريس حين وفاته ولد الا ان ام ولده تركها حبلا .

قال أبو محمد عبد الملك بن محمود الوراق فى كتاب المقباس ، والبكرى ، والبرنسى وغيرهم ممن اعتنا بتاريخ أيام الأدارسة : ان الامام ادريس بن عبد الله لم يترك ولدا مولودا الا أنه ترك جارية له مولدة من تالد البربر اسمها كنزة حامل منه فى الشهر السابع من حملها ، فجمع راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس بعد فراغه من دفن ادريس ، فأخبرهم ان ادريس لم يترك ولدا الا حملا بجاريته كنزة وهي فى الشهر السابع من حملها ، وقال لهم فان رأيتم أن تصبروا على الجارية حتى تضع حملها فان كان ذكرا ربيناه ، فاذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تبركا بأهل البيت وذرية النبي صلا الله عليه وسلم ، وان كان جارية نظرتم لأنفسكم من ترضونه وترونها أهلا لذلك ، فقالوا له أيها الشيخ المبارك مالنا رأي الا مارأيت فانك عندنا عوض من ادريس تقوم بأمرنا كما كان ادريس وتصلى بنا ، وتحكم فينا بما يقتضى الكتاب والسنة حتى تضع الجارية ، فان وضعته غلاما

(٩) أى مشلولة ، والكلمة من العامى المغربى الفصحى .

ربيناه وبيايعناه ، وان وضعت جارية نظرنا فى أمرنا ، على أنك أحق الناس به لفضلك ودينك وعلمك ، فشكرهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا ، فقام راشد بأمر البربر حتى أتمت الجارية أشهر حملها فوضعت غلاما أشبه الناس بوالده ادريس رحمه الله ، فأخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى نظروا اليه ، فقالوا هاذا هو ادريس بعينه كأنه لم يمت ، فسماه راشد باسم أبيه وقام بأمره وأمر البربر وكفله حتى فطم وشب فأدبه أحسن أدب ، وأقرأه القرآن فحفظه وله من السنين ثمانية أعوام ، وعلمه السنة والفقه والنحو والحديث والشعر وأمثال العرب وحكمها وسير الملوك وسياستها ، وعرفه أيام الناس ودربه مع ذلك على ركوب الخيل والرمي بالسهم ومكايد الحروب ، فلما أدب فى ذلك كله وكملت له من السنين احدا عشرة سنة أخذ له مولاه راشد البيعة من قبائل المغرب فبويع له بجامع مدينة ويليلى .

الخبر عن دولة الامام إدريس بن إدريس الحسنى

رضي الله عنه

هو الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضي الله عنهم ، أمه أم ولد مولدة نفزية اسمها كنزة مولده فى يوم الاثنين الثالث من شهر رجب الفرد عام سبعة وسبعين ومئة (١٤ أكتوبر ٧٩٣ م) ، كنيته أبو القاسم ، صفته صفة أبيه ، كان أبيض اللون مشوبا بحمرة أكحل أجعد تام القد جميل الوجه أقنا الأنف مليح العينين واسع المنكبين شثن الكفين والقدمين أبلج أفلج أدمع ، فصيحاً بليغاً أديباً عاملاً بكتاب الله تعالاً قائماً بحدوده ، راوياً لحديث النبي صلا الله عليه وسلم ، عارفاً بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصول الأحكام ورعا تقياً جواداً كريماً حازماً بطلاً شجاعاً ، له عقل راجح ، وحلم واسع واقدام فى مهمات الأمور .

قال داوود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الاوربي :

شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من
البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا ، فلما تقارب الجمعان نزل ادريس
فتوضأ وصلا ركعتين ودعا الله تعالا ثم ركب فرسه وقدم للقتال ، فقاتلناهم
قتالا شديدا ، فكان ادريس يضرب في هذا الجانب مرة ثم يكر في الجانب
الثاني ، فلم يزل كذلك حتى ارتفع النهار فرجع الى رايته ، فوقف بازائها
والناس يقاتلون بين يديه ، فطفقت أنظر اليه وأديم الالتفات نحوه وهو
تحت ظلال البنود يحض الناس ويشجعهم ، فأعجبني مارأيت منه من
شجاعته وقوة جأشه ، فالتفت نحوي فقال لي يا داوود مالي أراك تديم
النظر الى ؟ قلت أيها الامام انه أعجبني منك خصال لم أرها في غيرك ،
قال وماهي يا داوود ؟ قلت أولها ما أراه من حسنك وجمالك وثبات عقلك ،
ومن علاقة وجهك ، وماخصصت به من البشر عند لقاء عدوك ، قال ذالك
من بركة جدنا رسول الله صلا الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا
واراثه عن أبينا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قلت أيها الامام وأراك
تبصق بصاقا مجتمعا وأنا أطلب قليل الريق في قمى فلا أجده ، قال يا داوود
ذالك لاجتماع عقلي وقوة بأسى عند الحروب ، وعدم المريق من فمك لطيش
لبك وامتراق عقلك ولما خامرك من الرعب ، قال داوود فقللت أيها الأمير
وأنا أيضا أتعجب من كثرة تقلبك في سرجك وقلة قرارك في موضعك ،
قال ذالك منى زرع الى القتال وحزم وصرامة ، وهو أحسن في الحرب ،
فلاتطبه رعبا ، وأنشأ يقول :

ليس أبونا هاشم شد أزره	وأوصا بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا	ولانشتكى مما يؤول الى النصب

وكان ادريس رضي الله عنه شاعرا مجيدا ، وكان بهلول بن عبد
الواحد (١٠) رئيسا معظما في قومه ، وكان من خاصة ادريس ، فكاتبه

(١٠) المدغرى ، ينظر عنه الحلة السيرا الجزء الاول ص ١١١ وص 55 ولادريس أنصار
أخرا تنظر في ص 55 من الكتاب المذكور .

ابن الأغلب عامل الرشيد على أفريقية واستهواه بالمال فمال إليه وباع الرشيد ، فكتب إليه ادريس بن ادريس :

أبهلول قد شممت نفسك خطة	تبدلت منها ضلة برشاد
أضلك ابراهيم من بعد داره	فأصبحت منقادا بغير قياد
كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب	غدا أأخذا بالسيف كل بلاد
ومن دون مامتك نفسك خاليا	ومناك ابراهيم شوك قتاد

وزيره عمير بن مصعب الأزدي .

قاضييه عامر بن محمد بن سعيد القيسى .

كاتبه أبو الحسن عبد الله بن مالك المالكي الأنصاري .

ولما كمل الامام ادريس بن ادريس من العمر احدا عشرة سنة وخمسة أشهر عزم مولاه راشد على أخذ البيعة له على قبائل المغرب من البربر وغيرهم ، فاتصل الخبر بابراهيم بن الأغلب عامل أفريقية ، فحاول قتل راشد ، فاندس اليه من أبلغ أموالا كثيرة الى خدام راشد من البربر فاستهواهم بها فقتلوا راشد ، وذلك في سنة ثمانية وثمانين ومئة .

فقام بأمر ادريس بعده أبو خالد يزيد بن الياس العبدى ، فأخذ له البيعة على جميع قبائل البربر ، وذلك يوم الجمعة غرة ربيع الأول سنة ثمانية وثمانين ومئة (١٦ يبرابر ٨٠٤ م) بعد قتل راشد بعشرين يوما وهو ابن احدا عشرة سنة وخمسة أشهر ، قاله عبد الملك الوراق في تاريخه ، وفي قتل راشد يقول ابراهيم بن الأغلب في بعض ماكتب به الى الرشيد يعرفه بخدمته ونصيحته :

الم ترنى بالكيد أرديت راشدا	وأنى بأخرا لابن ادريس راصد
تناوله عزمى على بعد داره	بمحتومة قد هياتها المكاييد
فتاه اخوعك بمقتل راشد	وقد كنت فيه شاهدا وهورائد

يريد بأخى عك محمد بن مقاتل العكى والى أفريقية للرشيد ، لأنه لما حاول ابن الأغلب قتل راشد فتهيا له كتب العكى الى الرشيد يعلمه أنه هو الذي فعل ذلك ، فكتب صاحب البريد صحة الخبر الى الرشيد وأعلمه

أن ابن الأغلب هو الفاعل لذلك والمتولى له ، فصح ذلك عند الرشيد
وكذب انعكى وصدق ابن الأغلب ، وكان ابن الأغلب من قواد أفريقية
فكتب الرشيد بعزل العكى عن أفريقية وولاه ابن الأغلب .
قال البكرى والبرنسى :

ان راشد لم يمت حتى أخذ البيعة لادريس بالمغرب ، وان الامام
ادريس رضي الله عنه لما كمل احدا عشرة سنة ظهر من ذكائه وعقله ونبله
وفصاحته وبلاغته ما أذهل عقول العامة والخاصة فأخذ له راشد البيعة
على سائر قبائل البربر ، وذلك يوم الجمعة سابع ربيع الاول سنة ثمانية
وثمانين ومئة ، فصعد ادريس رضي الله عنه المنبر وخطب الناس فسى
ذلك اليوم فقال .

«الحمد لله أحمده وأستعين به وأستغفره وأتوكل عليه ، وأعوذ به
من شر نفسي وشر كل ذى شر ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا
عبده ورسوله المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا ، صلا الله وسلم عليه وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب
الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، أيها الناس : انا قد ولينا هذا الأمر
الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر ، وللمسيء الوزر ، ونحن - والحمد لله -
على قصد جميل فلا تمدوا الأعناق الى غيرنا ، فان ماتطلبونه من اقامة
الحق انما تجدونه عندنا» .

ثم دعا الناس الى بيعته ، وحضهم على التمسك بطاعته ، فتعجب
الناس من فصاحته ونبله وقوة جأشه وثبوت جنانته على صغر سنه .

ثم نزل فसार الناس الى بيعته ، وازدحموا عليه يقبلون يديه ،
فبانيه كافة قبائل المغرب من زناتة وأوربة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل
البربر ، فتمت له البيعة ، وبعد بيعته بقليل توفي مولاة راشد ، والله أعلم ،
فاستقام الناس لادريس بن ادريس بالمغرب وتوطأ له الملك وكثر سلطانه ،
وقويت جنوده ، وأتباعه ، وعظمت جيوشه وأشياعه ، ووفدت عليه الوفود
من البلدان وقصد الناس نحوّه من كل ناحية ومكان ، فاقام بقية سنة ثمان

وثمانين التى ولي فيها يعطى الأموال ويصل الوفود ويستميل الرؤساء
والأشياخ .

وفي سنة تسع وثمانين ومئة وفدت على ادريس رضي الله عنه وفود
العرب من بلاد أفريقية وبلاد الأندلس فى نحو الخمسمئة فارس من القيسية
والأزد ومدلج وبنى يحصب والصدف وغيرهم ، فسر ادريس بوفادتهم
وأجزل صلاتهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر ، فاعتر
بهم لأنه كان فريدا بين البربر ليس معه عربي ، فاستوزر عمير بن مصعب
الأزدى ، وكان من فرسان العرب وسادتها ، ولأبيه مصعب تأثير عظيمة
بأفريقية والأندلس ، ومشاهد فى غزو الروم كثيرة ، واستقضا منهم
عامر بن محمد بن سعيد القيسى من قيس عيلان ، وكان رجلا صالحا
ورعا فقيها سمع من مالك وسفيان الثورى وروا عنهما كثيرا ، ثم خرج
الى الأندلس برسم الجهاد ، ثم جاز الى العدو فوفد منها على ادريس
فيمن وقد عليه من العرب ، ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر
من جميع الآفاق ، فكثر الناس وضافت بهم مدينة وليلى .

فلما رأى ادريس رضي الله عنه أن الامر قد استقام له وعظم ملكه
وكثر جيشه وضافت بهم المدينة ، عزم على الانتقال عنها وأراد ان يبني
مدينة يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه اهل دولته فركب فى خاصة
من قومه ورؤساء دولته وخرج يتخير البقاع ، وذلك فى سنة تسعين
ومئة ، فوصل الى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه
وكثرة محارثه فاخذت مدينة بسنده مما يلى الجوف وشرع فى بنائها ،
فبنا جزءا من سورها ، فأتا سيل من أعلا الجبل فى بعض الليالى فهدم
جميع ماكان بناه من السور المذكور ، وحمل ماحوله من خيام العرب ،
وأفسد كثيرا من الزرع ، فلما رأى ذلك ادريس رضي الله عنه رفع يده
من البناء وقال : هاذا موضع لا يصلح للمدينة ، فالتسول تركبه من رأس
الجبل ، قاله ابن غالب فى تاريخه .

وقيل ان ادريس بن ادريس رضي الله عنهما لما وصل الى جبل زالغ

صعد فى ليلته فأعجبه ارتفاعه وأشرافه على جميع الجهات ، فجمع قواده ووجود دولته وحشمه فأمرهم ببناء الديار فى سند الجبل فبنوا الديار ، وحفروا بالجبل الآبار ، وغرسوا الزيتون والكرم والأشجار وشرع هو فى بناء المسجد والصور ، فبنا من سورها جزءا يزيد على الثلث ، فلما كان فى بعض الليالى نزل مطر عظيم وابل ، فهبط السيل من أعلا الجبل دفعة واحدة ، فهدم جميع ماكان مبنيا وأفسد جميع ماكان غرس ، وحمل ذلك كله حتى رما به فى نهر سبو وهلك فيه خلق كثير ، فكان ذلك سبب رفع أنيد من بنائها .

فأقام الامام ادريس رضى الله عنه الى أن دخل شهر المحرم مفتتح سنة احدا وتسعين ومئة ، فخرج يتصيد ويرتاد لنفسه موضعا يبني فيه ماقد عزم عليه ، فوصل الى وادي سبو حيث هي حمة خولان (١١) فأعجبه الموضع لقربه من الماء ولأجل الحمة التي هنالك ، فعزم على ان يبني به المدينة ، وشرع فى حفر الاساس وعمل الجير وقطع الخشب وابتدأ بالبناء ، ثم نظر الى وادي سبو وكثرة ماياتى به من المدود العظيمة فى زمن الشتاء ، فخاف على الناس الهلكة فبدا له فى بنائها ورفع يده عنها ورجع الى مدينة وليلي ، فبعث وزيره عمير بن مصعب الأزدي يرتاد له موضعا يبني فيه المدينة التي أراد ، فسار عمير فى جماعة من قومه يرتاد له ماطلب ، فاخترق تلك النواحي وجال فى تلك الجهات يختبر الأرضين والمياه حتى وصل الى فحص سايس ، فوجد فسحة الأرض واعتدالها وكثرة المياه فأعجبه ماراه من ذلك ، فنزل هنالك على عين غزيرة من ماء تطرد فى مروج مخضرة ، فتوضأ وصلا بهم صلاة الظهر حولها ، ثم دعا الله تعالا أن يهون عليه مطلبه ، وان يدلّه على موضع يرتضيه لعبادته ، فركب وأمر قومه ان ينتظروه عند تلك العين حتى يعود اليهم ، فنسبت العين اليه وسميت به عين عمير الى الآن ، وعمير هاذا هو جد بنى الملحوم من بيوتات فاس (١٢) ، فسار عمير في

(١١) حمة سبدي حرام الحالية .

(١٢) أنظر عن ست بنى الملحوم بيوتات فاس الكبرى ص ١٥ طبع دار المنصور .

فحص سايس يطلب ماخرج اليه حتى وصل الى العيون التي ينبعث منها
نهر مدينة فاس ، فراى عيونا كثيرة تزيد على ستين عنصرا ومياهها تترد
فى فسيح لأرض ، وراا حول العيون شجرا من الطرفاء والطخش والعرعر
والكلخ وغيره ، فشرب من ذلك الماء فاستطابه ، فقال هاذا ماء عذب
وهواء معتدل ، وهو اقل ضررا واكثر نفعا ، وحوله من المزارع اكثر مما
حول نهر سبو ، ثم سار مع مسيل الماء حتى وصل الى موضع مدينة
فاس ، فنظر الى ما بين الجبلين غيضة ملتفة الأشجار ، مطردة العيون
والأنهار ، وفى بعض منها خيام من شعر يسكنها قبائل من زناتة يعرفون
بزواغة وبنى يرغثن ، فرجع عمير الى ادريس وأعلمه بما وقع عليه من
الأرض وما استحسسه من كثرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هوائها
وصحتها واعتدال الهواء فأعجبه ماراه من ذلك ، وسأل عن مالك الأرض
فقال له قوم من زواغة يعرفون ببني الخير فقال ادريس رضي الله عنه
هاذا فال حسن ، فبعث اليهم واشترا منهم مواضع المدينة بسنة ١٩١ الف
درهم ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذلك وشرع فى بناء المدينة .

وقيل كان يسكن مدينة فاس قبيلتان من زناتة وزواغة وبنى يرغثن ،
وكانوا اهل اهواء مختلفة ، منهم على الاسلام ، ومنهم على النصرانية
ومنهم على اليهودية ، ومنهم على المجوسية ، ومنهم بنو يرغثن وكانوا
يسكنون بخيامهم بحومة عدوة الأندلس الآن ، وكان بيت نارهم
بالشنيوية (١٢) وكانت زواغة بحومة عدوة القرويين ، فكان القتال
بين القبيلتين لايزال على مر الأيام ، فلما أتا ادريس رضي الله عنه مع
عمير لينظر الى الموضع الذي ارتاده له وجد زواغة وبنى يرغثن
يقتتلون فيما بينهم على حدود الأرض ، فبعث ادريس اليهم ، فحضر
الفريقان بين يديه ، فأصلح بينهما ، ثم اشترا منهم الغيضة التي بنا
فيها المدينة ، وكانت عظيمة لاترام لكثرة المياه والأشجار والسبلع

(١٢) مازال مكان الشنيوية معروفا الى اليوم ، وهو واقع بين تنطرة بين المدن وحدادى
التخالين .

والخنازير فرضوا جميعا ببيعها واخراجها من يد الفريقين ثم شرع
فى البناء

وقيل انه اشترا موضع عدوة الأندلس من بنى يرغثن بألفى درهم
 وخمسمئة درهم فدفع لهم المال وكتب العقد بشرائها منهم كاتبه الفقيه
أبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجى الأنصارى وذلك فى سنة احدا
 وتسعين ومئة فنزل به ادريس رضى الله عنه وشرع فى بناء السور،
 وضرب أبنيته وقبائه بالموضع المعروف اليوم بسجرواة (١٤) ودور
 عليها جدرا من الخشب والقصب قسمي الموضع جرواة الى اليوم
 ثم اشترا موضع عدوة القرويين من بنى الخير الزواغيين بثلاثة آلاف
 درهم وخمسمئة درهم وشرع فى بنائها

الخبر عن بناء الامام إدريس بن إدريس

رضي الله عنهما مدينة فاس وذكر ما خصت به من الفضائل والمحاسن
التي تفوق بها جميع المغرب

قال المؤلف عفا الله عنه

لم تزل مدينة فاس من حين أسست دار فقه وعلم وصلاح ودين
 وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها وهي كانت دار مملكة
 الأدارسة الحسينيين الذين اختطوها ودار مملكة زناتة من بنى يفرن
 ومغراوة وغيرهم من ملوك المغرب فى الاسلام ونزلها لمتونة فى أول
 ظهورهم على المغرب ثم بنوا مدينة مراكش فانتقلوا اليها لقربها من
 بلادهم بلاد القبلة فأتا الموحدون بعدهم فنزلوا مراكش واتخذوها دار
 ملكهم لقربها من بلادهم وكونها مبنية فى جوارهم وبين قبائلهم ومدينة
 فاس لم تزل أم بلاد المغرب فى القديم والجديد وهي الآن

قاعدة ملوك بنى مرين أطال الله أيامهم ، وأعلا أمرهم ، وخلد سلطانهم ،
فهي منهم فى المحل الرفيع والشكل البديع وقد جمعت مدينة فاس
بين عذوبة الماء ، واعتدال الهواء ، وطيبم القربة ، وحسن الثمرة ، وسعة
المحرث وعظيم بركته وقرب المحطب وكثرة عدده وشجره وبها منازل
مؤنقة وبساتين مشرقة ورياض مورقة وأسواق مرتبة منسقة
وعيون منهمة وأنهار متدفقة منحدره وأشجار ملتفة وجنات دائرة
بها محذفة

وقالت الحكماء أحسن مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء وهي
النهر الجارى والمحرث الطيب والمحطب القريب والسور الحصين
والسلطان إذ به صلاح حالها وأمن سبلها وكف جبايرتها ، وقد جمعت
مدينة فاس هاذة الخصال التى هي كمال المدن وشرفها وزادت عليها
بمحاسن كثيرة نذكرها بعد أن شاء الله تعالى

فلها من المحرث العظيم سقيا وبعلًا على كل جهة منها ما ليس هو
على مدينة من مبادئ المغرب وعليها المحطب فى جبل بنى بهلول الذى
الذي فى قبلتها (١٥) يصبح كل يوم على أبوابها من أحمال حطب البلوط
والفحم مالا يوصف كثرة ونهرها يشقها نصفين ويتشعب فى داخلها
أنهارا وجداول وخلقجانا فتتخلل الأنهار ديارها وبساتينها وجناتها
وشوارعها وأسواقها وحماماتها وتطحن به أرحاقها ، ويخرج منها
وقد حمل أنفالتها (١٦) وأقذارها ورماداتها

وقد أثنى الفقيه الصالح الزاهد يوسف ابن النحوى (١٧) فى
مدحها ووصفها

(١٥) كانت قبيلة بنى بهلول تسكن الجبال الواقعة شمال غربى فاس حيث حمة مولى
يعقوب الحالية وتمتد مساكنها عبر سهل سايس الى جبال صفرو حيث قرية البهاليل الحالية
وهاذة الجبال الأخيرة هي الواقعة فى القبلة وهي التى يعينها المؤلف

(١٦) جمع نفل ، ما يرسب من كدرة فى أسفل الشيء ، والكلمة من العامى الفصحى الجارى
على السنة العامة الى اليوم

(١٧) أبو الفضل أنظر عنه التشوف ع ٩ ورحلة الاقتباس ص 346

ياقاس منك جميع الحسن مسترق. وساكنوك ليهنهم بما رزقوا
هاذا نسيمك أم روح لراحتنا ؟ وماؤك السلسل الصافي أم الوراق ؟
أرض تخلصها الأنهار داخلها حتى المجالس والأسواق والطرق

وكان الفقيه يوسف ابن النحوى من أهل العلم والدين والورع
والفضل ذكر صاحب كتاب التشوف (١٨) أنه من أكابر رجال المغرب

وللفقيه الكاتب البارع أبى عبد الله المغيلى (١٩) فى وصفها ويتشوق
اليها حين ولي القضاء بمدينة أزموور

ياقاس حيا الله أرضك من ثرا وسقاك من صوب انعام المسبل
ياجنة الدنيا التي أربت على حمص بمنظرها البهي الأجمل
غرف على غرف ويجرى تحتها ماء الذ من الرحيق السلسل
وبساتن من سندس قد زخرقت بجداول كالآيم أو كالفيصل
وبجامع القروي شرف ذكره انس تذكره بهيج تلبلسى
وبصحته زمن المصيف محاسن فمع العشي الغرب فيه استقبال
واجلس ازاء الخصة الحسناء به واكرع بها عنى قديتك وانهل

قال المؤلف

ويخرج نهر مدينة فاس فيسقى جناتها وبحائرهما الى ان يصب
بوادى سبو على مقدار الميلىن منها

وماء نهر مدينة فاس من أفضل مياه الأرض وأعذبها وأخفها
يخرج من عيون بأعلاها فى بسيط من الأرض من ستين عنصرا كلها
تنبعث من جهة القبلة وثلاثة عناصر من قبل المغرب على نحو غشرة
أميال من المدينة فيجتمع ما يخرج من تلك العناصر من المياه فيصير
نهرًا كبيرًا فيجرى فى بسيط من الأرض على الكرفس والسعدا من
منبعه حتى ينحدر على المدينة فى مرج لايزال كذلك صيفا وشتاء حتى

(18) التشوف ع 9

(19) أنظر عنه مستودع العلامة ص 48 وجلوة الاقتباس ص 145 ودرة البحال 273

ينخل البلد ، وينقسم فى داخلها على جداول كثيرة كما قدمنا .
ومن فضائل ماء هذا النهر انه يفتت الحصى ، ويذهب الصغان
لمن اغتسل به وداوم على شربه ، ويلين البشرة ، ويقطع القمل ، ويسرع
الهضم ، ويشرب على الزيق فلا يعدى ، ومن يستكثر من شربه فلا يضره ،
وذلك لأجل جريانه على الكرفس والسعدا فهو فى نهاية الخفة والعذوبة
ومن فضائل هذا النهر ما ذكره ابن جنون المتطبب انه ينبه شهوة
الجماع اذا شرب على الرقيق ، ومن فضله أنه يغسل به الثياب من غير
صابون فيبيضها ويكسوها رونقا وبصيصا ورائحة طيبة كما يفعل
الصابون ، فيقسم عليها أنها غسلت بالصابون .

ومن فضائل نهر مدينة قاس انه يخرج منه الصدف الحسن الذي
يقوم مقام الجواهر النفيس ، تباع الحبة منه بمئقال ذهب وأقل وأكثر ،
وذلك لحسنه وصفائه وعظم جرمه ، ويوجد فى مياه هذا النهر
السرطين وليست توجد فى مياه الأندلس الا نادرا ، ويخرج فيه أيضا
أنواع من الحوت من اللبيس والبورى والسيناخ والبوقه ، وهو حوت
لذيذ الطعم كثير المنفعة ، وعلى الجملة ان نهر مدينة قاس يفوق مياه
المغرب فى العذوبة والخفة وكثرة المنفعة .

وتفوق مدينة قاس غيرها من البلاد بمعدن الملح الذى عليها ليس
فى معمور كرة الارض ملح مثله ، وهو على نحو ستة أميال منها ، وطول
هاذه الملاحه نحو ثمانية عشر ميلا أولها من مجشر الشاطبي ، والخرها
بوادى مكس عند دمنة البقول ، وفى هاذه الملاحه أصناف من الملح لا يشبه
بعضها بعضا فى الألوان والصفة ، فالمالح بالمدينة كثير جدا يباع عشرة
أصوع بدرهم وأقل وأكثر ، بحسب ما يجلب .

ومن بركة هاذه الملاحه أنها كلها تحرث بالزراع ، فتجد قدايين
الزراع فى وسط المالح مخضرة ناعمة تتمايل خاماتها فضلا من الله تعالى
وبركة منه ، وكان المالح قبل هاذا يباع حمل بدرهم لا يجد بائعه من
يشتره منه لكثرتة ، وعلى مسيرة ثلاثين ميلا من قاس جبال بنى يازغة

حيث يقطع خشب الأرض فيجلب الى المدينة منه فى كل يوم ما لا يحصى كثرة، ومن هاذة الجبال ينبعث نهر سبو (٢٠) من عنصر واحد شبه مغارة فيسير حتى يمر بمشرق مدينة فاس على مقدار الميلين منها فيصيد أهل المدينة الشابل والبورى وأصناف الحوت ويحملون منها أحمالا الى المدينة فتصل طرية لم تتغير وأكثر نزحات أهل المدينة نهر سبو وبالقرب أيضا من مدينة فاس حمة عظيمة تعرف بحمة خولان وماؤها أشد ما يكون من السخانة وبالقرب منها أيضا حمة وشتاتة (٢١) وحمة أبى يعقوب (٢٢) وهي من الحفات المشهورة بالمغرب

وسكان مدينة فاس أحد أهل المغرب أذهانا وأشدهم قطنية وأرجحهم عقلا وألبنهم قلوبا وأكثرهم صدقة وأعزهم نفوسا وألطفهم شمائل وأقلهم خلافا على الملوك وأكثرهم طاعة لولاتهم وحكامهم وكيفما تقلبت الأحوال فهم يسمون على أهل بلاد المغرب عملا وفقها ودينا

ومدينة فاس لم تزل من يوم أسست مأوا الغرياء ومن دخلها استوطنها وصلاح حاله بها وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم فهي فى القديم والجديد دار علم وفقه وحديث وعربية وفقهاؤها الفقهاء الذين يقتدى بهم جميع فقهاء المغرب لم يزل ذاك على مر الزمان وذلك ببركة بانيتها مولانا ابريس رضي الله عنه ، فإنه لما أراد الشروع فى بنائها رفع يده وقال (اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلا بها كتابك وتقام بها حدودك واجعل أهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها) ، ثم أخذ المولى بيده فايتدا بحفر الاساس ، فلم تزل منذ بنيت الى يومنا هذا وهو عام ستة وعشرين

(20) قرب قرية مصدورة جنوبى غرب جبل حمة

(21) حمة صغيرة تقع فى السمع الشمالى الجبل زلاخ فيها جميع خواص مياه حمة مولاى يعقوب ، ولكن مياهها قليلة ، فلذلك لا يستحم بها إلا أهل القرى والمدائن المجاورة لها

(22) حمة مولاى يعقوب الحالية وهو يعقوب بن الأشغر الملقب بالهلول المتوفى سنة 689 هـ انظر ترجمته فى سلوة الأناس 3 216 وانظر أيضا بيوتات فاس الكبرى ص 14

وسبعمئة دار علم وفقه وسنة ، والجماعة بها قائمة •

ويكفى من فضلها وشرفها ماورد عن النبي صلا الله عليه وسلم فى وصفها ، فانه وجد فى كتاب دارس بن اسماعيل أبى ميمونة بخط يسه رحمه الله تعالى : حدثنى ابن أبى مطر بالأسكندرية قال : حدثنى محمد ابن ابراهيم المواز ، عن عبد الرحمان ابن القاسم ، عن مالك بن انس ، عن محمد بن شهاب الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلا الله عليه وسلم انه قال : ستكون مدينة تسما فاس أهلها أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة ، أهلها على السنة والجماعة ومنهاج الحق لايزالون متمسكين به لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم مايكرهون الى يوم القيامة •

وذكر ابن غالب فى تاريخه أن الامام ادريس رضي الله عنه لما عزم على بنائها ووقف فى موضعها يخطها مر به شيخ كبير راهب من رهبان النصارا وقد نيف على مئة وخمسين سنة كان مترها فى صومعة قريبة من تلك الجهة ، فوقف بادريس وسلم عليه ، ثم قال له أيها الأمير ماتريد أن تصنع بين هاذين الجبلين ؟ فقال أريد أن أخط بينهما مدينة لسكنائي وسكنا أولادى من بعدى ، يعبد الله تعالى بها ويتلا بها كتابه وتقام بها حدوده ، قال أيها الأمير ان لك عندى بشرا ، قال وماهى أيها الراهب ؟ قال انه أخبرنى راهب كان قبلى فى هادا الدير توفي منذ مئة سنة انه وجد فى كتاب علمه انه كان بهادا الموضع مدينة تسما ساف خربت منذ ألف وسبعمئة سنة ، وانه يجدها ويحيى داثرها ويقيم دارسها رجل من آل بيت النبوة يسما ادريس ، يكون له شأن عظيم وقدر جسيم لايزال دين الاسلام قائما بها الى يوم القيامة ، فقال ادريس رضي الله عنه : الحمد لله أنا ادريس ، وأنا من آل بيت الرسول صلا الله عليه وسلم ، وأنا بانيتها ان شاء الله ، فكان ذالك مما قوا عزم ادريس على بنائها ، فشرع فى حفر اساسها •

قال المؤلف

ويدل على صحة هذه الرواية مارواه البرنسي أن رجلاً من اليهود
احتقر أساس دار بينها لسكناه بقنطرة عزيلة من المدينة المذكورة
والموضع يومئذ شعراء بالطخش والبلوط والطرقاء وغير ذلك فوجد
فى الأساس دمية رخام على صورة جارية منقوش على صدرها بالقلم
المسند «هَذَا موضع حمام عمر الف سنة ثم خرب فأقيم موضعه بيعة
للعباد»

وكان تأسيس الامام ادريس لمدينة فاس على ما ذكره المؤرخون الذين
اعتنوا بتاريخها وأنباؤا عن ابتداء أمرها فى يوم الخميس غرة ربيع
الأول عام اثنين وتسعين ومئة (٤ يناير ٨٠٨ م) أسس عدوة الأندلس
منها وأدار بها السور وبعدها بسنة أسست عدوة القرويين وذلك
غرة ربيع الآخر من سنة ثلاث وتسعين ومئة (٢٢ يناير ٨٠٩ م)
وابتداً ببناء سور عدوة الأندلس القبلى فأدار السور على جميعها وبنا
بها الجامع الذى برحبة البير المعروف بجامع الأشياخ (٢٣) وأقسام
فيه الخطبة ثم شرع فى بناء عدوة القرويين فى سنة ثلاث وتسعين
المذكورة وكان موضعها شعراء وغياضا ملتفة فبقي يقطع الشجر
والخشب ويبنى فى موضعه وأعجبه ماراً من كثرة العيون فيها وتدفق
الأنهار فانتقل عن عدوة الأندلس إليها ونزل منها بموضع يعرف
بالمقرمة وضرب فيه قيطونة وأخذ فى بناء الجامع وهو المسجد
المعروف الآن بجامع الشرفاء (٢٤) ، شرفه الله بذكره وأقام فيه الخطبة
ثم أخذ فى بناء داره المعروفة الآن بدار القيطون (٢٥) التى يسكنها
الشرفاء الجوطيون من أولاده ثم بنا القيسارية الى جانب المسجد
الجامع ، وأدار الأسواق حوله من كل جانب ، وأمر الناس بالبناء والغرس

(23) هو المسجد الواقع بأعلا عقبة الصفاح عند بداية زنقة سيدى بوجيدة ويعرف
بالحمام الأنور (جامع النوار)

(24) هو المسجد الواقع أمام باب الحفاء من ضريح الامام ادريس الثانى

(25) بجانب مسجد الشرفاء المتقدم امام الباب الذى يصحن مسجد الضريح الادريسي

وقال لهم : (من ابتنا موضعا وغرسه قبل تمام السور بالبناء فهو له هبة ابتغاء وجه الله تعالى) ، فابتنا الناس الديار ، واغترسوا الثمار ، وكثرت العمارة والغبطة ، فكان الرجل يخطط موضع منزله وبنائه وبستانه من الشعراء ثم يقطع منه الخشب فيبنى به لايحتاج الى خشب غيره .

ووفد عليه فى تلك الايام جماعة من الناس من بلاد العراق فأنزلهم بناحية عين علون ومنهم بنو ملولة (٢٦) ، وكان بعين علون شجر من طخش وعليق وكلخ وبسباس وأشجار برية ، وكان بها عبد أسود يقطع الطريق ، وكان الناس قبل بناء المدينة يتحامونها ولا يمرون بتلك الناحية ولايقدر أحد على سلوكها من أجل علون المذكور والتفاف الاشجار وخيرير المياه والأنهار وكثرة الوحوش المؤذية بها ، فكان الرعاة يتحامونها بمواشيهم ، ولايسلكها الا الجماعات من الناس ، فعرف ادريس رضي عنه بخبر علون حين شرع فى بناء عدوة القرويين فأمر بالقبض عليه ، فخرجت الخيل فى طلبه ، فقبض عليه وأتى به اليه فأمر بقتله وصلب على شجرة هناك كانت على رأس العين المذكورة ، فبقي علون مصلوبا على تلك العين حتى تمزقت أشلائه وتقطعت أوصاله ، فسميت العين به الى الآن (٢٧) وأدار الامام ادريس رضي الله عنه سور عدوة القرويين ، وابتدأه من رأس عقبة عين علون ، وصنع برأس العقبة بابا وسماه باب أفريقية ، وهو أول باب صنع بالمدينة المذكورة ، ثم هبط بالسور على عين دردورة حتى وصل به الى عقبة السعتر (٢٨) فصنع هنالك بابا وسماه باب حصن سعدون (٢٩) ثم هبط بالسور الى أول أغلان (٣٠) فصنع هنالك بابا وسماه باب الفرس ، ثم أدار السور مع أغلان حتى وصل

(26) فى الأصل ملولة بلتون . وعند أصحاب بيوتات قاس الكبرى تلامس انظر ص 38 .

(27) وحى الآن ، أسفل عقبة الشرايين .

(28) العقبة الواقعة بين العشابين وباب الجبسة ، حيث صريح سبى أحمد بن يحيى

(29) هو أصل باب الجبسة الحالى . والمكان الذى بنى فيه هو مكان فوس ساناط حومه

الحمارين فوق رحمة الزرع القديمة ، انظر سلوة الأنفاس 1 . 100 .

(30) هو مكان حومى فندق اليهودى والبلبة ، انظر جنا زهرة الاس ص 101

به شفير الوادي الكبير الفاصل بين العدوتين ، فصنع هنالك بابا وسماه باب الفصيل (٣١) وهو الباب الذي يخرج منه الى بين المدينتين ، ثم جاز الوادي بالسور وطلع به مع ضفة النهر خمس مسافات ، وصنع هنالك بابا سماه باب الفرج ، وهو الذي يسمى الآن باب السلسلة ، ثم جاز النهر أيضا بالسور الى عدوة القرويين وطلع به مع النهر الكبير فسى أسفل القلعة الى عيون ابن اللصاد الى الجرف ، وصنع هنالك بابا سماه باب الحديد ، وهو فى أعلا القلعة مما يلى الجرف ، ثم سار بالسور من باب القلعة المذكور الى باب أفريقية ، فجاءت مدينة عدوة القرويين متوسطة كثيرة الأنهار والعيون والبساتين والأرحاء لها ستة أبواب ، وابتدأ أيضا سور عدوة الأندلس من جهة القبلة ، غبنا بها باب الفوارة هناك ، ومنه يخرج الى مدينة سجلماسة ، وهو الآن مبنى يعرف بباب زيتون ابن عطية لم يفتح من سنة عشرين وستمئة ، وهبط بالسور على المخفية الى الوادي الكبير ، الى برزخ (٣٢) وعمل هنالك بابا يقابل باب الفرج من عدوة القرويين ، ثم سار بالسور على الشيبوية ، وفتح هنالك بابا يعرف بباب الشيبوية مقابلا لباب الفصيل من عدوة القرويين ، ثم سار بالسور الى رأس حجر الفرج ، فصنع هنالك بابا سماه باب أبى سفيان ، ومنه يخرج الى بلاد غمارة والى الريف ، ثم سار بالسور على جرواوة ، فصنع هنالك بابا شرقيا يعرف بباب الكنيسة ، ومنه يخرج الى بلاد تلمسان ، ومنه يخرج الى حارة المرضا ، فلم يزل الباب على ما بناه ادريس الى أن هدمه عبد المؤمن بن علي أيام ظهوره على المغرب وفتح لمدينة فاس ، وذلك فى سنة أربعين وخمسمئة ، فلم يزل الباب مهدوما الى أن بناد الناصر بن المنصور الموحدى حين جدد سور المدينة ، وذلك فى سنة احدا وستمئة ، وسماه باب الخوخة ، وكانت حارة المرضا بخارج هذا الباب ليكون سكناهم تحت مجرا الريح الغربية فتصمل

(٣١) هو باب النقبة الحال .

(٣٢) حومة سدى العواد الحالية ، انظر سلوة الأنفاس ١ : 307 .

الرياح أبخرتهم ولا يصل الى أهل المدينة منها شيء ، وليكون تصرفهم من الماء وغسلهم بعد خروجه من البلد ، فلما كانت المجاعة العظما التي خلا فيها المغرب وتوالت به الفتن وعدمت الأقوات ، وذلك من سنة تسع عشرة الى سنة سبع وثلاثين وستمئة لما أراد الله انقراض الدولة الموحدية وظهور الدولة المرينية بالمغرب أطالها الله وخلدها ، فانتقل الجذما فى أيام المجاعة والفتنة من خارج باب الخوخة وسكنوا بالكهوف التي بخارج باب الشريعة من أبواب عدوة القرويين ، وهي الكهوف التي بقرب الوادي بن مطامر الزرع وجنة المصاراة (٣٣) فأقاموا هنالك الى أن ظهرت الدولة المرينية على المغرب ، واستقام امرها ، وأشرق نور عدلها ، وشمل الناس بركننها ، فانجبرت الناس وعمرت البلاد وتأمنت الطرقات ، وكثرت الخيرات ، فرفع الى يعقوب بن عبد الحق رحمه الله أمر الجذما وتصرفهم وغسل ثيابهم وأنتيهم وأقذارهم فى نهر مدينة فاس لقريةهم منه ، وان ذلك ضرر لأهل المدينة ، فأمر رحمه الله عامله على المدينة وهو الشيخ ادريس ابن أبى قريش أن ينقلهم من هنالك ليبعدوا عن ماء النهر ، فنقلهم الى كهوف برج الكوكب الذي بخارج باب الجيسة من أبواب عدوة القرويين ، وذلك فى سنة ثمان وخمسين وستمئة .

وبنا أيضا الامام ادريس رضي الله عنه باب عدوة الاندلس القبلى، وسماه باب القبلة ، فلم يزل الباب على ما بناه ادريس الى ان هدمه دوناس حين غلب على عدوة الأندلس فدخلها بالسيف فبناه الفتوح بن دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية الزناتى المغراوي فى أيام ولايته على المدينة المذكورة ، وقيل ان الذي بناه الفتوح بن دوناس المغراوي بن معنصر اليفرنى وبه سمي .

(33) المصاراة فى عرف المغاربة والأندلسيين القدماء هو الفضاء الفسيح الواقع خارج أسوار المدن والمعدود من منزهاتها ، وروس المصاراة نفاس هو الروض أو الرياض الملوكية التي كانت تمتد جنوبى النصر الملكى حيث 'المدينة الحديثة' (دار الديبج) وقد بقى هذا اللفظ يستعمل فى الرسوم والنفود الى عهد السلطان الحسن الأول ، انظر ما كتبه عن كلمة 'المصاراة' الأستاذ محمود على مكى فى تعليقه على جزء من 'المقتبس' لابن حبان الفريسي ص 294 .

قال ابن غالب فى تاريخه : قال عبد الملك الوراق : وكانت مدينة فاس فى القديم بلدين ، لكل بلد منها سور محيط بها وأبواب تختص بها ، والنهر بين البلدين فاصل ، وهو الوادي الكبير الداخل من ناحية بساب الجديد من أبواب عدوة القرويين ، فيجري بين العدوتين حتى يخرج من موضع يسما بالرميلة قد صنع له هناك فى السور بابان عظيمان يخرج عليهما بشبايك من خشب الأرز مزودة وثيقة يخرج منها الماء ، وكذلك صنع له فى موضع دخوله باب كبير عليه شبك محكم وثيق ، وأسوار المدينة منيعة مرتفعة ، وأبوابها حصينة ، فلعدوة القرويين فى سورها الغربى باب الجديد ، ومنه يخرج الى واديهما والى جبل فازاز ومعدن عوام ، وباب سليمان بابها الأعظم ، ومنه يخرج الى مدينة مراكش وبلاد الحامدة وغير ذلك من بلاد المغرب ، ولها أيضا فى سورها باب الجوف ، وهو باب المغيرة ، ومنه يخرج الى الرابطة القديمة التى فى رأس العقبة ، سد فى زمان المجاعة سنة سبع وعشرين وستمئة فلم يزل على حاله الى الآن ، ولها أيضا فى سورها الجوفى باب حصن سعدون ، وهو الباب الذى كان أنشأه إدريس رضى الله عنه بعقبة السعتر ، فلما كثر الناس بالمدينة واتسعت الأرباض بخارجها فى أيام زنانة أدار عليها الأمير عجيسة بن المعز سورا ، وصنع فيه بابا فوق باب حصن سعدون المذكور وسماه باسمه باب عجيسة ، كما فعل أخوه الفتوح فى عدوة الأندلس ، فلم يزل باب عجيسة على حاله بقية أيام زنانة وأيام لتونة الى أيام أمير المومنين محمد الناصر الموحد حين أمر ببناء سور المدينة الذى كان هدمه جده عبد المومن عام أربعين وخمسمئة ، فبنا فوق باب عجيسة بالقرب منه بابا كبيرا وسماه باب عجيسة وترك باب عجيسة على حاله ، ثم أمر بتغيير اسم الباب الذى بناه وترك اضافته الى عجيسة وأسقط الناس العين وأدخلوا الألف واللام عوضا منها فقالوا الجيسة ، ولم يزل باب الجيسة على ما بناه عليه الى أن تهدم وتخرّب أكثره بمر السنين عليه وتوالى الإيسام واللهالى ، فعرف أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ورضي عنه بأمره وهو ببلاد الأندلس ، فنفذ أمره الكريم من الجزيرة الخضراء ببناء الباب

واصلاحه ، فجدد بأسره ماعدا القوس البرانى فانه وجد صحيحا فترك على حاله وذلك فى سنة أربع وثمانين وستمئة ، وكذلك أمر أيضا أمير المسلمين يعقوب رحمه الله باصلاح السور القبلى من عدوة الأندلس ، فجدد أكثره ورم ماتخلق منه وهدم من باب زيتون ابن عطية الى باب الفتوح على يد قاضيه الفقيه أبى أمية الدلائى ، فأصلحه وأتقنه وذلك فى سنة احدا وثمانين وستمئة .

ودور مدينة فاس أكثرها على طبقتين بالأعلا والاسفل ، ومنها مايكون على ثلاث طبقات وأربع طبقات ، وذلك لعقد تربتهم ، وكثرة خشب الأرز عندهم ، وهو أطيب خشب الأرض ، يعمر العود منه فى سقف البيت ألف سنة لايعفن ولا يسوس ولا يعتريه شيء مالم يصبه الماء .

ولم تزل الخطبة تقام فى عدوتي مدينة فاس من حين بنيت حتى الآن: خطبة بعدوة الأندلس ، وخطبة بعدوة القرويين ، وقيسارية ودار سكة بكل عدوة منها ، وكان بها أيام زناتة سلطانان أخوان شقيقان ابنا الأمير دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية ، وهما الفتوح وعجيسة ، فكان الفتوح بعدوة الأندلس وعجيسة بالقرويين ، وكل واحد منهما له جيش وحشم ، وألقا الله تعالا بينهما العداوة والبغضاء ، كل ذاك على طلب الرياسة وتنافسها على الظهور فى الدنيا ، فلم تزل الحرب بين الفريقين على قديم الزمان والقتال بينهما على ضفة الوادى الكبير بموضع يعرف بكهف الرماد ، بين المدينتين ، وكان أهل عدوة الأندلس أهل نجدة وشدة ، وأكثرهم ينتحل الحراثة والفلاحة ، وأهل عدوة القرويين أهل رفاهية ونخوة فى البناء واللباس والفراش والمطعم والمشرب ، وأكثرهم صناع وتجار وسوقه ، ورجال عدوة القرويين أجمل من رجال عدوة الأندلس ، ونساء عدوة الأندلس أجمل من نساء عدوة القرويين .

وبمدينة فاس من أصناف الأزهار والفواكه ما لا يوجد فى غيرها من البلاد الا مفترقة فى أقاليم شتا ، وتوجد فى مدينة فاس مجتمعة فى نهاية الحسن والطيب ، وتختص عدوة القرويين بكثرة الأنهار والأرحاء

والعيون العذبة والآبار القريبة الطيبة ، وبها الرمان السفري الذى ليس فى المغرب مثله حلاوة ولذة وولادة ، والتين الشعري والسبتى الطيب الحسن ، والعنب والخوخ والجوز والعناب والسفرجل والأترج ، وسائر الفواكه الخريفية تأتى فى عدوة القرويين فى نهاية الطيب والحسن والحلاوة ، وتختص عدوة الأندلس أيضا بحسن الفواكه الصيفية وظيها كالتفاح الطرابلسى الحلو الأصفر الذى ليس مثله فى جميع المغرب لحسنه وحلاوته ، ولذة مطعمه وخفته ورقة قشره وطيب رائحته واعتدال خلقته، والتفاح الليوبى والطلحى والكلخى ، وأصناف الكمثرا والمشمش والبرقوق والتوت ، كل ذلك بها فى نهاية الطيب والحسن ، وبخارج باب بنى مسافر من أبوابها موضع يعرف بمرج قرقة تثمر فيه الأشجار مرتين فى كل سنة فيأكل الناس التفاح والكمثرا بالمدينة الصيف والشتاء ، ويحصد الزرع بفحص المصاراة التي بخارج باب الشريعة من أبواب عدوة القرويين عن أربعين يوما .

قال المؤلف للكتاب :

قد شاهدت الزرع حرث بالمصاراة المذكورة فى خامس عشر من شهر أبريل وحصد فى فى الآخر مايه ، منشأه فى الطيب والبركة عن خمسة وأربعين يوما ، وذلك فى سنة تسعين وستمئة وهو عام الريح الشرقية ، دامت فيه الشرقية أربعة أشهر ، ولم ينزل مطر تلك السنة ، ولم ترو الأرض الا فى الثانى عشر من شهر أبريل المذكور ، فحرث الزرع مخاطرة فجاء كما ذكرنا .

ومما تفوق به مدينة فاس سائر مدن الأرض أن بها ماءين ، ماء العيون وماء الأنهار ، فمياه العيون باردة فى الصيف حين يراد ذلك منها لتبرد الحر ، وتقطع الظمأ وهي أيضا سخنة فى الشتاء حين يحتاج الى ذلك منها ، ومياه الأنهار بالعكس فى ذلك سخنة فى الصيف باردة فى الشتاء ، فلايزال الماء السخن والبارد موجودين بها فى الشتاء والصيف، فهي بسبب ذلك معينة على الدين والطهارة والصلاة والتنظيف .

واختلف الناس فى السبب الذى سميت من أجله : ف قيل ان ادريس رضي الله عنه لما شرع فى بنائها كان يعمل فيها بيديه مع الصنائع والفعلة والبنائين تواضعا منه لله تعالى ورجاء الاجر والثواب ، فصنع له بعض خدمته فاسا من ذهب وقضة ، فكان ادريس رضي الله عنه يمسكه بيده ويبتديء به الحفر ويخطط به الأساسات للفعلة ، فكثرت عند ذلك ذكر الفأس على ألسنتهم فى طول مدة البناء ، فكان الفعلة يقولون هاتوا الفأس ، خذوا الفأس ، احفروا بالفأس ، فسميت مدينة فاس لأجل ذلك ، قاله صاحب كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار (٢٤) ويقال انه لما شرع فى حفر أساسها فى جهة القبلة وجد فى الحفير فاس كبير طوله أربعة أشبار ، وسعته شبر ، وزنته ستون رطلا ، فسميت المدينة به وأضيفت اليه ، وقيل ان ادريس رضي الله عنه لما شرع فى بنائها قال له خاصته أيها الأمير كيف نسميها ؟ قال : سموها باسم أول رجل يطلع عليكم ، فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه وكان ألثغ ، وقال اسمى فارس فأسقط السراء من لفظه لأجل اللثغة ، فقال الامام ادريس سموها كما نطق بها فقالوا فاس ، وقيل سميت فاس لأن قوما من الفرس نزلوها مع ادريس رضي الله عنه حين أسسها ، فسقط عليهم جرف ، فماتوا من حينهم ولم ينج منهم الا قليل ، فسميت مدينة الفرس ، ثم خفف الناس الاسم فقالوا مدينة فارس ، ثم أسقطوا السراء من اللفظ اختصارا فقالوا مدينة فاس ، وقيل لما تمت بالبناء قيل لادريس رضي الله عنه كيف نسميها ؟ قال نسميها باسم المدينة التي كانت قبلها فى موضعها الذى أخبرنى الراهب أنه كان هنا مدينة أزيلية من بنيان الأوائل فخربت قبل الاسلام بألف وسبعمئة سنة وكان اسمها مدينة ساف ، ولكن اقبلوا اسمها وسموها ، فقلوبه فأتا منه فاس فسميت مدينة فاس ، وهذا أصح ما يكون فى تسميتها والله أعلم .

ولما فرغ الامام ادريس رضي الله عنه من بناء المدينة وأدار السور على جميعها ورتب الأبواب أنزل القبائل ، كل قبيلة بناحية ، فنزلت العرب

القيسية من باب أفريقية الى باب الحديد من أبواب عدوة القرويين ، ونزلت الأزد على حديثهم ، ونزل اليحصبيون على حدة القيسية من الجهة الاخرى ، ونزلت صنهاجة ولوآة ومصمودة والشيخان كل قبيلة بناحيتهما ، فأمرهم ادريس رضي الله عنه بغرس الأرض وعمارتها ، فغرسوا جانبي الوادى من منبعثه بفحص سايس الى مصبه بنهر سبو بالشجر والكرم والزيتون وضروب الثمار ، فعمرت الأرض بالحراثة والغرسة ، وأينعت الثمار ، وأطعمت الأشجار والكرم من سنتها ، وذلك ببركة الامام ادريس رضي الله عنه وسلفه الطاهرين صلوات الله عليهم ورحمته ، ونيته الصالحة وطيب التربة وعذوبة الماء واعتدال الهواء ، فظهرت البركات وتوالست الخيرات ، وزادت العمارات ، وقصدها الناس من جميع البلاد والجهات ، وأتاها من رغب فى جوار السلالة الكريمة الطاهرة أهل بيت المصطفى صلا الله عليه وسلم ، ومن ركن الى الأمن والعافية ، فاجتمع بها خلق كثير من اليهود وغيرهم ممن رغب فى العافية، فنزلهم بناحية أغلان الى باب حصن سعدون وفرض عليهم الجزية ، فكان مبلغ جزيتهم فى كل سنة ثلاثين ألف دينار ، وأنزل جميع أجناده وقواده بعدوة الأندلس ، وجعل بها جميع كسبه من الخيل والابل والبقر والغنم بأيدي ثقاته ، ولم ينزل معه بعدوة القرويين غير مواليه وحشمه وسائر رعيته من التجار والصناع والسوقة .

فأقامت مدينتا فاس على ما بناه الامام ادريس رضي الله عنه طول مدته وأيام ولده من بعده الى أيام زناتة ، فكثرت العمارات بها وكثرت الأرباض ، واتصل البناء حولها من كل جهة ، فبنيت بها الفنادق والحمامات والارحاء والمساجد والأسواق من باب أفريقية الى عين اصليتين ، وبنا الناس أيضا من الجانب الجوفى والقبلى والشرقى ، ونزلت القبائل من زناتة ولوآة ومغيلة وجراوة وأوربة وهوارة وغيرهم ، واقتطعوا الجهات ، فنزلت كل قبيلة جهة مثل حارة لوآة وحارة الربط ، وأغلان ، وطريانة ، وحارة ابن أبى برقوقة ، وبرزخ ، وحارة ابن أبى عامر ، والجرف الأحمر ، وغير ذلك ، ودارت الأرباض بكل جهة بالمدينة ، واتصل البناء بعضه ببعض .

وأما أهل الأندلس بقرطبة حين أوقع بهم الامام الحكم بن هشام وأجلاهم عن الأندلس الى العدو فصعدوا الى مدينة فاس وكانوا ثمانية آلاف بيت، فأنزلوا عدوة الأندلس وشرعوا بها فى البناء يمينا وشمالا الى ناحية الكدان ومصمودة وفوارة وحارة البادية والكنيف الى الرميطة فسميت عدوة الأندلس ، وسميت عدوة القرويين ، لان أول من نزلها مع ادريس رضي الله عنه ثلاثمئة بيت من أهل القيروان ، فسميت بهم ونسبت اليهم ، وبنا بعدوة القرويين فى أيام زنادة حمام قرقف وحمام الأمين وحمام الرشاشة (٣٥) وحمام الرياض ، وبني بعدوة الأندلس حمام جرواة ، وحمام الكدان ، وحمام الشيخان ، وحمام الجزيرة ، وبنا الفذاق ، وزادوا مساجد كثيرة، وأزالوا الخطبة عن جامع الشرفاء الذى بنا ادريس رضي الله عنه لصغره وأقاموها بجامع القرويين لسعته ، ولم يزل مسجد الشرفاء على ما بناه ادريس بن ادريس رضي الله عنهما لم يزد فيه أحد من الملوك ولا من الرعية تحريا منهم وتبركا بابقاء ما بناه ادريس رضي الله عنه بها الى أن خر سقفه وتخلقت جدرانه وأشرف جميعه على السقوط والانكباب لتقادم العهد ومرور الأيام عليه ، فانتدب لبنائه الفقيه الموفق الحاج المبارك شعيب ابن الفقيه الحاج البرور المرحوم محمد بن أبى مدين ابتغاء وجه الله تعالى ورجاء مغفرته وثوابه ، فشرع فى نقضه وبنائه ، ورد على ما كان عليه من غير زيادة ولانقصان ، وذلك فى سنة ثمان وسبعمئة .

وبلغت مدينة فاس أيام المرابطين وأيام الموحدين من بعدهم من العمارة والغبطة والرفاهية والدعة مالم تبلغه مدينة من مدن المغرب ، وانتهى عدد مساجدها فى أيام المنصور وولده الناصر الى سبعمئة واثنين وثمانين مسجدا .

واحصاء ما بها من السقايا وديار الوضوء مئة واثنان وعشرون موضعا ، منها اثنان وأربعون موضعا فى ديار الوضوء ، وباقيها سقايات، منها بمياه العيون ، ومنها بمياه الأنهار .

وأحصيت الحمامات منها المبرزة للناس فى تلك المدة فكانت ثلاثة وسبعين حماما .

وأحصيت الأرحاء التى دار عليها سور المدينة فوجدت أربعمئة حجر واثنين وسبعين حجرا دون مابخارجها من الأرحاء .

وأحصيت الديار بها فى أيام الناصر ، فكانت تسعة وثمانين ألف دار ومئتي دار وستا وثلاثين دارا ، وتسعة عشر ألف مصرية واحدا وأربعين مصرية (٣٦) .

ومن الفنادق المعدة للتجار والمسافرين والغرباء أربعمئة فندق وسبعة وستين فندقا .

وأحصيت الحوانيت بها فى المدة المذكورة فكانت تسعة آلاف حانوت واثنين وثمانين حانوتا ، وقيساريتان ، احدهما بعدوة القرويين والثانية بعدوة الأندلس على وادي مصمودة .

وأحصى ما بها من الترابيع (٣٧) والأطرزة المعدة لصناعة الحياكة فكانت ثلاثة آلاف موضع وأربعة وستين موضعا .

وكان بها من الديار المعدة لعمل الصابون سبع وأربعون دارا ، ومن ديار الدباغ ست وثمانون دارا ، وديار الصباغ مئة دار وست عشرة دارا ، وكان بها اثنتا عشرة دارا لسك الخحاس ، وكان بها من الكوش المعدة لعمل الجير وطفية مئة كوشة وخمس وثلاثون كوشة .

وكان بها من الأفران فى جهاتها وأزقتها ألف فرن ومئة وسبعون فرنا ، وكان بها أحد عشر موضعا لعمل الزجاج ، وبخارجها من الديار المعدة لعمل الفخار مئة دار وثمان وثمانون دارا .

وكان بضفتي الوادي الكبير الذى يشقها من حيث يبتدىء الدخول

(36) دور وبيوت صغيرة ومتوسطة تبنا فوق الحوانيت ومداخل الدور الكبيرة ونحوها نسبت الى مصر لأن شكل بنائها منقول منها .

(37) جمع تربية ، سوق صغير مربع الشكل يعمل به بعض الصنائع كالخياطين ونحوهم ، ولا تزال هذه الترابيع موجودة بغاس ومسامة بهذا الاسم الى اليوم .

الى البلد الى أخرها حيث يخرج بالرميلة بانجانيين منه دار الصباغين وحوانيتهم ودار الدباغ ودار الصبانين وحوانيت الخياطين والتصابين والسفاجين والكوش والأقران المعدة لطبخ الغزل وغيرهم مما يحتاج الى اناء ، وفى أعلا ذلك كله أطرزة للحياكة ، ولم يكن بالمدينة واد يظهر حاشا الوادى الكبير المذكور ، وباقى أنهارها بني عليها ديار ومصارى (٣٨) وحوانيت ، ولم يكن بداخلها رياض ولاغرس حاشا زيتون ابن عطية خاصة زكان بها أربعمئة حجر لعمل الكاغد ، وخرب ذلك كله فى أيام المجاعة والفتنة التى كانت فى أيام العادل وأخيه المامون ، وذلك من سنة ثمان عشرة الى سنة سبع وثلاثين وستمئة ، وكان مدة توالى الخراب عليها عشرين سنة الى أن ظهرت الدولة المرينية ، فانجبرت البلاد وتأمنت الطرقات .

قال المؤلف رحمه الله :

نقلت ذلك كله من تقييد بخط الشيخ الفقيه المشرف على بن عمر الأوسى ، نقله من زمام بخط المشرف القويقى مشرف المدينة فى أيام الناصر الموحدى .

وذكر ابن غالب فى تاريخه أن الامام ادريس رضى الله عنه لما فرغ من بناء المدينة وحضرت الجمعة صعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يده فى آخر خطبته فقال :

(اللهم انك تعلم أنى ما اردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة ، وانما أردت ببنائها أن تعبد بها ويتلا بها كتابك ، وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك صلا الله عليه وسلم ما أبقيت الدنيا ، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه ، واكفهم مؤونة أعدائهم وأدر عليهم الأرزاق ، وأعمد عنهم سيف الفتنة والشقاق والنفاق، انك على كل شيء قدير) .

فأمن الناس على دعائه ، فكثرت الخيرات بالمدينة ، وظهرت البركات ، فكان الزرع فيها فى أيام ادريس رضى الله عنه وأيام ذريته لا يبيع ولا يشترا لكثرت ، فبلغ وسق القمح بها فى أيامهم درهمين ، ووسق الشعير بدرهم ، والقطنية مالها سوم ، والكبش بدرهم ونصف ، والبقرة بأربعة دراهم ، والعسل خمسة وعشرون رطلا بدرهم ، والفاكهة لاتباع ولا تشترا من كثرتها ، دام ذلك خمسين سنة .

ولما فرغ ادريس رضى الله عنه من بناء المدينة انتقل اليها بمحلته واستوطنها واتخذها دار ملكه ، وأقام بها الى سنة سبع وتسعين ومئة ، فخرج الى غزو نفيس (٢٩) وبلاد المصامدة ، فوصل اليها فدخل مدينة نفيس ومدينة أغمات ، وفتح سائر بلاد المصامدة ورجع الى فاس فأقام بها الى شهر المحرم من سنة تسع وتسعين ومئة ، فخرج منها برسم غزو قبائل نفزة ، فسار حتى غلب عليهم ، ودخل مدينة تلمسان ، فنظهر فى أحوالها وأصلح أسوارها وجامعها وصنع فيه منبرا ، قال أبو مروان عبد الملك الوراق : دخلت مسجد تلمسان فى سنة خمس وخمسين ومئتين ، فرأيت فى رأس منبرها لوحا من بقية منبر قديم قد سمر عليه هناك مكتوب فيه : «هاذا ما أمر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضى الله عنهم فى شهر المحرم سنة تسع وتسعين ومئة» ، فأقام ادريس رضى الله عنه بمدينة تلمسان وأحوازها ثلاث سنين ، ثم رجع الى مدينة فاس ، فلم يزل بها الى أن توفي رحمه الله سنة ثلاث عشرة ومئتين ، وهو ابن ست وثلاثين سنة ، ودفن بمسجده بازاء الحائط الشرقى منها ، وقيل دفن بقبليتها ، وقال البرنسى : توفي ادريس بن ادريس رضى الله عنه بمدينة وليلى من بلاد زرهون فى ليلة اثني عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومئتين المذكورة (٢٩ غشت سنة ٨٢٨ م) ، وسنه يومئذ ثمان وثلاثون سنة ، ودفن الى جانب قبر أبيه فى رباط وليلى ، وكان سبب وفاته أنه أكل عنبا فشرق بحبة منه فمات من حينه ، فكانت

أيامه بالمغرب ستا وعشرين سنة ، وخلف من الولد اثني عشر نكرا ، أولهم محمد ، وعبد الله ، وعيسا ، وأدريس ، وأحمد ، وجعفر ، ويحيى ، والقاسم ، وعمر ، وعلي ، وداوود ، وحمزة ، فولي بعده منهم محمد وهو أكبرهم .

الخبر عن دولة الأمير محمد بن الامام ادريس

ابن إدريس الحسنى رضي الله عن جميعهم

هو الأمير محمد بن الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

أمه حرة من أشراف نفزة .

صفته : أسمر اللون ، حسن القد ، شاب السن ، مليح الوجه ، جعد الشعر .

لما ولي قسم المغرب بين اخوته ، وذلك برأي جدته كنزة أم أبيه ، ولا أخاه القاسم مدينة طنجة وسبتة وقلعة حجر النسر ومدينة تطوان وبلاد مصمودة وما والا ذلك من البلاد والقبائل ، وولا أخاه داوود بلاد هوارة وبلاد تسول ومكناسة وجبال غياثة وتازة ، وولا أخاه عيسا على شالة وسلا وأزمور وتامسنا وما والا ذلك من القبائل ، وولا أخاه يحيى مدينة البصرة ومدينة أصيلة ومدينة العرائش الى بلاد ورغة ، وولا أخاه عمر مدينة تيكساس ومدينة ترغة وبلاد صنهاجة وغمارة وما والاها ، وولا أخاه أحمد مدينة مكناسة وبلاد فازاز ومدينة تادلة ، وولا أخاه عبد الله مدينة أغمات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة والسوس ، وولا أخاه حمزة مدينة تلمسان وأعمالها ، وأقام هو بمدينة فاس دار ملكهم وقرار سلطانهم ، وتصاغر الباكون عن الولاية فبقوا في كفالة جدتهم مع أخيه محمد الأكبر ، فأقام الأدارسة ولاة على بلاد المغرب ، فضبطوا ثغورهم ، وحكموا بلادهم ، وأمنوا سبلهم ، وحسنت سيرتهم الى أن خرج على الامام محمد أخوه عيسا

بمدينة شالة ومدينة تامسنا ونكث طاعته ونيز بيعته واستبد بنفسه
فكتب الامام محمد الى أخيه القاسم صاحب طنجة وسبته. يأمره بحريه
فامتنع من ذلك وأحجم عنه (٤٠) فكتب الامام محمد الى أخيه عمر
صاحب مدينة ديكساس وبلاد غمارة بمثل ما كتب به للقاسم فامتنع أمره
وسارع اليه وجمع عسكرا عظيما من قبائل البربر من غمارة وأوربية
وصنهاجة وغيرهم وسار نحو عيسا ، فلما قرب من أخوانه كتب الى أخيه
محمد يستمدد بألف فارس من قبائل زناتة وفرسانهم فمضوا عمر لوجهه
فأوقع بأخيه عيسا وهزمه هزيمة عظيمة وأخرجته عن مدينة شالة وسائر
أعمالها ، وكتب الى أخيه محمد بالفتح والهزيمة ، فكتب اليه الأمير محمد
يشكر فعله ويوليه عمله ويأمره بالمسير الى قتال أخيه القاسم الذي عصا
أمره وامتنع من حرب عيسا فسار الأمير عمر بجيوشه الى قتال أخيه
القاسم حتى نزل عليه بمدينة طنجة فخرج القاسم الى لقائه فكانت
بينهما حروب عظيمة ثم هزم فيها القاسم ، واحتوا عمر على ما بيده من
البلاد ، وسار القاسم الى ساحل البحر مما يلي مدينة أصيلة ، فبنا هناك
مسجدا على ضفة النهر بموضع يعرف بتاهدارت فأقام يتعبد فيه وزهد
في الدنيا الى أن مات رحمه الله تعالى وأقام الأمير عمر بن إدريس
رضي الله عنه عاملا لأخيه محمد على ما كان بيده ويد أخيه القاسم الى
أن توفي بموضع يقال له فج الفرس من بلاد صنهاجة فحمل الى مدينة
قاس فدفن بها وصلا عليه أخوه محمد الامام

وعمر بن إدريس هاذي هو جد الحموديين القائمين بالأندلس بعد
الأربعمئة للهجرة وترك عمر بن إدريس من الولد عليا أمه رقية بنت
اسماعيل الأزدي وإدريس أمه زينب بنت القاسم الجعدي وعبد الله
ومحمد أمهما جارية مولدة اسمها رباب وأقام الامام محمد بعد وفاة
أخيه عمر سبعة أشهر وتوفي بمدينة قاس فدفن بشرقي جامعها مع

(40) أنظر القطعة الشعرية التي اعتذر بها القاسم بن إدريس لأخيه محمد عن مقاتلة إخيها

أبيه وأخيه ، وذلك فى شهر ربيع الثانى سنة أحدا وعشرين ومئتين (أبريل سنة ٨٢٦ م) فكانت أيامه بالمغرب ثمانية أعوام وشهرا واحدا ، واستخلف ولده عليا فى موضعه الذى مات فيه .

الخبر عن دولة الأمير علي بن محمد بن ادريس

الحسنى رحمهم الله تعالى ورضي عنهم

هو الأمير علي بن محمد بن ادريس بن ادريس ، أمه حرة اسمها رقية بنت اسماعيل بن عمير بن مصعب الأزدي ، بويغ يوم وفاة أبيه باستخلافه له فى حياته ، وسنه يوم بويغ تسعة أعوام وأربعة أشهر ، فظهر منه من الذكاء والنبل والفضل ما يقتضيه شرفه ونسبه الصحيح ، وسار بسيرة أبيه وجده فى العدل والفضل والدين والحزم وإقامة الحق وتأسيس البلاد وقمع الأعداء وضبط البلاد والثغور ، فكان الناس بالمغرب فى زمانه فى أمن ودعة الى أن توفي فى شهر رجب من سنة أربع وثلاثين ومئتين (يبرابر ٨٤٩ م) فكانت أيامه بالمغرب نحو الثلاث عشرة سنة ، وولي أخوه يحيى بن محمد .

الخبر عن دولة الأمير يحيى بن ادريس بن ادريس

الحسنى رحمهم الله

هو الأمير يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، ولي بعد وفاة أخيه علي وبعده اليه فى حياته ، فسار بسيرة أخيه وأبيه وجده ، وفى أيامه كثرت العساة بفاس ، وقصد اليه الناس من الأندلس وأفريقية وجميع بلاد المغرب

فضاقت بسكانها فبنا الناس الأرباض بخارجها وبنا الأمير يحيا بها
الحمامات والفنادق للتجار وغيرهم وفى أيامه بني جامع القرويين
شرفه الله بذكره

الخبر عن جامع القرويين وصفته

وما زيد فيه فى كل زمان من حين أسس إلى وقتنا هذا
وهو عام ستة وعشرين وسبعمة

قال المؤلف عفا الله عنه

لم تزل الخطبة بجامع الشرفاء الذى بناه الامام ادريس رضي الله
عنه بعدوة القرويين وبجامع الأشياخ من عدوة الأندلس طول أيام الأدارسة
وكان موضع جامع القرويين أرضا بيضاء يعمل بها أصناف الجص
وبها أيضا أصناف من الشجر لرجل من هواره كان قد حازها والده من
قبله حين بنيت المدينة فأثا وفد القيروان إلى ادريس رضي الله عنه فى
جمع كثير بعيالهم وأولادهم فأنزلهم حوله بعدوة القرويين وكانت
فيهم امرأة مباركة صالحة اسمها فاطمة ، وتكنى أم البتین بنت محمد
الفهري القيرواني أتت من إفريقية مع أختها وزوجها فسكنوا بالقرب من
موضع الجامع المذكور ، فتوفي زوجها وأختها ، فورثت منهما مالا جسيما
حاللا طيبا ليس فيه شبهة لم يتغير بيع ولا شراء فأرادت أن تصرفه فى
وجه البر وأعمال الخير ، فعزمت على بناء مسجد تجد ثوابه فى الآخرة،
يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا فاشتدت موضع القرويين
ممن كان حازه ودفعت إليه المال ثم شرعت فى حفر أساسه وبناءه
وذلك يوم السبت مهل رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومئتين (٢٢٠٩)
٨٥٩ م) فبنته بالطابية والكذان وحفرت فى وسطه فصنعت كهوفها
واقطعت منها الكذان وأخرجت منها التراب والحجر والرمل الأصفر

الطيب ، فبنت به الجامع المذكور كله حتى تم ، ولم تدخل فيه من تراب غيره ، وحفرت البئر التى فى الصحن ، فكان البنائون يسقون منها الماء لبناء الجامع المكرم حتى فرغ من بنائه ، ولم تصرف فيه سواه احتياطا منها وتحريا من الشبهة ، ولم تزل فاطمة القروية المذكورة صائمة من يوم شرع فى بنائه ، الى ان تم ، وصلت فيه شكرا لله تعالى الذى وفقها لأعمال الخير ، وكان المسجد الذى بنته فاطمة المذكورة أربعة بلاطات وصحنين صغيرا ، وجعلت محرابه فى موضع الثريا الكبيرة الآن ، وجعلت طوله من الحائط الغربى الى الحائط الشرقى مئة وخمسين شبرا ، وبنت فيه صومعة غير مرتفعة بموضع القبلة التى على رأس العنزة الآن ، فتم الجامع أربعة بلاطات وصحنين صغيرا ، ذكره أبو القاسم بن جنون فى تفسيره فى تاريخ مدينة قاس .

وقيل هما أختان فاطمة أم البنين ، ومريم ، بنتا محمد الفهرى المذكور ، فبنت فاطمة جامع القرويين المذكور ، وبنت مريم جامع الأندلس من مال حلال طيب موروث عن أبيهما واختيهما ، فلم يزل المسجدان على ما بنتهما الاختان المذكورتان بقية أيام الأدارسة كلها حتى تقضت أيامهم ، وتملكت زناتة على البلاد واستقام ملكهم بالمغرب ، فبنوا الأسوار على رباط العدوتين الأندلس والقرويين ، فزادوا فى الجامعين القرويين والأندلس زيادة كثيرة حدودها ظاهرة باقية الى الآن ، وكثر الناس ، وضاق مسجد الشرفاء بالناس لصغره فأزالوا عنه الخطبة وأقاموها بجامع القرويين لكبره وسعته ، وصنعوا به منبرا من خشب الصنوبر وذلك فى سنة خمس وأربعين وثلاثمئة .

وكان أول خطيب خطب به الشيخ الفقيه الصالح عبد الله بن علي الفارسي ، وقيل ان أول من نقل الخطبة من مسجد الشرفاء الى جامع القرويين الأمير حامد بن حمدان المهدانى عامل عبيد الله الشيعى على المغرب ، وذلك فى سنة احدا وعشرين وثلاثمئة ، ونقل الخطبة من مسجد الأشياخ بالعدوة الى جامع الأندلس ، وكان أول خطيب خطب به الفقيه الصالح أبو الحسن بن محمد الصدفى ، فلم يزل الأمر على ذلك ، ولم

يزل الجامعان على حالهما القرويين والأندلس الى أن تغلب أمير المؤمنين عبد الرحمان الناصر لدين الله الأموي ملك الأندلس على بلاد العدو فبايعته مدينة فاس فيمن بايعه ، فولا عليها عاملا له من زناتة يعرف بأحمد بن أبى بكر الزناتى ، وكان رجلا فاضلا من أهل الدين والفضل والورع فكتب الى أمير المؤمنين يستأذنه فى اصلاح مسجد القرويين واتقانه والزيادة فيه فأذن له بذلك وبعث له بمال كثير من أخماس غنائم الروم وأمره ان يصرفه فى بنائه فأصلح جامع القرويين وزاد فيه من ناحية المشرق وناحية المغرب والجوف وهدم صومعته القديمة التي كانت فوق العنزة وبنا الصومعة التي به الآن

الخبر عن بناء صومعة القرويين شرفها الله بذكره

لما شرع الأمير أحمد بن أبى بكر فى بناء صومعة القرويين جعل سبعة كل وجه منها سبعة وعشرين شبرا فيتجمل (٤١) فى الأربع جهات مئة شبر واحدة وثمانية أشبار وهو الذى فى ارتفاعها بلا شك ولاريب وكذلك يجب ان تكون من جهة البناء والنظر الهندسى وجعل بابها من جهة القبلة وكتب عليه فى مربعة بالجص وحشاه باللازورد

«باسم الله الرحمن الرحيم الملك لله الواحد القهار هذا ما أمر به أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن أبى سعيد عثمان بن سعيد الزناتى هداية الله ووفقه ابتغاء ثواب الله تعالى وجزيل احسانه»

وابتدأ العمل فى هاذي الصومعة فى يوم الاثنين غرة رجب من سنة اربع وأربعين وثلاثمئة (٢ اكتوبر ٩٥٥ م) وفرغ من بنائها وتشبيدها فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثلاثمئة (يوليوز - غشت ٩٥٦ م) وكتب فى طرف المربعة «لا اله الا الله محمد رسول الله» وجعل

مربعة أخرا من جهة الصحن فيها مكتوب : «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم» ، وركب على رأس المنار تقافيح صفارا مموهة بالذهب وركب فى أعلاها سيف الامام ادريس بن ادريس رضى الله عنهما الذى بنا المدينة تبركا به ، وسبب القائه فى أعلا المنار ان الأمير أحمد بن أبى بكر الزناتى لما فرغ من بناء الصومعة اختصم اليه بعض حفدة ادريس رضى الله عنه فى السيف المذكور ، وطلب كل واحد أن يحوز السيف لنفسه ، فطال نزاعهم فيه بين يديه ، فقال لهم الأمير أحمد بن أبى بكر هل لكم أن تبيعوه وتتركوا النزاع فيه ؟ قالوا وماتصنع به أيها الأمير ؟ قال أجعله فى أعلا هاذة الصومعة التي بنيت تبركا به ، قالوا له أيها الأمير أما اذا تفعل هاذا فنحن نهبه لك طيبة بذالك نفوسنا ، قوهبهو له ، فجعله فى أعلا المنار ، ولم تزل الصومعة على ما بناه أحمد بن أبى بكر بالحجر المنجور المحكم ، وبها أثقاب يعيش بها أصناف الطير من الحمام والزرابير الى أن ولي الفقيه الشيخ الخطيب الصالح محمد بن أبى الصبر (٤٢) خطة القضاء مع الخطابة والامامة بالجامع المذكور ، وذلك فى سنة ثمان وثمانين وستمئة ، فاستشار فى تبييضها واصلاحها أمير المؤمنين يوسف بن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم ، فأذن له فى ذلك ، وأمره ان يأخذ من أموال أعشار الروم ما يحتاج اليه ، فقال له ان فى مال الأعباس ما فيه كفاية ان شاء الله ، فشرع فى تبييضها ، فلبس الصومعة بالجص والجير ، وسمر المسامير الكبيرة بين أحجارها ليثبت التلبيس والبناء ، فدخل فيها من المسامير ثلاثة عشر ربعا (٤٣) ونصف ربع ، فلما فرغ من تلبيسها دلكتها حتى صارت كالمرآة الصقيلة ، فانقطعت منها اذاية الطير فحسنت ، وبنا أيضا الغرفة التي

42) قاضى السلطان يعقوب بن عبد الحق المربنى ، توفى سنة 706.

٤٣) أى ربع قنطار ، ومازالت الكلمة مستعملة بهذا المعنى الى اليوم ، وكان الناس يهدون بعضهم فى اللوام (الكباش والربع) من الدقيق .

على بابيها لمبنت المؤذنين والمخاوصين (٤٤) وبقي الجامع المكرم على مازاد فيه الأمير أحمد بن أبي بكر الى أيام هشام المؤيد ، فتغلب حاجبه المنصور بن أبي عامر ، فبنا بالجامع المبارك القبة التي على رأس العنزة فى وسط الصحن حيث كان المنار القديم ، ونصب على أعلاها طلاسـم وتمائيل كانت قبل ذلك على رأس القبة فوق المحراب مما صنعه الأوائل ، ومنه ماصنع فى أيام الشيعة ، فجعل الطلاسـم على أعمدة من حديد فوق القبة ، منها طلسم للفرار ، فكان الفرار لايدخلها ولا يعيش فيها ولا يفرخ وان دخلها افتضح وقتل ، ومنها طلسم للعقرب ، وهو صورة طائر فسى منقاره شبه ذنب عقرب ، فالعقرب لايدخل الجامع المكرم أصلا ولا يفرخ فيه ، وان أدخله بعض المصلين فى ثوبه ملصقا خمد فلا يتحرك ، قال الحاج الفقيه ابن هارون لقد شاهدت عقربا ظهر به فى يوم جمعة جاءت فى ثياب بعض المصلين أو فى بعض أمتعتهم فوقعت بين الصفوف خامدة لاتتحرك كمثـل الميت حتى كملت الصلاة والناس قد فسحوا من حولها خوفا من أذاها ، فلما فرغوا من الصلاة قتلوها فتحركت حين قتلت ، وهـاذا غايـتـها ، وعنها طلسم على رأس عمود من نحاس أصفر فيه تفافيح يذكر أنه للحية ، فهي أيضا لاتفرخ فيها ولا تدخلها ، وان دخلتها افتضحت وقتلت ، وقيل ان ماوجد فيها من الحيات فهو من عمار الجن ، وهـاذا لاينكر ولم يوجد قط على قديم الزمان وحديثه من لسعته فيه حية ولاعقرب .

وبنا أيضا الحاجب المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر الساقية المستطية بازاء باب الحفاة ، وجلب اليها الماء من وادي حسن الذي بخارج المدينة من ناحية باب الحديد ، وصنع بالجامع منبرا من خشب العناب والابنوس وكتب عليه «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . هذا ما أمر بعمله الخليفة المنصور سيف الاسلام عبد الله هشام المؤيد بالله أطلال الله بقاءه ، على يد حاجبه عبد الملك المظفر بن محمد المنصور ابن أبي عامر وفقهم الله تعالى ، وذلك فسى

شهر جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فكان ذلك المنبر يخطب عليه الى أيام لموتة ، ولم تزل الأمراء والملوك يهتمون بالزيادة فى الجامع المكرم واصلاح ما تهدم منه تبركا به وابتغاء ثواب الله تعالى حتى قام المرابطون بالمغرب وملكوا جميعه ، وجاءت دولة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين اللمتونى ، فكثرت العمارة بالمدينة وتناهت الغبطة ، فضاق الجامع بكثرة الناس فى أيام الجمعة حتى أنهم يصلون بالأسواق والشوارع والطرق ، فاجتمع الفقهاء والأشياخ وتكلموا فى ذلك مع قاضى المدينة ، وهو الفقيه محمد بن داوود ، وكان أحد القضاة الفضلاء من أهل العلم والعقل والورع ، فأعلم القاضي أمير المسلمين بما رفع اليه من أمر الجامع المكرم واستأذنه فى الزيادة ، فأذن له وقال له : يكون الانفاق فى ذلك من بيت المال ، فقال له القاضي : نسأل الله أن يغبنيه عنه من ماله الذى تجمع من أحباسه بأيدي الوكلاء ، فأمره علي بن يوسف بتقوا الله تعالى والتحرى فى ذلك من الشبهات ، والاجتهاد فى أمر الجامع وبنائه والزيادة فيه ، والنظر فى أحباسه وجميع أحواله واستخراجها ، فدعا له وانصرف عنه الى مجلس قضائه ، فسأل عن الأحباس ، فوجدها فى أيدي أقوام قد أكلوها وحسبوها من أموالهم ، فأزالها عن أيديهم وقدم وكلاء غيرهم ممن يوثق بدينهم ، وحاسب المعزولين الذين كانت بأيديهم ، وطالبهم بغلة الرباع والأرضين المحبسة ، فخرج عليهم بالحاسبة أموالا كثيرة ، فأغرمهم أياها وأضاف إليها غلات تلك السنة ، فاجتمع من ذلك ما يزيد على الثمانين ألف دينار ، ثم شرع فى الزيادة فى الجامع من قبلته وشرقه وغربه ، فابتدأ بشراء الأملاك والديار التي بقبلة الجامع وغربه وشرقه ، فاشترا منها ما أحب واحتاج اليه بأحسن شراء وأتم ثمن دون غبن على أحد فى ذلك ، وكان أكثرها فى ديار اليهود لعنهم الله ، ومن امتنع من البيع قوم عليه موضعه ودفع له الثمن بالزيادة اقتداء بعمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين زاد فى المسجد الحرام ، فلما كمل له من شراء الدور ما أراد وما يصلح به أخذ فى هدمها وبيع نقضها ، فاجتمع له فى نقضها مثل

قيمتها التي اشتريت بها ، وبقيت الأرض زيادة ببركة من الله تعالى ، فأضافها للجامع وأخذ فى البناء ، فبنا أولا الباب الكبير الغربى وهو باب الفخارين القدماء ، ويعرف الآن بباب الشماعين ، وكان يجلس على بنائه بنفسه ، فحسنة فى طوله وارتفاعه وعرضه واتساعه ، وركب عليه أبوابا عظيمة ، وحسن قواعده حتى لايمكن أن يصنع مثله ، وصنع على ظهر الباب من داخل المسجد قبة فيها مكتوب «صنع هذا الباب والقبة وكملا بالبناء والتركيب فى شهر ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وخمسمئة» ولما حفر أساس هذا الباب وجد تحت رتاج المصراع الذى عن يسار الداخل فى الباب المذكور حيث هي الدكانة الآن عينا من ماء معين، عليها تربيع مثل الصهرج ، طوله ثمانية أشبار وعرضه كذلك ، والبناء عليه مقبو ، لايعلم أحد كم له من السنين ، فخیل لهم أنه كنز مدفون فهدم الأقباء فلم يجدوا غير صهرج يتدفق بماء معين فيه سلحفاة قد ملأت الصهرج بأسره من أوله الى الآخره ، فأرادوا اخراجها منه فلم يستطيعوا ذلك ، فاستشار القاضى ابن داود الفقهاء فى رأيه ، فاجتمع رأيهم أن تترك فى موضعها ويعاد عليها الأقباء كما كان ، فسبحان الله العظيم القائم برزقه لما يشاء ، لااله الا هو ، واليه المصير، فبنا عليه موضعه وطلع عليه الأساس ، وطبع الباب ، وجعلت قواعده من نحاس أحمر ، قاله أبو القاسم بن جنون .

قال المؤلف للكتاب :

رأيت تقييدا بخط الحاج الفقيه الصالح أبى الحسن بن محمد بن برون الأزدى أن الأقباء المذكور انما وجد فى موضع رتاج المصراع الذى عن يمين الداخل من ناحية القرسطون ولم يزل الباب على ما بناه أبو عبد الله بن داود الى أن احترق السوق فى ليلة أربع وعشرين من شهر جمادى الآخرة من سنة احدا وسبعين وخمسمئة (٩ يناير ١١٧٦ م) طلع الحريق بالناس من سوق باب السلسلة حتى وصل الى الباب ، فاحترقت القبة التى كانت تم من الخشب واحترق اكثر الباب ، فجددت

القبّة والباب على يد السيد عمر بن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ابن علي وبأمره ، وذلك في شهر جمادى الأخيرة سنة ستمئة ، وكان الناظر في بنائها أبا الحسن بن محمد الأزرق العطار ، والاتفاق فيها من بيت مال المسلمين وعلى يد القاضي أبي يعقوب بن عبد الحق ، وتوفي الفقيه أبو عبد الله بن داود فولي القضاء بعده مكانه الفقيه المبارك عبد الحق بن عبد الله بن معيشة فحذا حذوه واقتفا أثره في ذلك ، وجمع أهل البناء والنظر السيد ، وكان من نظره أن يجعل المحراب من القرويين على عين قرقف فلم يمكنه ذلك لأجل دار الفقيه أبي علي بن أبي الحسن التي تعرضت له في طريقه ، فكان الذي أجمع عليه رأيهم من الزيادة ثلاثة بلاطات ومحرابا ، ومنبرا ، وزاد فيه من ناحية الغرب البلاط المرتفع على الأرض المذكورة من القبلة إلى الجوف ، وزاد فيه من ناحية المشرق بلاطين من القبلة إلى المستودع ، بنا ذلك بترابها الذي خرج منها لم يدخل في بنائها من تراب الكهوف والمقاطع التي يبنى الناس منها شيء ، وكذلك الكذان الذي بنيت به إنما قطع منها ، لأنه حفر في وسط البلاط الثاني من القبلة حفيرا ، فظهر كهف بعيد الغور لا يظهر قعره ، فكان الفعلة يقطعون الكذان منه ويحفرون التراب ويخرجه الرجال على رؤوسهم للبنائين فيبنون به ، ولم يصرفوا في جميع بنائه ماء حاشا ماء البئر التي في المصحن ، كل ذلك تحريا من الشبهات أن لا تدخله ، وتوثق في بنائه غاية وتحفظ ، ورا من رأي السيد أن يجعل الأبواب كلها مغطاة بالنحاس الأصفر ، ويبدلها مما هي عليه ، ويعمل أمام كل باب قبة ويزيد في سعته وكماله ، ويبدل الصومعة ، فشرع في بناء المحراب والقبّة التي عليه منقوشين بالذهب وللأزورد وأصناف الأصبغة ، وتم ذلك على غاية الجمال والكمال ، وكان يبهت الناظرين إليه من حسنه ، ويشغل المصلين ، فلما دخل الموحدون المدينة وذلك في يوم الخميس الخامس عشر لربيع الآخر سنة أربعين وخمسمئة (٥ أكتوبر ١١٤٥ م) خاف فقهاء المدينة وأشياخها أن ينتقد عليهم الموحدون ذلك النقش والزخرف الذي فوق المحراب ، لأنهم قاموا بالتقشف والتقلل ، فقبل لهم

ان أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي يدخل غدا المدينة مع أشياخ الموحدين برسم صلاة الجمعة بالقرويين ، فخافوا لذلك ، فأتا الحمامون الجامع تلك الليلة ، فنصبوا على ذلك النقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالكاغد ، ثم لبسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض وذلك ، فنقضت تلك النقوش كلها وصارت بياضا ، وصنع المنبر الذي به الآن من الأبنوس والصنل والعاج والنارنج والعناب وأصناف الخشب العظيم ، وكان الذي عمله ونجده الشيخ الأديب أبو يحيى العناد ، عمر طويلا حتى نيف على المئة ، وكان اماما فى اللغة والشعر ، روا عنه الفقيه أبو محمد بن زيدان ، أدركه وقد أخذت منه السن العالية ، ولما تم المنبر الشريف صنع له غشائين أحدهما من جلد معزى والثانى من عقيرة ، وبلغت فيه النفقة ثلاثة آلاف دينار وسبعة عشر درهما ، وشرع فى تغشية الأبواب بالصففر ، فغشا منها ثلاثة ، وجاءته العزلة ، فعزل والمنبر والبناء وباب الجنائز وصحنه كل ذلك كأن لم يتم ، فولي بعده قضاء المدينة المذكورة الفقيه الحافظ العالم المشاور عبد الملك بن بيضا القيسى ، فتم ذلك كله على يديه على مابدأه عبد الحق بن معيشة ، حاشا نقشه باقى الأبواب بالصففر وابدال الصرمعة ، فانه لم يصنع فى ذلك شيئا ، بل وقف فيه حيث انتها ابن معيشة ، وكان الفراغ من هذه الزيادة المذكورة وحجرة الجامع وباب الجنائز والمنبر فى شهر شعبان المكرم سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة .

وأول خطيب خطب عليه الشيخ الفقيه الصالح مهدي بن عيسا ، وكان من أفصح الناس وأكثرهم قريحة ، كان يخطب كل يوم جمعة بخطبة لاتشبه الأخرى ، فلما دخل الموحدون المدينة بدلت أحوال بأحوال ، ورجال برجال ، وبذل الخطباء والأئمة بجميع البلاد ، فكان لايوم ولا يخطب الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري .

وأما الصحن الذى بالجامع المكرم فعمل وفرش فى أيام الفقيه القاضى أبى عبد الله ابن داوود ، وكان الذى نزل فرشه وبناءه صخر ابن مسعود البناي ، وكان من أعرف الناس بالبناء والنجارة ، وكان قد

فرشه قبله غيره ، فلم يرض عمله ولم يكمل ، فحفره العريف محمد بن أحمد ابن محمد الخولاني ، واشترط على نفسه أن لا يبقى فيه تحصينا ولا زقنة ، وأنه ان صب أعلاه قلة ماء انحدرت في أسفله مجموعة لا ينقص منها شيء لشدة اعتداله ، وكان رحمه الله باع أربعة من الديار أصولا موروثة عن آبائه ، فصنع بأثمانها أجر شبه البجماط (٤٥) نصف أجرة في الطول ، وصنع الجير ، فبناه العريف المذكور بماله ويده هو وصخر بن مسعود المذكور حتى كمل عمله واتقانه ، ولم يأخذ عليه شيئا الا ابتغاء ثواب الله تعالى نفعهما الله بنياتهما ، وكان جملة ما دخله من اللاجور (٤٦) لفرشه أربعة وأربعين ألف أجرة ، لأن طول الصحن أحد عشر قوسا ، في القوس الواحد من القبلة الى الجوف عشرون صفا ، في كل صف مئتا أجرة ، فيتجمل في كل قوس أربعة آلاف أجرة ، ويتجمل في أحد عشر قوسا أربع وأربعون ألف أجرة ، وحوله طرد دائر فيه ثمانية آلاف أجرة فيجتمع في الجميع كله اثنان وخمسون ألف أجرة . دون شك ولا ريب ، وكان فرش الصحن وبناء الباب الكبير المقابل القرسطون على يد القاضي ابن داود المذكور سنة ست وعشرين وخمس مئة ، ولما تم الصحن بالفرش والبناء أمر القاضي فصنع له بكاكير وشرايط غليظة وقلاع من شقق الكتان مبطنة بالمقيرة على قدر الصحن وما يظله ، فكان اذا أتا زمن الصيف واشتد الحر شدد البكاكير وجبذت (٤٧) الشرايط فيرتفع القلاع في الهواء على الصحن كله ، فسيظل الناس تحتها من حر الشمس فيكون فيه الظل ، وجعل في القلاع أبوابا للرياح تدخل منها ليلا يهلك الناس بالغم والحر ، فلم تزل القلاع تنصب في زمن الصيف فيستظل بها الناس في زمن الحر كله حتى تمزقت بطول السنين وممر

(١٥) واحدته بجماطة ، قطع رفيقة محمرة من حبز معجون بسكر ونافع وزنحلان ، ينزود بها المسافرون الأثرياء في الأسفار ونحوها ، وتقدم في الولايم الى المدعوات في حجم صغير وتسمى جنشد القفاص .

(٤٦) استعمل المؤلف كلمة اللاجور واللاجورة بمعنى الآجر والأجرة كما تنطق بهما العامة . وقد أبقينا هاهنا الكلمة هنا على حالها في المتن كمثل ورددناها الى أصلها في غيره .

(٤٧) يستعمل المفارقة جبذ بمعنى جذب ، ومعناها واحد ، وكلاهما فصيح .

الأيام والليالي ، فلم يقدر أحد أن يعمل مثلها .

وأما الخصة والبيلة التي بالصحن فعملت فى سنة تسع وتسعين وخمسمئة على يد موسا بن حسن بن أبى شامة ، وهو صانعها ، وكان من أهل الهندسة والمعرفة بالبناء ، وكان الذى أنفق فيها ماله الفقيه المبارك أبو الحسن السجلماسى نفعه الله تعالا بقصده ، وكان من أهل الدين واليسار والايثار ، كان يتصدق كل يوم بعشرة دنانير من طيب ماله وربحه ، ولما شرع فى عملها أخرج من المعدة (٤٨) الكبيرة قادوسا من رصاص ، فشق به فى الصحن حتى وصل الى البيلة الكبيرة والخصه المذكورتين ، وهي بيلة من رخام أبيض ، لم ير مثلها لحسنها وصفائها وشدة بياضها وطولها ، وفيها عشرون ثقباً من جهة اليمين وعشرون ثقباً من جهة الشمال ، وينصب الماء الى البيلة من أنابيب خمسة ، فإذا امتلأت انحدر الماء فى الأربعين ثقباً التى فى اليمين والشمال فيصير الى الخصه ، وهي خصه من نحاس أحمر مموه بالذهب قامت على ساق من نحاس أحمر مموه منقوش ، طوله خمسة أشبار من الأرض ، وقسم المساق بنصفين ، يصعد الماء من النصف الواحد فيفور فى وسط الخصه من تفاحة فيها عشرة أنابيب فيملأ الخصه ، ثم يفور فى أثقاب بجوانب الخصه لأنها بطاقتين ، ثم ينحدر فى النصف الثانى من العمود المذكور ، فلاتزال البيلة والخصه مملوءتين بالماء تجريان ولايسيل على الأرض منها قطرة واحدة والناس يشربون منها وينتفعون بمائها ، وصنع حول الخصه أكواب مموهة بالذهب بسلاسل من نحاس دائرة بها يشرب الناس منها ، وفوق البيلة شبك من رخام أبيض أية فى الزمان ، وتحت كتاب منقوش فى حجر أحمر نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما ، وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما

١٥٨ مجمع للماء مربع أو مستدير يتفرق منه الماء على الدور وغيرها بمقادير معلومة من مشارب بنيت بدقة ، وقد يكون أصل الكلمة المعدا أى المكان الذى يعدو منه الماء ويجرى الى الجهات التى يراد جريه اليها ، وقد يكون المكان المذكور شبه بالمعدة .

يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعملون ، كملت فى جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمئة) ويصير فضل ماء الخصة والبيطة المذكورتين الى مياضى عين قرقف ، فينتفع به هنالك فى البيوت والسقاية ، ثم يصير الى دار الصباغ ، وهنالك يغور وتتم منفعته •

وأما العنزة التى يصلا اليها فى زمن الحيف فكانت القديمة من خشب الأرز ، ألواحاً ساذجة فى أعلاها كتابة ، وهي (صنعت هاذة العنزة فى شهر شعبان المكرم سنة أربع وعشرين وخمسمئة) ، وأما العنزة التى بها الآن فصنعها الفقيه الخطيب قاضى الجماعة وخطيبها محمد بن أيوب (أبى الصبر) أيام ولايته القضاء بمدينة فاس ، وأنفق فيها من مال الأحباس ، وابتدأ فيها العمل فى أول شهر ذى القعدة عام سبعة وثمانين وستمئة (السبت ٢٧ نونبر ١٢٨٨ م) وفرغ من عملها وركبها فى موضعها يوم السبت الخامس من شهر ربيع الأول عام تسعة وثمانين وستمئة موافق الثامن عشر من شهر مارس العجمى (١٢٩٠ م) •

وعدد سواري المسجد المكرم مثتا سارية واثنان وسبعون سارية ، منها قديمة ومنها جديدة ، وعدد المسقفة منها ستة عشر بلاطاً من القبلة الى الجوف ، ومن غرب الى شرق تربيع لا اعوجاج فيه من كل الجهات ، يحمل كل بلاط أربعة صفوف ، فى الصف الواحد من الناس مثتان اثنتان وعشرة رجال ، لأن فى كل بلاط احداً وعشرين قوساً ، يجلس فى كل قوس عشرة من الرجال فيكمل من العدد فى كل بلاط ثمانمئة وأربعون رجلاً لاشك فيها ولأريب ، وعدد البلاطات ستة عشر بلاطاً ، فيتجمل فى جميعها من عدد الرجال ثلاثة عشر ألف رجل وأربعمئة رجل وأربعون رجلاً بلاشك ولأريب ، وكسر ما بين السواري منه ، فوجد يحمل خمسمئة وستين رجلاً ، فيتجمل من العدد أربعة عشر ألفاً ، وكسر الصحن فوجد يحمل ألفين وسبعمئة رجل ، وحجر الجامع يصلى فيها صفوف من الناس غير معتدلة فصحح العدد فيها بألف وخمسمئة رجل ، وحول الجامع رحاب وأسواق يصلى فيها الناس يوم الجمعة كسرت بأربعة آلاف رجل وخمسمئة رجل ، فتجمل فيها من عدد المصلين يوم الجمعة اثنان وعشرون

ألفا وسبعمئة تنقص قليلا وتزيد قليلا ، والامام واحد ، وذلك فى سنى
الرخاء والعمارة .

وعدد القرمود الذى فى سقف الجامع المكرم أربعمئة ألف قرمود
وسبعة وستون ألف قرمودة وثلاثمئة قرمودة .

وعدد أبوابه خمسة عشر بابا كبيرا لدخول الرجال ، وبابان
صغيران للنساء لايدخل عليهما رجل ، والأبواب القديمة منها أبواب
الشرقى وأبواب الغربى ، وأبواب القبلة والجوف محدثة ، وآخر مسا
أحدث بها الباب الكبير المدرج الذى بالقبلة ، أحدثه وبناءه الفقيه على بن
محمد بن عبد الكريم الحدودى أيام ولايته على فاس ، وصنع به باب
حفاء مضاهيا ومقابلا لباب الحفاء الذى بجامع الأندلس ، وجلب اليه
الماء من عيون ابن اللصاى المعروفة الآن بعيون الكوازين فأثا بناءه
حتى وصل به الى رحبة الزيب ، فصنع هنالك سقاية وأجرا بها من
ذلك الماء ، ثم سار حتى وصل به الى الباب المذكور ، وكان فتح هاذ
الباب وبناءه وجلب مائه فى سنة تسع وثمانين وستمئة ، وكان فتح هاذ
الباب المذكور من غير استئذان ولا مؤامرة لأسير المومنين يوسف بن أمير
المومنين يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم ، فلما عرف أمير
المومنين بفتحه للباب قبلة انجام المذكور أنكر ذلك عليه وقبح فعله ،
ونكبه بسببه ، اذ أحدث بالجامع المذكور مالم تدع اليه ضرورة ، ولم
يستأذنه فيه ، فأمر بالباب فسد .

وأما الثريا الكبرى فصنعت فى أيام الفقيه الصالح الخطيب الورع
عبد الله بن موسا المعلم ، وهو الذى اجتهد فى عملها ، وكان قبلها فى
موضعها ثريا مثلها ذى الجرد . ولكنها تخلقت بطول الدهر فتكسرت ،
فهبطت ونقضت وسبكت وزيد عليها نحاس مثلها . واستأجر الصناع
على عملها ، فقامت بسبعمئة دينار وسبعة عشر دينارا ودرهمين ونصف
درهم ، وعدد قناديلها خمسمئة قنديل وتسعة قناديل وزنتها سبعة عشر
قنطارا ونصف قنطار وثلاثة عشر رطلا من النحاس والذى تحلمه

قناديلها من الزيت قنطار واحد وسبع قنطار ، وعدد قناديل الجامع كلها اذا اوقدت ألف قنديل وواحد وسبعمئة قنديل ، يسرج فيها من الزيت فى ليلة سبع وعشرين من رمضان ثلاثة قنطار ونصف قنطار ، ولم تزل هاذة الثريا الكبرا تسرج فى ليلة سبع وعشرين من رمضان خاصة الى أن ولي قضاء المدينة الفقيه يوسف بن عمران ، فأمر بإسراجها فى أول ليلة من رمضان الى آخر الشهر ، فلم يزل الأمر على ذلك الى أن توفي القاضي المذكور يوم عرفة سنة سبع عشرة وستمئة ، وفي أيامه فتح الباب بالوراقين وعملت عليه القبة العظيمة المقرصة بالجبس ، وذلك سنة سبع عشرة وستمئة المذكورة ، فأقامت الثريا الكبيرة تسرج بعده سنة واحدة واختلفت الأحوال ، وجاءت أيام المجاعة والفتن ، فقلت الجبايات بالمدينة ، ومات أكثر الناس جوعا ، وقل الانفاق على الجامع وعدم الزيت ، وكانت تشعل فى ليلة سبع وعشرين خاصة الى أن ولي القاضي الحيونى فأمر أن لايشعل منها كأس واحد فى ليلة سبع وعشرين ولا غيرها ، وقال انا لانعبد النار ، وانما نعبد الله فلم يزل الأمر على ذلك الى أن ولي الفقيه الخطيب محمد بن أيوب (أبى الصبر) قضاء المدينة فى سنة سبع وثمانين وستمئة ، فاستشار فى أسراجها أمير المسلمين يوسف بن أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم ، فنفذ أمره بإيقادها فى ليلة سبع وعشرين من رمضان خاصة ، فدام العمل على ذلك الى الآن .

وأما الدفء الحمر التى على باب القبلة حيث يخرج الى باب الجنائز فكانت لأبى القاسم بن اللجوج المعروف بابن رقية ، صنعها للعلية التى كانت بداره من حارة لواتة ، وقامت عليه العلية والأبواب بمال جليل لما حسن من بنائها ، فرفع عنه الى أمير المسلمين يعقوب بن يوسف ابن عبد المومن أنه يكشف من تلك العلية على الديار وعلى مسلخ حمام بنت البان المجاور لها ، فينظر منه الى النسوة اذا تجردن فى مسلخ الحمام المذكور ، وشهد عليه بذلك عند الخليفة ، فنفذ أمره الى قاضى المدينة أبى محمد التادلى بهدم العلية وتقية أثرها فهدمت فى يوم

الاربعاء ثالث يوم من رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمئة ، فبقيت الدفء عند ورتته ، فلم يروا لها أحسن من تصريفها فى جامع القرويين المكرم ، فوهبوا له طيبة نفوسهم بذلك ، وفى الدفء صنعة مكتوبة فيها اسمه واسم الصانع الذي عملها ، وفى آخرها : (وكان عملها فى شهر رجب سنة ثمان وسبعين وخمسمئة) فركبت هاذة الدفء بالقرويين فى سنة عشرة وستمئة .

وأما المستودع فصنع فى أيام الفقيه الصالح أبى محمد يسكر ، فحفر أرضه وركز بالتراب والجير وجعل طبقة من حجارة الرخام وطبقة من الرمل والجير ، وكان المتولى لبنائه الفقيه أبو القاسم بن حميد حتى تم ، وجعل له مفاتيح ثلاثة فى أول باب ، وثلاثة فى الباب الثانى وجعل فيه صناديق كثيرة عليها أبلاج (٤٩) وثيقة ، ولكنه احتيل عليه ودخل وأخذ جميع ما فيه من أموال الأحياس وربعات الجامع وكتب وأمانات الناس ، وذلك فى أيام القاضى الفقيه أبى عمران ولم يعلم من فعل ذلك .

وأما الحائط الشرقى منها مع ما قرب منه فانه عمل من قديم وأشرف على السقوط والانكفاء وذلك فى أيام المجاعة والفتن وخراب المدينة ، ولم يكن لأحد فى ذلك الوقت قدرة على بنائه ، فرمم وترك على حاله ، فبقي كذلك الى سنة اثنتين وثمانين وستمئة ، فاستشار والى المدينة أبو عبد الله الحدودى أمير المسلمين القائم بالحق ، يعقوب بن عبد الحق ، فى نقضه واصلاحه ، فنفذ أمره الكريم رضى الله عنه ببنائه واصلاح ما يحتاج اليه الجامع المكرم ، وان يكون الانفاق فى ذلك من مال الجزية والأعشار اذا نفذ مال الأحياس ، فبنى الحائط الشرقى وماوالاه من السقف ، وأنفق فى ذلك مالا كثيرا .

وأما الحائط الجوفى فانه تخلق أيضا بمر السنين عليه وأشرف على السقوط ، فاستأذن الفقيه القاضى أبو غالب المغيلى أمير المسلمين

(49) أبلاج : أفعال ، وصانعها البلاج ، وفى فاس سوق يعرف بسوق البلاجين الى الآن ، ومازالت كلمة بلج معنا أقفل مستعملة حتى اليوم بناحية جباله .

يوسف فى بنائه فنفذ أمره رضى الله عنه ببناؤه واصلاحه ، واعطاه خلخالين من الذهب زنتهما خمسمئة دينار ، وقال له اصرفه فى بناء الحائط المذكور فانهما حلال محض ، كان صنعتهما والدى أمير المسلمين لوالدتي مما آفاه الله تعالى عليه من أخماس غنائم الروم من بلاد الأندلس ، فورتتهما عنها ، فلم ار لتصريفهما موضعاً أوجب من هذا ، فعسا الله تعالى ان ينفع به الجميع ، فنقض الحائط من باب الحقاء الى اخر بيت النساء ، وبني من المال المذكور ، وذلك فى سنة تسع وتسعين وستمئة .

وأما السقاية الكبرا فصنعت فى أيام الفقيه الامام الفاضل الزاهد الورع المبارك أبى محمد يسكر نقعنا الله به ، وكان المنفق فيها الشيخ الموفق المبارك موسى بن عبد الله بن سداب اتا من جبل بنى يازغة بمال كثير ، فاستوطن مدينة فاس ، وكان يالف الشيخ الفقيه يسكر المذكور ، فذكر له يوماً انه جاء بمال طيب ويريد ان يصرفه فيما يحتاج اليه الجامع ، وان المال حلال ورثه عن أبيه عن جده لم يتغير ببيع ولا شراء ، وأصله من الحرث والماشية ، فامتنع الفقيه يسكر أن يقبل منه شيئاً او يصرف منه درهما فى الجامع المذكور قالج عليه أن يعمل سقاية ودار وضوء بازاء الجامع تكون عوناً للمصلين ، فلم يتركه ولم يقبل منه حتى أخذ بيده وحمله الى محراب الجامع المكرم ، واعطاه ختمة من الكتاب العزيز فاستحلفه فيها فى وسط المحراب أن ذلك المال حلال طيب مسن تركه والديه وجده لم يتغير ببيع ولا شراء ، فلما حلف قال له اشرع الآن فيما أردت من عمل الميضة والسقاية ، والله تعالى ينفعك بقصدك ، فاشترا فندقا كان هنالك فى موضع دار الوضوء مقابلاً لباب الحقاء ، وشرع فى نقضه وبناء الميضة والسقاية فى مكانه ، وذلك فى غرة صفر من سنة ست وسبعين وخمسمئة ، فكتب الشيخ الفقيه يسكر السى أمير المسلمين يعلمه بالأمر ويستأذنه فى جلب الماء ، فأذن له بظهير ، وان يشق حيث شاء من شوارع المدينة وطرقها ، فجمع العرقاء والبنائسين وأهل الهندسة وأمرهم أن ينظروا فى المواضع التي يمكن أن يأتي الماء

منها ، فلم يجدوا أوفق من عيون دار الدباغين ، فلم يستحسنها الفقيه
يسكر لسبب أوساخ الدباغين المجاورين لها ، وكون الموضع كثير الأقبال
والشعر ، فتركوه ووجدوا بالقرب من دار الدباغ المذكورة دار صباغ
وبها عين عظيمة تعرف بعين خومال ، فاشتراها موسا بن سداب المذكور ،
فأكثر فى قيمتها اضعافا بسبب العين التي بها ، وهاذه العين تخرج من
بيت مقبو تحت الأرض شبه بيت الحمام ، والماء يفور فيه من موضعين ،
من كل موضع فوارة ، ويخرج من حجر صلد ، وهي فى غاية العذوبة
والطيب ، الا أن فيه ثقلا ، فحصر الماء الى قادوس يخرج منه الى
صهريج ملبس بالرصاص مربع ، فى كل وجه عشرة أشبار ، والصهريج
الى جانب البيت ، ثم أخرج الماء من الصهريج فى قوادرى الرصاص
التنورية ، فشق فى وسط عقبة سوق الدخان الى القرسطون فى قبلة
جامع الشرفاء ، ثم فى سماط سوق القيسارية ، ثم فى سوق الخرازين ،
ثم فى تربيعة القزازين الى أن وصل الى المعدة التي بالموثقين ، وهي
معدة من رصاص فى آخر حانوت من سماط الموثقين الملصق بالجامع ،
وينصب الماء من المعدة المذكورة الى صهريج مربع من رصاص ، ومنه
يفترق الماء الى جميع السقايات والخصة والبيلة وبسبب الحفاء ودار
الوضوء وبيوتها وسقاية الشباك ، فيصير الى كل موضع القدر الذى
يصلح له لايزيد ولا ينقص ، وفرشت بيوت دار الوضوء بالرخام ، وهي
خمس عشرة بيتا ، يدخل الماء كل بيت منها على حدة ، وجعل فى وسط
الميضأة بيلة ممتدة تشبه الصهريج ، وفى وسط البيلة جعبة من نحاس
مموه بالذهب ، فيها أنابيب ينصب منها الماء الى الصهريج فى غاية
الحسن ، وجعل سمك هاذة الميضأة قبة عظيمة كبيرة مقربصة بالجص
منقوشة باللازورد وأصناف الأصبغة ، ويقابل هاذة الميضأة باب الحفاء
من الجامع المكرم ، وهو باب كبير يدخل منه الى الصحن ، واتساع
هاذا الباب اكثر من ارتفاعه ، فيه بيلة من رصاص بطوله تندفق فيها
المياذ المعينة وينصب منها على رخام أزرق وأخضر وأحمر يغسل عليه
الحفاة أرجلهم ، وسائر الباب مفروش كله بالرخام حتى الى الصحن ،

فرشه الخطيب محمد بن أيوب (أبى الصبر) أيام ولايته القضاء بالمدينة المذكورة ، وكان قبل ذلك مفروشا بالآجر من جنس الصحن ، وبجانب باب الحفاء السقاية القديمة المستطيلة التى بناها عبد الملك المظفر ، يتوضأ منها الناس للصلاة ويسقى منها الساقون بالزقاق ويخرج فيضها الى ميزاب بخارج السقاية فيسقى منه الخدم والصبيان .

الخبر عن خطباء القرويين

فى الدولة الموحدية والدولة المرينية العبد الحقية
أطالها الله وخلدها

قال المؤلف عفا الله عنه :

كان أول خطيب خطب على منبر القرويين الذى صنعه القاضى عبد الحق بن معيشة الفقيه الخطيب الصالح الورع مهدي بن عيسا ، وكان من أحسن الناس خلقا وخلقا ، وأفصحهم لسانا وأكثرهم بياناً ، وكانت موعظته تؤثر فى القلوب لصدقه وإخلاصه ، وكان يخطب كل جمعة خطبة لاتشبه الأخرى ، فأقام يخطب عليه مدة من خمسة أشهر ، ودخل الموحدون المدينة فعزلوا مهدي وقدموا مكانه الفقيه الصالح المبارك أبا الحسن بن عطية لأجل حفظه لللسان البربري ، لأنهم كانوا لايقدمون للخطابة والامامة الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري ، فتقدم فى أول جمعة من شهر جمادى الأولى من سنة أربعين وخمسمئة ، فكان يخطب بها الى أن توفي رحمه الله فى يوم السبت الثامن لذي القعدة سنة ثمان وخمسين وخمسمئة .

ثم ولي بعده الفقيه الصالح الورع يسكر بن موسا الجورائي ، وهو أحد أشياخ المغرب فى الدين والورع والفضل والزهد والمجاهدة والتقشف والايثار والصدقات ، فانه كان موسرا له غنم وماشية كثيرة ببلد ورثها

عن ألبائه ، وكان يؤم ولا يخطب ، لأنه كان أعجمي اللسان شديد العجمة ، فقدم من ينوب عنه فى الخطبة ، وهو الفقيه الزاهد محمد بن حسن بن زيادة الله المزنى ، فلم يزل يخطب الى أن توفي رحمه الله يوم الاربعاء الثالث والعشرين من جمادا الأول سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة .

فخطب بعده الفقيه عبد الرحمان بن حميد باستخلاف الفقيه يشكر له فى ذلك ، فأقام الفقيه يشكر اماما بالقرويين أربعين سنة لم يسه فيها يوما واحدا فى صلاته لشدة حضوره ، وتوفي الفقيه عبد الرحمان بن حميد يوم الاثنين الرابع عشر لشهر رمضان المعظم من سنة احدا وثمانين وخمسمئة .

فاستخلف مكانه للخطبة الفقيه الصالح الورع موسى المعلم ، كان يقريء الصبيان فى قنطرة أبى رؤوس ، وكان له صوت شجي حسن يبكى كل من يسمعه يقرأ القرآن ، فلما وصله الأمر بالخطبة داخلته دهشة وأطلق صبيانه ثم أخذ يبكي ويدعو ويقول : اللهم لاتفضحنى بين عبادك يا أرحم الراحمين ، فلما كان بكرة يوم الخميس خرج الى الرابطة التى بخارج باب أصليتين ، وجعل يتمشى بين مقابر الصالحين ويدعو ويبكى حتى جاء الليل فدخل الرابطة وبات بها مع جماعة من الناس ، فأقام الليل كله يصلى ويتلو القرآن ويدعو ويبكى والناس يبكون لبكائه وخشوعه حتى أصبح ، فصلا بهم صلاة الصبح ، ثم أخذ فى البكاء والدعاء حتى قام المؤذنون بالانذار الأول من يوم الجمعة ، فلبس أحسن ثيابه وسار الى الجامع المكرم والمؤذنون حوله ، فقعده فى حجرة الجامع حتى قرب الأذان ، فصعد المنبر والناس ينظرون اليه وهو يبكى ويرعد حتى فرغ المؤذنون من الأذان ، فقام وخطب ولم يتوقف ولم يتلجلج ، ثم دخل المحراب ، فاتا بالحكمة وفصل الخطاب ، وبكا وأبكا من سمعه ومن كان خلفه ، فلما تمت الصلاة أقبل الناس اليه يقبلون يديه ويتبركون به ، ولم يزل خطيبا الى أن وصل الفقيه القاضى محمد بن ميمون الهوارى فكان أول سؤاله لأهل المدينة عن خطيب القرويين ، فذكروا له فيه خيرا وأثنوا عليه كثيرا ، فلما جاءت الجمعة رآه فلم تعجبه صورته

واستبشعه وقال فيه قولاً ، فقال له بعض من حضر لو سمعت خطبته لأعجبك ، فلما سمع خطبته بكأ وطلب منه المغفرة والدعاء ، وكان الفقيه المعلم سريع الدمعة ، كثير الخشوع ، الغالب على أحواله الخوف ، فمات يشكر في اليوم الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ثمان وتسعين وخمسمئة ، فاستبد الفقيه موسى المعلم بالخطبة والامامة ، فلم يزل عليهما الى أن مات في الموفى عشرين لشهر صفر عام تسعة وتسعين وخمسمئة . وكان بين وفايتهما ثلاثة أشهر نفعا الله بهما .

فولي بعده ولده الفقيه عبد الله بن موسى المعلم وسنه يوم ولى المحراب ثمان عشرة سنة وكان له حظ وافر من الحسن والجمال والعلم والدين المتين والفضل والورع العظيم والصوت الحسن ، ولم تكن له صبوة فى شبابه ، ولم يزل من صغره مشغلا بالعلم وطلبه منقطعا للعبادة ولم يدخل محراب القرويين من يوم بنيت الى يومنا هذا امام شاب دون لحية سواد ، وذلك لاجتماع خلال الخير والفضل فيه واجماع الناس على فضله ودينه وورعه ، وكان له من حسن الخلق مايطابق صورته الحسنة ، ولما مرض والده موسى قيل له استخلف ولدك للمحراب فانه أهل له ، فقال لهم ان علم الله فيه خيرا فهو يستخلفه الى خدمة بيته ، فلما توفي موسى وحمل الى قبره ووضع على شفيره ضج الناس بالبكاء وذكروا من يصلى عليه بالناس ، فقال القاضى لولده تقدم فصل على أبيك ، فقام وكبر وصلا على أبيه وانصرف الناس ، فقدم فى موضع والده للامامة فكان يصلى بالناس ، فلما جاءت الجمعة لبس ثياب أبيه المتي كان يخطب بها ، وأعطاه أبو مروان ابن حيون برنسا أبيض ، فطلع به المنبر فأتا بالحكمة فى خطبته وقراءته ، فاستحسنه الناس وكان شابا صيتا كثير الخشوع والبكاء ، ولما أتا محمد الناصر أمير المؤمنين الى مدينة فاس بعث اليه ليصله ويراد ، فطلع اليه فى ضحا يوم الاثنين فدخل عنده الى قصره الذى على وادى فاس فاجتمع به وسلم عليه ، وبقي يحادثه ويستحسن كلامه وألفاظه الى أن حان وقت صلاة الظهر ، فقال له قم فصل بنا ، ففعل ، فقال له من تركت فى موضعك ؟ فقال تركت

فيه من هو خير منى ، وهو معلمى الذي قرأت عليه كتاب الله العزيز ، فانه لما جاءنى رسولك تحيرت فى أمر المحراب والصلاة بالناس وقلت : لأعلم متى يكون رجوعى ، فمررت بمعلمي الذي هو سيدي ومولاي ، لقول رسول الله صلا الله عليه وسلم : مولاك من علمك أية من كتاب الله تعالا ، فأعلمته القضية واستخلفته فى مكانى ، فقال له الناصر : جزاك الله خيرا ، ثم أمره بالانصراف ، وأتبعه مملوكا بسبعة أثواب وخريطة فيها ألف دينار ، فرجع الى أمير المؤمنين فشكره ودعا له بخير ، وقال له يا أمير المؤمنين : أما الثياب فقبلتها ، وأما الدراهم فلا حاجة لى بها ، فانى رجل نساخ أتعيش من نسخ يدي ، فقال له : تستعين بها وتصرفها فيما يصلح لك ، فقال له : يا أمير المؤمنين لا تفتح علي هذا الباب واعفنى من أخذها ، فأنت أحق بها ، تفرقها فى الأجناد والغزاة وتصرفها فى مصالح المسلمين وسد ثغورهم ، فانصرف ولم يأخذ منها شيئا ، ولم يزل اماما وخطيبا الى أن توفي رحمه الله يوم الأحد الحادى عشر من رجب الفرد عام أحد عشر وستمئة .

وكان قد استخلف فى مرضه الفقيه أبو محمد القضاعى (٥٠) معلمه للكتاب العزيز ، فلما توفي قام أبو محمد القضاعى يؤم ويخطب عوضا منه ، فانتقد عليه ، وطعن فيه بعض الفقهاء والأشياخ ، وقالوا يبعث الصبيان الى النفائس (٥١) ، فكتب الفقيه أبو محمد بن نمير الى أمير المؤمنين يخبره ، فقال لهم : ان الذى قدمه للصلاة أقر ببن يدي أنه خير منه ، فانتركوه على حاله ، فحينئذ ترك الفقيه أبو محمد القضاعى المكتب واعتكف بالجامع ، وسكن الدار المحبسة على الأئمة الى أن توفي

(50) سُمى فى بعض النسخ الحظيـه بعيد الله وكنى بأبى محمد ، وفى بعضيا الآخر سـمى بالقاسم ولقب بأبى محمد ، فأثرنا الاكتفاء فى تسميته بالكنية المتعـرف عليه .

(51) جمع نفيسة ، أى النفساء بلغة العوام ، وكان من عادة معلمى الكتاتيب القرآنية (المسايـد) إذا عسر الوضع على حامل أو لم يسقط خلاصها بعد ولادتها أن يرسلوا أطفالهم يتجولون فى الزنقات والطرق ممسكين بأطراف رداءهم يشدون : (النفيسة طال بيا النفاس ، يارب واعطها الخلاص ، حرمة طه ويس ، والفرآن الحكيم) ، وأصحاب الحوانيت والمارة يرمون فى وسط الرداء بفلوس وبعض الفواكه اليابسة كالتمر والتين والزبيب ، ولا يزال أطفال المسيد يتجولون حتى يأتى الخبر بولادة النفساء وخلاصها أو موتها !

رحمه الله يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة خمس عشرة وستمئة .

فخطب بعده الفقيه الصالح الورع محمد بن عبد الرحمان الشلبي وكان من اهل الدين والعلم والفضل وكان له صوت حسن ومعرفة بالأوقات والنجوم ، وفي مدة امامته جاء الفقيه المؤذن يوسف بن محمد بن علي القسطنطي من قصر كتامة وكان له صوت حسن في الأذان والإقامة ومعرفة بالأوقات ، فأمر الفقيه القاضي يوسف بن عمران الخطيب محمد الشلبي أن يتركه يخطب يوما واحدا ليشتهر بذلك ويرتسم في زمام الخطباء ، فتمارض الشلبي وخطب في موضعه ، وكان يخطب بجامع القسبة اذا مرض خطيبها ، وتوفي الفقيه محمد الشلبي في سنة تسع وعشرين وستمئة .

فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الورع أبو محمد عبد الغفار نحو سبعة أشهر وتأخر .

فخطب بعده الشيخ الفقيه الورع المبارك المجاب المدعوة ، الحاج الخطيب ؟ الى أن توفي في سنة خمس وثلاثين وستمئة ، فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح المبارك علي بن الحاج الى أن توفي في سنة ثلاث وخمسين وستمئة .

فولي بعده الشيخ الامام العالم المجتهد المشاور الصالح الورع محمد ابن الشيخ الحاج الصالح المبارك المبرور يوسف المزدغى نفعا الله به ، فقدم ولده الفقيه الصالح الزاهد المبارك محمد (أبا القاسم) للخطابة ، وبقي هو للامامة ، ولما دعي للامامة استرجع ثلاث مرات ، فقل له في ذلك ، فقال : أخبرني الشيخ الحافظ الصالح الحافظ المحدث أبو ذر الخشني وأنا أروى عليه كتاب الأحكام يوم توفي الامام أبو محمد موسا المعلم وولي القضاء نظر الي مليا ثم قال لي : يا محمد ، انك تلى أمر الصلاة بالناس في جامع القرويين ، وذلك في آخر عمرك ، فلما دعيت للامامة تذكرت مقالة الشيخ وعلمت أن أجلى قد قرب ،

فاسترجعت ، فأقام الفقيه محمد المزدغى اماما وولده محمد (أبو القاسم) خطيبا الى أن توفي الامام محمد المذكور .

فولي الامامة بعده الشيخ الفقيه الصالح الزاهد الورع علي بن حمد ثم توفي الخطيب محمد (أبو القاسم) المزدغى المذكور ، فتولا مكانه الفقيه محمد بن زيادة الله المدنى الى ان توفي ، وتوفي الامام علي بن حمد المذكور ، فقدم فقهاء المدينة وأشياخها الشيخ الفقيه الصالح المبارك ، قاريء الكتاب بالجامع المذكور أحمد بن أبى زرع اماما ، والشيخ الفقيه الصالح الورع الفاضل أبا القاسم بن مسونة خطيبا مدة من سبعين يوما، فوصل ظهير كريم من قبل أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق بتقديم الشيخ الفقيه الصالح المبرور محمد بن أيوب (أبى الصبر) اماما وخطيبا فلم يزل كذلك الى أن توفي رحمه الله فى سنة أربع وتسعين وستمئة .

فقدم أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم بعده للامامة الشيخ الفقيه المحدث الورع أحمد ابن الفقيه العالم المرحوم أبى عبد الله ابن راشد ، امام عصره فى علم الأصول والاعتقادات ، وقدم أيضا للخطبة الفقيه المحدث الصالح ، الفاضل المبارك يحيا (أبو الحسن) ابن الشيخ الفقيه الخطيب المرحوم محمد (أبو القاسم) المزدغى ، فبقي أبو العباس ابن راشد اماما بالجامع المذكور نحو ثلاثة أعوام ، ثم آخر ، واستبد الفقيه يحيا (أبو الحسن) المزدغى بالامامة والخطبة الى أن كبر سنه وضعف عن الخطابة ، فقدم للخطابة ولده الفقيه الفاضل الصالح المبارك محمد (أبو الفضل) ، أبقا الله بركتهم بمنه وفضله ، انه كريم مجيب .

جامع الأندلس

وأما جامع الأندلس فلم يزل على مابنى عليه أولا ، لم يزد فيه أحد زيادة الى سنة ستمئة ، فأمر أمير المؤمنين محمد الناصر ببناؤه واصلاحه

وتجديد ما تهدم منه ، وأمر بفتح الباب الكبير الجوفى المدرج الذى
بصحنه ، وجعل بأسفله بيلة من رخام أحمر ، وأمر بعمل السقاية والميضة ،
وجلب الماء الى ذالك كله من خارج باب الحديد من أبواب المدينة المذكورة
وأما الخصة والبيلة التى بالصحن فأمر بعمليها السيد يحيى نجل
الخلفاء (الموحدين) ، وأنفق فيها من ماله على يد صانعها أبى شامة
الجباس ، فلم يزل الجامع على ذالك الى سنة خمس وتسعين وستمئة
فاعتل كثير منه ، فعرف خطيبه وامامه الشيخ الفقيه الصالح السورع
الفاضل المبارك محمد بن مسونة أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين
يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم بذالك ، فنفذ أمره باصلاحه ،
فأصلح وجدد كثير منه من مال الأعباس ، ولم تزل الخصة والبيلة
والسقاية والميضة بماء العين المجلوب من خارج باب الحديد الى أن
خرب ذالك فى سنى المجاعة ودرست أثاره ، فجلب اليها عوضا منه ماء
نهر مصمودة ، فلم يزل ماء النهر المذكور الى أن ولي أمير المسلمين
أبو ثابت بن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين
يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ، فرد ماء العين المذكور الذى جلبه
الناصر الموحدى الى الجامع فدثر ، فجدد واتبع اثره ، فجلب حتى وصل
الى الجامع وجرا فى الخصة والسقاية والبيلة كما كان ، وكان المتولى
لبناؤه والنظر فيه العريف أحمد الجيانى ، والانفاق فى ذالك من بيت
المال ، وذالك فى سنة سبع وسبعمئة .

ورجع الخبر الى أيام الأدارسة ، ولما توفي الأمير يحيى بن محمد
ابن الامام ادريس رضي الله عنه الذى بنى جامع القرويين فى أيامه ،
ولي بعده ولده يحيى بن يحيى بن محمد ابن ادريس ، فأساء السيرة ،
ودخل على جارية من بنات اليهود ، فى الحمام اسمها حنة وكانت من
أجمل نساء عصرها ، فراودها عن نفسها فاستغاثت ، فبادر اليه الناس
منكرين لفعله ، وتغير عليه أهل المدينة ، فبادر اليه عبد الرحمان بن أبى
سهل الجذامى ، فلما رأت زوجة يحيى الحسنى وهي عاتكة بنت علي بن
عمر بن ادريس رضي الله عنه ان زوجها يحيى بادر اليه العامة مع عبد

الرحمان بن أبي سهل ليقتلوه أمرته بالفرار ففر أمامهم من عدوة القرويين الى عدوة الأندلس فمات بها من ليلته فقعة وندامة لما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار والخجل والفضيحة ، فقام بأمر المدينة بعده عبد الرحمان بن أبي سهل فلما علمت عائكة أن زوجها يحيا قد مات ورأت عبد الرحمان بن أبي سهل قد ثار بالمدينة كتبت الى أبيها علي بن عمر بن ادريس رضي الله عنه تعلمه بصنيع زوجها يحيا وموته وثورة عبد الرحمان ابن أبي سهل بالمدينة بعده ، وكان والدها علي بن عمر بن ادريس رضي الله عنه صاحب بلاد صنهاجة وغمارة فلما وصله الكتاب جمع جيوشه وحشمه وقصد الى مدينة فاس فدخل عدوة القرويين على عبد الرحمان بن أبي سهل المجذامي الثائر بها فبايعه أهل الدينيتين القرويين والأندلس وخطب به على جميع منابر أعمال المغرب ، وانتقل الأمر من بنى محمد الى بنى غمهم عمر ابن ادريس الحسنى

الخبر عن دولة الأمير علي بن عمر بن ادريس

الحسنى بمدينة فاس وأعمال المغرب

هو الأمير علي بن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسين ابن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم بويغ له بمدينة فاس وسائر أعمال المغرب بعد وفاة ابن عمه يحيا بن يحيا بن محمد ادريس الحسنى واستقام له الأمر الى أن خرج عليه عبد الرزاق الفهرى الخارجى وكان من أهل وشقة من بلاد الأندلس ، قام بجبال بويلان (٥٢) من أعمال فاس على مسافة يوم ونصف منها فاتبعه خلق كثير من البربر من مديونة وغيرهم فبنا قلعة منيعة بجبل سهل بجوار بلاد

(52) فى الأصل جبال ويلان والصواب بويلان الجبال الواقعة الى الجنوب الشرقى من فاس حيث قرية هرمو

مديونة وسماها وشقة باسم بلده ، وهي باقية فى تلك الناحية حتى الآن ، ثم قصد الى قرية صفرو فدخلها وباعه كافة البربر ، فرجع بهم الى مدينة فاس ، فخرج اليه الامير علي بن عمر بن ادريس رضي الله فى عسكر عظيم فكانت بينهم حروب عظيمة ، كان الظفر فيها لعبد الرزاق الخارجى ، فهزم علي بن عمر وقتل خلق كثير من جنده ، وفر علي بنفسه الى بلاد أوربة ، ودخل عبد الرزاق مدينة فاس ، فملك عدوة الأندلس وخطب له بها ، وامتنع منه أهل عدوة القرويين ، وبعثوا الى يحيى بن القاسم بن ادريس رضي الله عنه المعروف بالمقدم (٥٣) ، فوصل اليهم فبايعوه وولوه على انفسهم ، وقاتل عبد الرزاق الخارجى حتى هزمه وأخرجه من عدوة الأندلس ، فدخلها وباعه أهلها وجميع من بها من الأندلسيين الذين نزلوا بها من الربيضيين ، فاستعمل الأمير يحيى بن القاسم على عدوة الأندلس ثعلبة بن محارب بن عبد الله من أهل الربيض من شذونة ، فلم يزل وليا عليها الى أن توفي ، فقدم الأمير يحيى مكانه ولده عبد الله المعروف بعبود ، ثم توفي ، فولي بعده ولده محارب بن عبود بن ثعلبة ، وهو من الأزد من ولد المهلب بن أبى صفرة .

الخبر عن دولة الامير يحيى بن القاسم بن ادريس الحسنى المعروف بالمقدم

بويع له بمدينة فاس عند هروب ابن عمه علي بن عمر عنها ، وقاتل عبد الرزاق الخارجى حتى أخرجه من عدوة الأندلس ، واستعمل عليها عامله ثعلبة بن محارب ، وخرج الى قتال الصفرية ، فكانت لهم حروب عظيمة ووقائع كثيرة ، ولم يزل يحيى بن القاسم ملكا على فاس واعمالها الى أن خرج لقتاله ربيع بن سليمان سنة اثنتين وتسعين ومئتين ، فقتل

رحمه الله فى السنة المذكورة ، وولى مكانه حفيد عمه يحيى بن ادريس
ابن عمر بن ادريس .

الخبر عن دولة الامير يحيى بن ادريس بن عمر

ابن ادريس بن ادريس الحسنى

قام يحيى هاذا بعد قتل ابن عمه المقدم يحيى بن القاسم بن ادريس ،
فبايعه اهل مدينتي فاس القرويين والاندلس وخطب له بهما ، وعاد الأمر
الى بنى عمر بن ادريس ، فملك الأمير يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس
جميع أعمال المغرب ، وخطب له على جميع منابره ، وكان يحيى هاذا أعلا
بنى ادريس قدرا وصيتا ، واطيبهم ذكرا ، وأقواهم سلطانا ، وأوسعهم
ملكا ، وأكثرهم عدلا ، وأغزهم كرما ، وكان فقيها حافظا للحديث ، ذا
فصاحة وبيان ولسان ، ومع ذلك كان بطلا شجاعا حازما ، ذا صلاح
ودين وورع ، لم يبلغ أحد من الادارسة مبلغه ، ولم يزل على مملكة
المغرب الى أن قدم اليه مصالة بن حبوس المكناسى قائد عبيد الله الشيعى
القائم بأفريقية ، وذلك فى سنة خمس وثلاثمئة ، فخرج يحيى مدافعا
لمصالة المذكور ، فهزمه مصالة ، ودخل يحيى مدينة فاس مهزوما فتحصن
بها منه ، فحاصره مصالة مدة الى أن صالحه يحيى بمال ، وكتب بالبيعة
لعبيد الله الشيعى صاحب أفريقية ، وارتحل مصالة راجعا الى القيروان .

وكان موسى بن أبى العافية صاحب تسول وبلاد نازة قد خدم القائد
مصالة وهاداه وتقرب اليه بالاحسان وقاتل معه فى جميع حروبه بالمغرب ،
فلما انصرف مصالة الى القيروان قدمه على المغرب ، واختصه من بين
سائر أمرائه ، فكان موسى بن أبى العافية كلما أراد الظهور بالمغرب
والاستبداد فيه غمره يحيى بن ادريس الحسنى بشرفه وكرمه ودينه وعدله ،
وقطع عليه كل ما يريد ، فكان على قلبه منه حمل ثقيل ، فلما قدم مصالة
المغرب فى كرتة الثانية ، وذلك فى سنة تسع وثلاثمئة ، سعا موسى بن

أبى العافية يحييا بن ادريس عنده حتى أوغر صدره عليه ، فعزم مصالة على القبض عليه ، فلما قرب من مدينة فاس خرج اليه الأمير يحييا بن ادريس يسلم عليه فى قوم من وجوه عسكره ، فقبض عليهم مصالة وقيد يحييا بالحديد ، ودخل مصالة مدينة فاس ، ويحييا بن ادريس بين يديه مقيد على جمل ، فعذبه بأنواع من العذاب حتى أخرج اليه ماله ونذائره ، فلما قبض مصالة الأموال أطلقه ونفاه الى مدينة أصيلة وقد ساءت حاله ، وانفض جمعه ، فأقام بمدينة أصيلة مع بنى عمه مدة ، فأعطوه مسالا ووصلوه وعملوا له مايقوم به ، فلم يرتض بذلك ، فارتحل عنهم يريد أفريقية فقبض عليه فى طريقه موسا بن أبى العافية المكناسى فسجنه سجنا طويلا بمدينة الكاى (٥٤) ثم أطلقه ، وكان أبوه ادريس بن عمر بن ادريس رضى الله عنه دعا عليه أن يميته الله جوعا فى أرض غربة ، فخرج يحييا من سجن ابن أبى العافية الى أفريقية وهو فى ذلة وضيق وفقر ، فانه أقام فى سجن ابن أبى العافية نحو العشرين سنة ، فوصل المهديّة وهو على تلك الحال فوافق فتنة أبى يزيد مخلد بن كيداد الزناتى وحصاره للمهديّة ، فمات بها جوعا فى غربة فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة .

ولما قبض مصالة على يحييا بن ادريس وثقفه قدم على مدينة فاس ربحان المكناسى ورجع الى أفريقية ، فأقام ربحان المكناسى عاملا على مدينة فاس وأحوازها مدة من ثلاثة أعوام الى أن قام عليه بها الحسن ابن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى فأخرجه عنها .

(51) فى بعض النسخ الأكبر . والصواب الكاى . فلعنة منعه بظن أنها كانت نتاجية حالة حيث فبلة حابة (لئاجية) لعالة

الخبر عن دولة الأمير الحسن بن محمد بن القاسم

ابن ادريس بن ادريس الحسنى المعروف بالحجام

هو الأمير الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، ويلقب بالحجام ، وعرف بذلك لأنه كانت بينه وبين عمه أحمد بن القاسم حرب شديدة حمل فيها الحسن على قارس من جند عمه قطعنه فى المحاجم ثم فعل ذلك بثان وثالث ، كل ذلك لايطعنهم الا فى موضع المحاجم فقال له عمه أحمد انما ابن أخى حجام فلزمه ذلك الاسم فعرف به وفى ذلك يقول بعضهم

وسميت حجاما ولست بحاجم ولكن لظعن فى مكان المحاجم

دخل مدينة فاس خفية مع بعض رجاله فأقام بها وذلك فى سنة عشر وثلاثمئة ، فبايعه أهلها وأجلا عنها عاملها ربحان الكناسى وبايعه أكثر قبائل البربر وملك مدينة لواتة (٥٥) وصفرو ومدينة مديونة ومداثن مكناسة ومدينة البصرة واستقام أمره بالمغرب وفى سنة احدا عشرة وثلاثمئة خرج الأمير الحسن المعروف بالحجام الى قتال موسا بن أبى العافية فالتقا معه بفحص الزاد (٥٦) على مقربة من وادى المطاحن فأوقع به الحجام وقعة عظيمة لم يقع فى دولة الأدارسة مثلها ، قتل فيها من عسكر ابن أبى العافية ألفان وثلاثمئة رجل منهم ولده منهل (٥٧) بن موسا ومات من عسكر الحسن بن

(55) مدينة مغربية سماة باسم قبيلة لواتة التى أسسها وسكنها تقع الى الشمال الشرقى من مدينة صفرو بيضا وبين قرية بير ططم قرب مجرا نهر سبو وهى اليوم مجرد قرية صغيرة

(56) فى بعض النسخ فحص الطواد وفى نسخ أخرى فحص أذاذ ذكر ابن خلدون أن ماذا الفحص هو الذى سعى فيما بعد بوادى المطاحن وأنه يقع بين تازة وقاس

(57) فى بعض النسخ سهل

محمد نحو من سبعئة رجل ، فرجع الحسن الى مدينة فاس ، فترك عسكره بخارج المدينة ودخل وحده منفردا دون جيش ، فغدر به عامله بها حامد ابن حمدان الهمداني الأوربي وهو من قرا افريقية ، دخل عليه ليلا فى داره فقيده وحبسه عنده وغلق أبواب المدينة فى وجه العسكر ، ثم أرسل الى موسى بن أبى العافية يخبره بصنعه ويأمره بالقدوم عليه ليتمكن من المدينة ، فسارع نحوه ، فأدخله عدوة القرويين ، ثم قاتل عدوة الأندلس حتى غلب عليها ، فلما ملك مدينتي فاس قال لحامد بن حمدان : مكنى من الحسن الحجام اقتله بولدى منهل ، فدافعه حامد بن حمدان وسوفه ، وكره المجاهرة فى سفك دماء أهل البيت ، فلما جن الليل سار حامد بن حمدان الى الحسن الحجام فأزال عنه قيده وأدلاه من سور المدينة دون جبل ، فسقط وانكسرت ساقه ، وسار الى عدوة الأندلس فمات بها مستخفيا لثلاثة أيام من تلك الليلة ، فأراد ابن أبى العافية قتل حامد بن حمدان الذي مكنه من البلد حين أطلق الحسن الحجام ، ففر حامد منه الى المهدية ، فكانت دولة الحسن الحجام بفاس نحو العامين .

الخبر عن دولة موسى بن أبى العافية

بفاس وكثير من أعمال المغرب

هو الأمير موسى بن أبى العافية بن أبى باسل بن أبى الضحاک بن مجدول بن تامريس بن قارديس بن ونيف بن مكناس بن ورصطيف المكناسي أمير مكناسة كلها ، ملك مدينتي فاس فى سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة ، وملك بلاد تازة وتسول والكاي ومدينة طنجة والبصرة وكثيرا من أعمال المغرب ، ولما دخل فاس وباعه أهلها واستقام أمره ألح على حامد بن حمدان فى قتل الحسن الحجام ، فكره ذلك حامد ، وندم على ماكان منه من الغدر وجعل يسوفه الى أن أكثر عليه فى الطلب ، ففعل بالحسن ماذكرناه أولا ، واستولا ابن أبى العافية على جميع بلاد المغرب ،

وبايعة القبائل والاشياخ ، فأجلا جميع الإدارسة عن بلادهم وأخرجهم من ديارهم ، وملك مدينة أصيلة ومدينة شالة وغيرهما من بلادهم ، وساروا بأجمعهم الى قلعة حجرالنسر (٥٨) مقهورين مغلوبين ، فانحصروا بها ، وهي حصن منيع بناه محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس رضي الله عنه ، طلع فى عنان السماء ، فنزل عليهم ابن أبى العافية واشتد عليهم الحصار ، وأراد استئصالهم وقطع دابرهم ، فعذله على ذلك رؤساء المغرب وأكابر أهل دولته ، وقالوا له : أتريد ان تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتقتلهم أجمعين ، هذا شيء لانوافكك عليه ولا نتركك له ، فاستحيا لذلك وارتحل عنهم الى مدينة فاس وخلف عليهم قائده أبا الفتح التسولى فى الف فارس يمنعهم من التصرف ، وذلك فى سنة سبع عشرة وثلاثمئة ، فأقام موسا بن أبى العافية بمدينة فاس الى ان قدم المغرب حميد بن يصيلتين قائد عبيد الله الشيعى من المهديّة فى جيش عظيم ومعه حامد بن حمدان الهمدانى ، وذلك فى سنة عشرين وثلاثمئة ، وسبب قدومه أن ابن أبى العافية لما ارتحل عن قلعة حاجرالنسر سار الى مدينة فاس ، فأقام بها أياما وقتل عامله على عدوة الاندلس عبد الله بن ثعلبة بن محارب بن عبود ، وولا مكانه أخاد محمد ابن ثعلبة ، ثم عزله وولا مكانه طوال ابن أبى يزيد ، فلم يزل عاملا عليها الى ان خرجت فاس عن يد ابن أبى العافية ، واستعمل على عدوة القرويين ولده مدين ، وارتحل الى مدينة تلمسان فملكها وتغلب على أحوازاها ، وكان ذلك بيد الحسن بن أبى العيش بن عيسا بن ادريس بن محمد بن سليمان الحسنى ، فأخرجه عن تلك البلاد بأسرها وملكها ، وذلك فى سنة تسع عشرة وثلاثمئة ، وهرب الحسن بن أبى العيش الى مدينة مليلة من نواحي ملوية فتمنع بها ، وزحف ابن أبى العافية بعد ملكه تلمسان الى مدينة نكور (٥٩) فملكها وجميع أحوازاها ، وذلك فى

(58) ببيلة سومانة من اقليم تطوان .

(59) مدينة مغربية قديمة كانت تقع قرب الوادى المسما باسمها عبر بعيد عن الحسيمة ، مازالت أطلالها موجودة الى اليوم بتلك الناحية .

شهر شعبان من سنة عشرين وثلاثمئة (غشت ٩٣٢ م) فلما ملك ابن أبى العافية مدينة تلمسان ونكور وفاس بايع عبد الرحمان الناصر لدين الله ملك الأندلس ، وقام بدعوته ، وخطب له على جميع منابر عمله ، فاتصل الخبر بعبيد الله الشيعى بالمهدية ، فبعث اليه قائده حميد بن يصلتين الكتامى فى عشرة آلاف (٦٠) فارس ، فالتقا بموسا بن أبى العافية بفحص مسون (٦١) ، فكانت بينهم حروب عظيمة وسجال ، ثم ان حميد ابن يصلتين بيته ليلة فضرِب فى عسكر موسا بن أبى العافية فانهزم مرسا بن أبى العافية وأصحابه وقر الى عين اسحاق من بلاد تسول فتحصن بها ، وارتحل حميد بن يصلتين الى مدينة فاس ، فلما قرب منها هرب مدين بن موسا ، فدخلها وولا عليها حامد بن حمدان الهمدانى وانصرف الى أفريقية ، وتظاهر بنو ادريس الذين بجر النسر على أبى الفتح قائد ابن أبى العافية ، فهزموه ونهبوا عسكره ، وذلك حين بلغتهم هزيمة ابن أبى العافية وهروب مدين ابنه عن مدينة فاس وتملك حامد عليها فى سنة احدا وعشرين وثلاثمئة ، وأقام حامد بن حمدان الهمدانى عاملا على فاس الى أن ثار عليه أحمد بن أبى بكر بن عبد الرحمان بن أبى سهل ، فقتل حامدا وبعث برأسه وبولده الى موسا بن أبى العافية فبعث بهم موسا الى أمير المؤمنين الناصر لدين الله بقرطبة ، وأقام أحمد بن أبى بكر عاملا على فاس لموسا بن أبى العافية الى أن قدم ميسور الفتا فائد أبى قاسم الشيعى ، وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة ، الى المغرب على اثر والده عبد الله الفهرى ؟ فحاصر ميسور مدينة فاس أياما الى أن خرج اليه أحمد بن أبى بكر مبايعا ، وأخرج له هدية عظيمة ومالا جسيما ، فقبض منه المال والهدية وثقفه فى القيود وبعث به الى المهدية ، ففسد أهل مدينة فاس مدينتهم فى وجه ميسور الفتا ولم يمكنوه من دخولها ، وقدموا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتى ، فحاصروهم ميسور مدة

(60) فى بعض النسخ : عشرين ألف فارس .

(61) بن فرية كرسيف وبين قصبة مسون الواقعة الى غربها فى طريق تازة ، ويسمى ماذا الفحص أيضا فحص جل .

من سبعة أشهر فلم يقدر عليهم بشيء ، فصالحهم ميسور على أن أعطوه سنة ألف دينار واقطاعا ولبودا وقربا للماء وأثاثا ، وكتبوا بيعتهم لأبى القاسم الشيعى ، وكتبوا اسمه فى سكتهم ، وخطبوا له على منابرهم ، فقبل ميسور ذلك منهم ، وارتحل عنهم نحو موسى بن أبى العافية حتى لحق به ، فكانت بينهما حروب عظيمة ، ولي معظم تلك الحروب بنو ادريس ، قاتلوه حتى هرب الى الصحراء أمامهم ، وتملك الأدارسة أكثر ماكان بيد موسى ابن أبى العافية قائمين بدعوة أبى القاسم الشيعى ، فلم يزل ابن أبى العافية شريدا فى الصحراء وأطراف البلاد التي بقيت بيده ، وذلك من مدينة كرسيف الى مدينة نكور الى ان قتل ببعض بلاد ملوية ، وذلك فى سنة احدا وأربعين وثلاثمئة ، وقيل قتل فى سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة قاله البرنسى .

فولي بعده ولده عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية الى أن توفي فى سنة ستين وثلاثمئة ، فولي عمله بعده ولده محمد ، وعليه انقرضت ايام بنى أبى العافية المكناسيين سنة ثلاث وستين وثلاثمئة (٩٧٤ م) .

وذكر بعض المؤرخين لأيامهم أنه لما توفي محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية ولي بعده القاسم بن محمد المحارب للمتونة ، فكانت بينه وبينهم حروب كثيرة الى أن غلب عليه يوسف بن تاشفين فقتله واستأصل ببلاده حتى قطع شأفة ذرية موسى بن أبى العافية من المغرب ، وكانت أيامهم فيه من سنة خمس وثلاثمئة الى سنة خمس وأربعين وأربعمئة ، فذلك مئة وأربعون سنة من أول دولة عبد الرحمان الناصر لدين الله الى قيام لمتونة .

وأما القائد ميسور فانه لما صالح اهل مدينة فاس وأخذ بيعتهم لأبى القاسم الشيعى صاحب أفريقية أقر حسن بن القاسم اللواتى على عمالتها ، فلم يزل عاملا عليها الى ان قدم أحمد بن أبى بكر من المهديدة مطلقا مكرا ، فتخلا له عما كان بيده ، وذلك فى سنة احدا وأربعين وثلاثمئة ، فكانت

ولاية حسن بن القاسم على مدينة فاس ثمان عشرة سنة من سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة الى سنة احدا وأربعين المذكورة .

قال ابن البان فى تاريخه المسما بجلاء الأذهان : لما فر موسى بن أبى العافية أمام ميسور القائد صارت الرياسة بالمغرب بعد قراره عنه لابني محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى رضى الله عنه ، وكانا أخوين شقيقين : كنون وإبراهيم ابني محمد بن القاسم بن ادريس فتقدم منهم للرياسة وللإمامة كنون .

الخبر عن دولة الأمير القاسم بن محمد بن القاسم

ابن إدريس الحسنى الملقب بكنون

هو القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهم ، قدمه بنو ادريس على جميعهم بعد قرار موسى بن أبى العافية عنهم ، فملك أكثر بلاد المغرب الا مدينة فاس فانه لم يملكها ، وكان سكناه بقلعة حجز النسر فاقام على امارته الى أن توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة ، فولى بعده ولده أبو العيش أحمد بن كنون .

الخبر عن دولة الأمير أبى العيش

أحمد بن القاسم تثنون الحسنى

هو الأمير أبو العيش أحمد بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضى الله عنهم ، وكان أبو العيش هاذا عالما فقيها دينيا ورعا حافظا للسير عسالمنا بتواريخ الملوك وأيام الناس وانساب قبائل العرب والبربر ، عاقلا حليما

شجاعا كريما ، كان يعرف فى بنى ادريس بأحمد الفاضل ، وكان مائلا الى بنى مروان متشيعا فيهم ، لما ولي بعد أبيه قطع الدعوة فى جميع بلاده على العبيدين ، وباع لعبد الرحمان الناصر لـدين الله صاحب الأندلس ، وخطب له على جميع منابر عمله ، فلم يقبل ذلك منه الناصر ، وقال له : لا أقبل لك بيعة الا أن تمكننى من طنجة وسبتة ، فامتنع أبو العيش من ذلك ، فبعث اليه الناصر بالقطائع والجيش لقتاله وضيق عليه فصالحه على ما طلب منه ، فأعطاه سبتة وطنجة ، وبقي أبو العيش وأخوته وبنو عمه من الأدارسة بمدينة البصرة وأصيلة تحت بيعة الناصر وفى كنفه متمسكين بدعوته ، وجاز قواد الناصر وجيوشه من الأندلس الى العدو يقاتلون من خالفهم من البربر ويستألفونهم ويحملون الطائع على المخالف ، والناصر ممد لمن عجز منهم برجاله ، مقوى لمن ضعف بماله ، حتى ملك أكثر بلاد المغرب وبايعه أكثر القبائل من زناتة وغيرهم من البربر ، وخطب له على منابر من مدينة تاهرت الى مدينة طنجة ، ماعدا سجلماسة فانه قام بها فى ذلك الوقت منادر البربرى ، وباع أهل مدينة فاس الناصر فيمن بايعه من بلاد العدو ، فولا عليها محمد بن الخير بن محمد اليفرنى ثم الزناتى ، وكان من أبسط ملوك زناتة يدا ، وأعظمهم شأنا ، وأحسنهم الى ملوك بنى أمية انحياشا ، وأخلصهم طوية ، وذلك بولاية عثمان بن عفان رضى الله عنه لجدهم صولات ابن وزمار اليفرنى (٦٢) واسلامه على يده ، وتقديمه اياه على قومه من زناتة ، فصارت المحبة لبني أمية وراثه فى بنيه من بعده ، فأقام محمد بن الخير أميرا على مدينتي فاس نحو سنة ، ثم ارتحل عنها الى الأندلس برسم جهاد الروم ، واستخلف عليها ابن عمه أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن عثمان بن سعيد الزناتى ، وهو الذى بنا الصومعة المباركة بجامع القرويين سنة أربع وأربعين وثلاثئة ، وفى سنة سبع

(٦٢) فى الأصل لجدهم حرب بن حفص بن صولات بن وزمار ، والصواب أن الذى أسلم على يد عثمان هو صولات بن وزمار كما ذكر ذلك ابن خلدون وغيره ، وصولات هو جد الأمراء من بنو خزر أمراء تلمسان .

وأربعين وثلاثمئة ولا الناصر بمدينة طنجة وأحوازها يعلا بن محمد اليفرنى أمير بنى يفرن ، فنزلها فى قبائل يفرن ، فلمّا رأى أبو العيش غلبة الناصر على بلاد العدو كتب إليه الى قرطبة يستأذنه فى الجهاد ، فأذن له ، وأمر أن يبنا له فى كل منزل ينزل فيه قصر من الجزيرة الخضراء الى الثغر ، وأن يجرا له فيه ألف دينار فى كل يوم ضيافة ، ومن الفرش والأثاث والطعام والشراب مايقوم بالقصر ، فلم يزل فى ذلك حتى وصل الى الثغر ، فكانت منازلها فى رحلته من الجزيرة ثلاثين منزلا ، ولما خرج أبو العيش الى الأندلس برسم الجهاد استخلف على عمله أخاه الحسن بن كنون ، فمات أبو العيش فى جهاد الروم سنة ثلاث وأربعين وثلاثمئة رحمه الله تعالى .

الخبر عن دولة الأمير الحسن بن كنون

هو الحسن بن كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى ، ولي بعد انصراف أخيه الى الغزو الذى مات فيه ، وهو آخر ملوك الأارسة بالمغرب ، ولم يزل مبايعا للمرانيين متمسكا بدعوتهم الى أن اتصل الخبر بالشيعى صاحب إفريقية بغلبة الناصر الأموي على جميع بلاد العدو ، وأن جميع من فيها من قبائل زناتة والبربر رفضوا دعوتهم ودخلوا فى بيعة بنى أمية ، فعظم الأمر على معد بن اسماعيل ، فبعث قائده جوهر الرومى فى جيش عظيم يزيد على عشرين ألف فارس من قبائل كتامة وصنهاجة وغيرهم ، وأمره أن يطرأ بلاد المغرب وينالها ويستتزل من بها من الثوار ويشد وطأته عليهم ، فخرج جوهر من القيروان يريد بلاد المغرب ، وذلك فى سنة سبع وأربعين وثلاثمئة ، فاتصل خبر قدومه ببعلا بن محمد اليفرنى أمير بنى يفرن وخليفة الناصر لدين الله على بلاد العدو ، فحشد بنى يفرن وجميع قبائل زناتة وتلقاه فى جيوش عظيمة على مقربة من مدينة تاهرت ، فالتحم الحرب بين

الغريتين فأخرج القائد جوهر الأموال وبذلها فى قواد كتامة ، فضمفوا له قتل أمير زناتة يعلا بن محمد اليفرنى ، فلما اشتد القتال صممت عصابة من قواد كتامة وأنجادها وقصدوا الى يعلا بن محمد أمير بنى يفرن فقتلوه واحتزوا رأسه وأتوا به الى جوهر ، فأعطاهم أموالا جليلة بشارة عليه ، وبعث برأسه الى مولاه معد بن اسماعيل ، فطيف به فى القيروان ، وهزم بنو يفرن وتفرق جمعهم بعد قتل أميرهم ، وبعد مدة التأم ملكهم واجتمع فلهم على ولده يدو بن يعلا بن محمد اليفرنى ، وانصرف جوهر بعد قتل يعلا الى سجلماسة ، وكان قد قام بها محمد بن الفتح الخارجى المعروف بواسول بن ميمون بن مدرار الصقرى ، وادعا الخلافة وتسمأ بأمرير المؤمنين ، وتلقب بالشاكر لله ، وضرب بها السكة وكتب عليها اسمه ، وسكته معروف بالشاكرية ، وكانت فى غاية الطيب ، وكان محمد بن الفتح غاية فى اظهار العدل واقامة السنة ، وكان مالكي المذهب ، فنزل عليه جوهر وحاصره بها وضيق عليه حتى دخلها عنوة بالسيف ، وقبض على الشاكر ، وتفرقت عنه جموعه ، وقتل رجاله وحماته من الصقرية ، وأوثقه فى الحديد ، وأتا به أسيرا بين يديه حتى نزل على مدينة فاس ، وذلك فى سنة تسع وأربعين وثلاثمئة ، فحاصرها وأدار بها القتال من كل ناحية مدة من ثلاثة عشر يوما حتى دخلها عنوة بالسيف ، فقتل بها خلقا كثيرا ، وقبض على أميرها أحمد بن أبى بكر الزناتى الذى ولاه الناصر الأموى عليها حين بايعه أهلها ، وقتل حماتها وأشياخها ، ونهب المدينة وسبأ أهلها وهدم أسوارها ، وكان الحادث بها عظيما ، وكان دخول جوهر اياها ضحوة يوم الخميس الموفى عشرين لشهر رمضان المعظم سنة تسع وأربعين وثلاثمئة (١٣ نونبر ٩٦٠ م) ثم سار جوهر فى بلاد المغرب يقتل أولياء الروانيين ، ويفتح البلاد والمعاقل، وفرت أمامه القبائل من زناتة وغيرهم ، فأنفذ الأمر بالمغرب ثلاثين شهرا، ثم انصرف الى مولاه معد بن اسماعيل العبيدى بعد أن دوخ بلاد المغرب وأثخن فيها وقتل حماتها وقطع الدعوة بها للمروانيين وردھا للعبيديين ، فخطب لهم على جميع منابر المغرب ، فوصل القائد جوهر الى المهديّة ،

وحمل معه أحمد بن أبي بكر الزناتى أمير فاس وخمسة عشر رجلا من أشياخها ومحمد بن الفتح أمير سجلماسة أسارا بين يديه فى أقفاص من خشب على ظهور الجمال وعلى رؤوسهم قلانس من لبد مستطيلة منبثة بالقرون ، فطيف بهم فى أسواق القيروان ، ثم حملهم الى المهديّة فأتخلهم بين يديه ، ثم حبسهم بها حتى ماتوا فى سجنها ، وكان الأمير الحسن بن كنون قد بايع العبيديين فيمن بايعهم عند غلبة جوهر على المغرب ، فلما انصرف جوهر الى إفريقية فى الآخر تسع وأربعين وثلاثمئة نكث الحسن بن كنون بيعة العبيديين وعاد الى بيعة الروانيين وتمسك بدعوة الناصر ودعوة ولده الحكم المستنصر من بعده خوفا منهم لامحبة فيهم لقرب بلاده منهم ، فلم يزل فى طاعتهم قائما بدعوتهم الى أن قدم بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى من إفريقية قاصدا الى المغرب لأخذ ثار أبيه ، فقتل زناته واستأصلهم ، وملك المغرب بأسره ، وقطع أيضا منه دعوة الروانيين وقتل أولياءهم ، وأخذ البيعة على جميع بلاد المغرب لمعد بن اسماعيل كما فعل جوهر قبله ، فكان أول من سارع الى بيعته ونصره وقتل أولياء الروانيين وقطع دعوتهم من بلاد المغرب الحسن ابن كنون صاحب مدينة البصرة وكشف وجهه فى ذلك وعمل فيه جهده ، فاتصل خبره بالحكم المستنصر فحقد عليه فى ذلك ، فلما انصرف بلكين ابن زيرى الى إفريقية بعث الحكم قائده محمد بن القاسم فى جيش كثيف الى قتال الحسن بن كنون ، فجاز اليه من الجزيرة الخضراء الى سبتة فى خلق عظيم وعدد كثير وقوة وعدة كاملة ، وذلك فى شهر ربيع الأول من سنة اثنين وستين وثلاثمئة (دجنبر ٩٧٢ م) فزحف الى قتاله الحسن ابن كنون فى قبائل البربر ، فالتقا الجمعان فى أحواز طنجة بموضع يعرف بفحص بنى مصرخ فكان بينهما حرب عظيم قتل فيها محمد ابن القاسم قائد الحكم المستنصر ، وقتل معه خلق كثير من أصحابه وفر الباقيون فدخلوا سبتة فتحصنوا بها وكتبوا الى الحكم يستغيثون به ، فبعث اليهم قائد عسكري وصاحب حروبه غالبا مولاه ، وكان غالب على غاية الحزم والنجدة والشهامة والدهاء والاقدام ، فاعطاه الحكم أمرا لا

جليلة وعدة كثيرة وجيوشا وافرة وأمره بقتال العلويين واستنزالهم من معاقلهم ، وقال له عند وداعه : (ياغالب سر مسير من لا اذن له فى الرجوع ، الا حيا منصورا ، أو ميتا معذورا ، ولا تشح بالمال ، وأبسط يدك به يتبعك الناس) ، فخرج غالب بالعساكر والجيوش والعدد ، والأموال عن قرطبة فى آخر شوال من سنة اثنتين وستين وثلاثمئة (غشت ٩٧٣ م) فاتصل خبر قدومه بالحسن بن كنون ، فخاف منه وأخلا مدينة البصرة ، وحمل منها حريمه وجميع أمواله ونخائره الى حصن حجر النسر القريب من سببة ، واتخذ معقلا يتحصن فيه لمنعته ، فجاز غالب البحر من الخضراء الى قصر مضمودة فتلقاه الحسن بن كنون هنالك بجيوشه فقاتله أياما ، وأخرج غالب الأموال فبعثها الى رؤساء البربر الذين مع الحسن بن كنون ووعدهم وأمنهم ، ففروا عن الحسن وأسلموه حتى لم يبق معه الا خاصته ورجاله ، فلما رأى ذلك سار الى حصن حجر النسر فتحصن به ، واتبعه غالب فحاصره به ونزل بجميع جيوشه عليه ، وقطع عنه الموارد ، وأمدّه الحكم بالعرب الذين ببلاد الأندلس كافة ورجال الثغور ، فوصل المدد الى غالب فى غرة المحرم سنة ثلاث وستين وثلاثمئة (٢ أكتوبر ٩٧٣ م) فاشتد الحصار على الحسن بن كنون ، فطلب من غالب الأمان على نفسه وأهله وماله ورجاله وينزل اليه فيصير معه الى قرطبة فيكون بها ، فأجابه غالب الى ذلك وعاهده عليه ، فنزل الحسن بأهله وماله وأسلم الحصن الى غالب فملكه ، واستنزل جميع العلويين الذين بأرض العدو من معاقلهم ، وأخرجهم عن أوطانهم ، ولم يترك بالعدوة رئيسا منهم ، وسار الى مدينة فاس فملكها ، واستعمل عليها محمد بن علي بن قشوش فى عدوة القرويين ، وعبد الكريم بن ثعلبة فى عدوة الأندلس ، فلم تزل فى يد بنى أمية الى أن غلب عليها زيرى بن عطية الزناتسى المغراوى ، وانصرف غالب الى الأندلس ، فحمل معه الحسن بن كنون وجميع ملوك الادارسة، وقد وطأ جميع بلاد المغرب ، وفرق العمال فى جميع النواحي ، وقطع دعوة بنى عبيد من جميع أفاقه ، ورد الدعوة الى الأموية الحكيمة ،

فخرج بهم غالب من مدينة فاس في آخر شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمئة (٢٤ يونيو ٩٧٤ م) فوصل الى سبتة فركب البحر منها واستقر بالخضراء ، فكتب الى الحكم المستنصر بالله يعلمه بقدومه وبمن معه من العلويين ، فلما وصل كتابه الى الحكم أمر الناس بالخروج الى لقائهم ، وركب في جمع عظيم من وجوه أهل دولته ، فتلقاهم ، فكان يوم دخولهم قرطبة أول يوم من شهر محرم سنة أربع وستين وثلاثمئة (الاثنين ٢١ شتنبر ٩٧٤ م) فسلم الحسن بن كنون على الحكم ، فاقبل عليه وعفا عنه ، ووفاء له بعهده ، وأوسع له ولرجاله في العطاء ، وكانوا سبعمئة رجل أنجادا يعدلون سبعة آلاف من غيرهم ، وأسكنه قرطبة ، فبقي الحسن ابن كنون بقرطبة الى سنة خمس وستين وثلاثمئة ، وكان له قطعة عنبر غريبة الشكل كبيرة الجرم ، ظفر بها في بعض سواحله من بلاد العدو أيام ملكه بها فسواها منشورة يتوسد بها ، فبلغ أمير المومنين الحكم خبرها ، فسأله حملها اليه وضمها الى ذخائره على أن يرضيه عنها بحكمه ، فامتنع من ذلك وأبى أن يسلمها اليه ، فنكبه عليها وأخذ أمواله وسلبه من جميعها وأخذ القطعة ، فبقيت في خزانته الى أن ظهر علي بن حمود الحسنى على ملك الأندلس ودخل قرطبة وسكن القصر وظفر ببني أمية ، فأصاب تلك العنبرة متاع ابن عمه الحسن بن كنون قد عقيتها الأيام حتى صارت الى أيدي العلوية أربابها ، ولما نكب الحسن بن كنون وأخذ أمواله أمر به وبالعلوية فأخرجهم من قرطبة وأجلهم الى الشرق فجوزوا من المري الى تونس ليستريح من نفقاتهم ، وذلك في سنة خمس وستين وثلاثمئة ، فسار الحسن وبنو عمه الى مصر ، فنزلوا بها على نزار بن معد ، فاقبل عليهم نزار وبألف في أكرامهم ، ووعد الحسن النصره والأخذ بثأره ، فأقام عنده مدة طويلة الى أن دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمئة في أيام هشام المؤيد ، فكتب له نزار بن معد بعهده على المغرب ، وأمر عامله على أفريقية بلكين بن زيرى بن مناد أن يقويه بالجيوش ، فسار الحسن الى بلكين فأعطاه جيشا من ثلاثة آلاف فارس ، فاقترح بهم بلاد المغرب ، فسارعت اليه قبائل البربر بالطاعة ، فشهر

فى اظهار دعوته ، فاتصل خبره بالمنصور بن أبى عامر حاجب هشام ، مؤيد القائم بملكه ، فبعث اليه ابن أبى عامر الوزير أبا الحكم عمر بن عبد الله بن أبى عامر فى جيش كثيف وقلده أمر المغرب وسائر أعماله ، وأمره بحرب الحسن بن كنون ، فنفذ لوجهه وجاز البحر الى سيطة ، وخرج الى حرب الحسن ، فأحاط به وحاصره أياما ، ثم جوز المنصور ابن أبى عامر ولده عبد الملك المظفر فى أثر الوزير أبى الحكم بجيوش حيلة ، فطلب الأمان على نفسه على أن يصير الى الاندلس كمثله حاله الأول ، فأعطاه الوزير أبو الحكم ماوثق به ، وكتب الى ابن أبى عامر المنصور بخبره ، فأمره بتعجيله الى قرطبة موكلا به من يحفظه ، فبعثه ، ووصل الخبر الى المنصور بقدومه وجوازه ، فلم يمض أمان ابن عمه وأنفذ اليه بقتله فى طريقه ، فقتل وقطع رأسه ودفن جسده ، وحمل الرأس الى المنصور ، ودخل فى جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وثلاثمئة كثيرة ممدا له ، فلما رأى ذلك الحسن بن كنون سقط فى يده ولم يجد (شتنبر - اكتوبر ٩٨٥ م) فكانت دولة الحسن بن كنون الأولى بالمغرب ست عشرة سنة ، من سنة تسع وأربعين الى سنة أربع وستين وثلاثمئة ، ومدة إقامته بدولته الثانية سنة واحدة وتسعة أشهر ، فركدت ريح العلوية بالمغرب وتفرق جمعهم ، وبقي منهم جماعة بقرطبة ، فكانوا فى ديوان السلطان فى جماعة المغاربة الى أن ملك علي بن حمود الاندلس فسموا بكرهم ، ولما قتل الحسن بن كنون هبت ريح عاصفة فى الوقت ، فاحتملت رداء الحسن فلم يوجد بعد ، وكان الحسن بن كنون على ما ذكره ابن الفياض فظا غليظا شديد الجراة قاسي القلب قليل الشفقة ، كان اذا ظفر بأحد من أعدائه أو سارق أو قاطع طريق أمر به فطرح من ذروة قلعته المسماة بحجر النسور ، ويهوى به الى الأرض مد البصر يدفع الرجل بخشبة تمد اليه فلا يصل الى الأرض الا وقد تقطع .

قال المؤلف للكتاب

فانقرضت أيام الأدارسة بالمغرب بموت الحسن بن كنون الآخر ملوكهم ، وكانت مدة ملكهم به من يوم بويع مولانا ادريس بن عبد الله

أبن حسن بمدينة ولى وذلك يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومئة الى أن قتل الحسن بن كنون فى شهر جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وثلاثمئة ، وذلك مئتا سنة اثنتان وثلاث سنين سوى شهرين وكان عملهم بالمغرب من السوس الأقصا الى مدينة وهران وقاعدة ملكهم مدينة فاس ثم البصرة ، وكانوا يكابدون مملكتين عظيمتين وغالبين كبيرين : دولة العبيديين بمصر وأفريقية ، ودولة بنى أمية بالأندلس ، وكانوا ينازعون الخلفاء الى درك الخلافة ويقعدهم ضعف سلطانهم وقلة مالهم ، وكان سلطانهم اذا اشتد وقوي الى مدينة تلمسان ، واذا اضطرب الحال عليهم وضعفوا لايجاوز سلطانهم البصرة وأصيلة وحجر النسر ، الى أن اعتراهم الادبار والفرقة وانقضت أيامهم وانقطعت مدتهم ، والبقاء لله وحده ، لارب غيره ولا معبود سواه .

الخبر عن الاحداث التى كانت بالمغرب فى ايامهم إلى انقضائها

كان الرخاء بالمغرب متواليا من سنة ثمان ومئتين الى سنة سبع وأربعين ومئتين ، بيع القمح بمدينة فاس فى اكثر سننى هاذه المدة ثلاث دراهم للوسق وأقل وأكثر .

وفى سنة اثنتين وثلاثين ومئتين قحط بلاد الاندلس حتى هلكت المواشى وأحرق الكرم والشجر وكثر الجراد وغلت الأسعار فى جميع الاندلس ، فكانوا يمتارون من بلاد العدو .

وفى سنة سبع وثلاثين ومئتين قام رجل مؤذن بناحية تلمسان يدعى النبوءة ، وتناول القرآن على غير وجهه وتأويله ، فاتبعه خلق كثير من الغوغاء ، وكان من بعض شرائعه أنه ينها عن قص الشعر وتقليم الأظفار وندف الابطين والاستحداد وأخذ الزينة ، ويقول : لاتبديل ولا تغيير لخلق الله ، فأمر أمير تلمسان بالقبض عليه فهرب وركب البحر من مرسا هنين الى بلاد الاندلس ، فشاع بها خبره وأمره ، فتبعه من سفهاء الناس أمة عظيمة . فبعث اليه ملك الاندلس ، فاستتابه فلم يتب ، فقتله وصلبه وهو يقول عند قتله : أنقتلون رجلا أن يقول ربي الله ! .

وفى سنة ثمان وثلاثين ومئتين توفي الامام عبد الرحمان بن الحكم وفى سنة ثلاث وخمسين ومئتين كان ببلاد العدو والاندلس قحط كثير ، وغاضت المياه ولم يزل القحط يتوالا من سنة ثلاث وخمسين الى سنة خمس وستين .

وفى سنة أربع وخمسين ومئتين كسف القمر كله من اوائل الليل حتى أصبح ولم ينجل .

وفى سنة ستين ومئتين عم الغلاء والقحط جميع بلاد المغرب والاندلس وأفريقية ومصر وبلاد الحجاز كلها حتى رحل الناس عن مكة

الى الشام ، وبقيت خالية ليس بها الا نفر يسير وسدت الكعبة ، فبقيت كذلك مدة ، وكان في بلاد الأندلس والغرب وباء عظيم مع غلاء السعر وعدم الأقوات ، فمات فيها خلق كثير .

وفى سنة ست وستين ومئتين كانت بالسمااء حمرة عظيمة من أول الليل الى آخره ، ولم يعهد قبل ذلك مثلها ، وذلك في ليلة السبت لتسع بقين من صفر من السنة المذكورة (١١ أكتوبر ٨٧٩ م) .

وفى سنة سبع وستين ومئتين في يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال (٢٢ ماي ٨٨١ م) منها كانت زلزلة عظيمة ماسمع الناس بمثلها قبلها تهدمت منها القصور ، وانحطت منها الصخور والجبال ، وهرب الناس من المدن الى البرية من شدة اضطراب الأرض وتساقط السقوف والحيطان والدور ، وقرت أنطبور عن أوكارها وفراخها ، وماجت في الهواء زمانا حتى سكنت الزلزلة ، وعت هاذة الرجفة بلاد العدو من طنجة الى تلمسان وجميع بلاد الأندلس سهولها وجبالها من البحر الشامى الى أقصا المغرب ، الا انها لم يمت فيها أحد لطفًا من الله تعالى بخلقه .

وفى سنة ثلاث وسبعين ومئتين توفي الامام محمد بن عبد الرحمان ابن الحكم ملك الأندلس وولي بعد المنذر .

وفى سنة ست وسبعين ومئتين طبقت الفتنة جميع بلاد الأندلس والمغرب وإفريقية .

وفى سنة خمس وثمانين ومئتين كانت المجاعة الشديدة التي عمت جميع بلاد الأندلس وبلاد العدو حتى أكل الناس بعضهم بعضا ، ثم أعقب ذلك وباء ومرض وموت كثير هلك فيه من الناس مالا يحصى ، فكان يدفن في القبر الواحد أعداد من الناس لكثرة الموتى وقلة من يقوم بهم ، وكانوا يدفنون من غير غسل ولا صلاة .

وفى سنة تسع وثمانين ومئتين كان الكسوف العظيم للشمس ، كسفت الشمس كلها ، وذلك في يوم الاربعاء التاسع والعشرين من شوال

من السنة المذكورة (الثلاثاء ٦ أكتوبر ٩٠٢ م) وذلك بعد صلاة العصر، فبدر أكثر الناس بالأذان فى المساجد للمغرب ، فغاب القرص كله وظهرت النجوم ، ثم انجلت بعد ذلك وعادت مضيئة قدر ثلث او نصف ساعة ، ثم غربت وأعاد الناس الأذان والاقامة والصلاة .

وفى سنة ست وتسعين ومئتين تغلب الشيعى على أفريقية وأخرج عنها بنى الأغلب وقطع ملكهم .

وفى سنة سبع وتسعين ومئتين قطع الشيعى دعوة بنى العباس من أفريقية وأظهر مذهبه وتسمأ بأمرير المومنين وتلقب بالمهدى ، وهو أول نقش دراهمه وتسمأ بأمرير المومنين فى أيامه .

وفى سنة ثلاث وثلاثمئة كانت بالأندلس والعدوة وأفريقية فتن كثيرة ومجاعة عظيمة شبهت بمجاعة عام ستين ومئتين ، بلغت فيها الحاجة مبلغا لأعهد للناس بمثله ، وصل مد القمح ثلاثة دنانير ، ووقع الموت فى الناس حتى عجزوا عن دفن موتاهم .

وفى سنة خمس وثلاثمئة أحرقت النار أسواق مدينة تاهرت قاعدة زناتة ، وأحرقت أسوار مدينة فاس ، وأحرقت أرباض مدينة بياسة من بلاد جوف الأندلس ، وأحرقت أسوار قرطبة ، وذلك فى شهر شوال من سنة خمس وثلاثمئة المذكورة ، (مارس - أبريل ٩١٨ م) ، فسميت سنة النار .

وفى سنة سبع وثلاثمئة كان بالمغرب وبالأندلس وأفريقية رخاء مفرط ووباء كثير وطاعون ، وفيها كانت الريح الشديدة السوداء التي قلعت الأشجار وهدمت الديار بمدينة فاس ، قتأب الناس وخافوا ولزموا المساجد، وارتدعوا عن كثير من الفواحش والفساد .

وفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة ملك الأمير موسا بن أبى العافية مدينة فاس واستولا على جميع أعمال المغرب .

وفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة ادعا النبوة رجل يسما حاميى فى جبال غمارة ودخل فى دينه خلق كثير من غمارة ، والديانة التي شرعها

لهم صلاتان بالنهار ، واحدة عند طلوع الشمس والآخرى عند غروبها ، ثلاث ركعات فى كل صلاة ، ويسجدون ويطون أيديهم تحت وجوههم ، وجعل لهم قرآنا يقرأونه بلسانهم بعد تهليل يهللون به وهو : (خلنى من الذنوب يامن خلا النظر ينظر فى الدنيا ، خرجنى من الذنوب يامن أخرج يونس من بطن الحوت وموسى من البحر) • ثم يقول فى ركوعه أمنت بحاميم وبأبى يخلف صاحبه ، وأمنت بتاليت عمه حاميم ، ثم يسجد ، وكانت تاليت هاذى امرأة كاهنة ، وفرض عليهم صوم يوم الاثنين وصوم يوم الخميس الى الظهر ، وصوم يوم الجمعة وصوم عشرة أيام من شهر رمضان ويومين من شوال ، ومن أفطر فى يوم الخميس عمدا فكفارته أن يتصدق بثلاثة أثوار ، ومن أفطر فى يوم الاثنين فكفارته ثوران ، وفرض عليهم الزكاة والعشر من كل شيء ، وأسقط عنهم الحج والوضوء والتطهر من الجنابة ، وأحل لهم أكل كل انثا خنزير ، وقال : انما حرم قرآن محمد النذر ، وجعل الحوت لا يؤكل الا بذكاة ، وحرم عليهم أكل البيض وأكل رأس كل حيوان ، فبعث عليه الناصر ملك الأندلس ، فقبض عليه وقتل وصلب بقصر مصمودة ، وبعث برأسه الى قرطبة ، ورجع أتباعه الى الاسلام •

وفى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة دخل القائد ميسور الشيعى مدينة فاس ، فقتل بها ثلاثة آلاف رجل ، وفيها دخل أيضا وارزيغت (٦٣) ومدينة عوسجة من مدائن مكناسة دخلها بالسيف فقتل بهما مايزيد على سبعة آلاف رجل .

وفى سنة سبع وعشرين وثلاثمئة كانت سنة الغمام ، أقام الغمام بالمغرب خمسة أيام لايرا الناس فيها شمسا ولا يرا واحد من الأرض الا موضع قدمه ، فخاف الناس لذلك وأخرجوا الصدقات فتأبوا ، فكف الله عنهم ذلك الغمام •

وفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة توفى موسى بن أبى العافية أمير
مكناسة كلها .

وفى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة دخل أبو يزيد مخلد بن كيداد
اليفرنى مدينة القيروان وغلب على جميع أفريقية .

وفى سنة تسع وأربعين وثلاثمئة دخل جوهر قائد الشيعة مدينة
فاس بالسيف وقتل خلقا كثيرا ، وحمل أشياخها أسارا الى أفريقية ، وفتح
سجلماسة وقطع دعوة بنى مدرار عنها ، وفيها ملك عبد الرحمان الناصر
مدينتي سبتة وطنجة من بلاد العدو وبناهما فاصلح أسوارهما ، وقيل بل
ملكهما فى سنة تسع عشرة وثلاثمئة .

وفى سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة ، نزل برد عظيم كبير الحجر ، زنة
الحجر رطل وأزيد ، قتل الطير والوحوش والبهائم وطوائف من الناس ،
وكسر الثمار والشجر ، وكان ذلك اثر قحط شديد وغلاء عام .

وفى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمئة نزل أيضا برد عظيم لم يعهد مثله ،
قتل المواشي واهلك الثمار ، واستسقا الناس فيه هاذة السنة واستصحوا ،
وجاءت السيول العظيمة بجميع المغرب ، وكان بها الرعود القاصفة
والبروق الشديدة ، ودام ذلك أياما كثيرة ، وفيها كانت الريح الشديدة
التي هدمت المباني .

وفى سنة أربع وأربعين وثلاثمئة كان الوباء العظيم بالمغرب والأندلس ،
هلك فيه أكثر الخلق ، وفيها ملك الناصر لدين الله مدينة تلمسان من
أرض العدو .

وفى سنة خمسين وثلاثمئة توفى عبد الرحمان الناصر لدين الله (٦٤)
وفى سنة خمس وخمسين وثلاثمئة كانت ريح شديدة قلعت الأشجار
وهدمت الديار وقتلت الرجال ، وفى ليلة الثلاثاء الثامن عشر من شهر
رجب الفرد منها (١٠ يوليوز ٩٦٦ م) ظهر فى البحر شهاب ثاقب مائل

(64) فى الأصل بمدينة تلمسان من أرض العدو وهو غير صحيح .

كالعمود العظيم أضاء الليل لسطوع نوره وشبهت بليلة القدر ، وقارب ضوعوها ضوءاً النهار ، وفى هذا الشهر كسفت الشمس والقمر ، كسف القمر ليلة أربع عشرة منه ، وطلعت الشمس مكسوفة فى اليوم الثامن والعشرين منه

• وفى سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة ملك الشيعى مصر .

• وفى سنة احدا وستين كان الجراد بالمغرب .

وفى سنة اثنتين وستين وثلاثمئة دخلت زناة المغرب وتملكوه ، وتعرف هذه السنة بسنة لقمان المغراوى ، وفيها توفي الشيخ الصالح الفقيه الفاضل أبو ميمونة دراس بن اسماعيل .

وفى سنة خمس وستين وثلاثمئة توفي معد بن اسماعيل الشيعى ملك مصر وأفريقية .

وفى سنة ست وستين وثلاثمئة توفي الحكم المستنصر ملك الأندلس ، وولي ولده هشام المؤيد ، وهو ابن عشرة أعوام ، وفيها دخل يعلا بن يدو اليفرنى مدينة مكناسة الزيتون بالسيف .

وفى سنة ثمان وستين وثلاثمئة غلب يعلا بن يدو اليفرنى على مدينة لواتة .

وفى سنة تسع وتسعين وثلاثمئة دخل بلكين بن زيرى بن مناد المغرب ونزل على مدينتي فاس ، فقتل سلاطينهم محمد بن أبى علي بن قشوش صاحب القرويين ، وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الأندلس ، وسار الى سببة ، ثم عاد الى أفريقية .

وفى سنة ثمان وستين وثلاثمئة ملك زيرى بن عطية على قبائل زناتة وفى سنة خمس وسبعين وثلاثمئة زحف عسكلاجة (٦٥) الى مدينة فاس من الأندلس فدخلها بالسيف وملكها ، وخطب بها لبنى أمية ، وبقي محمد بن عامر المكناسى عامل العبيديين بعودة القرويين الى سنة ست

وسبعين وثلاثمئة ، وهو عام أبى بياش ، فأتى أبو بياش واسمه يطوت بن بلكين المغراوى ، فدخل عدوة القرويين بالسيف فقبضها ، وقتل عاملها محمد بن عامر المكناسى ، وخطب بها أيضا لبنى أمية •
وفى سنة سبع وسبعين وثلاثمئة عم الجراد الكثير بلاد المغرب وفتك بها •

وفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة بلغ الفيض الذي فاضت فيه أودية المغرب الى غاية لم تعهد •

وفى سنة تسع وسبعين كانت الريح الشرقية بالمغرب ، دامت الى ستة أشهر فأعقبها الوباء العظيم والأمراض الكثيرة •

وفى سنة ثمانين وثلاثمئة كان الخلف والرخاء المفرط بالمغرب ، فكان الزرع لايجد من يشتريه لكثرتة ، وكان الحراثون يتركونه فى قدادينهم ولا يحصدونه لرخصه •

الخبر عن دولة زناتة المغراوين واليفرنيين

بالمغرب وقيام ملكهم

أول ملك منهم بالمغرب زيرى بن عطية بن عبد الله بن تبادل بن محمد بن خزر الزناتى المغراوى الخزرى ، ملك على زناتة فى سنة ثمان وستين وثلاثمئة ، فقام فى المغرب بدعوة هشام المؤيد وحاجبه المنصور ابن أبى عامر ، وذلك بعد انقطاع أيام الأدارسة وبنى أبى العافية المكناسيين منه ، فغلب زيرى على جميع بوادى المغرب وملك مدينة فاس ، دخلها قواده عسكلاجة وأبو بياش ، ثم أتا هو بعدهما فدخلها واستوطنها وصيرها دار ملكه ، وذلك فى سنة سبع وسبعين وثلاثمئة ، فلما ملك مدينة فاس استقام له أمر المغرب فعلا قدره وقوى سلطانه وارتفع شأنه ، وخالف أبو البهار ابن زيرى بن مناد الصنهاجى على ابن أخيه منصور بن بلكين أمير إفريقية

وظهير الدولة العبيدية ، وخلع دعوة العبيديين ومال الى دعوة المروانيين ، وغلب على مدينة تلمسان ومدينة تنس ومدينة وهران وشلف وشرشال وجبال ونشريس والمدية وكثير من بلاد الزاب ، وخطب للمؤيد وحاجبه المنصور ابن أبى عامر ، وبعث بيعته لهم ، وذلك فى سنة سبع وسبعين وثلاثمئة ، فلما وصلت بيعته للمنصور ابن أبى عامر بعث اليه بعده على مابيده من البلاد وهدية وخلع وأربعين الف دينار ، فلما قبض المال والهدية أقام على بيعتهم نحو الشهرين ، ثم خلعه وعاد الى العبيديين ، فبلغ ذلك المنصور فغاضه وكتب لزيرى بن عطية بعده على جميع بلاد أبى البهار ، وأمره بقتاله عليها ، فسار زيرى بن عطية من مدينة قاس فى جيوش لاتحما من قبائل زناتة وغيرهم ، ففر أبو البهار بنفسه أمامه ولحق بابن أخيه منصور بن بلكين وترك البلاد ، فملك زيرى بن عطية مدينة تلمسان وسائر أعمال أبى البهار ، فانبسط سلطانه بالمغرب من السوس الأقصا الى الزاب ، وكتب بالفتح الى المنصور ابن أبى عامر ، وبعث له بهدية عظيمة فيها مئتا فرس من عتاق الخيل وخمسون جملا مهربية سوابق ، وألف درقة من اللمطية وأحمال كثيرة من قسي الزارة (٦٦) وقطوط الزبد والزرافة وأصناف من الوحوش الصحراوية كاللمط وغيره ، وألف حمل من التمر الجيد فى جنسه ، وأحمال كثيرة من ثياب الصوف الرقيقة ، فسر بها المنصور وكافاه عليها ، وكتب له بتجديد عهده على المغرب ، وذلك فى سنة احدا وثمانين وثلاثمئة ، وأقام زيرى بن عطية بمدينة قاس ، وأسكن قبيله فى أنحائها وبالقرب منها فى قباطينهم الى سنة اثنتين وثمانين فاستدعاه المنصور أن يقدم عليه ، فاستخلف على المغرب ولده المعز ، وأمره بسكنا تلمسان ، واستخلف على عدوة الأندلس من مدينة قاس عبد الرحمان بن عبد الكريم بن ثعلبة ، وعلى عدوة القرويين علي بن محمد بن علي بن قشوش ، وولا قضاء المدينتين الفقيه الفاضل قاسم

66) ذكر ياقوت فى معجم البلدان أنها قرية باقليم طرابلس تصنع بها القسي الفائقة ، وربما كانت هى قرية الزارات الواقعة قرب قابس بالقطر التونسى .

ابن عامر الأزدي وسار الى الاندلس وحمل بين يديه هدية عظيمة من جملتها طير فصيح يتكلم بالعربية والبربرية ! ودابة من دواب المسك ومهابة وحشية تشبه الفرس وحيوانات غريبة وأسدان عظيمان فى قفصين من حديد وتمر كثير فى غاية الفخر التمرة منه تشبه الخيارة من عظمها وحمل معه من قومه وعبيده ثلاثمئة فارس وثلاثمئة راجل فصنع له المنصور برونزا عظيما وانزله بقصر جعفر الحاجب ووسع له فى الجرايات والاكرام ولقبه باسم الوزير وأعطاه مالا جسيما وخلعا نفيسة وصرقه الى عمله وجدد له عمله على المغرب وعلى جميع ماغلب عليه منه فجاز البحر وحصل بمدينة طنجة فلما استقر بها ودخلها وضع يده على رأسه وإقال الآن علمت أنك لى واستقل ماوصله به المنصور واستقبح اسم الوزارة التى سماها بها ، ولقد خاطبه بها بعضهم، فنهاه عن ذلك ، وقال ويحك ، وزير ! لا والله إلا أمير ابن أمير ، وأعجبا لابن أبى عامر ومخرقته لأن تسمع بالمعيذى خير من أن تراه ولو كان بالاندلس رجل ماتركه على حاله وكان الأمير يدو بن يعلا اليفرنى انتهر الفرصة فى غيبة زيرى بن عطية بالاندلس ، فزحف الى مدينة فاس ، فدخل منها عدوة الاندلس بالسيف وملكها وذلك فى شهر ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمئة فلما جاز زيرى بن عطية الى طنجة اتصل به خبر يدو بن يعلا وغلبته على فاس فأسرع السير نحوه فكانت بينهما حروب عظيمة وكان الأمير يدو بن يعلا اليفرنى مضاهيا لزيرى بن عطية فى الحسب والفضل والمال أمير بنى يفرن كلها ويقرن ومغراوة أخوان شقيقان أينا يصلين بن سيرى بن زاكيا بن ورسيع بن جانا بن زناتا وكان يدو بن يعلا قد قام بأمر بنى يفرن بعد قتل أبيه يعلا بن محمد حين قتله جوهر بأمر الشيعة سنة سبع وأربعين وثلاثمئة فملك كثيرا من بوادى المغرب فكانت بينه وبين زيرى بن عطية حروب كثيرة ومنازعة على الامارة والرياسة كان الأمير يدو بن يعلا اذا غلب دخل مدينة فاس ، واذا هزم وغلب زيرى بن عطية أخرجه عنها وملكها وكانت الحرب بينهم سجالا فلما دخلها فى غيبة زيرى قتل بها خلقا كثيرا من

مغراوة فأتاه زيرى حتى نزل قريبا من المدينة ، فكانت بينهم حروب عظيمة هلك فيها خلق كثير من القبيلتين مغراوة وبنى يفرن الى أن هزمه زيرى ودخل عليه فأسا عنوة فقتله ومثل به ، وذلك فى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة ، وبعث برأسه الى المنصور ابن أبى عامر بقرطبة ، وقوي امرزيرى ابن عطية بالمغرب ، ولم يبق له منازع وهابته الملوك ، وبقي الأمر بينه وبين المنصور ، فبنا مدينة وجدة ، وشيد سورها وقصبتها وركب أبوابها ، وسكنها بأهله وحشمه ، ونقل إليها أمواله وذخائره ، وجعلها قاعدته ودار ملكه لكونها واسطة بلاده ، وكان اختطاط زيرى بن عطية لمدينة وجدة فى شهر جب الفرد سنة أربع وثمانين وثلاثمئة (غشت - شتنبر ٩٩٤ م) ولم يزل زيرى بن عطية فى علو سلطان ، وارتفاع شان ، الى سنة ست وثمانين وثلاثمئة ، ففسد ما بينه وبين المنصور واتصل بالمنصور أن زيرى يستنقصه ويعرض فى شأنه ويتكلم فيه بالقبيح فقطع عنه المنصور ما كان يجريه له فى كل سنة ، فعزم زيرى على خلافه وقتاله ، فقطع ذكره من الخطبة وترك الدعاء له ، واقتصر على ذكر هشام المؤيد خاصة ، فلمّا وصل المنصور أن زيرى خلع طاعته وطرد عماله من المغرب واجلاهم الى سبتة ، واقتصر على الدعاء للمؤيد خاصة ، انفذ اليه مولاة واضحا الفتافى جيش عظيم لمحاربتة ، فجاز واضح البحر واستقر بمدينة طنجة ، فأتاه بعض قبائل البربر من غمارة وصنهاجة وغيرهما ، فبايعوه على قتال زيرى بن عطية ومن معه من قبائل زناتة ، وأعطاهم الخلع والأموال ، وبعث اليه المنصور من كان معه بالأندلس من أجناد البربر ، فتكاملت جيوشه ، فخرج بهم واضح نحو زيرى بن عطية من طنجة ، فاتصل خبر قدومه بزيرى بن عطية ، فخرج اليه من مدينة فاس فى عساكر زناتة وغيرهم ، فالتقا الجمعان بوادي رداث (٦٧) فكانت بينهم حروب شديدة مدة من ثلاثة أشهر الى أن هزم واضح الفتا وقتل أكثر جيوشه ، وفر واضح الى طنجة فدخلها مهزوما ، وكتب الى المنصور يخبره بحالته

وهزيمته ويطلب منه ان يمدده بالخييل والأموال والرجال ، فخرج من قرطبة فوصل الجزيرة الخضراء ، فجوز ولده عبد الملك المظفر بجميع عسكر الأندلس وجيوشها وقوادها ، وبقي المنصور وحده ، وأمره بحرب زيرى ابن عطية ، فركب عبد الملك المظفر البحر من الجزيرة الخضراء الى سبتة ، فبلغ زيرى جواز عبد الملك لحربه ، فخافه وأخذ فى الاستعداد للملاقاته ، وكتب الى جميع قبائل زناته يستنصرهم ، فأتته الوفود من بلاد الزاب وبلاد تلمسان وملوية وسجلماسة وسائر بوادى زناته ، فنهض بهم الى قتال عبد الملك المظفر ، وخرج عبد الملك من طنجة ومعه واضح الفتا فى جيوش لاتحصا ، فالتقا الجمعان بوادى منى ؟ من أحواز طنجة ، فكانت بينهم حروب لم يسمع قط بمثلها (استمرت) يوما كاملا من طلوع الشمس الى غروبها ، فأتا غلام أسود اسمه سلام كان زيرى قتل أخاه ، فوجد الفرصة فيه لأخذ ثأره منه ، فضربه بسكين فى لبته يريد نحره ، فجرحه ثلاث جراحات ولم يقض عليه ، فسار الأسود الى عبد الملك المظفر فأعلمه بضربه لزيرى ، فأمكنك عبد الملك الفرصة ، فشد بجميع جيشه على زناته وهم فى حال دهشة من جرح أميرهم فهزّمهم ، واستمرت الهزيمة على زيري وأصحابه وكثر القتل فيهم ، واتبعهم عبد الملك بالقتل والسبي ، وملك محلة زيرى بأسرها ، واحتوا على جميع ما فيها من المال والسلاح والابل والكراع والعدة ، فأخذ من ذلك ما لا يوصف ولا يحصى بعدد ، وسار زيرى حتى وصل لموضع يعرف بمضيق الحية بالقرب من مدائن مكناسة فأقام به واجتمع اليه الفل من قومه ، فعزم على الرجوع لمناهضة عبد الملك المظفر ، فاتصل خبره بالمظفر ، فانتخب من عسكره خمسة آلاف فارس وقدم عليهم واضحا الفتا ، فالتقا بهم وضرب على محلّتهم وهم بمضيق الحية ليلا وهم فى غفلتهم أمنون ، وذلك فى نصف شهر رمضان المعظم سنة سبع وثمانين وثلاثمئة (الثلاثاء ٢١ شتنبر ٩٩٧ م) فأوقع بهم وقعة عظيمة وأسر من أشرف مغراوة نحو ألفي رجل ، فامتن عليهم عبد الملك المظفر وأركبهم ، فكانوا من جنده ، وفر زيرى الى مدينة فاس فى شردمة من أصحابه وبنى عمه ، فغلق أهلها الأبواب فى وجهه ،

فسألهم ان يخرجوا عياله وأولاده ، فأخرجوهم اليه ، وأعطوه الزاد والدواب ، فأخذهم وانصرف الى الصحراء هاربا أمام المظفر ، فنزل بلاد صنهاجة ، وسار المظفر الى المدينة فدخلها ، واستقبله أهلها مستبشرين به ، فأحسن لقاءهم ، وكان دخول المظفر الى مدينة قاس يوم السبت منسلخ شوال سنة سبع وثمانين المذكورة (الخميس ٤ نوفمبر ٩٩٧ م) ، وكتب الى أبيه بالفتح ، فقريء الكتاب على منبر جامع الزهراء بقرطبة وعلى منابر قواعد الأندلس كلها شرقا وغربا ، وأعتق المنصور ألفا وخمسمئة مملوك وثلاثمئة مملوكة شكرا لله تعالى ، وفرق أموالا كثيرة لأهل الفقر وذوى الحاجات ، وكتب الى ولده المظفر بعهدده على المغرب ، وأوصاه بحسن السيرة والعدل ، فقرأ كتابه على منبر جامع القرويين ، وذلك في يوم الجمعة الآخر ذى القعدة (٤ دجنبر) من السنة المذكورة ، وانصرف واضح الى الأندلس ، واستوطن عبد الملك مدينة قاس ، وعدل في أهلها عدلا لم يروه من أحد قبله ، فأقام بها ستة أشهر ، ثم صرفه والده عنها الى الأندلس ، وبعث اليها عوضا منه عيسا بن سعيد صاحب الشرطة ، فأقام واليا عليها الى شهر صفر من سنة تسع وثمانين وثلاثمئة فعزله المنصور عنها وعما كان ولاء من بلاد العدو ، وولا على ذلك واضحا الفتا ، وانصرف عنها عيسا بن سعيد الى الأندلس ، وذلك في سنة تسع وثمانين المذكورة ، ووصل زيرى بن عطية الى بلاد صنهاجة فنزل بها ، فوجدتهم قد اختلفوا على ملكهم بادريس بن منصور بن بلكين بعد وفاة أبيه منصور ، فبعث زيرى الى قبائل زناتة قاتا منهم خلق كثير من مغراوة وغيرهم ، فاغتنم زيرى تلك الفرصة وزحف بهم الى صنهاجة ، فأوغل في بلادهم وهزم جيوشهم ، ودخل الى مدينة تاهرت وجملة من بلاد الزاب ، فملك ذلك مع تلمسان وشلف والمسيطة ، وأقام بها الدعة المؤيدية ، وحاصر مدينة أشير قاعدة بلاد صنهاجة ، وبقي عليها يقاتلها بالغدر والرواح الى أن انقضت عليه جراحاته التي حرجه الأسود ، فمات في سنة احدا وتسعين وثلاثمئة (١٠٠١ م) فولي بعده ولده المعز ، فبايعته قبائل زناتة وضبط أمرهم وقام بملك أبيه ، وصالح المظفر المنصور

ابن ابي عامر وقلده أمر المغرب ، فكانت مدة ملكه بالمغرب نحو
عشرين سنة .

الخبر عن دولة الامير المعز بن زيرى بن عطية

المغراوى بفاس وبلاد المغرب

هو المعز بن زيرى بن عطية المغراوى ، أمة حرة اسمها تكاتيون
بنت مناد بن تبادل المغراوى .

ولي ملك المغرب بعد وفاة أبيه ، وبايه قبائل زناتة ، فضبط ملكه
وقام به أتم قيام ، وصالح المنصور ابن أبى عامر ، وقام بدعوته ورجع
الى طاعته ، ولم يزل كذلك الى أن توفي المنصور وولي ولده عبد الملك
المظفر ، فبايحه أيضا ودعا له على منابرہ ، فعزل المظفر واضحا عن
فاس وسائر بلاد المغرب وصرفه الى الأندلس ، وكتب الى المعز بن زيرى
ابن عطية بعهدہ ، على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب مدنه وبيواديہ ،
وذلك فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمئة ، وشرط له المعز أن يعطيه فى كل
سنة خيلا ودرقا ومالا معلوما يرصله الى قرطبة ، وأعطاه المعز مع ذلك
ولده معنصر رهينة ، فأقام معنصر بقرطبة الى أن قامت الفتنة
بالأندلس وانقضت الدولة العامرية ، والبقاء لله وحده ، ولامعبود سواه ،
فانصرف معنصر الى أبيه المعز (٦٨) ولم تزل بلاد المغرب أيام المعز فى
غاية الهدنة والعافية والرخاء والأمن الى أن توفي فى جمادى الاولى سنة
اثننتين وعشرين وأربعمئة (أبريل — ماي ١٠٣١ م) فكانت أيامه بالمغرب
ثلاثا وثلاثين سنة ، وولي بعده ولد عمه حمامة بن المعز بن عطية الزناتى
المغراوى ، وقال بعض المؤرخين ولي بعده ولده حمامة بن المعز بن زيرى ،

(68) سياى للمؤلف ما يخالف هذا ، انظر حوادث سنة تسع وثلاثمئة فى فصل
(الاحداث التى كانت فى أيام زناتة) الآتى .

ابن عطية وليس بصحيح ، وانما ذلك غلط ووهم منهم اذا اتفقت
أسمائهما وأسمى أباثهما ، وانما الوالى بعده ابن عمه حمامة بن المعز
ابن عطية المذكور ، وقيل انه لم يكن للمعز بن زيرى ولد الا معنصر خاصة

الخبر عن دولة الأمير حمامة بن المعز بن عطية

الزناتى المغراوى

هو حمامة بن المعز بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بن محمد بن
خزر الزناتى المغراوى الخزرى ، ملك المغرب بعد وفاة ابن عمه المعز بن
زيرى بن عطية المذكور ، فقام بأمر زناتة واستوطن مدينة فاس ، فقسام
عليه بمدينة سلا الأمير تميم بن زيرى (٦٩) بن يعلا بن محمد بن صالح
اليفرنى وزحف اليه الى مدينة فاس فى قبائل بنى يفرن ، فخرج اليه
حمامة بن المعز من مدينة فاس فى قبائل مغراوة ، فالتقا الجمعان ، فكان
بينهم قتال عظيم مات فيه خلق كثير من مغراوة ، وانهزم حمامة بن المعز
أمام تميم اليفرنى وفر الى مدينة وجدة من أحواز تلمسان ، ودخل
الأمير تميم الى مدينة فاس .

الخبر عن دولة الأمير تميم اليفرنى بمدينة فاس وأعمالها

وهي الدولة الأولى له بها

وهو الأمير أبو الكمال تميم بن زيرى بن يعلا الزناتى ثم اليفرنى
أمير بنى يفرن كلها فى وقته ، ملك مدينة فاس بعد هروب حمامة عنها

١٥٩ فى الأصل تميم بن تميم بن زيرى ، ولعل الصواب تميم بن أبى تميم . والى الله
المستشك من هذه الكثرة والألقاب .

ويهزيمته ، وذلك فى شهر جمادا الآخرة سنة أربع وعشرين وأربعمئة (ماي ١٠٣٣ م) فأوقع فيها باليهود ، فقتل منهم خلقا كثيرا يزيد على الستة ألاف يهودي ، وأخذ أموالهم وسبا نساءهم ، وكان تميم اليفرنى رجلا مصمما فى دينه الغالب عليه الجهل ، وكان مولعا بجهاد برغواطة ، كان يغزوهم فى كل سنة مرتين فيقتل منهم ويسبى ، فلم يزل على ذلك الى أن مات فى سنة ثمان وأربعين وأربعمئة ، فلما كانت سنة اثنتين وستين وأربعمئة وقتل ولده فى حرب لمتونة أتوا به ليدفوه الى جانب قبر أبيه تميم ، فسمعوا من قبره تكبيرا عظيما وتشهدا ، فنبشوا قبره فوجدوه لم يتغير منه شيء ، فأراه بعض قرابته فى النوم تلك الليلة وقال له : ماذاك التسبيح والتكبير والتشهد الذي سمعنا من قبرك ؟ قال ملائكة وكلهم الله تعالا بقبري يكبرون ويهللون ويسبحون ويكون أجر ذلك لى فلا يقطع لى عمل الى يوم القيامة ، قال له : وبسم نلت ذلك وبلغت من الله تعالا هاذي المنزلة حتى أكرمك هاذي الكرامة ؟ قال بجهادي فى الكفرة برغواطة وفعلى فيهم فى كل سنة ، فأقام الأمير تميم بمدينة فاس مدة من سبعة أعوام ، ووصل حمامة بن المعز الى وجدة فأقام بها سنة وقد تفرقت عنه جيوشه وتمزقت جموعه ، فلما رأى ذلك خرج من مدينة وجدة الى مدينة تنس ، وكتب الى قبائل مغراوة ، فاجتمعوا اليه بها ، وأقام حركة وزحف بجيوش مغراوة الى مدينة فاس فملكها ، وفر عنها تميم اليفرنى الى مدينة شالة ، وذلك فى دولته الثانية فى ذي الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمئة ، وأقام حمامة بن المعز على ملك مدينة فاس وكثير من أعمال المغرب ومدنه الى أن توفي فى سنة أربعين وأربعمئة فكانت أيامه بالمغرب ثمان عشرة سنة ، غلب فيها تميم اليفرنى بمدينة فاس نحو خمسة أعوام أو سبعة على اختلاف فى الروايات ، وولي بعد حمامة ولده دوناس .

الخبر عن دولة الأمير دوناس بن حمامة

هو دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المفاوي ، ولي بمدينة فاس وأحوازها وجميع ماكان بيد أبيه من أعمال المغرب ومدنه ، وكانت أيامه أيام دعة وهدنة ورخاء كثير ، وفي أيامه عظمت فاس وعمرت وكثرت أرباضها وقصدها الناس والتجار من جميع النواحي والبلاد ، فأدار دوناس السور على الأرباض ، وبنا المساجد والحمامات والفنادق ، فصارت حاضرة المغرب ، ولم يشغل دوناس من يوم ولي الى أن توفي الا بالبناء والتشييد ، وتوفي دوناس بمدينة فاس في شهر شوال من سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة (نوبر ١٠٦٠ م) ، فولي بعده ولده الفتح وعجيسة ، فكان الفتح على عدوة الأندلس ، وعجيسة على عدوة القرويين ، وكانت أيام دوناس بن حمامة اثنتين وعشرين سنة تنقص قليلا

الخبر عن دولة الأخوين الأميرين الفتح وعجيسة

ابني الأمير دوناس بن حمامة

لما توفي دوناس ولي بعده الفتح وهو الأكبر ، فاستوطن عدوة الأندلس من مدينة فاس ، وولا أخاه عجيسة على عدوة القرويين ، وكان أصغر منه سنا الا أنه كان شهما ، فقام عليه بعدوة القرويين ، فكان بينهما الحرب على الدوام ، وبنا الفتح بعدوة الأندلس قصبة منيعة بالموضع المعروف بالكذان ، وبنا أيضا أخوه عجيسة قصبة مثلها برأس عقبة الصعتر من عدوة القرويين ، وكثرت العداوة ، فكانا لايزالان يقتتلان ليلا ونهارا ، فكثر الخوف في أيامهما بالمغرب وغلت الأسعار واشتدت المجاعة وعظم الهرج وقويت الفتن في جميع نواحي المغرب ، وظهرت لتونة على أطراف البلاد فملكوها ، والحرب بين الأخوين عجيسة

والفتوح على الدوام والاستمرار ، ليس لأهل المدينة شغل الا القتال أثناء الليل وأطراف النهار الى أن ظفر الفتوح بأخيه عجيسة فقتله .

والفتوح بن دوناس هو الذى بنا باب الفتوح من مدينة فاس بسورها القبلى وبه عرفت الآن ، وأخوه عجيسة هو الذى بنا باب عجيسة من أبواب عدوة القرويين برأس عقبة الصعتر من ناحية الجوف وسماها باسمه ، فلما ظفر الفتوح بأخيه عجيسة وقتله أمر الناس بتغيير اسم الباب الذى بناه أخوه وترك اضافته اليه ، فأسقط الناس العين من عجيسة وأدخلوا عوضا منها الألف واللام ، فقالوا الجيسة ، فبقي ذلك الى الآن ، وكانت مدة اقامة الفتوح يحارب أخاه عجيسة ثلاثين متواليه الى أن دخل عليه عدوة القرويين ليلا بالغدر فقتله وملك العدوتين ، ولم يزل الفتوح على ملك مدينة فاس الى أن أثار لمتونة ، فنزلوا عليه وضيقوا عليه بالحصار والغارات ، فتخلا عنها ووليها ابن عمه معنصر بن حماد ابن معنصر بن المعز بن زيرى بن عطية ، وذلك فى سنة سبع وخمسين وأربعمئة ، وكانت أيام الفتوح خمسة أعوام وسبعة أشهر ، وكلها فى شدة وخوف ومجاعة وحرب وغلاء مفرط ، أعاننا الله واياكم منه .

الخبر عن دولة الأمير معنصر بن حماد بن معنصر

ابن المعز بن زيرى بن عطية المفاوى بمدينة فاس

لما تخلا الفتوح بن دوناس عن ملك مدينة فاس ولي ابن عم أبيه معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن زيرى بن عطية ، فبايعته قبائل مفاوة الذين بها ، وذلك فى شهر رمضان المعظم من سنة سبع وخمسين وأربعمئة (غشت ١٠٦٥ م) وكان معنصر ذا حزم ورأى وتديبر واقدام وشجاعة ونجدة ، فبقي أميرا على مدينتي فاس يحارب لمتونة الى أن اشتد عليه الأمر وعظمت الحروب فى بعض الوقائع ففقد ، فلا يدري

ما فعل الله به وذلك فى سنة ستين وأربعمئة (٧٠) ودخل اللمتونيون مدينة فاس مع أميرهم يوسف بن تاشفين الصنهاجى بعد فقد معنصر بن حماد بخمسة أيام ، وهى الدخلة الثانية (٧١) لهم بهادخلوها صلحا بالأمان فأقام الأمير يوسف بن تاشفين أياما ، ثم ارتحل عنها الى جبل غمارة وترك بها عامله فى مئة فارس من لتونة ، فأتا تميم بن معنصر فى جمع عظيم من زناتة ، فدخلها على من بقي من لتونة وقتلهم ومثل بهم بالحرق والصلب ، وأقام بها ملكها وضبطها ، ولم يزل يقاتل بها الى أن اشتد عليه الحصار فدخلها عليه الأمير يوسف بن تاشفين عنوة بالسيف بعد حروب كثيرة ، وهى الدخلة الثالثة (٧٢) الكبرا قتل بها من مغراوة وبنى يفرن فى جوامعها وأزقتها مايزيد على العشرين ألف رجل ، وذلك فى سنة اثنتين وستين وأربعمئة ، فكانت أيامه بها نحو سنيتين ، وكانت أيام مغراوة وبنى يفرن بالمغرب نحو مئة سنة ، وذلك من سنة اثنتين وستين وثلاثمئة الى سنة اثنتين وستين وأربعمئة وفى أيامهم تمدنت فاس وعظم شأنها . وبنيت الأسوار على أرباضها . وحصنت أبوابها . وزيد فى جامعها القرويين والأندلس ، زيادة كثيرة ، واتسع الناس فى أيامهم فى البناء ، فكبرت المدينة وكثرت الخيرات بها ، واتصل الأمن والرخاء بطول أيامهم الى أن ظهر المرابطون بالمغرب وقد ضعفت أحوال مغراوة ونقص ملكهم وجاروا على رعيتهم فأخذوا أموالهم وسفكوا دماءهم وتعرضوا لحرهم ، فانقطعت عنهم الموارد وكثر الخوف فى البلاد ، وغلت الأسعار ، وتبدل الرخاء بالشدة ، والأمن بالخوف ، والعدل بالجور ، وتوالا منهم ظلم وعدوان على رعيتهم ، وغلاء مفرط لم يسمع بمثله ، وفتنة شديدة ، فاتصل الجوع والغلاء ، وعمدت الأقوات فى مدينة فاس وأعمالها أيام الفتوح بن دوناس وأيام ابن عمه معنصر

(70) دخل المرابطون فاس الدخلة الأولى سنة 455 هـ .

(71) فى الأصل الدخلة الأولى .

(72) فى الأصل الدخلة الثانية .

وأيام ولده تميم بن معنصر الى أن بلغ الدقيق بمدينة فاس وغيرها من البلاد المغربية القريبة منها أوقية بدرهم ، وعمدت الأقوات فيها بالكلية ، فكان رؤساء مغراوة وبنى يفرن يدخلون على الناس فى ديارهم فيأخذون مايجدون فيها من الطعام ويتعرضون لنسائهم وصبيانهم ، ويأخذون أموال التجار ، فلا يقدر أحد ان يصددهم عن ذلك ولايتجراً أن يكلمهم فيه ، ومن لم يوافقهم فى شيء من ذلك أو صدهم عنه قتلوه ، وكان سفهاؤهم وعبيدهم يصعدون على جبل العرض (٧٣) فينظرون الى السديار التي بالمدينة ، فأبى دار رأوا فيها دخانا قصدوا اليها فدخلوها وأخذوا ما يجدون بها من الطعام ، فلما فعلوا ذلك سلبهم الله ملكهم ، وغير نعمته لديهم ، فان الله لا يغير نعمة قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فسلط الله عليهم المرابطين ، فأزالوا ملكهم وشتتوا جمعهم وقتلوه وأخرجوهم عن بلاد المغرب بأسره ، وفى أيام جورهم اشتد الجوع بالمغرب ، فاتخذ أهل فاس المطامير فى بيوتهم وديارهم للخنز والطحن والطبخ ليلا يسمعوها دوي الرجا ، وفيها أيضا اتخذوا غرفا لا أدراج لها ، اذا كان عشي النهار طلع الرجل فيها بسلم هو وعياله وأولاده ، ثم رفع السلم معه ليلا يدخل عليه فجأة .

الخبر عن الأحداث التي كانت بالمغرب

فى أيام زناتة من مغراوة وبنى يفرن

وذلك من سنة 380 إلى سنة 462

فى سنة احدا وثمانين وثلاثمئة كان قحط شديد ببلاد المغرب والأندلس وأفريقية ، جفت من أجله المياه جفوا كثيرا ، وجاء هاذة السنة بوادى سجلماسة سيل عظيم لم يعهد مثله ولم ير بتلك الأرض كلها فى

تلك السنة مطر ، فعجب الناس من ذلك .

وفيهما كانت المجاعة الشديدة بأفريقية والأندلس والمغرب ، ودامت
المجاعة ثلاث سنين ، من سنة تسع وسبعين الى سنة احدا وثمانين .

وفيهما ظهر نجم فى السماء ، وذلك فى ليلة الخميس الثالث والعشرين
من شهر رجب من العام المذكور (٥ أكتوبر ٩٩١ م) ، كان هذا النجم فى
رأى العين كالصومعة العظيمة ، طلع من جهة المشرق وتهاقت جريا من
بين المغرب والجوف ، وتطاير منه شرر عظيم فزع الناس منه ودعوا الله
تعالا فى صرف مكروهه عنهم ، وكسف بالشمس فى آخر هذا الشهر ،
قاله ابن الفياض فى كتاب القبس ، وقال ابن مزين : كان ذلك فى سنة
ثمانين وثلاثمئة .

وفى الآخر احدا وثمانين اغاث الله تعالا الأمة وتداركهم بالرحمة
ومطر الناس مطرا عاما ، واكلاأت الأرض وحطت الأسعار ، وحيى الناس
وانتعشت البيهائم والدواب .

وفيهما اتا الجراد الكثير فوق النهاية ، عم جميع بلاد الأندلس فسرح
بها ، وكان جله واكثره بقرطبة حتى كثر به الأذا وعظم به البلاء ، فأبرز
المنصور الأموال للناس وأمرهم بجمعه وعقره ، وجعل جمعه وظيفة كل
أحد بقدر طاقته ، وأفرد له سوقا لبيعه من جانب السوق ، وتمادا أمر
هذا الجراد ثلاث سنين من سنة احدا وثمانين وثلاثمئة الى آخر سنة
ثلاث وثمانين .

وفى سنة احدا وثمانين المذكورة نبذ يدو بن يعلا طاعة المنصور ابن
ابى عامر .

وفيهما ولي (عبد الرحمان) ابن ثعلبة عدوة الأندلس من فاس ، وولي
(علي) ابن قشوش عدوة القرويين .

وفيهما ولي الفقيه عامر بن القاسم قضاء المدينتين : الأندلس
والقرويين .

وفى سنة اثنتين وثمانين دخل يدو بن يعلا اليفرنى عدوة الأندلس
من فاس بالسيف .

وفيهما جاء السيل الطائل بقرطبة فأذهب أسواقها ، وعلا
على الزهراء

وفيهما كانت الريح الشديدة بالمغرب وهدمت الديار وأفسدت الثمار
وفيهما قطع المنصور ابن أبى عامر من الكتب خاتم المؤيد ، واقتصر
على خاتمه فسمي المؤيد من تلك السنة .

وفيهما كان الكسوف الذي أذهب القرص كله .

وفى سنة أربع وثمانين وأربعمئة ولد الفقيه الظاهرى أبو محمد
علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب مولي زيد بن أبى سفيان ، وله
تأليف جملة فى أنواع العلوم ، وتوفى سنة ست وخمسين وأربعمئة .

وفيهما توفي الفقيه الجليل موسى بن يحيى الصديقي .

وفى سنة خمس وثمانين كانت الرياح الهائلة التي هدمت المباني
بمدينة تلمسان وأحوازاها واقتلعت الأشجار العظام ونظر الناس إلى
البهائم تمر بين السماء والأرض ، نعوذ بالله من سخطه .

وفى سنة احدا وتسعين وثلاثمئة توفي الأمير زيري بن عطية وولي
بعده ولده المعز .

وفى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمئة توفي المنصور بن أبى عامر ملك
الأندلس فى شهر رمضان منها وهو بالثغر قافلا من غزوة له ، فدفن فى
مدينة سالم ولحد فى الغبار الذى كان يعلوه فى غزواته ، فانه كان اذا
خرج الى غزوة تنفض أثوابه فى عشي كل يوم على أنطاخ من جلد ،
ويضم مايقع منها من الغبار ، فاجتمع له من ذلك كثير ، فلما مات لحد
فيه وكان سنه يوم توفي خمسا وستين سنة .

وفى سنة تسع وتسعين وثلاثمئة توفي ولده عبد الملك الوالى بعده
مسموما ، وولي بعده أخوه عبد الرحمان ، فبعث اليه المعز بن زيرى بن

عطية بهدية عظيمة ، فيها مئة وخمسون فرسا ، وكان ولده معنصر مرتهنا عنده بقرطبة ، فأحضر العاجب عبد الرحمان ابن المنصور معنصر بن المعز حين وصلته الهدية ، فخلع عليه وعلى الرسل الذين قدموا عليه بالهدية وبعثه الى ابيه مكرما (٧٤) فجمع المعز كل فرس كان عنده وبعث به الى قرطبة وكان مبلغها تسعمئة فرس ، ولم تصل من المغرب الى الأندلس هدية أعظم منها •

وفى سنة احدا وأربعين وثلاثمئة توفي الفقيه القاضى العدل الورع الصالح عبد الله بن محمد ابن محسود الهوارى (٧٥) بمدينة فاس وولى القضاء مكانه بها الفقيه العالم القاضى العدل محمد بن أبى شعيب ، فبقي على قضاء مدينة فاس ستا وعشرين سنة الى أن قتل هو وبنوه ، قتلهم الأمير دوناس بن حمامة المغراوي ، وكان القاضى ابن محسود من قضاة العدل وأئمة الفضل زاهدا فى الدنيا مقبلا على الله تعالى على قدم التجريد ، لما مات لم يترك غير سجادة مصلاه وقعب يتوضأ فيه ومصحفه الذى كان يقرأ فيه رحمه الله تعالى •

وفى سنة ثلاث وأربعمئة غلب الأمير المعز بن زيرى بن عطية على مدينة سبلماسة •

وفى سنة ست وأربعمئة طلع الكوكب الوقاد فى السماء ، وكان عظيم الجرم كثير الضياء ، يطلع فى الأفق الشرقى ، قال بعض المنجمين ان ذالك النجم يعرف بالضيء من ذوات الأذئاب ، وهو نجم هائل المنظر مفرط الضياء شديد الاضطراب والحركة ، له ذوائب أربع محددة الاطراف ، وهو أحد النيرات الاثني عشر الذى ذكرها الأوائل ، ورصدها علماءهم فى المدة الطويلة ، وزعموا أنه لا يظهر منها كوكب الا لقضية يحدثها فى العالم ، والله أعلم بغيبه ، وكان ابتداء ظهوره فى أول شعبان من سنة ست وأربعمئة المذكورة ، طلع أول ظهوره قبل وقت المغرب

(74) هاذا مخالف لما تقدم .

(75) انظر ترجمته فى التشوف ع 17 و سلوة الأنفاس 3 : 160 و جلوة الاقتباس ص 235 .

ثم تقهقر الى أن طلع فى الليل ، وأقام مدة من ستة أشهر ثم غاب ، وكان بهاذة السنة رياح كثيرة وبروق خاطفة وعود قاصفة دون مطر .

وفى سنة سبع وأربعمئة انقرضت الدولة الاموية بالأندلس ، وقامت بها الدولة الحمودية ، وكان مبلغ مدتهم بها مئتي سنة وستين سنة وثلاثة وأربعين يوما .

وفيهما كان بالمغرب والأندلس وأفريقية قحط شديد ومسغبة عامة ووباء كثير .

وفى سنة احدا عشرة وأربعمئة اشتد القحط ببلاد المغرب كلها من تيهرت الى سجلماسة ، وكثر الفناء فى الناس .

وفيهما ظهر الثوار على بلاد الأندلس ، وبدأت بها ملوك الطوائف ، واستبد كل واحد منهم بجهة .

وفى سنة ثلاث عشرة وأربعمئة توفي الفقيه عبد الرحيم ابن العجوز بفاس (٧٦) .

وفى سنة خمس عشرة كانت الزلزلة العظيمة ببلاد الأندلس التي هدمت الجبال واضطربت بها الأرض وهدمت الديار من شدتها .

وفى سنة اثنتين وعشرين وأربعمئة توفي الأمير المعز بن زيري بن عطية بفاس ووليها حماسة ابن عمه .

وفى سنة ثلاثين وأربعمئة توفي الفقيه أبو عمران الفاسى رحمه الله فى مدينة القيروان .

وفى سنة احدا وثلاثين وأربعمئة توفي القاضى اسماعيل بن عباد القائم باشبيلية .

وفى سنة ثمان وأربعين وأربعمئة دخل الامير أبو بكر بن عمر

(76) فى الأصل وفى سنة سبع عشرة وأربعمئة ، انظر ترجمة عبد الرحيم ابن العجوز فى شجرة النور الزكية I : 115 وانظر بيانات فاس الكبرى ص 41 - 68 .

اللمتوني المغرب .

وفى سنة احدا وخمسين وأربعمئة قتل الفقيه عبد الله بن ياسين
الجزولى مهدى لمتونة ، قتله مجوس برغواطة ، فمات شهيدا .
وفى سنة اثنتين وخمسين دخل المهدي بن كلاتو بن توالى مدائن
مكناسة .

الخبر عن ظهور الدولة المرابطية اللمتونية

قيامها بالمغرب والقبلة وبلاد الأندلس

وذكر ملوكهم ومدة أيامهم إلى انقضائها وذهابها

ذكر محمد بن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني صاحب كتاب
الاكلیل فی الدولة الحميرية أن لمتونة فخذ من صنهاجة ، وصنهاجة فخذ
من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير ، وأن الملك أفرقيش بن أبرهة ذى
المنار بن الحرث الرائش بن شداد بن اللطاط بن عمرو بن الصوار بن
عبد شمس بن وائل بن حمير لما ملك حمير خرج غازيا نحو بلاد المغرب ،
وأرض أفريقية ، فلما توغل بالمغرب بنا مدينة أفريقية ، وهي مشتقة من
اسمه ، وخلف بها من قيائل حمير وزعمائها صنهاجة ليردوا البربر على
شاكرتهم ويأخذوا خراجهم ويدبروا أمرهم .

وروا أبو عبيدة عن ابن الكلبي أن أفرقيش لما نقل البربر عن الشام
ومصر الى المغرب وبنا مدينة أفريقية وأنزل العرب منازلهم من المغرب
ترك فيه قبيلتين من دهاته ، وهما صنهاجة وكناسة ، فهما فى البربر
الى اليوم .

وقال الزبير بن بكار أن صنهاج أيا صنهاجة ابن حمير بن سبأ
ولد حمير بن سبأ لصلبه .

وقال أبو فارس عبد العزيز اللزوزى الشاعري رحمه الله فى

ارجوزته فى التاريخ المسماة بنظم السلوك فى الأنبياء والخلفاء والملوك (٧٧)
مرابطون أصلهم من حمير قد بعدت أنسابهم عن مضر
كانوا ملوكا فى الزمان الأول وأمرهم وحالهم لم يجهل
وقد رأيت فى كتاب النسب قولا به أعجز أهل الأدب
بان صنهـاج سليل حمير وهو ابنه لصلبه لا العنصر
أكرم به من نسب صريـح فقله لا تخف من التصريح
عدلهم وفضلهم مشهور ومجدهم وسعدهم مذكور
قد خلفوا من بعدهم حسن الثنا فى غربنا وبلغوا فيه المنا
وقيل صنهـاج فخذ من هـوارة ، وهـوارة فخذ من حمير يمانيون من
ولد الصوار بن وائل من حمير ، وانما سموا هـوارة لأن أباهم المشهور لما
جال فى البلاد ووقع بالمغرب بقبلة القيروان من بلاد أفريقية قال : لقد
تهورت فى البلاد ، فسموا هـوارة بذلك والله أعلم .

وتنقسم صنهـاجة على سبعين قبيلة ، منهم لمتونة ، وكدالة ، ومسوفة
ولطة ، ومسراتة ، وتكلاتة ، ومنداسة ، وبنى وارث ، وبنى مسفير ،
وبنى دخير ، وبنى زياد ، وبنى موسا ، وبنى لماس ، وبنى فشتال ، وفى
كل قبيلة بطون وأفخاذ وقبائل أكثر من أن تحصى ، وهـاذه القبائل كلها
صحراوية ، حوز بلادهم فى القبلة مسيرة سبعة أشهر طولا ومسيرة
أربعة أشهر عرضا ، من نول لطة الى قبلة القيروان من بلاد أفريقية ،
وهي مابين بلاد البربر وبلاد السودان ، ومنهم قوم لايعرفون حرثا ولا
زرعا ولا ثمارا ، وانما أموالهم الأنعام ، وعيشهم اللحم واللبن ، يقيم
أحدهم عمره لا يأكل خبزا الا ان يمر ببلادهم التجار فيتحقونهم بالخبز
والدقيق ، وكثيرهم على السنة والجماعة يجاهدون السودان .

وكان أول ملك منهم بالصحراء يتلوتان بن تلاكاكين الصنهـاجى
اللمتونى ، ملك بلاد الصحراء بأسرها ، ودان له بها أزيد من عشرين

ملكا من ملوك السودان ، كلهم يؤدون له الجزية ، وكان عمله مسيرة ثلاثة أشهر فى مثلها ، كلها عامرة ، وكان يركب فى مئة ألف نجيب ، وكان فى أيام الامام عبد الرحمان القائم بالاندلس ، ودامت أيامه وطال عمره نحو من ثمانين سنة الى أن توفي فى سنة اثنتين وعشرين ومئتين فكانت أيامه خمسا وستين سنة ، فولى بعده حفيده الأثير بن فطر بن يتلوتان المذكور ، فقام بأمر صنهاجة الى أن توفي سنة سبع وثمانين ومئتين ، فكانت أيامه خمسا وستين سنة ، فولى بعده ولده تميم بن الأثير ، فأقام ملكا على قبائل صنهاجة الى سنة ست وثلاثمئة ، فقامت عليه أشياخ قبائل صنهاجة ، فقتلوه واقترق أمرهم ، فلم يجتمعوا على أحد بعده ، فاختلفت كلمتهم ، وتفرقت أهواؤهم مدة من مئة وعشرين سنة ، الى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفات المعروف بتارشتا اللمتونى ، فاجتمعوا عليه وقدموه على أنفسهم ، وكان من أهل الدين والفضل والصلاح والحج والجهاد ، فأقام أميرا على صنهاجة مدة من ثلاثة أعوام الى أن استشهد فى غزاة له بموضع يقال له بغارة ، وهم قبائل من السودان يسكنون بمقربة من مدينة تاتكلاتين غربا منها ، كانوا على دين اليهودية ، ومدينة تاتكلاتين يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون ببني وارث ، وهم قوم صالحون على السنة والجماعة ، واسلموا على يد عقبة بن نافع الفهري أيام فتحه للمغرب ، وهم يجاهدون السودان الذين هم على غير الاسلام ، فلما توفي الأمير أبو عبد الله بن تيفات اللمتونى ولي أمر صنهاجة بعده صهره يحيى بن ابراهيم الكدالى .

الخبر عن دولة الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالى وقيامه بأمر صنهاجة

ولي الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالى بعد وفاة محمد بن قارشيتا للمتونى ، وكدالة ولتونة اخوة يجتمعون فى أب واحد ، وهم يسكنون آخر بلاد الاسلام ، ويجاريون السودان ، ويليه من جهة المغرب البحر المحيط ، فأقام الأمير يحيى بن إبراهيم على رئاسة صنهاجة وحروبهم مع أعدائهم الى سنة سبع وعشرين وأربعمئة ، فاستخلف ولده إبراهيم بن يحيى على رئاسة صنهاجة وحروبهم مع أعدائهم ، وارتحل الى المشرق برسم حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه السلام ، فوصل وقضا حجه وزيارته وقصد الى بلاده ، فمر فى طريقه بمدينة القيروان فلقى بها الفقيه الصالح أبا عمران موسى بن الحاج الفاسى ، كان قد رحل من مدينة فاس فاستوطن القيروان يأخذ عن أبى الحسن القابسى ، ثم رحل الى بغداد ، فحضر بها مجلس الفقيه القاضى أبى بكر بن الطيب ، فأخذ عنه علما كثيرا ، ثم عاد الى القيروان ، فلم يزل بها الى أن توفي رحمه الله لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المعظم سنة ثلاثين وأربعمئة فلما وصل يحيى بن إبراهيم الكدالى الى القيروان ألفا بها إياهم الفاسى يدرس العلم ، فجلس اليه وسمع منه ، فأراه أبو عمران محبا فى الخير فأعجبه حاله ، فسأله عن اسمه وبلده ونسبه فأخبره بذلك وأعلمه بسعة بلاده وما فيها من الخلق ، فقال له وما يتحلون من المذاهب ؟ فقال له انهم قوم غلب عليهم الجهل وليس لهم كثير علم ، فاخبره الفقيه وسأله عن واجبات دينه ، فلم يجده يعرف منها شيئا ، ولا يحفظ من الكتاب والسنة حرفا ، الا أنه حريص على التعلم ، صحيح النية والعقيدة واليقين ، جاهل بما يصلح دينه ، فقال له ما يمنعك من التعلم للعلم ؟ فقال له ياسيدي ان أهل بلادي قوم عمهم الجهل ، وليس فيهم من يقرأ القرآن ، وهم مع ذلك يحبون الخير ويرغبون فيه ويسارعون اليه لو وجدوا من يقرئهم

القرآن ويدرس لهم العلم ويفقههم في دينهم ، ويدعوهم الى العمل بالكتاب والسنة ويعلمهم شرائع الاسلام ، ويبين لهم سنن النبي عليه السلام ، فلو بغيت الثواب من الله تعالى بتعليمهم الخير لبعثت معي الى بلادنا بعض طلبتك وتلاميذك يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين ، فينتفعون به ويسمعون له ويطيعون فيكون لك في ذلك الأجر العظيم والثواب الجسيم عند الله ، اذ تكون سببا لهدايتهم ، فندب الشيخ الفقيه أبو عمران تلاميذه الى ذلك فامتنعوا وأشفقوا من دخول الصحراء ، ولم يجبه منهم أحد ممن يرضاه الشيخ ، فلما يئس منهم قال : اني أعرف ببلاد نفيس من أرض المصادمة فقيها حاذقا تقيا ورعا لقينى هنا واخذ عنى علما كثيرا وعرفت ذلك منه ، واسمه واجاج بن زلو اللمطى من أهل السوس الأقصى ، وهو الآن يتعبد ويدرس العلم ويدعو الناس الى الخير في رباط هنالك ، وله تلاميذ جمة يقرءون عليه العلم ، اكتب له كتابا لينظر في تلاميذه من يبعثه معك فسر اليه ، فعنده تجد ما تريد ، فكتب اليه الفقيه أبو عمران كتابا فيه : سلام عليكم ورحمة الله ، أما بعد اذا وصلتك حامل كتابي هذا وهو يحيى بن ابراهيم الكدالى فابعث معه الى بلاده من طلبتك من تثق بدينه وورعه وكثرة علمه وسياسته ليعلمهم القرآن وشرائع الاسلام ويفقههم في دينهم وله ولك في ذلك الثواب والأجر العظيم ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، والسلام ، فسار يحيى بن ابراهيم الكدالى بكتاب أبي عمران حتى وصل الى الفقيه واجاج بن زلو اللمطى بمدينة نفيس ، فسلم عليه ودفع اليه الكتاب ، وذلك في شهر رجب الفرد في سنة ثلاثين وأربعمئة فقرأ الفقيه واجاج بن زلو الكتاب ، وجمع تلامذته فقرأ عليهم ، وندبهم لما أمره به الشيخ أبو عمران القاسى ، فانتدب لذلك رجل منهم جزولى النسب يعرف بعبد الله بن ياسين الجزولى ، وكان من حذاق الطلبة الأذكياء النبهاء النبلاء من أهل الدين والفضل والتقا والورع والفقه والأدب والسياسة ، مشاركا في العلوم ، فخرج مع يحيى بن ابراهيم حتى وصل بلاد كدالة ، فالتقاء قبائل كدالة وملتونة بالسرور وفرحوا به غاية ، وبالفوا في اكرامه وبره .

الخبر عن دخول الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى صنهاجة وقيامه بها مع لمتونة والمرابطين من قبائل صنهاجة

هو الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى المجاهد الم رابط الورع الزاهد
الصوام القوام ، مهدي المرابطين .

لما وصل بلاد كدالة مع ابراهيم بن يحيى الكدالى فرح به قبائل لمتونة
وأكرموه وعظموه لما ذكر لهم يحيى عنه من العلم والفضل ، وكان يحيى قد
أنزله معه ، فوجد عنده تسع نسوة ، فسأله عنهن ، فقال : هن زوجاتي ،
فقال له الفقيه : هاذا شيء لايجوز فى دين الاسلام ، وانما يجوز لك أربع،
ففارق خمساً ، فأجابه بالسمع والطاعة وفارقهن ، ثم قال له ان جميع
الرؤساء من كدالة و لمتونة على مثل حالى ، فأنذرهم وعرفهم حكم الله ،
فخرج الفقيه عبد الله بن ياسين ويحيى معه وجمع الرؤساء فقال لهم :
بلغنى أنكم تتزوجون بما شئتم من النساء ، حتى ان الشخص منكم يجمع
بين العشرة ، وليس هاذا من السنة ، وانما السنة والاسلام أن يجمع
الرجل بين أربع نسوة حرائر ، وله سعة فيما شاء من ملك اليمين ، ثم
جعل يعلمهم الدين ويبين لهم شرائع السنة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن
المنكر ، فلما رأوه قد شدد عليهم فى ترك ما هم عليه من المنكرات تيسرأوا
منه وهجروه ونافروه وثقل ذلك عليهم ، ومع ذلك فانه وجد أكثرهم
لا يصلون ولا يزكون وليس عندهم من الاسلام الا الشهادة ، وقد غلب عليهم
الجهل ، فلما رأى عبد الله بن ياسين أعراضهم واتباعهم أهواءهم أراد
الرجيل عنهم الى بلاد السودان الذين دخلوا فى الاسلام اذ كان الاسلام
بها قد ظهر ، فلم يتركه يحيى بن ابراهيم الكدالى ، وقال له انى لاتركك
تنصرف ، وانما اتيت بك لأنتفع بعلمك فى خاصة نفسي ودينى ، وما علي
فيمن ضل من قومي ، ولكن ياسيدي هل لك فى رأي أشير به عليك ان كنت
تريد الأخيرة ، قال وما هو ؟ قال : ان هاهنا فى بلادنا جزيرة فى البحر
اذا انحسر البحر دخلنا اليها على أقدامنا ، واذا امتلأ دخلناها فى

الزوارق ، وفيها الحلال المحض الذي لا شك فيه من أشجار البرية وصيد
البر وأصناف الطير والوحش والحوث ، فندخل اليها فنعيش فيها بالحلال
ونعبد الله تعالى حتي نموت ، فقال ، فقال له عبد الله بن ياسين هاذا
أحسن ، فهل بنا تدخلها على اسم الله ، فدخلها ودخل معها سبعة
نفر من كدالة ، فابتنوا بها رابطة ، وأقام بها مع أصحابه يعبدون الله تعالى
مدة من ثلاثة أشهر ، فتسامع الناس بأخبارهم ، وأنهم يطلبون الجنة
والنجاهة من النار ، فكثر الوارد عليهم والتوايون فأخذ عبد الله بن ياسين
يقرئهم القرآن ويستميلهم الى الآخرة ويرغبهم في ثواب الله تعالى
ويحذرهم اليم عذابه حتى تمكن حبه منهم في قلوبهم ، فلم تمر عليهم أيام
حتى اجتمع له من تلاميذه نحو ألف رجل من اشراف صنهجة ، فسامهم
المرابطين للزومهم رابطته ، وأخذ هو يعلمهم الكتاب والسنة والوضوء
والصلاة والزكاة وما فرض الله عليهم من ذلك ، فلما تفقهوا في ذلك
وكثروا قام فيهم خطيبا ، فوعظهم وشوقهم الى الجنة ، وخوفهم من النار ،
وأمرهم بتقوا الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأخبرهم بما في
ذلك من ثواب الله تعالى وعظيم الأجر ، ثم دعاهم الى جهاد من خالفهم
من قبائل صنهجة ، وقال لهم : يامعشر المرابطين انكم جمع كثير ، وانتم
وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم ، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم الى
صراطه المستقيم ، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأمروا بالمعروف
وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، فقالوا ايها الشيخ
المبارك : مرنا بما شئت تجننا سامعين مطيعين ، ولو أمرتنا بقتل آبائنا
لفعلنا ، فقال لهم اخرجوا على بركة الله ، وأنذروا قومكم ، وخوفوهم
عقاب الله ، وأبلغوهم حجتة ، فان تابوا ورجعوا الى الحق وأقلعوا عماهم
عليه فخلوا سبيلهم ، وان أبوا من ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في
طغيانهم استعنا بالله تعالى عليهم ، وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا ،
وهو خير الحاكمين فسار كل رجل منهم الى قومه وعشيرته ، فوعظهم
وأنذرهم ودعاهم الى الاقلاع عماهم بسبيله ، فلم يكن منهم من يقبل ولا
يرجع ، فخرج اليهم عبد الله بن ياسين . فجمع اشراف القبائل ورؤساءهم

وقرأ عليهم حجة الله ودعاهم الى التوبة وخوفهم عقاب الله ، فأقام يحذرهم سبعة أيام وهم فى كل ذلك لا يلتفتون الى قوله ولا يزدادون الا فسادا ، فلما يئس منهم قال لأصحابه : قد أبلغنا الحجة وأنذرنا ، وقد وجب علينا الان جهادهم ، فاغزوهم على بركة الله تعالا ، فبدأ أولا بقبيلة كدالة ، فغزاهم فى ثلاثة آلاف رجل من المرابطين ، فانهزموا بين يديه ، فقتل منهم خلقا كثيرا وأسلم الباقيون اسلاما جديدا وحسنت حالهم ، وأدوا ما يلزمهم من جميع ما فرض الله عليهم وذلك فى شهر صفر سنة أربع وثلاثين وأربعمئة ، ثم سار الى قبائل لتونة فنزل بهم وقايلهم حتى ظهر عليهم وأذعنوا الى الطاعة وتابوا ، وبايعوه على اقامة الكتاب والسنة ، ثم سار الى قبائل مسوفة فغزاهم حتى اذعنوا وبايعوه على ما بايعته قبائل لتونة وكدالة ، فلما رأى ذلك قبائل صنهاجة ولتونة سارعوا الى التوبة والى مبايعته وأقروا له بالسمع والطاعة ، فكان كى من أقبل اليه تائبا منهم طهره بأن يضربه مئة سوط ثم يعلمه القرآن وشرائع الاسلام ويأمره بالصلاة والزكاة واخراج العشر ، وجعل لذلك بيت مال يجمعه فيه ، وأخذ يركب منه الجيوش ويشترى السلاح ويغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد الصحراء واستولا على قبائلها ، وجمع أسلاب المقتولين فى ذلك الغزو وجعلها فيئا للمرابطين ، وبعث بمال عظيم مما اجتمع عنده من الزكاة والأعشار والأخماس الى طلبة بلاد المصامدة وقضاتها ، واشتهر أمرهم فى جميع بلاد الصحراء وبلاد القبلة وبلاد المصامدة وسائر بلاد المغرب ، وأنه قام رجل بكدالة يدعو الى الله والى طريق مستقيم ويحكم بما أنزل الله ، وأنه متواضع زاهد فى الدنيا ، واشتهر ذلك ببلاد السودان ، وتوفي يحيى بن ابراهيم الكدالى ، فأراد عبد الله بن ياسين أن يقدم غيره فى موضعه ليقوم بحروبهم ، وكان اكثر قبائل صنهاجة طاعة لله تعالا ودينا وصيلا لمتونة ، فكان عبد الله بن ياسين يكرمهم ويشرفهم ويقدمهم على قبائل صنهاجة ، وذلك لما أراد الله من ظهور أمرهم وتملكهم على المغرب والأندلس ، فجمع عبد الله بن ياسين رؤساء القبائل من صنهاجة ، فقدم عليهم يحيى بن عمر

اللمتونى وأمره على سائرهم ، وعبد الله بن ياسين هو الأمير على الحقيقة ، لأنه هو الذي يأمر وينها ويعطى ويأخذ ، فكان الأمير يتولا النظر فى أمر حروبهم ، وعبد الله بن ياسين ينظر فى ديانتهم وأحكامهم ويأخذ زكاتهم وأعشارهم .

الخبر عن دولة الأمير يحيى بن عمر بن تلاكين الصنهاجى اللمتونى

لما قدّم عبد الله بن ياسين يحيى بن عمر اللمتونى الم رابط وكان من أهل الدين المتين والفضل والورع والزهد فى الدنيا والصلاح ، أمره بالجهاد ، وكان يحيى شديد الانقياد لعبد الله بن ياسين ، كثير الطاعة له فيما يأمره به وينهاه عنه ، فمن حسن طاعته له أنه قال له يوما وجب عليك أدب ، قال له فيم ياسيدي ؟ قال له لا أعرفك به حتى أخذه منك ، فكشف له عن بشرته ، فضربه عشرين سوطا ، ثم قال له انما ضربتك لأنك بأشرت القتال واصطليت الحرب بنفسك ، وذلك خطأ منك ، فان الأمير لا يقاتل ، وانما يقف ويحرض الناس ويقوى نفوسهم ، فان حياة الأمير حياة عسكره ، وموته فناء جيوشه ، فاستولا الأمير يحيى على جميع بلاد الصحراء ، وغزا بلاد السودان ففتح كثيرا منها ، فلما كان فى سنة سبع وأربعين وأربعمئة اجتمع فقهاء سجلماسة وفقهاء درعية وصلحاهم فكتبوا الى الفقيه عبد الله بن ياسين والى الأمير يحيى بن عمر وأشياخ الم رابطين كتابا يرغبون منهم الوصول لبلادهم ليطهروها مما هي فيه من المنكرات وشدة العسف والجور ، وعرفوهم بما هم فيه بها أهل العلم والدين وسائر المسلمين من الذل والصغار والجور مع أميرهم مسعود بن وانودين الزناتى المغراوي ، فلما وصل الكتاب لعبد الله بن ياسين جمع رؤساء الم رابطين وقرأ عليهم الكتاب وشاورهم فى الأمر ، فقالوا له أيها الشيخ الفقيه هاذا مما يلزمنا ويلزمك ، فسر بنا على بركة

الله تعالى ، فأمرهم بالجهاز ، وخرج بهم فى الموفى عشرين أصفى سنة سبع وأربعين وأربعمئة (الأحد ٢١ ماي ١٠٥٥ م) فى جيش عظيم من المرابطين ، فسار حتى وصل بلاد بيرة فوجد بها عامل أمير سبلماسة ، فأخرجه عنها ، ووجد بها خمسين ألف ناقة كانت بها فى مراعيها لصاحب سبلماسة مسعود المغراوى ، فعلم الأمير مسعود بذلك ، فجمع جيوشه وخرج نحوهم ، فالتقا الجمعان فكانت بينهم حروب عظيمة منح الله تعالى المرابطين فيها النصر على مغراوة ، فقتل مسعود بن وانودين المغراوى وأكثر جيوشه وفر الباقون ، فأخذ عبد الله بن ياسين أموالهم ودوابهم وأسلمتهم مع الابل التي أخذ فى درعة ، فأخرج منه خمس جميعه ففرقه فى فقهاء سبلماسة ودرعة وصلحائهما ، وقسم الباقي على المرابطين ، وارتحل من فورهِ حتى دخل مدينة سبلماسة فقتل من وجد بها من مغراوة ، وأقام بها حتى هدنها وأصلح أحوالها ، وغير ما وجد بها من المنكرات ، وقطع الزامير ، وأحرق الديار التي كانت تباع بها الخمر ، وأزال المكوس ، وأسقط المغارم المخزنية ، وترك ما أوجب الكتاب والسنة تركه ، وقدم عليها عاملا من لمتونة وانصرف الى الصحراء ، وتوفي الأمير يحيى بن عمر فى جهاد كان ببلاد السودان ، فقدم الفقيه عبد الله ابن ياسين فى مكانه أخاه أبا بكر بن عمر اللمتونى ، وذلك فى شهر المحرم سنة ثمان وأربعين وأربعمئة (مارس - ابريل ١٠٥٦ م) .

الخبر عن دولة الأمير أبى بكر بن عمر اللمتونى المرابط

لما توفي يحيى بن عمر قدم عبد الله بن ياسين عوضا منه أخاه أبا بكر بن عمر وقلده أمر الحرب ، فندب المرابطين الى غزو بلاد الحامدة وبلاد السوس ، فخرج اليها فى جيوش عظيمة وذلك فى شهر ربيع الثانى من سنة ثمان وأربعين وأربعمئة ، وكان الأمير ابو بكر رجلا صالحا متورعا ، فجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتونى ، ثم

سار حتى وصل الى بلاد السوس ، فغزا بلاد جزولة ، وفتح مدينة ماسة ومدينة رودانة وجميع بلاد السوس ، وكان برودانة قوم من الروافض يقول لهم البجلية منسوبين الى عبد الله البجلى الرافضى ، كان قدم الى السوس حين قدم عبيد الله الشيعى الى افريقية ، فأشاع هنالك مذهبهم فورثه بعده جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن لايرون الحق الا مافى أيديهم ، فقاتلهم الأمير ابوبكر بن عمر وعبد الله بن ياسين حتى فتح مدينتهم عنوة ، وقتل بها من الروافض خلق كثير ، فرجع من بقي منهم الى السنة وأخذ أموال من قتل منهم فجعلها فيئا للمرابطين ، وأظهر الله المرابطين وأعلا كلمتهم ، ففتحوا معاقل بلاد السوس ، وأطاعتهم جميع قبائلها ، فأخرج عبد الله بن ياسين عماله على نواحيها ، وأمرهم باقامة العدل واطهار السنة فيها وألزمهم اعطاء الزكاة والعشر ، وأسقط ما سوى ذلك من المغارم الحديثة ، وارتحل الى بلاد المصامبة ففتح جبل درن ، وفتح أيضا بلاد رودة ؟ وفتح مدينة شيشاوة بالسيف ، ثم فتح بلاد فيس وسائر بلاد كدميوة ، وأتاه قبائل رجراجة وحاحة فبايعوه ، وارتحل الى مدينة أغمات وبها يومئذ أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوى ، فنزل عليها وضيق عليه الحصار وقاتله أشد القتال ، فلما رأى لقوط مالا ضيقة له به أسلمها له وفر عنها ليلا هو وجميع حشمه الى ناحية تادلة ، فنزل في حما بنى يفرن أربابها ، ودخل المرابطون مدينة أغمات ، وذلك في سنة تسع وأربعين وأربعمئة ، فأقام عبد الله بن ياسين بمدينة اغمات نحو الشهرين حتى استراح المرابطون ، ثم خرج بهم الى غزو تادلة ففتحها وقتل من وجد بها من بنى يفرن ملوكها وظفر بلقوط المغراوى فقتله ، ثم سار الى بلاد تامسنا ففتحها ، فأخبر أن بساحلها قبائل براغواطة في عدد عظيم وأنهم مجوس كفار .

الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين مجوس برغواطة

وذكر مذهبهم السخيف وديانتهم الخسيسة

لما وصل عبد الله بن ياسين الى بلاد تامسنا أخبر أن بساحلها قبائل برغواطة على أمم لاتحصى ، وأنهم مجوس أهل ضلال وكفر ، وأخبر بديانتهم الخسيسة التي تمسكوا بها ، وقيل له : ان برغواطة قبائل كثيرة ، وليس لهم أب واحد وأم واحدة ، وانما هم أخلاط من قبائل شتا من البربر اجتمعوا الى صالح بن طريف القائم بتامسنا حين ادعا النبوة فى أيام هشام بن عبد الملك بن مروان ، وكان أصله لعنه الله من برباط حصن من عمل شذونة من بلاد الاندلس ، فكان يقال لمن تبعه ودخل فى ديانته برباطى ، فعربته العرب وقالوا برغاطى ، فسموا برغواطة ، وكان صالح ابن طريف الذى ادعا فيهم النبوة ، رجلا خبيثا يهودي الأصل ، من ولد شمعون بن يعقوب عليه السلام ، نشأ برباط من بلاد الاندلس ، ثم رحل الى المشرق ، فقرأ على عبيد الله المعتزلى القدرى ، واشتغل بالسحر ، فجمع منه فنونا كثيرة ، وقدم المغرب فنزل بلاد تامسنا ، فوجد بها قبائل من البربر جهالا ، فأظهر لهم الاسلام والزهد والورع ، وأخذ يعقولهم واستمالهم بسحره ولسانه ، وأراهم من نيرجه (٧٨) وتمويهاته ، فاستفواهم بذلك وأقروا بفضله واعترفوا بولايته ، فقدموه على أنفسهم ، وصدروا عن رأيه فى جميع أمورهم ، ووقفوا عند أمره ونهيه ، فادعا النبوة وتسموا بصالح المؤمنين ، وقال لهم : انا صالح المؤمنين الذى ذكره الله فى كتابه العزيز الذى أنزله على محمد عليه السلام ، وشرع لهم الديانات التى أخذوها عنه ، وذلك سنة خمس وعشرين ومئة ، وكان الضلال الذى شرع لهم أنهم يقرون بنبوته ، وأنهم يصومون شهر رجب ، ويأكلون شهر رمضان ، وفرض عليهم عشر صلوات : خمس بالليل

وخمس بالنهار ، وأن الأضحية واجبة على كل من تبعه فى الحادي والعشرين من المحرم ، وشرع لهم فى الوضوء غسل السرة والخاصرتين ، وصلاتهم ايماء لاسجود فيها ، ويسجدون فى آخر ركعة خمس سجدات ، ويقولون عند الطعام والشراب باسم ياكش وزعم أن تفسيره باسم الله ، وأمرهم أن يخرجوا العشر من جميع الثمار ، وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ماشاء ، ولايتزوج من بنات عمه ، ويطلقون ويراجعون ألف مرة فى اليوم فلا تحرم المرأة بشيء من ذلك ، وأمرهم بقتل السارق حيث وجد ، وزعم أنه لايطهره من ذنبه الا السيف ، وأمرهم بالدية من البقر ، وحرم عليهم رأس كل حيوان ، والدجاجة مكروه أكلها ، وقدوتهم فى الأوقات الديكة ، وحرم عليهم ذبحها وأكلها ، ومن ذبح ديكا وأكله أعتق رقبة ، وأمرهم أن يلحسوا بصاق ولاتهم تبركا به ، فكان يبصق فى أكفهم فيلحسونه تبركا ويحملونه الى مرضاهم يستشفون به ، ووضع لهم قرأنا يقرأونه فى صلاتهم ويتلونه فى مساجدهم ، وزعم أنه نزل عليه ، وأنه وحي من الله تعالى اليه ، ومن شك فى شيء من ذلك منهم فهو كافر ، والقرآن الذي شرع لهم ثمانون سورة سماها لهم بأسماء النبيين وغيرهم منها سورة آدم ، وسورة نوح ، وسورة أيوب ، وسورة يونس ، وسورة موسى ، وسورة هارون ، وسورة الأسباط ، وسورة فرعون ، وسورة بنى اسرائيل ، وسورة الديك ، وسورة الحجل ، وسورة الجراد ، وسورة الجمل ، وسورة هاروت وماروت ، وسورة ابليس ، وسورة الحشر ، وسورة غرائب الدنيا ، وفيها العلم العظيم عندهم ، وأمرهم أن لاغسل عليهم من الجنابة الا من الحرام ، وقد ذكرنا اخبار برغواطة وملوكهم مستوفاة فى كتابنا الكبير السما (بأزهار البستان فى أخبار الزمان ، وذكر الموجود ، مما وقع فى الوجود) .

قال المؤلف عفا الله عنه :

فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطة وماهم عليه من الضلالة راا أن الواجب تقديم جهادهم على غيرهم ، فسار الى غزوهم فى جيوش

المرابطين ، والأمير على برغواطة يومئذ أبو حفص عبد الله بن أبي بن أبي عبيد محمد بن مقلد بن اليسع بن صالح بن طريف البرغواطى المتنبي ، فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين حروب عظيمة وملاحم شديدة ، مات فيها من الفريقين خلق كثير ، واستشهد فيها عبد الله بن ياسين الجزولى مهدي المرابطين ورئيسهم ، فلما ثقل بالجراح فى الحرب وحمل الى عسكره ، وبه رمق جمع أشياخ المرابطين ورؤسأهـم فقال : يامعشر المرابطين انكم فى بلاد أعدائكم ، انى ميت فى يومى هذا لامحالة ، فاياكم ان تجبنوا وتفشلوا فتذهب ربحكم ، وكونو ألفة وأعوانا على الحق واخوانا فى ذات الله تعالا ، واياكم والمخالفة والتحاسد على طلب الرياسة ، فان الله يؤتى ملكه من يشاء ، ويستخلف فى أرضه من احب من عباده ، ولقد ذهبت عنكم ، فانظروا من تقدمونه منكم يقوم بأمركم ويقود جيوشكم ويغزو عدوكم ويقسم بينكم فيأكم ويأخذ زكائكم وأعشاركم ، فاتفق رأيهم على تقديم أمر الحرب لأبى بكر بن عمر الملمتوني ، فقدمه عبد الله بن ياسين عليهم باتفاق من جميع أشياخ صنهاجة واجماع منهم على ذلك ، وتوفي عبد الله بن ياسين فى عشي يومه ذلك ، وذلك يوم الأحد الرابع والعشرين لجمادى الأولى سنة احدا وخمسين وأربعمئة (٨ يوليو ١٠٥٩ م) ودفن بموضع يعرف بكريفة بتامسنا (٧٩) وبني على قبره مسجد ، وكان عبد الله بن ياسين شديد الورع فى المطعم والمشرب ، فكان طول اقامته فيهم لا يأكل شيئا من لحمانهم ولا يشرب من البانهم ، فان أموالهم كانت غير طيبة لشدة جهلهم ، فكان يتصيد ويتعيش من لحوم الصيد ، وكان مع ذلك كثير النكاح يتزوج فى كل شهر عددا من النساء ويطلقهن ، ولا يسمع بامرأة جميلة الا خطبها ، ولا يجاوز فى مهرها أربعة مثاقيل ، وكان يأخذ الثلث من الأموال المختلطة ، ويرا أن ذلك يحلل باقيها ، وذلك شذوذ من الفعل ، ومما يذكر من فضله وصلاحه وبركاته

(79) ما زال ضريح عبد الله بن ياسين معروفا مزارا بكريفة من أرض قبيلة زعير بحوز الرباط .

التي شاهدها الناس أن المرابطين خرجوا معه فى غزواته الى السودان فنقد الماء حتى أشرفوا على التلف ، فقام عبد الله بن ياسين فتييم وصلا ركعتين ، فدعا الله تعالا وأمن المرابطون على دعائه ، فلما فرغ من الدعاء قال لهم احفروا تحت مصلاي هذا ، فحفروا فوجدوا الماء تحت مقدار شبر من الأرض فشربوا منه وسقوا دوابهم وملأوا أوعيتهم بماء عذب بارد ، ومن بركاته أنه نزل منزلا به بركة كثيرة الضفادع لا يقدر واحد أن يستقر حولها لكثرة نقيقها وصياحها ، فوقف عبد الله بن ياسين حذاءها فسكتت ولم يسمع لها نقيق ، فلما تباعد عنها عادت الى صياحها ، ولم يزل صائما من يوم دخل بلادهم الى أن توفي رحمه الله تعالا ، ومن حسن سياسته فيهم أنه أقام فيهم السنة والجماعة فى المدة القليلة ، وحكم عليهم أنه من فاتته الصلاة فى الجماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة منها ضرب خمسة أسواط .

الخبر عن دولة الأمير أبى بكر بن عمر الصنهاجى اللمتونى

هو الأمير أبو بكر بن عمر بن تلاكاكين بن رتاناك اللمتونى الحمدي ، أمه حرة كدالية اسمها صقية ، لما قدمه عبد الله ابن ياسين بايعته قبائل المرابطين من صنهاجة وغيرهم ، فتمت له البيعة ، وكان أول ما فعله أن أخذ فى دفن عبد الله بن ياسين ، فلما فرغ من دفنه عبأ جيوشه وقصد الى قتال برغواطة مصمما فى حربه متوكلا على الله تعالا ففى جميع أموره ، فاستأصل برغواطة حتى قروا بين يديه وهو فى أثرهم يقتل ويسبى حتى أئخن فيهم ودفرت برغواطة فى الصحراء وأذعنوا له بالطاعة وأسلموا اسلاما جديدا ، ولم يبق لديانتهم الخسيسية أثر الى اليوم ، وجمع أموالهم وغنائمهم وقسمها بين المرابطين ، ورجع الى مدينة أغمات فإقام بها الى شهر صفر سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة ، فخرج بجيوشه الى بلاد المغرب فى أمم لاتجصا من صنهاجة وجزولة والمصامدة ،

ففتح بلاد فازاز وجبالها وسائر بلاد زناتة ، وفتح بلاد مكناسة ، وارتحل الى مدينة لواتة فحاصرها حتى دخلها بالسيف وقتل بها خلقا كثيرا من بنى يفرن ، وكان دخوله اياها وتخريبه لها فى آخر يوم من شهر ربيع الاخر سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة ، (الجمعة ٢ يونيو ١٠٦٠ م) فلم تعمر بعدها الى اليوم ، فلما فرغ من فتح لواتة ارتحل الى مدينة أغمات ، وكان قد تزوج بها امرأة اسمها زينب بنت اسحاق الهوارى رجل من التجار ، وأصله من القيروان ، وكانت امرأة حازمة لبيبة ذات رأي وعقل وجزالة ومعرفة بالأمور ، حتى كان يقال لها الساحرة ، فأقام الأمير أبوبكر معها بأغمات مدة من ثلاثة أشهر الى ان قدم عليه رسول من بلاد القبلة فأخبره باختلال الصحراء ، وكان الأمير أبوبكر رجلا صالحا كثير الورع ، فلم يستحل قتال المسلمين وسفك دمائهم ، فعزم على السير الى الصحراء ليصلح أحوالها ويقيم بها ليجاهد الكفار من السودان ، فلما عزم على الخروج الى الصحراء طلق زوجته زينب وقال لها عند فراقه لها : يا زينب انك ذات حسن وجمال فائق ، واني سائر الى الصحراء برسم الجهاد لعلني أرزق الشهادة والفوز بالأجر الوافر ، وأنت امرأة لطيفة لاطاقة لك على بلاد الصحراء ، واني مطلقك ، فان تمت عدتك فتزوجي ابن عمى يوسف بن تاشفين ، فهو خليفتي على بلاد المغرب ، فطلقها ثم ارتحل عن أغمات وأخذ على بلاد تادلة حتى خرج الى سجلماسة ، فدخلها وأقام بها أياما حتى أصلح أحوالها ، فلما أراد السفر منها دعا ابن عمه يوسف بن تاشفين فعهده له على المغرب وفوض اليه أمره ، وأمره بالرجوع الى قتال من به من مغراوة وبنى يفرن وقبائل البربر وزناتة ، واتفق على تقديمه أشياخ المرابطين لما يعلمون من دينه وفضله وشجاعته وحزمه ونجدته وعدله وورعه وسداد رأيه ويمن نقيبته ، فرجع يوسف بن تاشفين الى المغرب بنصف جيش المرابطين ، وارتحل الأمير أبوبكر بن عمر بالنصف الثانى الى الصحراء ، وذلك فى شهر ذي القعدة من سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة (نونبر - دجنبر ١٠٦١ م) ، فتزوج يوسف بن تاشفين زينب المذكورة ، فكانت القائمة بملكه والمديرة لأمره والفاطحة

بسياستها أكثر بلاد المغرب الى أن توفيت فى سنة أربع وستين وأربعمئة ، وسار الأمير أبوبكر الى الصحراء فهدنها وسكن أحوالها ، وجمع جيوشا كثيرة وخرج الى غزو بلاد السودان فجاهدهم حتى فتح من بلادهم مسيرة ثلاثة أشهر ، وغلب أيضا يوسف بن تاشفين على أكثر بلاد المغرب واستوثق أمره به ، فلما سمع الأمير أبوبكر بضخامة ملك يوسف ابن تاشفين ومافتح الله عليه من بلاد المغرب أقبل اليه من الصحراء ليعزله ويولي غيره ، فأحس يوسف بن تاشفين بذلك فشاور زوجته فى ذلك الأمر ، فقالت له : ان ابن عمك رجل متورع فى سفك الدماء ، فإذا لقيته فقصر عما كان يعهده منك من الأدب والتواضع ، وأظهر له غلظة حتى كأنك مساو له ومقاومه ولاطفه مع ذلك بالأموال والهدية والخلع والثياب والطعام والطرف ، واستكثر من ذلك ، فإنه ببلاد الصحراء ، وكل شيء عندهم من هنا مستطرف ، فلما قرب الأمير أبوبكر بن عمر من عمل يوسف خرج اليه ، فالتقاه فى الطريق ، فسلم عليه وهو راكب سلافا مختصرا ولم ينزل له ، فتنظر الأمير أبوبكر كثرة جيوشه ، فقال له يا يوسف ماتصنع بهاذه الجيوش كلها ؟ قال أستعين بها على من خالفنى ، فارتاب أبوبكر من سلامه عليه راكبا ومن جوابه ، ونظر الى ألف بعير موقورة قد أقيمت ، فقال ماهاذه الابل موقورة ؟ قال أيها الأمير جئتك بكل مامعى من مال وثياب وشيء من الأدام والطعام لتستعين به على الصحراء ، فازداد تعرفا من حاله ، وعلم أنه لايتخلا له عن الأمر ، فقال له يا ابن عمى انزل نوصيك ، فتنزل يوسف ونزل الأمير أبوبكر ، ففرش لهما فرش فقعدا عليه فقال يا يوسف انى وليتك هذا الأمر وانى مسئول عنه ، فاتق الله فى المسلمين واعتقنى واعتق نفسك ، ولاتضيع من أمور رعيتك شيئا فانك مسئول عنهم ، والله تعالى يصلحك ويمدك ويوفقك للعمل الصالح والعدل فى رعيتك ، وهو خليفتى عليك وعليهم ، ثم ودعه وانصرف الى الصحراء ، فأقام بها مدة يجاهد الكفرة من السودان الى ان استشهد رحمه الله فى بعض غزواته ، رمي بسهم مسموم فمات رحمه الله ، وذلك فى شهر شعبان المكرم سنة ثمانين وأربعمئة (نونبر

١٠٨٧ م) بعد ان استنقام له أمر بلاد الصحراء الى جبل الذهب من بلاد السودان وخلص الأمر ليوسف بن تاشفين من بعده .

الخبر عن دولة الأمير يوسف بن تاشفين اللمتونى

أمير المسلمين وسيرته وغزواته

هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن زرقوت ابن رتائق بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتملى بن تليت الحميرى الصنهاجى من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير .

أمه حرة لتونية بنت عم أبيه ، اسمها فاطمة بنت سير بن يحيى بن وجاج بن رتائق المذكور .

صفته : أسمر اللون نقيه ، معتدل القامة ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، رقيق الصوت أكحل العينين ، أقنا الأنف ، له وفرة تبلى شحمة أذنيه ، مقرون الحاجبين ، جعد الشعر ، وكان رحمه الله بطلا نجدا شجاعا حازما مهابا ضابطا للملكه ، متفقد الموالى من رعيته ، حافظا لبلاده وثغوره ، مواظبا على الجهاد ، مؤيدا منصورا ، جوادا كريما سخيا زاهدا فى الدنيا ، لباسه الصوف ، لم يلبس قط غيره ، وأكله الشعير ولحوم الابل وألبانها ، مقتصرا على ذلك ، لم ينتقل عنه مدة عمره الى أن توفي رحمه الله تعالا على مامنحه الله من سعة الملك فى الدنيا وخوله منها ، فانه خطب له بالأندلس والمغرب على ألف منبر وتسعمئة منبر ، وكان ملكه من مدينة افراغه أول بلاد الافرنج قاصية شرق بلاد الأندلس الى آخر عمل شنترين والاشبونة على البحر المحيط من بلاد غرب الأندلس ، وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما طولا ، وقصى العرض مايقرب من ذلك ، وملك بالمغرب من بلاد العدو من جزائر بنى مزغنة الى طنجة الى آخر السوس الأقصا الى جبل الذهب من بلاد

السودان ، ولم يوجد فى بلد من بلاده ولا فى عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا معونة ولا خراج فى حاضرة ولا بادية الا ما أمر الله تعالى به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة وأخماس غنائم المشركين ، وجبا فى ذلك من المال على وجهه ما لم يجبه أحد قبله ، فيقال انهم وجدوا فى بيت المال بعد وفاته ثلاثة عشر ألف ربع من الورق وخمسة آلاف وأربعين ربعا من دنانير الذهب المطبوعة ، ورد أحكام البلاد الى القضاء ، وأسقط مادون الأحكام الشرعية وكان يسير فى أعماله فيتفقد أحوال رعيته فى كل سنة ، وكان محبا فى الفقهاء والعلماء والصلحاء مقربا لهم صادرا عن رأيهم مكرما لهم ، أجرا عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه ، وكان مع ذلك حسن الأخلاق متواضعا كثير الحياء جامعا لخصال الفضل ، وكان كما قال الفقيه الكاتب أبو محمد بن حامد فيه وفى بنيه :

ملك له شرف العلا من حمير وان انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا أحواز كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

مولده فى سنة أربعمئة ببلاد الصحراء ، ووفاته فى سنة خمسمة ، فكان جميع عمره مئة سنة ، أيامه منها بالمغرب منذ استخلفه أبوبكر بن عمر الى أن توفي رحمه الله سبع وأربعون سنة وذلك من سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة الى سنة خمسمة .

كنيته : أبو يعقوب ، وكان يدعى بالأمير ، فلما فتح الأندلس وصنع غزاة الزلاقة وأثل الله تعالى بها ملوك الروم بايعه فى ذلك اليوم ملوك الأندلس وأمراؤها الذين شهدوا معه تلك الغزاة ، وكانوا ثلاثة عشر ملكا ، وسلموا عليه بأمير المسلمين ، وهو أول من تسميا بأمير المسلمين من ملوك المغرب ، وخرجت كتبه مصدرة عنه بذلك الى بلاد العدو وبلاد الأندلس فى ذلك اليوم ، فقرئت على المنابر يخبرهم فيها بغزاة الزلاقة ومأمنح الله تعالى له فيها من النصر والظفر والفتح العظيم ، وضرب السكة من يومئذ وجدها ، ونقش فى دينارده (لا اله الا الله

محمد رسول الله) وتحت ذلك (أمير المسلمين يوسف بن تاشفين) وكتب فى الدائرة (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين) ، وكتب فى الصفحة الأخرى (الأمير عبد الله العباسى) وفى الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكه .

بنوه : علي الخليفة بعده ، وتميم ، وأبوبكر ، والمعز ، وإبراهيم ، وكوته ، ورقية .

لما قدمه أبوبكر بن عمر على المغرب وفوض اليه أمره وذلك فى سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة انصرف عنه من مدينة سجلماسة ، فوصل الى وادى ملوية فميز جيوشه فوجدهم أربعين الفا من المرابطين ، فاخترامنهم أربعة من القواد ، وهم محمد بن تميم الجدالى ، وعمر بن سليمان السيفى ومدرک التلکاتى ، وسير بن أبى بكر اللمتونى ، وعقد لكل واحد منهم على خمسة آلاف من قبيلته ، وقدمهم بين يديه الى قتال من بالمغرب من مغراوة وبنى يفرن وغيرهم من قبائل البربر القاطنين به ، وسار هو فى أثرهم ، فغزا قبائل المغرب قبيلة بعد قبيلة ، وبلدا بعد بلد ، فقوم يفرون بين يديه ، وقوم يقاتلونه ، وقوم يدخلون فى طاعته ، حتى أثخن غسى بلاد المغرب وسار حتى دخل مدينة أغمات ، فتزوج زينب التى فارقتها ابن عمه أبوبكر بن عمر ، فكانت عنوان سعده .

ودخلت سنة أربع وخمسين وأربعمئة ، فيها تقوا أمر يوسف بن تاشفين بالمغرب وكبر صيته وفيها اشترى موضع تأسيس مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة ، فسكن الموضع بخيام الشعر ، وبنا فيه مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه ، ولم يبن على ذلك سورا ، وكان رحمه الله لما شرع فى بناء المسجد يحترم ويعمل فى الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعا منه وتورعا غفر الله له ونفعه بقصده ، والذي بناه يوسف من ذلك هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش جوقا من جامع الكتبيين منها ، ولم يكن بها ماء ، فحفر الناس بها أبارا فخرج لهم الماء على قرب ، فاستوطنها

الناس ، ولم تزل كذلك لاسور لها ، فلما ولي بعده ولده علي بنا سورها فى ثمانية أشهر ، وذلك فى سنة ست وعشرين وخمسمئة ، ثم احتفل فى بنائها ومصانعها أمير المسلمين يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومى الموحدى أيام ملكه بالمغرب ، ولم تزل مدينة مراكش دار مملكة المرابطين ثم الموحدى من بعدهم من يوم أسست الى انقراض الدولة الموحدية ، فانتقل الملك منها الى مدينة فاس .

وفى سنة أربع وخمسين المذكورة جند يوسف الأجناد ، واستكثر القواد ، وفتح كثيرا من البلاد ، واتخذ كثيرا من الطبول والبندود ، وأخرج العمال وكتب اليهود ، وجعل فى جيشه الأغزاز (٨٠) والرماة ، كل ذلك اربابا لقبائل المغرب ، فكمل له من الجيش فى تلك السنة أزيد من مئة ألف فارس من قبائل صنهاجة وجزولة والمصامدة وزناتة والأغزاز والرماة ، فخرج بهم من حضرة مراكش قاصدا مدينة فاس ، فتلحقاه قبائلها من زواغة ولماية ولواتة وصدينة وسدراتة ومغيلة وبهلولة ومديونة وغيرهم فى خلق عظيم وعدد كثير ، فقاتلوه ، فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة انهزموا فيها بين يديه ، وانحصروا له بمدينة صدينة (٨١) فدخل عليهم بالسيف ، فهدم أسوارها وخربها وقتل بها مايزيد على أربعة آلاف رجل ، وارتحل الى مدينة فاس ، فنازلها بعد أن فتح جميع أحوازها ، وذلك فى آخر سنة أربع وخمسين وأربعمئة ، فأقام عليها أياما ، فظفر بعاملها بكار بن ابراهيم فقتله وارتحل عنها الى مدينة صفرو ، فدخلها من يومه عنوة بالسيف وقتل أربابها أولاد مسعود المغراوى المالكين لها والقائمين بأمرها ، ثم رجع الى فاس فحاصرها حتى فتحها ، وهو الفتح الاول ، وذلك سنة خمس وخمسين وأربعمئة ، فأقام بها أياما ، ثم استخلف عليها

(80) جنس من الترك ، كانوا يعملون فى جيوش الدول الموحدية والمرينية والزيانية .

(81) كانت مدينة صدينة - على ما يبدو - واقعة الى الشمال من فاس قرب مجرى نهر سبو حيث مساكن قبيلة شراكة الحالية . ولا يزال بطن من بطون هذه القبيلة يسما صدينة الى الآن ، وبحوز تطوان قرية تسما صدينة أيضا ، وهى فى الأصل قبيلة من شعب ضريسة من البربر البتر ، اشتهرت بقيامها مع قبيلة مغيلة بنصرة ادريس بن عبد الله الكامل عند دخوله المغرب سنة 170 هـ وتأسيسه الدولة الإدريسية .

عاملا من لمونة وخرج الى بلاد غمارة ، فلما بعد يوسف عن فاس وتوغل فى بلاد غمارة خالفه ايها تميم بن معنصر فدخلها وقتل عامل يوسف الذى كان بها ، وفى هاذى السنة بايع المهدى بن يوسف الجزائسى صاحب مكناسة يوسف بن تاشفين ودخل فى طاعة الرابطين ، فأقصره يوسف على عمله وأمره أن يخرج بين يديه بعسكره لقتال بلاد المغرب وقبائلها ، فتجهز المهدى وخرج فى جيشه من مدينة عوسجة يريد يوسف ابن تاشفين ، فسمع بذات تميم بن معنصر المغراوى القائم بمدينة فاس ، فخاف على نفسه منه أن يتقوا عليه بالمرابطين ، فعاجله وخرج اليه من فاس فى أنجاد مغراوة وقبائل زناتة فلحق به فى بعض الطريق ، فكان بينهما قتال شديد ، قتل فيه المهدى بن يوسف واقترب جمعه ، وبعث تميم بن معنصر برأسه الى صاحب سبتة وهو سكوت البرغواطى (٨٢) فلما قتل المهدى بن يوسف بعث أهل مدينة مكناسة الى يوسف بن تاشفين فأخبروه بموت أميرهم وأعطوه البلاد فملكها يوسف ، وتوالت عساكر المرابطين على تميم بن معنصر المغراوى صاحب فاس بالغارات ، فلما رأى الأمر قد اشتد عليه وطالت عليه الفتنة وانقطعت عنه المواد والموارد وعدمت الأقوات بفاس جمع جيشا عظيما من مغراوة وبنى يفرن وخرج الى المرابطين ، فكانت الهزيمة عليه ، وقتل تميم بن معنصر وقتل معه خلق كثير من حشمه ، فتقدم مكانه بفاس القاسم بن محمد بن عبدالرحمان ابن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية الزناتى المكناسى ، فجمع قبائل

(٨٢) ويكتب أيضا سكوت ، أصله من قبيلة برغواطه الزناتية ومنزلها بين طنجة وأصيلة ، أسر فى حرب غمارة وبرغواطة ، وانتهى أمره الى أن صار عبدا لشيخ من غمارة ثم صار لعل بن حمود الادريسي وبفضل فومه وصل الى الخلافة فولاه على طنجة وسبتة وأطاعته غمارة ، وبعد سقوط دولة الحموديين ظل سكوت يحكم طنجة وسبتة مناوئا للمعتمد ابن عباد ومهددا له ، ولما قامت دولة المرابطين ووصل يوسف بن تاشفين الى شمال المغرب كاد سكوت ينضم اليه ، ولكن ابنه ضياء الدولة ثناه عن ذلك ، فلما فرغ يوسف من أمر غمارة توجه الى طنجة واستولا عليها من يد سكوت الذى قتل فى الحرب مع القائد صالح ابن عمران ، ثم أرسل يوسف ابنه المعز فاستولا على سبتة من يد ابنه ضياء الدولة وقتله وانتظمت قبائل تلك الناحية كلها فى سلك الدولة المتونية المرابطية .

زنانة وخرج بهم الى لقاء جيش المرابطين ، فالتقا معهم بوايى صيفير ، فكانت بينهما حروب شديدة انهزم فيها المرابطون وقتل جماعة من فرسانهم ، فاتصل خبر هزيمتهم بيوسف بن تاشفين وهو ببلاد فازاز محاصرا لقلعة مهدى ، فارتحل عنها وترك عليها جيشا من المرابطين محاصرا لها ، فأقاموا عليها تسعة أعوام فدخلوها صلحا ، فى سنة خمس وستين وأربعمئة ، ولما رحل يوسف عن القلعة وذلك فى سنة ست وخمسين سار الى بنى مراسن ، وأميرهم يومئذ يعلا بن يوسف ، فغزاهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفتح بلادهم ، وسار الى بلاد فندلاوة فغزاهها وفتح جميع تلك الجهات وسار منها الى بلاد ورغة ففتحها ، وذلك فى سنة ثمان وخمسين .

وفى سنة ستين وأربعمئة فتح يوسف جميع بلاد غمارة ، وجبالها من الريف الى طنجة وفيها فتح فاس الفتح الثانى (٨٣) .

وفى سنة اثنتين وستين أقبل الى مدينة فاس فنزل عليها بجميع جيوشه وشدد عليها فى الحصار حتى دخلها عنوة بالسيف ، فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة ، وقبائل زنانة خلقا كثيرا حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلا ، وقتل منهم بجامع القرويين وجامع الأندلس ماييزيد على ثلاثة آلاف رجل ، وفر من بقي منهم الى أحواز تلمسان وهو الفتح الثالث ، وكان دخول يوسف اياها يوم الخميس ثانى جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وأربعمئة (١٨ مارس ١٠٧٠ م) فلما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس حصنها وثقفها وأمر بهدم الأسوار التي كانت بها فاصلة بين المدينتين : عدوة القرويين وعدوة الأندلس وهدمها مصرا واحدا ، وأمر ببنيان المساجد فى أحوازها وأزقتها وشوارعها ، وأي زقاق لم يجد فيه مسجدا عاقب أهله وأجبرهم على بناء مسجد فيه ، وبنا الحمامات والفنادق والأرحاء ، وأصلح أسواقها وهذب بناءها وأقام بها الى شهر صفر سنة ثلاث وستين وأربعمئة فخرج

منها الى بلاد مكنية ففتح حصون وطاط .

— وفى سنة أربع وستين وأربعمئة وجه يوسف الى أمراء الغرب وأشياخ القبائل من زناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر فقدموا عليه وبأيعوه ، فكسا جميعهم ووصلهم بالأموال ، ثم خرج معهم ليطوف على جميع أعمال المغرب وينفقد أحوال الرعية وينظر الى سير ولاتهم وعمالهم فيه ، فصلح على يديه بذلك كثير من أمور الناس .

وفى سنة خمس وستين غزا يوسف بن تاشفين مدينة الدمنة من بلاد طنجة فدخلها عوة وفتح جبل علودان (٨٤) .

وفى سنة سبع وستين فتح جبال غياثة وبنى مكود وبنى رهينة وقتل منهم خلقا كثيرا .

وفيهما فرق عماله على المغرب ، فولا سيرى بن أبى بكر مدائن مكناسة وبلاد مكلالة وبلاد فازاز ، وولا عمر بن سليمان مدينة فاس وأحوازها ، وولا داوود بن عائشة سجلماسة ودرعة ، وولا ولده تميما مدينتي أغمات ومراكش وبلاد السوس وسائر بلاد المصامدة وبلاد تادلة وبلاد تامسنا .

وفيهما بعث المعتمد ابن عباد صاحب اشبيلية الى يوسف بن تاشفين يستدعيه للجواز برسم الجهاد ونصر البلاد ، فقال له لايمكنني ذلك الا ان أتملك سبتة وطنجة ، فراجعه ابن عباد يشير عليه ان يسير اليها فى عساكره فى البر فينازلها ويبعث ابن عباد قطائعه فيجتاز لها فى البحر حتى يملكها ، فأخذ يوسف فى محاولة ذلك .

وفى سنة سبعين وأربعمئة نظر يوسف فى حرب سبتة وطنجة ، فبعث لها قائده صالح بن عمران فى اثنى عشر ألف فارس من المرابطين وعشرين ألفا من سائر قبائل المغرب من زناتة وغيرهم ، فلما قربوا من أحواز طنجة خرج اليهم الحاجب سكوت البرغواطي بجموعه ، وهو شيخ كبير سنه ست وثمانون سنة ، فقال والله لايسمع أهل طنجة طبول اللمتونيين وأنا

حي ابداء ، فالتقا الجمعان بأحواز وادى منى من أحواز طنجة ، فالتحم القتال بينهم فقتل سكوت وهزم جيشه ، وسار المرابطون الى طنجة فدخلوها ، وبقي بسببة الحاجب ضياء الدولة يعيا بن سكوت فكتب القائد صالح بن عمران بالفتح الى يوسف .

وفى سنة اثنتين وسبعين وأربعمئة بعث يوسف بن تاشفين قائده مزدلى لغزو مدينة تلمسان ، فسار اليها فى عشرين الفا من المرابطين ، فهتكها ودخلها ، وظفر بولد أميرها معلا بن يعلا المغراوى فقتله ، ثم رجع الى يوسف فألفاه بمدينة مراكش .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ، فيها بدل يوسف بن تاشفين السكة فى جميع عمله وكتب عليها اسمه ، وفيها فتح مدينة جرسيف ومدينة مليلية وجميع بلاد الريف ، وفتح مدينة نكور وخربها ، فلم تعمر بعد .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ، فيها طلع يوسف بن تاشفين الى مدينة وجدة ففتحها وفتح مدينة تنس ومدينة وهران وجبال وانشريس وأعمال شلف بأجمعها الى الجزائر ، ورجع الى مراكش فدخلها فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وأربعمئة ، فورد عليه بها كتاب العتد ابن عباد يعلمه بحال الأندلس ، وما آل اليه أمرها من تغلب العدو على أكثر ثغورها وبلادها ، وسأله نصرها وأعانتها ، فأجابه يوسف : اذا فتح الله لى سببة وصلت بكم قبذلت فى جهاد العدو المجهود .

وفى هاذه السنة تحرك ألفونسو السادس لعنه الله فى جيوش لاتحصا من الروم ومن الافرنج والبشكنس والجلاقة وغيرهم ، فشق بلاد الأندلس شقا يقف على كل مدينة منها ثلاثة أيام فيفسد ويخرب ويقتل ويسبى ويرتحل الى غيرها ، ونزل على اشبيلية ، فأقام عليها ثلاثة أيام ، فأفسد أحوازها وهتكها ، وخرّب بالشرف قرا كثيرة ، وكذلك فعل بشذونة وأحوازها ، ثم سار حتى وصل الى جزيرة طريف ، فأدخل قوائم فرسه فى البحر وقال : (هاذا الآخر بلاد الأندلس قد وطئته) ثم رجع الى مدينة سرقسطة ، فنزل عليها وحاصرها وحلف أن لايرتحل عنها حتى

يدخلها أو يحول الموت بينه وبين ما يريد ، وأراد أن يقدمها بالفتح على غيرها من بلاد الأندلس ، فنزل إليه أميرها المستعين ابن هود بمال عظيم بذله له فلم يقبله منه ، وقال : المال والبلاد لى ، وبعث الى كل قاعدة من قواعد الأندلس جيشا للتضييق عليهم والحصار ، فملك مدينة طليطلة وذلك فى سنة سبع وسبعين وأربعمئة (٨٥) فلما رأى ذلك أمراء الأندلس ورؤساؤها اتفق رأيهم على جواز يوسف بن تاشفين ، فكتبوا إليه بجميعهم يستنصرونه ويستصرخون به لينفي العدو عن مخنق بلادهم ، ويكونون معه يدا واحدة فى جهاد العدو ، فلما تواترت الكتب على يوسف بالاستصراخ لنصرة المسلمين ونفي العدو عن مخنق بلادهم بعث ولده المعز الى سبتة فى جيش عظيم ، فنزل عليها وحاصرها حتى فتحها ، وذلك فى شهر ربيع الاول من سنة سبع وسبعين وأربعمئة (يوليوز ١٠٨٤ م) وكتب اليه بالفتح ، فوصله الكتاب وهو بمدينة فاس ينظر فى أمر الجهاد ويستنفر له قبائل المغرب ، ففرح لفتح سبتة وخرج من حينه نحوها ليجوز منها الى الأندلس ، فلما رأى المعتمد ابن عباد أن الفونسو السادس قد ملك طليطلة وأحوازها وشدد على سرقسطة وسمع أن يوسف فتح سبتة ركب البحر وسار الى العدو لاستجلاب يوسف بن تاشفين ، فلقىه مقبلا لبلاد طنجة بموضع يعرف ببطة على ثلاث مراحل من سبتة ، فأخبره بحال الأندلس وماهى عليه من شدة الخوف والضعف والاضطراب ومايلقاه المسلمون بها من القتل والأسر والحصار من الفونسو السادس وجنوده ، وأنه قد عزم على دخول سرقسطة ، فقال له الأمير يوسف رحمه الله : ارجع الى بلدك وخذ فى أمرك فانى قادم عليك فى أشرك أن شاء الله تعالى ، فرجع ابن عباد الى الأندلس ، ودخل يوسف سبتة فهدنها وأصلح أحوالها وسفنها ، ولحقت به العساكر والجنود ، وقدمت عليه الوفود ، وأتاه من بلاد الصحراء والقبلة والزاب القبائل والحشود ، فشرع فى تجويز الجيوش الى الأندلس ، فجوز منها ما لا يحصى كثرة ، فلما كمل

جواز الجيش واستوفت عساكر المجاهدين بساجل الخضراء جاز هو في أثرهم في جيش عظيم من قبائل المرابطين وأنجاهم وصلحائهم فلما ركب السفينة واستقر على ظهرها رفع يديه ودعا الله تعالا وقال في دعائه (اللهم ان كنت تعلم ان في جوازي هذا خيرا وصلاحا للمسلمين فسهل علي جواز هذا البحر وان كان غير ذلك فصعبه علي حتى لا أجوزه) فسهل الله عليه الجواز في أسرع ما يكون فكان جوازه في يوم الخميس عند الزوال في منتصف ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمئة (٣٠ يونيو ١٠٨٦ م) ، ونزل بالجزيرة الخضراء فصلا بها صلاة الظهر من يومه ذلك فبلقاه بها المعتمد في جميع أمراء الأندلس ورؤسائها فاتصل بالفونسو السادس خبر جوازه فارتحل عن سرقسطة قاصدا للقاء أمير المسلمين يوسف رحمه الله

الخبر عن جواز الأمير يوسف بن تاشفين

إلى الأندلس برسم الجهاد وذكر غزاة الزلاقة

قال المؤلف للكتاب

لما جوز أمير المسلمين يوسف جيوش المسلمين للجهاد وقدمها بين يديه فاستقروا بساحل الجزيرة الخضراء جاز هو في أثرهم فالتقاه ملوك الأندلس مستبشرين بقدومه واتصل خبر قدومه بالفونسو السادس وهو محاصر سرقسطة فسقط في يديه وانحلت عزائمه ، فانزعج عن سرقسطة وبعث إلى ابن رذمير وإلى البرهانس (٨٦) وكان ابن رذمير على

86. ابن رذمير هو الملك الفونسو الأول ملك أراكون ، ولكن الاستاذ عبد الله عنان في حاشية من حواشيه على كتاب (تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين) ص 80 يذكر أنه هو سانشو راميريز ملك أراكون وصاحب بنبلونة ، وقد يكون الاسماء لسما واحد الأول كان قبل الملك والثاني بعده

أما البرهانس فهو القائد القشتالي النصراني البار فانيث ابن أخى السيد القنيطور كان من أكبر قواد الفونسو السادس

مدينة طرطوشة محاصراً لها ، والبرهانس على بلنسية ، فأتياها بجيوشهما فלحقوا به ، وبعث الى بلاد قشتالة وجليقة وبنبلونة (٨٧) فأتاه من تلك البلاد من حشود الروم أمم لاتحصا ، فلما اجتمعت لالفونسو السادس جيوش الكفر واستوفت لديه حشودهم ووفودهم ارتحل الى لقاء الأمير يوسف بن تاشفين وجيوش المسلمين ، وارتحل يوسف من الجزيرة الخضراء قاصدا نحوه ، وقدم بين يديه قائده أبا سليمان داوود بن عائشة فى عشرة ألاف فارس من المرابطين ، وتقدم أيضا المعتمد ابن عباد أمام ابن عائشة مع أمراء الأندلس وجيوشهم ، منهم ابن صمادح صاحب ألمرية ، وابن جبوس صاحب غرناطة ، وابن مسلمة صاحب الثغر الأعلا ، وابن ذى النون ، وابن الأخطس ، وابن باديس ، فأمرهم يوسف رحمه الله أن يكونوا مع المعتمد ابن عباد ، فتكون محلة الأندلس محلة واحدة ، ومحلة المرابطين أخرا ، فتقدم بهم ابن عباد ، فكانوا اذا قام ابن عباد ورساء الأندلس من موضع الى غيره نزله الأمير يوسف بن تاشفين بمحلته ، فلم يزالوا على ذلك حتى نزلوا بمدينة طرطوشة فأقاموا بها ثلاثة أيام ، وكتب منها الأمير يوسف بن تاشفين كتابا الى الفونسو السادس يدعوه فيه الى الجزية أو الاسلام أو الحرب ، فلما وصل كتابه الى الفونسو أدركته الأنفة وداخله الكبر ، وقال للرسول : قل للأمير لاتتعب نفسك ، أنا أصل اليك ، فارتحل يوسف رحمه الله وارتحل الفونسو السادس حتى نزل بالقرب من مدينة بطليوس ، ونزل الأمير يوسف بموضع يعرف بالزلاقة (٨٨) من أحواز بطليوس ، وتقدم المعتمد وأمراء الأندلس فنزلوا بجهة أخرا بينهما ربوة حاجزة ترهيبا للعدو وتخويفا له ، وبين الفريقين وعسكر الروم نهر بطليوس حاجز يشرب منه هؤلاء وهؤلاء فأقاموا ثلاثة أيام والرسول تختلف بينهم الى أن اتفق رأيهم أن تكون

(87) فى الأصل بيونة .

(88) ويسمى أيضاً السهلة ، مكان يبعد بضعة أميال عن بطليوس يسميه النصارا

سكر الياس .

الملاقاة بينهم يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين وأربعمئة (٢٦ أكتوبر ١٠٨٦ م) فلما وقع الاتفاق بينهما على ذلك بعث المعتمد الى الأمير يوسف بن تاشفين يعلمه أن يكون على أهبة واستعداد للحرب ، وإن العدو صاحب مكر وخديعة فى الحرب ، فلما كان الليل من يوم الخميس العاشر لرجب المذكور عبأ ابن عباد كتائبه وصف جيوشه واستعد للقتال ، وجعل على عسكر العدو عيونا على خيل سبق يأتونه بأخبارهم وما يرونه من حركاتهم ، فلم يزل كذلك الى الفجر من يوم الجمعة ، فبينما ابن عباد فى آخر ركعة من صلاة الصبح وكان قد غلس بالصلاة اذ أقبلت الخيل التي كانت طليعة على العدو مسرعة اليه ، فأخبروه أن العدو قد زحف نحو المسلمين فى أمم كالجراد المنتشر ، فأرسل فى الحين بالخبر الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فوجدوه على أهبة للحرب قد عبأ كتائبه طول ليلته ، لم ينم احد فى محله تلك الليلة ، فأرسل قائده المظفر داود بن عائشة فى جيش عظيم من لمتونة ووجوه المرابطين وأقباليهم ليكونوا طليعة له ، وكان داود بن عائشة لانظير له فى العزم والحزم والنجدة ، وكان عدو الله ألفونسو السادس قد قسم عساكره على فرقتين ، فتوجه هو وفرقة نحو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فوقع فى الجيش الذي كان مع القائد داود بن عائشة ، فاقتتلوا قتالا عظيما ، وصبر المرابطون صبرا جميلا ، وداسهم اللعين بكثرة جنوده حتى كاد يستأصلهم ، وكانت بينهم مضاربة ثقلت فيها السيوف وتكسرت الرماح ، وسارت الفرقة الثانية من عسكر اللعين مع البرهانس وابن رزمير نحو ملحة ابن عباد ، فداسوها ، واستمرت الهزيمة على رؤساء الأندلس الى جهة بطليوس ، ولم يثبت منهم غير ابن عباد وجيشه ، فانهم ثبتوا فى ناحية يقاتلون لم ينهزموا ، وقاتلوا قتالا شديدا ، وصبروا صبر الكرام ، لحرب اللئام ، فاتصل الخبر بيوسف ان الهزيمة قد استمرت على عسكر أمراء الأندلس ، وإن المعتمد وداود ابن عائشة صابران يقاتلان لم ينهزما ، فبعث قائده سبرى بن أبى بكر فى قبائل المغرب وزناقة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر الذين

كانوا في محلته اعانة لداود بن عائشة وابن عباد ، وسار هو في جيش
لمتونة وقبائل المرابطين من صنهاجة قاصدا الى محلة الفونسو السادس
حتى ضرب فيها والفونسو مشغول بقتال داود بن عائشة فأضرمت نارا
وأحرقها ، وقتل من كان بها من الأبطال والرجال والفرسان الذين تركهم
الفونسو بها يحرسونها ويحمونها ، وفر الباقيون منهزمين نحو الفونسو
فأقبلت عليه خيله من محله فارين وأمير المسلمين يوسف في أثرهم
بساقته وطبوله وبنوده ، وجيوش المرابطين بين يديه يحكمون في الكفرة
سيوفهم ويروونها من دمائهم ، فقال الفونسو السادس ماهاذا ؟ فأخبر
الخبر بحرق محله ونهبها وقتل حماتها وسبي حريمها ، فرد وجهه الى
قتاله وصمم أمير المسلمين نحوه ، فانتشبت الحروب بينهما ، فكانت
بينهما حروب عظيمة لم يسمع قط بمثلها ، وكان أمير المسلمين على فرس
أنثا يمر بين صفوف المسلمين يحرضهم ويقوي نفوسهم على الجهاد
والصبر ، ويقول : يامعشر المسلمين اصبروا لجهاد أعدائكم أعداء الله
الكافرين ، فمن رزق منكم الشهادة فله الجنة ، ومن سلم فقد فاز بالأجر
العظيم والغنيمة ، فقاتل المسلمون قتال من يطلب الشهادة ويرغب في
الموت ، وكان المعتمد رحمه الله وأصحابه الذين ثبتوا معه قد يؤسوا من
الحياة ولا علم لهم بالحال ، إذ نظروا الى الروم منهزمين ، وعلى
أعقابهم ناكسين ، فظنوا أنهم الذين هزمهم ، فقال لأصحابه ، شدوا
على أعداء الله تعالا فشدوا عليهم ، وحمل القائد سيرى بن أبي بكر بمن
معه من قبائل المغرب وزناتة والمصامدة وغمارة ، فاستمرت الهزيمة
على الروم ، وتراجعت الطائفة المنهزمة من المسلمين نحو بطليوس لما
أخبروا أن أمير المسلمين يوسف قد ظفر ، وتدارك الناس بعضهم ببعض ،
طائفة بعد طائفة ، وفوجا بعد فوج ، واشتد القتال على الفونسو السادس
حتى أيقن بالفناء ، ولم يزل القتال يشتد عليه الى غروب الشمس ، فلما
رأى الفونسو اللعين أن الليل قد أقبل وأكثر جنوده قد قتل ، ورأى صبر
المرابطين وصدق نيتهم في جهادهم علم أنه لا طاقة له بقتالهم ، ففر مهزوما
على وجهه في نحو الخمسمئة فارس على غير طريق ، وركبهم المرابطون

بالسيف يقتلونهم فى كل فج وسهل ، ويلتقطونهم التقاط الحمام للحب انقليل ، انى أن حال الليل بظلمته بينهم ، وبات المسلمون تلك الليلة على خيولهم يقتلون ويأسرون ويغنمون ويشكرون الله تعالى على مامنهم حتى أصبح ، فصلوا صلاة الصبح فى وسط المقتلة ، وكانت هذه الهزيمة العظيمة على أعداء الكفرة من أعظم الوقائع ، قتل فيها ملوك الشرك وأنصاره ، وحماته وشجعانه ، ولم ينج من جميعهم الا ألفونسو السادس اللعين مثقلا بالجراح فى شردمة قليلة نحو الخمسمئة فارس مثنخين بالجراح ، فمات منهم أربعمئة فارس ، ودخل طليطلة فى مئة فارس من حماته ورجاله ، وكانت هذه الغزوة المباركة يوم الجمعة الحادى عشر من رجب الفرد عام تسعة وسبعين وأربعمئة (٢٣ أكتوبر ١٠٨٦ م) واستشهد فيها من المسلمين نحو الثلاثة آلاف رجل ممن سبقت لهم من الله الحسنا وختم لهم بالشهادة ، وأمر أمير المسلمين يوسف برؤوس القتلا من الروم أن تقطع فقطعت وجعلت بين يديه أمثال الجبال ، فبعث منها الى اشبيلية عشرة آلاف رأس والى قرطبة عشرة آلاف ، والى بلنسية كذلك ، والى سرقسطة ومرسية مثلها ، وبعث الى بلاد العدو بأربعين ألف رأس ، فقسمت على مدن العدو ليراها الناس فيشكرون الله تعالى على مامنهم من النصر والخير ، وكان عدد الروم فيما نقل مئة وثمانين الف فارس ومئتي ألف رجل فقتلوا أجمعين ، ولم ينج منهم الا ألفونسو فى مئة فارس ، وفيها أذل الله الشرك ببلاد الإندلس فلم نقم لهم قائمة نحو الستين سنة .

وفى هذا اليوم تسما يوسف بن تاشفين بأمر المسلمين ولم يكن يدعا بها قبل ذلك ، وأظهر الله تعالى الاسلام وأعز أهله ، وكتب أمير المسلمين بالفتح الى بلاد العدو ، والى تميم صاحب المهديّة ، فعملت المفرحات فى جميع بلاد أفريقية وبلاد المغرب والأندلس ، واجتمعت كلمة الاسلام ، وأخرج الناس الصدقات ، واعتقوا الرقاب شكرا لله تعالى على صنعه الجميل وفضله .

ومن فصول الكتاب الذي كذب به أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى بلاد العدو -

(أما بعد حمد الله تعالا المتكفل بنصر أهل دينه الذي ارتضاه ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل رسله وأكرم خلقه وأسراه ، فإن
العدو الطاغية لعنه الله لما قربنا من حماه وتوافقنا بأزائه ، لقناه الدعوة
وخيرناه بين الاسلام والجزية والحرب فاخترنا الحرب ، فوقع الاتفاق بيننا
وبينه على الملاقاة فى يوم الاثنين الرابع عشر لرجب ، وقال الجمعة عيد
المسلمين ، والسبت عيد اليهود ، وفى عسكرنا منهم خلق كثير ، والأحد
عيدنا نحن فتفرقنا على ذلك ، وأضمر اللعين خلاف ماشرطناه ، وعلمنا
أنهم أهل خدع ونقض عهود ، فأخذنا أهبة الحرب لهم ، وجعلنا عليهم
العيون ليرفعوا إلينا أحوالهم ، فأتتنا الأنباء فى سحر يوم الجمعة
الحادى عشر من رجب المذكور بأن العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين ،
يرا أنه قد اغتزم فرصته فى ذلك الحين ، فانتدبت اليه أبطال المسلمين
وفرسان المجاهدين ، فتعشيته قبل أن يتعشاها وتغذته قبل أن يتغذاها ،
وانقضت جيوش المسلمين على جيوشهم انقضاض العقاب على عقيرته ،
وثبت عليهم وثوب الأسد على فريسته ، وقصدنا برايتنا السعيدة
المنصورة ، فى سائر المشاهد المشهورة ، فى جيوش لمتونة نحو الفئس ،
فلما أبصر النصارا رايتنا المشتهرة ، ونظروا الى مراكبنا المنتظمة
المظفرة ، وغشيتهم بروق الصفاح ، وأظلتهم سحائب الرماح ، وزلزلت
حوافر خيولهم رعود الطبول بذلك الفياح ، التحم النصارا بطاغيتهم
ألفئس ، وحملوا على المسلمين حملة منكرا ، فتلقاهم الرابطون بنية صادقة
خالصة ، وهمم عالية ، فعصفت ريح الحرب ، ووكفت ديم السيوف والرماح
بالطعن والضرب ، وطاحت المهج ، وأقبل سيل الدماء فى هوج ، ونزل من
سماء الله على أوليائه النصر العزيز والفرج ، وولا ألفئس مطعوننا فى
احدا ركبتيه ، طعنة أفقدته احدا ساقيه ، فى خمسمئة فارس من مئة
وثمانين ألف فارس ، ومئتي ألف راجل ، قادهم الله الى المصارع والحتف

العاجل ، وتخلص لعنه الله الى جبل هنالك ، ونظر الذهب والنيران فى محلته من كل جانب ، وهو من أعلا الجبل ينظرها شزرا ، لم يجد عنها صبيرا ، ولا يستطيع عنها دفاعا ولا لها نصرا ، فأخذ يدعو بالشبور والويل ، ويرجو النجاة فى ظلام الليل ، وأمير المسلمين بحمد الله قد ثبت فى وسط مراكزه المظفرة ، تحت ظلال بنوده المنتشرة ، منصور الجهاد مرفوح الأعداد ، يشكر الله تعالا على مامنحه من نيل السؤل والمراد ، وقد سرج الغارات فى محلاتهم تهدم بناءها وتستلم ذخائرها وأسبابها وترى رأي العين دمارها ونهاياها ، والفنش ينظر اليها نظر المفشي عليه ، ويعض غيظا وأسفا على انامل كفيه ، وحين تمت الهزيمة وتنازع الفرار ، عاد رؤساء الأندلس المنهزمون نحو بطليوس والغار ، وتراجعوا حذرا من العار ، ولم يثبت منهم غير زعيم الرؤساء والقواد ، أبو القاسم المعتمد ابن عباد ، قاتا الى أمير المسلمين وهو مهبط الجناح ، مريض عفاء وجراح ، فهناه بالفتح الجميل ، والصنع الجليل ، وتسلسل ألفنش تحت الظلام ، قارا لا يهدأ ولا ينظم ، ومات من الخمسة قارس الذين كانوا معه بالطريق أربعئة ، فلم يدخل طليطلة الا فى مئة فارس ، والحمد لله على ذلك كثيرا ، وكانت هذه النعمة العظيمة ، والمنة الجسيمة ، يوم الجمعة الحادي عشر لرجب سنة تسع وسبعين وأربعئة موافق الثالث والعشرين لشهر اكتوبر العجمي .

وفي ذلك يقول ابن اللبانة :

يوم العروبة كان ذاك الموقف وأنا شهدت هاتين من يستوصف ؟

وقال أبو جهور :

لم تعلم الروم ان جاءت مصممة يوم العروبة ان اليوم للعرب

ولم يكن لرؤساء الأندلس الذين شهدوا الزلافة فى هذا اليوم
أمر يشكر ، فيقيد عنهم ويؤثر ، الا ابن عباد وطائفة من جيشه ، فأنه
ثبت وأيلا بلاء حسنا ، وجرح ست جراحت ، وفى ذلك يقول يخاطب
بعض ولده :

أبى هاشم هشمتهنى الشفار فله صبرى مُذاك الأوار

نكرت شخيصك ماسينها فلم يثننى ذكره للسفرار

واتصل بأمر المسلمين يوسف فى ذلك اليوم وفاة ولده أبى بكر ، وكان تركه مريضا بسببة ، فاغتم لذلك وانصرف راجعا الى العدو بسبب وفاة ولده ، ولولا ذلك لم يرجع ، فجاز الى العدو ودخل حضرة مراكش فأقام بها الى سنة ثمانين وأربعمئة ، فخرج فى شهر ربيع الآخر منها يتلطف على بلاد المغرب ، ويتفقد أحوال الرعية وينظر فى أمور المسلمين ، ويسأل عن سير عماله فى البلاد وقضاته .

وفى سنة احدا وثمانين وأربعمئة جاز أمير المسلمين الى الأندلس الجواز الثانى برسم الجهاد ، وسبب جوازه أن ألفونسو السادس لعنه الله لما هزم وجرح وقتلت جيوشه عمد الى حصن لبيط الموالى لعمل ابن عباد ، فشحنه بالخيول والرجال والرماة ، وأمرهم أن يدخلوا من حصن لبيط المذكور فيغيرون فى أطراف بلاد ابن عباد دون سائر بلاد الأندلس ، اذ كان السبب فى جواز أمير المسلمين يوسف فكانوا يدخلون منه خيلا ورجالا فيقتلون ويأسرون فى كل يوم ، جعلوا ذلك وظيفة عليهم فساء ابن عباد ذلك وضاق ذرعا فلما رأوا تماديهم على ذلك عبر البحر الى العدو الى لقاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فلقاه بالمعمورة من ملقا وادى سبى ، فشكا اليه حصن لبيط ، وشدة ضرره على المسلمين ، واستغاث به فى ذلك ، فوعده بالجواز والوصول اليه ، فسار المعتمد وسار يوسف فى اثره ، فركب البحر من قصر المجاز الى الجزيرة الخضراء فتلقاه ابن عباد بها بألف دابة تحمل الميرة والضيافة فلما نزل يوسف بالخضراء كتب منها الى أمراء الأندلس يدعوهم الى الجهاد ، وقال لهم : الموعد بيننا حصن لبيط ثم تحرك يوسف من الجزيرة الخضراء ، وذلك فى شهر ربيع الاول من سنة احدا وثمانين وأربعمئة (يونيو ١٠٨٨ م) فنزل على حصن لبيط ، فلم يأتهم ممن كتب اليه من أمراء الأندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية والمعتمد ابن عباد ،

فنزلا معه الحصن وشرعوا فى قتاله والتضييق عليه ، وشن يوسف الغارات على بلاد الروم فى كل يوم فدام الحصار على لبيط أربعة أشهر ، لايفتر عنه القتال ليلا ولا نهارا الى ان دخل فصل الشتاء وأوقع بين ابن عبد العزيز أمير مرسية وبين ابن عباد أمير اشبيلية نزاع وشنأان فشكا المعتمد الى أمير المسلمين يوسف ابن عبد العزيز فدعا يوسف قائده سبرى بن أبى بكر وأمره بالقبض على ابن عبد العزيز وثقافه ، فقبض عليه وثقفه فى الحديد وأسلمه الى المعتمد ، فاختلت المحلة بسبب ذلك ، وفر جيش ابن عبد العزيز وقواده عنها وقطعوا الميرة عن المحلة ، فوقع بها الغلاء فلما رأوا ذلك ألفونسو السادس حشد وقصد الى حماية حصن لبيط فى أُمم لاتحسا ، فلما قرب ألفونسو من لبيط انحرف له يوسف عن الحصن الى ناحية لورقة ، ثم الى ألمرية ، ثم جاز الى العدو / وقد تغير على أمراء الأندلس لكونه لم يأتهم أحد الى نزول حصن لبيط الذي كتب لهم به ولما رحل يوسف عن لبيط وجاز الى العدو أقبل ألفونسو السادس حتى نزل على لبيط فأخلاه وأخرج من كان فيه من بقايا النصارا المنفلتين من مخالب الموت ، وارتحل الى طليطلة ، فأخذ ابن عباد الحصن بعد خلائه وفناء جميع من كان به بالقتل والجوع ، وكان فيه لما نزله يوسف من النصارا نحو اثني عشر ألف مقاتل دون العيال والذرية ، فني جميعهم بالقتل والجوع ، ولم يبق فيه غير مئة من الرجال ، وهم الذين أخرجهم ألفونسو حين أخلاه .

وأقام يوسف ببلاد العدو الى سنة ثلاث وثمانين وجاز الى الأندلس برسم الجهاد وهو الجواز الثالث ، فسار حتى نزل طليطلة وحاصرها وألفونسو بها ، وهتكها وقطع ثمارها وخرب أحوازها وقتل وسبا ، ولم يأت أحد من أمراء الأندلس ، ولم يعرج عليه فغاضه ذلك ، فلما رجع من غزو طليطلة سار الى غرناطة فنازلها ، لأن صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس كان قد صالح ألفونسو السادس وظاهره على يوسف وبعث اليه بالمال ، واشتغل بتحسين بلده ، ولذلك قال بعض أدباء عصره :

يبنى على نفسه سفاها كأنه دودة الحرير
دعوة يبني فسوف يدري إذا أنت قدرة القدير

فلما وصل يوسف الى غرناطة تحصن منه صاحبها عبد الله بن
بلكين وأغلق الأبواب فى وجهه ، فحاصره أمير المسلمين مدة من شهرين ،
فلما رآه تمادا بالحصار عليه بعث اليه يطلب الأمان فأمنه بعد اسلام
البلاد ، فملك يوسف غرناطة وأحوازها وجميع ماكان بيد عبد الله بن
بلكين من الأعمال والبلاد ، وبعث بعبد الله بن بلكين صاحب غرناطة
وأخيه تميم صاحب مالقة الى مراكش مع حريمهما وأولادهما ، فأقاما
بها وأجرا عليهما الاتفاق الى أن ماتا بها ، فلما خلع يوسف بنى بلكين
ابن باديس عن غرناطة ومالقة وملك بلادهم خاف منه ابن عباد وانقبض
عنه ، فمشا بينهما الوحشة بالنمائم ، فتغير عليه يوسف ، وجاز الى
العدوة فى شهر رمضان المعظم من سنة ثلاث وثمانين المذكورة ، وقصد
الى مراكش ، وقدم على الأندلس قائده سبرى بن أبى بكر اللمتونسي ،
وفوض اليه جميع الأمور كلها ، ولم يأمره فى ابن عباد بشيء ، فسار
سبرى بن أبى بكر نحو أشبيلية وهو يظن أن ابن عباد اذا سمع به
خرج اليه وتلقاه عن بعد بالضيافة ، فلم يفعل وتحصن منه ولم يضيفه
ولم يلتفت اليه ، فراسله سبرى بن أبى بكر فى أن يسلم اليه البلاد ويدخل
فى طاعته ، فامتنع المعتمد من ذلك ، فأخذ سبرى فى حصاره وقتاله ،
وبعث قائده بطل الى جيان ، فحاصرها حتى دخلها صلحا ، وملكها
المرابطون ، وكتب سبرى بالفتح الى يوسف وأمر القائد بطل أن يرتحل
عن جيان ويسير الى قرطبة ، فسار اليها وبها يومئذ المؤمن بن المعتمد ،
فنزل عليه بطل بعساكر المرابطين حتى فتحها وفتح حصونها ، ومعاقلها ،
وكان فتح المرابطين لقرطبة يوم الاربعاء الثالث من صفر سنة أربع
وثمانين وأربعمئة (٢٦ مارس ١٠٩١ م) ، ثم فتح بياسة وأبذة وحصن
البلاط والدور والصخيرة وشقورة ، ولم ينقض شهر صفر المذكور حتى
لم يبق لابن عباد بلد الا وقد ملكه المرابطون ماعدا قرمونة واشبيلية ،
فأقام القائد بطل بن اسماعيل بقرطبة حتى سكنها ورم ثغورها ، وبعث

الى قلعة رباح قاصية بلاد المسلمين قائدا من لتونة فى ألف فارس من المراتين ليضبطها ويسد ثغورها ، وارتحل سيرى بن أبى بكر الى قرمونة فقاتلها حتى دخلها عنوة ، وذلك يوم السبت عند الزوال السابع عشر من شهر ربيع الأول من سنة أربع وثمانين المذكورة (١٠ ماي ١٠٩١ م) فاشتد الأمر على إبن عياد وطلال عليه الحصار فبعث الى ألفونسو السادس أخزاه الله يستغيث به ويستصرخه على لتونة ويعدده بإعطاء البلاد ، وبذل الطارف والتلاد ، ان كشف عنه ماهو فيه من الحصار ، فبعث اليه ألفونسو قائده القومس فى جيش من عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل ، فلما علم سيرى بقدوم الروم اليه انتخب من جيشه عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والشجاعة وقدم عليهم ابراهيم ابن اسحاق اللمتونى وبعثهم للقاء الروم ، فالتقا الجمعان بالقرب من حصن المدور ، فكانت بينهم حروب شديدة مات فيها خلق كثير من المراتين ، ومنحهم الله تعالا النصر فهزموا الروم وقتلوه ، ولم يفلت منهم الا القليل ، ثم لم يزل سيرى بن أبى بكر وقواده من لتونة بالحصار والتضييق على أشبيلية حتى دخلها على المعتمد ، فأمنه فى نفسه وأهله وولده ، وبعث بهم الى أمير المسلمين ، فكانوا عنده بأغمات الى أن أتاها الموت ، وكان دخول سيرى بن أبى بكر أشبيلية وتملك المراتين لها يوم الأحد الثانى والعشرين لرجب من سنة أربع وثمانين المذكورة (٧ شتنبر ١٠٩٧ م) .

وفى شعبان من هاذة السنة ملك المراتون مدينة نبرة وفى شهر شوال منها دخل القائد يوسف بن داود بن عائشة مدينة مرسية وأعمالها ، وكتب بالفتح الى أمير المسلمين يوسف ، وكان القائد يوسف بن داود بن عائشة عادلا فى أحكامه صالحا ورعا لاتأخذه فى الله لومة لائم ، فأحبه الناس ، وفيها رحل القائد محمد بن عائشة بجيش المراتين فنزل ألمرية ، فهرب عنها صاحبها معز الدولة بن صمادح فى البحر الى أفريقية بأمواله وعياله وأسلم له البلد ، فملكها المراتون ، وكتب محمد بن عائشة بالفتح الى أمير المسلمين يوسف ، فملك يوسف مملكة خمسة أمراء من أمراء

الأندلس فى سنة ونصف ، وهم : ابن عباد ، وابن حبوس وابن الأخص ،
وابن عبد العزيز ، وعبد الله بن بكر صاحب جيان وأبله وأستجة •

وفى سنة خمس وثمانين أمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قائده
ابن عائشة أن يسير الى دانية ، فسار اليها وملكها وملك شاطبة ، وكان
صاحبها ابن منقذ ، ففر عنها ودخلها المرابطون ، ثم سار قائده ابن
عائشة الى مدينة شقورة فملكها ، وسار الى بلنسية وكان بها القادر بن
ذى النون ، والحاكم فيها جمع من النصارا يجبون خراجها ، ففر عنها
ودخلها القائد ابن عائشة وكتب بالفتح الى أمير المسلمين •

وفى سنة ست وثمانين وأربعمئة فتح المرابطون مدينة افراغ من
بلاد شرق الأندلس ، ولم يزل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يبعث
جيوشه وقواده اليها يرسم الجهاد للروم وخلق أمرائها المتغلبين عليها
حتى ملك جميع بلاد الأندلس واستوثق له أمرها •

وفى سنة ست وتسعين وأربعمئة أخذ أمير المسلمين البيعة لولده
علي بقرطبة فبايعه جميع أمراء لتونة وأشياخ البلاد وفقهاؤها ، وذلك
فى شهر ذى الحجة منها ، وكان علي غائبا بسببة وبها نشأ •

وفى سنة ثمان وتسعين مرض أمير المسلمين يوسف وابتدأته العلة
التي مات منها وهو بمدينة مراكش ، فلم يزل مرضه يشتد وحاله يضعف
الى أن توفي رحمه الله فى مستهل شهر محرم سنة خمسئة (الأحد ٢
شتمبر ١١٠٦ م) وقد بلغ عمره مئة سنة ، فكانت مدة ملكه من يوم دخل
مدينة فاس سنة اثنتين وستين وأربعمئة ، الى أن توفي ثمانيا وثلاثين
سنة ، ومن حين قدمه أبوبكر بن عمر سبعا وأربعين سنة ، والبقاء لله
وحده •

الخبر عن دولة أمير المسلمين علي بن يوسف

ابن تاشفين بالمغرب وبلاد الأندلس

هو الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت ابن وارثقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن وأرتملى بن تمليت الصنهاجي اللمتوني .

كنيته : أبو الحسن .

أمه أم ولد رومية اسمها قمر ، وتكنا أم الحسن .

مولده : بسبئة سنة سبع وسبعين وأربعمئة .

صفته : أبيض اللون ، مشرب بحمرة ، تام القد ، أسيل الوجه أفلج

أقنا خفيف العارضين أكحل العينين سبط الشعر .

بنوه : تاشفين المولا بعده ، وأبوبكر ، وسيرى .

كاتبه : أبو محمد بن أسباط .

ببيع له يوم مات أبوه بمراكش بعهد أبيه له ، وتسما بأمرير المسلمين ، وذلك في غرة محرم سنة خمسمئة ، وسنه يوم ببيع ثلاث وعشرون سنة ، وملك جميع بلاد المغرب من مدينة بجاية الى بلاد السوس الاقصا ، وملك جميع بلاد القبلة من سجلماسة الى جبل الذهب من بلاد السودان ، وملك بلاد الأندلس شرقا وغربا ، وملك الجزائر الشرقية وميورقة ويابسة ، وخطب له على ألفي منبر ونيف وثلاثمئة منبر ، وملك من البلاد ما لم يملكه والده ، لأنه وجد البلاد هادئة ، والأموال وافدة ، والملك قد توطأ ، والأمور قد استقامت .

ولما ولي رحمه الله أقام العدل ، وضبط الثغور ، ووالا الجهاد ، وسرح السجون ، وفرق الأموال ، ورد أحكام البلاد الى القضاة ، وسلك طريق أبيه في جميع أموره ، واهتدا بهديه ، وعزل عن قرطبة الأمير أبا

عبد الله ابن الحاج ، وولا مكانه القائد محمد بن أبى زلفى ، فغزا طليطلة وأوقع بالنصارا فقتلهم قتلا ذريعا بباب القنطرة أخذهم على غرة .

وقيل لما توفي والده يوسف رحمه الله سجاه بثوبه وخرج ويده فى يد أخيه تميم الى المرابطين فنعاها لهم ، فوضع تميم يده فى يد علي فبايعه ثم قال للمرابطين : قوموا فبايعوا أمير المسلمين ، فبايعه جميع من حضر من لتونة وسائر قبائل صنهاجة والفقهاء وأشياخ القبائل فتمت له البيعة بمراكش ، فكتب الى جميع بلاد المغرب والأندلس وبلاد القبلة يعلمهم بموت أبيه واستخلافه من بعده ويأمرهم بالبيعة ، فأنته البيعة من جميع البلاد ، وأقبلت نحوه الوفود للتعزية والتهنئة الا مدينة فاس ، فان ابن أخيه يحيى بن أبى بكر ابن أمير المسلمين يوسف كان أميراً عليها من قبل جده يوسف ، فلما وصله الخبر بموت جده وولاية عمه عظم ذلك عليه وانف من بيعة عمه وخالف عليه وامتنع من البيعة ، ووافقه على ذلك جماعة من لتونة ، فخرج اليه أمير المسلمين علي من مراكش حتى قرب من مدينة فاس ، فخاف يحيى ابن أخيه على نفسه وعلم أنه لا طاقة له بحربه ، ففر عن مدينة فاس وأسلمها لعمه ، فدخلها أمير المسلمين علي بن يوسف ، واستقام له الملك ، وكان دخوله مدينة فاس وفرار الأمير يحيى بن أبى بكر عنها يوم الاربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس مئة (٧ دجنبر ١١٠٦ م) .

وقيل أن أمير المسلمين علي بن يوسف لما قرب من مدينة فاس نزل مدينة مغيلة (٨٩) من أحواز فاس ، ثم كتب الى ابن أخيه كتابا يعاتبه فيه على فعله ويدعوه للدخول فى طاعته كما دخل الناس ، وكتب الى

89) مغيلة : مدينة مغربية مسماة باسم القبيلة التى كانت تسكنها ، تقع بين فاس ومكناس عن يمين الداهب من الأول الى الثانية بطن المهايا من قبيلة عرب سايس ، كان الطريق القديم يمر بها قبل تعبيد الطريق الجديد فى أول هذا القرن ، خربها الجند الروم الذين كانوا فى جيش الخليفة السعيد الموحدي ، فهبطت الى مستوى قرية لا تزال قائمة العين والذات الى اليوم ، ينتسب اليها جماعة من الأعلام . أنظر عنها **بيوتات فاس الكبرى** وأخبار المهدي بن تومرت ص 25 وانظر عنها قصة لطيفة فى **المغرب لابن دحية** ص 124 .

أشياخ البلد كتابا يدعوهم فيه الى بيعته ويهددهم ويوعدهم ، فلما وصل الكتاب الى يحيى وقراه جمع أهل البلد واستشارهم فى الحصار والمقاتلة فلم يوافقوه على ذلك ، فلما يئس منهم خرج فارا الى مزدلى العامل على تلمسان ، فلقىه مزدلى بوادى ملوية (٩٠) وهو مقبل بالبيعة لأمر المسلمين علي بن يوسف والسلام عليه ، فأعلمه بما كان من شأته ، فضمن له مزدلى من عمه العفو والصفح ، فرجع معه يحيى حتى وصل الى مدينة فاس ، فدخل مزدلى الى أمير المسلمين علي ، ونزل يحيى مختفيا بحومة وادى شدرود فلما دخل مزدلى وباع أمير المسلمين وسلم عليه ورأى منه قبولا واکراما عظيما أعلمه بخبر يحيى وبما ضمن له من العفو فأجابه الى ذلك وعفا عنه وأمنه ، وأتاه يحيى فبايعه ، وخيره أمير المسلمين اما ان يكون سكناه بجزيرة ميورقة واما ان ينصرف عنه الى بلاد الصحراء ، فانصرف اليها ، ثم سار منها الى الحجاز ، فحج بيت الله الحرام ورجع الى عمه ، فاستأذنه ان يكون من حماته ويكون سكناه بحضرة مراكش ، فأذن له فى ذلك فسكنها ، فاتهمه عمه بالقيام عليه فثقفه وبعث به الى الجزيرة الخضراء ، فبقي بها الى ان مات .

وفى سنة احدا وخمسمئة عزل الأمير علي أخاه تميم بن يوسف عن بلاد المغرب وولا مكانه القائد أبا عبد الله بن الحاج ، فأقام واليا على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب ستة أشهر ، ثم عزله وولاه مدينة بلنسية من بلاد شرق الأندلس ، ومنها دخل سرقسطة سنة اثنتين وخمسمئة وفى سنة اثنتين وخمسمئة كانت وقعة اقليج على النصارا ، وكان أمير جيش المسلمين تميم بن يوسف بن تاشفين ، وكان واليا على غرناطة

(90) نهر كبير ينبع من ملتقا جبل الأطلس المتوسط والأطلس الكبير ثم تجرى مياهه فى اتجاه شمال شرقى حتى تصب فى البحر المتوسط بين السعيدية ومليبية بعد ما تقطع فى حريها مسافة 480 كلم من المنبع الى المصب ، تبلغ كمية فيضه خلال فصل المطر 200 م 3 فى الثانية ولكنها تنخفض بالتدريج حتى لا تتجاوز 20 م 3 فى فصل الصيف ، وقد بنى بأسفل النهر المذكور قرب مصبه سدان أحدهما بمشروع القليلة والثانى بمشروع حمادى ، وتستغل مدخرات السدين المذكورين من المياه فى توليد الكهرباء وسقى سهول بركان الواقعة فى شرقه وسهول صبرة الواقعة فى غربه .

فخرج منها غازيا الى بلاد الروم ، فنزل حصن اقليج وبه جمع عظيم من الروم ، فحاصروهم حتى دخل عليهم فتحصن النصارى فى القسبة ، فبلغ خبرهم الى ألفونسو السادس ، فاستعد للخروج الى اغاثة بلده ، فأشارت عليه زوجته ان يوجه ولده عوضا منه فيكون مقابلا لتميم ، لان تميما ابن ملك المسلمين ، وسانشو ابن ملك الروم ، فسمع منها فبعث ولده سانشو فى جيوش كثيرة من زعماء الروم وأنجادهم ، وساروا حتى قربوا من اقليج ، فأخبر تميم بقدومه ، فأراد ان يقلع عن الحصن ولا يلقاهم ، فأشار عليه عبد الله بن محمد بن فاطمة ، ومحمد بن عائشة ، وغيرهما من قواد لمتونة بالمقام ولا يرحل ، وشجعوه وهونوا عليه أمرهم وقالوا له لاتخف فانما قدموا فى ثلاثة آلاف فارس وبيننا وبينهم مسافة ، فطاعهم فى ذلك ، فلم يكن الا عشي يومهم ذاك حتى أنتهم جيوش الروم فى ألوف كثيرة ، فأراد تميم الفرار وأحجم عن قتالهم ، فلم يجد سبيلا للفرار ولا للروغ مخلصا ، وصمم قواد لمتونة الى لقاء العدو ومناجرته ، فالتقوا فكانت بينهم حروب عظيمة لم يسمع مث لها ، فهزم الله تعالى العدو ونصر المسلمين ، وقتل ولد ألفونسو السادس وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون ألفا ونيف ، ودخل المسلمون اقليج بالسيف ، واستشهد فيها جماعة من المسلمين رحمهم الله ، واتصل الخبر بألفونسو ، فاغتم لقتل ولده ودخل بلده وهلاك عسكره ، فمرض بالفقعة ومات لعشرين يوما من الكائنة (٩١) وكتب تميم بالفتح الى أخيه أمير المسلمين علي بن يوسف .

وفيهما سار محمد بن الحاج من بلنسية الى سرقسطة ، فدخلها وأخرج عنها بنى هود وملكها ، وكتب بالفتح الى أمير المسلمين علي ، ولم يزل بها الى أن خرج غازيا الى برشلونة ، فاستشهد بها ، وذلك فى سنة ثمان وخمسمئة ، وكان رحمه الله طول أيام ولايته ببليسية وسرقسطة قد ضيق بالنصارى تضيقا عظيما بالغارات على بلادهم ، فخرج فى غزاة له فأخذ على الطريق البرية ، فغنم وسبا وكان معه

جماعة من قواد لمتونة ، قبعث بالمغنم على الطريق الكبير ، وأخذ هو على البرية لقربه من بلاد المسلمين ، وممر أكثر الناس مع المغنم ، وكان طريق البرية الذي أخذه محمد بن الحاج لايسلك الا على طريق واحد لصعوبته وشدة وعره ، فلما توسط الأمير محمد ابن الحاج وأخذته الأوعار والمضايق وجد النصارا قد كمنوا له فى جهة من تلك الجهات ، فقاتلهم قتالا شديدا ، قتال من أيقن بالموت واغتنم الشهادة ، اذ لم يجد منفذا يخلص منه ، فاستشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المتطوعة ، وتخلص منهم القائد محمد بن عائشة فى نفر بالحيلة الى بلاد المسلمين ، فاتصل خبر وفاته بأمير المسلمين علي ، فأسف عليه وولا مكانه أبابكر ابن ابراهيم بن تافلوت ، وكان عاملا على مرسية ، فاجتمع اليه من كان بها من الجند الى جند سرقسطة ، وسار بها الى برشلونة ، فنزلها وأقام عليها عشرين يوما حتى هتكها وقطع ثمارها وخرب أنحاءها وقراها ، فأتاه ردمير فى جيوش كثيرة من حشود لبيط وبرشلونة وبلاد أربونة فكانت بينهم حروب عظيمة مات فيها خلق كثير من الروم واستشهد فيها من المسلمين نحو السبعمئة رجل .

وفى سنة ثلاث وخمسمئة جاز الأمير علي بن يوسف الى الأندلس برسم الجهاد ، فجاز من سبتة فى الخامس عشر من المحرم من السنة المذكورة (السبت ١٤ غشت ١١٠٩ م) فى جيوش عظيمة تزيد على مئة ألف فارس ، فوصل الى قرطبة فأقام بها شهرا ، ثم خرج منها غازيا الى مدينة طلايوت ، ففتحها عنوة بالسيف ، وفتح من أحواز طليطنة سبعين وعشرين حصنا ، وفتح مجريط ووادي الحجارة ، ووصل الى طليطلة فحاصرها شهرا وقطع ثمارها وبلغ فيها من النكاية كثيرا ، ثم قفل منها الى قرطبة بعد ان دوخها .

وفى سنة أربع وخمسمئة فتح الأمير سيري بن أبى بكر مدينة شريش وبطليوس وبرتقال ويابرة والاشبونة وجميع بلاد الغرب ، وذلك فى شهر ذي القعدة منها ، وكتب بالفتح الى أمير المسلمين علي بن يوسف

وفى سنة سبع وخمسمئة توفي الأمير سيري بن أبى بكر باشبيلية ودفن بها ، وولي أشبيلية بعده عوضا منه محمد بن فاطمة ، فلم يسزل عليها الى أن توفي فى سنة عشر وخمسمئة .

وفى سنة سبع المذكورة غزا الأمير مزدلى طليطلة وانحاءها فدوخها ، وفتح حصن ارهينة عنوة ، وقتل كل من كان به من الرجال وسبا النساء والذرية ، فاتصل الخبر ، بالبرهانس ملك الروم فاقبل لنصرتهم واستنقاذهم ، فسمع به مزدلى فقصده للقائه ، ففر أمامه ليلا ورجع مزدلى الى قرطبة ظافرا غانما ، فأمر بحمل الميرة الى أريضة وتحصينها ، ورتب بها الرجال والرماة والفرسان ، وأعلم الأمير مزدلى ان ابن الزند غرسيس صاحب وادي الحجارة قد حاصر مدينة سالم ، فقصده اليه مزدلى ، فاتصل الخبر بابن الزند غرسيس فولأ هاربا وأقلع عنها حصاره ولم يكذب ، وترك جميع أسبابه وأثقاله ومضاربه ، فاحتوا مزدلى على ذلك كله .

وفى سنة ثمان وخمسمئة توفي الأمير مزدلى رحمه الله غازيا ببلاد الروم ، وكتب بموته الى أمير المسلمين علي بن يوسف ، فولأ مكانه محمد ابن مزدلى ، فأقام واليا عليها ثلاثة أشهر وتوفي شهيدا فى غزاة له .

وفى سنة تسع وخمسمئة ملك أمير المسلمين علي بن يوسف الجزائر البحرية من شرق الأندلس .

وفى سنة احدا عشرة وخمسمئة ولي عبد الله بن مزدلى بلنسية وسرقسطة ، فسار اليها من غرناطة ، فوجد ابن ردمير اللعين قد أذاق أهلها شرا ، وكانت بينهما حروب عظيمة حتى هزمه واخرجه عن البلاد، وأقام عبد الله بن مزدلى على سرقسطة عاملا كاملا ، فتوفي ، فبقيت سرقسطة دون أمير ، فأتاها الفونسو الأول ملك أراكون فنزلها ، وأتسا الفنش (٩٢) أيضا فى أمم لاتحصا من الروم فنأزل لاردة من بلاد الجوف،

(92) فى الأصل (فأتاها ابن ردمير فنزلها وأتا الفنش أيضاً) مما يؤهم أن هناك فنشين : ابن ردمير الذى هو الفنش الأول المحارب ملك أراكون ، وفنش آخر ، والحقيقة أنه لم يكن هناك

قاتصل الخبر بأمير المسلمين علي بن يوسف ، فكتب الى أمراء غرب الأندلس بالمسير الى ناحية تميم ، وكان واليا على شرق الأندلس ، ليسيروا معه لاستنقاذ سرقسطة ولاردة ، فقدم على تميم عبد الله بن مزدلي (٩٣) وأبو يحيى بن تاشفين صاحب قرطبة بعساكرهما ، فخرج تميم بن يوسف بن تاشفين من بلنسية مع أمراء لمتونة ، فقصده نحو لاردة ، وكان بينه وبين الفونسو الأراكوني قتال عظيم ألقاه عن لاردة خاسراً بعد أن بذل جهده في حصارها وقتالها ، وفقد عليها من جيوشه ما يزيد على العشرة آلاف فارس ، ورجع تميم الى بلنسية ، فلما رأى الفونسو الأول الأراكوني ذلك بعث الى طوائف الأفرنج يستنصر بهم على سرقسطة فأتوا في أمم كالنمل والجراد ، فنزلوا معه بها وشرعوا في قتالها ، وصنعوا أبراجاً من خشب تجري على بكارات وقربوها منها ، ونصبوا فيها الرعادات ، ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ، ووقع طمعهم فيها ، فاستمر الحصار عليها حتى قنيت الأقوات وفني أكثر الناس جوعاً ، فراسلوا الفونسو الأول على أن يرفع عنهم القتال الى أجل ، فإن لم يأتهم من ينصرهم أدخلوا البلاد وأسلموها له ، فعاهدهم على ذلك ، فتم الأجل ودفعوا اليه المدينة ، وخرجوا عنها الى مرسية وبلنسية ، وذلك في سنة اثنتي عشرة وخمسمئة ، وبعد دخولها وتملك النصارى إياها: وصل من العدو جيش من عشرة آلاف فارس بعثه أمير المسلمين علي لاستنقاذها ، فوجدوها قد فرغ منها وملكها ونفذ حكم الله فيها .

وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمئة تغلب العدو الفونسو الأول ملك أراكون على بلاد شرق الأندلس واستولا على أكثرها ، وملك قلعة أيوب التي ليس في بلاد الشرق أمان منها ، وألح بالغايات على بلاد الجوف ، فاتصلت هاذة الأخبار بأمير المسلمين علي بن يوسف ، فجاز السى

الافنث واحد هو ابن رذمير الذي أثبتنا في المتن اسمه الحقيقي أصلاً وتحققاً ورفعاً لكل التباس. 93) يلاحظ التناقض في هذه الرواية ، فقد تقدم لابن أبي زرع أن عبد الله بن مزدلي توفي بعد أن حاصر سرقسطة عاماً ، وهماو يعيده مرة أخرى الى الحياة .

الاندلس برسم الجهاد واصلاح احوال بلادها وضبط ثغورها ، وهو جوازہ الثاني ، فجاز معه خلق كثير من الرابطين والمتطوعة من العرب وزناتة والمصامدة وسائر قبائل البربر ، فوصل بجيوشه الى قرطبة فنزل بخارجها ، واتاه بها وقد الاندلس للسلام عليه ، فسألهم عن احوال بلادهم وثغورهم بلدا بلدا ، فعرفوه بما كان عندهم من ذلك ، وعزل ابن رشد عن قضاء قرطبة لأجل اشتكائه ابن رشد عليه ، لأنه اشتغل بتأليف البيان والتحصيل ، وولا مكانه أبا القاسم بن حمدين ، ثم ارتحل الى بلاد شننمرية فنزل عليها حتى فتحها عنوة ، وسار فيها غازيا يقتل في بلاد الغرب ويسبى ويقطع الثمار ، ويخرب القرا والديار ، حتى دوخها ، وفر أمامه الروم ، وتحصنوا بالمعاقل المنيعه .

وفى سنة خمس عشرة وخمسمئة جاز أمير المسلمين الى العدو ، وولا أخاه تميم جميع بلاد الاندلس ، فلم يزل عليها الى سنة عشرين ، فتوفي تميم وولي مكانه الأمير تاشفين بن علي ، فجاز الى الاندلس في جيش من خمسة آلاف فارس ، وبعث الى أجناد البلاد فأتوا ، فخرج بهم غازيا الى طليطنة ، فدخل حصنا من حصونها بالسيف ، وهتك أحوازها .

وفيهما أعنى سنة عشرين المذكورة هزم الأمير تاشفين النصاري بغحص الصباب وقتلهم قتلا ذريعا ، وفتح ثلاثين حصنا من حصون بلاد الغرب ، وكتب بالفتح الى أبيه .

وفى سنة ثمان وعشرين غزا الأمير تاشفين بن علي قنطرة محمود فدخلها بالسيف .

وفى سنة ثلاثين وخمسمئة هزم الأمير تاشفين جموع الروم بغحص عطية وأفنا منهم خلقا كثيرا .

وفى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمئة جاز الامير تاشفين من الاندلس الى العدو بعد ان غزا مدينة اشكونية وحمل من سببها الى العدو ستة آلاف سبية وفتحها عنوة ، فوصل الى مراکش فتلقا والده علي أمير المسلمين في زي عظيم وفرح به .

وفى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة أخذ أمير المسلمين البيعة لولده
تاشفين .
وفى سنة سبع وثلاثين توفي أمير المسلمين علي بن يوسف ، بن
تاشفين وولي بعده ولده تاشفين ولي عهده .

الخبر عن دولة أمير المسلمين تاشفين بن علي ابن يوسف بن تاشفين اللمتوني رحمه الله

هو أمير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي
اللمتوني .

كنيته : أبو المعز ، وقيل أبو عمرو ، وأمه أم ولد رومية اسمها
ضوء الصباح .

ولي بعد وفاة أبيه وبعهده اليه في حياته ، وذلك في الثامن من
رجب الفرد من سنة سبع وثلاثين وخمسمئة (الأربعاء ٢٧ يناير ١١٤٣ م)
في معظم أيام الفتنة ، وقد قام الموحدون وظهر أمرهم وانتشر سلطانهم
وملكوا كثيرا من بلاد العدو ، فكانت بينهم وبين عبد المومن بن علي
حروب عظيمة ووقائع كثيرة .

ولما خرج عبد المومن بن علي من تينمل يريد فتح المغرب خرج
تاشفين من مراکش ، واستخلف عليها ولده ابراهيم ، فكان يتبع عبد
عبد المومن حيثما توجه من البلاد يباكره بالحرب ، الى ان سار الى
مدينة تلمسان ، وأتا عبد المومن فنزل عليه بها ، فخرج تاشفين الى قتائه
فنزل عبد المومن بجيوشه بالصخرتين من ظاهر تلمسان مقابل الجبل ،
ونزل تاشفين بجيوش صنهاجة بالبسيط الذي يلي الصفصيف (٩٤)

(94) واد صغير يقع شرقي تلمسان ينزل من جبل الصخرتين ويصب في نهر يسر ، عليه
قرية عصرية تسمى باسمه ، يعرف في كتب الجغرافية القديمة بنهر سطقسيف .

فزحف المرابطون لقتال الموحدين ، فنهاهم تاشفين فلم ينتهوا ، وتعلقوا بالجبل لقتالهم ، فهبط عليهم الموحدون فهزموهم هزيمة عظيمة شنيعة ، وفر تاشفين الى مدينة وهران ، فنزل بظاهرها ، وترك تلمسان للأمير محمد المعروف بالسيورى يضبطها ، فترك عليها عبد المؤمن يحيا بن يومر بجيش الموحدين محاصرا لها ، وانصرف الى وهران فى طلب تاشفين بن علي ، فنزل عليه بوهران ، فلما اشتد الحصار على تاشفين بن علي خرج ليلا ليضرب فى محلة الموحدين ، فتكاثرت عليه الخيل والرجال ، ففر أمامهم ، وكان بجبل عال مشرف على البحر ، فظن أن الأرض متصلة ، فهوا من شاهق عال بازاء وهران ، وذلك فى ليلة مظلمة ممطرة ، وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم من سنة تسع وثلاثين وخمسمئة (الجمعة ٢٣ مارس ١١٤٥ م) فوجد من الغد بازاء البحر ميتا ، فاحتز رأسه وحمل الى تينمل ، فعلق بها على شجرة ، وذلك بعد ملازمته الحرب فى البiddاء مع الموحدين لايأوى الى وطن من يوم ولي الى ان مات رحمه الله ، وكانت دولته سنتين اثنتين وشهرا ونصف شهر ، ولله عاقبة الأمور ، لارب غيره ، ولا معبود سواه ، والبقاء لله تعالى .

الخبر عن سيرهم والأحداث التى كانت فى أيامهم

رحمهم الله تعالى بمنه وكرمه

(وذلك من سنة اثنتين وستين وأربعمئة إلى سنة أربعين وخمسمئة)

كانت لتونة قوما غلبت عليهم البداوة ، وكانوا مع ذلك اهل دين متين ، وقام لهم بالمغرب والأندلس ملك عظيم ، فعدلوا فى أحكامهم ، وواظبوا على الجهاد .

وقال ابن جنون : كانت لتونة اهل ديانة ونية صادقة خالصة وصحة مذهب ، ملكوا بالأندلس من بلاد الافرنج الى البحر الغربى فى المحيط ،

ومن مدينة بجاية من بلاد العدو الى جبل الذهب من بلاد السودان ، لم يجر فى عملهم طول أيامهم رسم مكس ولا معونة ولا خراج فى بادية ولا فى حاضرة ، وخطب لهم على أزيد من ألفي منبر ، وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن ، تناها القمح فى أيامهم الى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال ، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال ، والقطانى لاتباع ولا تشترا ، كان ذلك مصطحبا بطول أيامهم ، ولم يكن فى عمل من بلادهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف المخزنية حاشا الزكاة والعشر ، وكثرت الخيرات فى دولتهم وعمرت انبلاد ووقعت الغبطة ، ولم يكن فى أيامهم نفاق ولا قطاع ولا من يقوم عليهم ، وأحبهم الناس الى أن خرج عليهم مهدى الموحدى فى سنة خمس عشرة وخمسمئة .

وأما الاحداث التى كانت فى أيامهم :

ففى سنة اثنتين وستين وأربعمئة فتحوا مدينة فاس واستوثق لهم ملك المغرب .

وفىها فتحوا بلاد فازاز .

وفى سنة ثلاث وستين تملكوا حصون وطاط من بلاد ملوية .

وفى سنة أربع وستين توفي المعتضد ابن عباد القاضى محمد ابن عباد صاحب أشبيلية ، ووليها بعده ولده محمد المعتمد ابن عباد .

وفى سنة خمس وستين قاذل يوسف بن تاشفين صدراته وأهل صفرو

وفى شهر ذى الحجة من سنة سبع وستين ظهر النجم المعكف

بالمغرب .

وفى سنة سبعين دخل يوسف بن تاشفين مدينة تادرايت التى بمقربة

ملوية بالسيف وقتل أميرها القاسم بن محمد بن أبى العافية وأباد جميع

جيوشه ولم يبق منهم باقية .

وفيه ملك يوسف بن تاشفين طنجة وتوفي صاحبها سكوت البرغواطي
وفى سنة احدا وسبعين وأربعمئة كسفت الشمس يوم الاثنين عند
الزوال فى اليوم الثامن والعشرين وهو كسوف الشمس العظيم الذي لم
يعهد قبله مثله ، وفى هاذة السنة ملك الغنش مدينة قورية وأخرج منه
المسلمين .

وفى سنة اثنتين وسبعين وأربعمئة بعث الأمير يوسف قائده مزدلي
فى عشرين ألفا من المرابطين ففتح مدينة تلمسان .

وفى ربيع الآخر منها كانت الزلزلة العظيمة الذي لم ير الناس
بالمغرب مثلها ، هدت البنيان ومات فيها خلق كثير تحت الردم ، ووقعت
الصوامع والمنارات ، ولم تزل الزلزلة تتعاقب وتكرر فى كل يوم وليلة من
أول يوم من ربيع الآخر الى آخر يوم من جمادى الآخرة من السنة
المذكورة .

وفى شهر ذي القعدة منها ثار أهل طليطلة على ملكهم القادر ابن
ذى النون وقتلوا أكثر رجاله ووزرائه ، فخرج القادر فارا بنفسه وعياله
الى حصن كنانة

وفى سنة أربع وسبعين فتح يوسف مدينة وجدة وتنس ووهران
وجبال ونشريس وأعمال شلف الى الجزائر .

وفيهما توفي صاحب السوق وأحكامه بقرطبة ، وهو الفقيه الحافظ
أبو طالب مكي رحمه الله .

ولد الفقيه القاضى محمد بن أصبغ المعروف بابن مناصف صاحب
الارجوزة .

وفى جمادى الآولا منها توفي المقدم أحمد المقندر صاحب سرقسطة
وولي مكانه ولده يوسف المؤمن .

وفى سنة سبع وسبعين فتح الأمير يوسف مدينة سبته ، وفيها
استولوا ألفونسو السادس على طليطلة .

وفى ربيع الأول من سنة تسع وسبعين جاز أمير المسلمين يوسف
الى الأندلس برسم الجهاد ، فكانت غزوة الزلاقة •

وفى سنة احدا وثمانين جاز الأمير يوسف الى الأندلس جـوازـه
الثانى برسم الجهاد •

وفى سنة ثلاث وثمانين جاز جـوازـه الثالث ، وفيها خلع بنى بلكين
واستولا على ماكان بأيديهم ووجههم الى مراكش •

وفى سنة أربع وثمانين استولا المرابطون على مايد المعتمد ابن
عباد من البلاد ، واعتقل وأرسل الى أغمات ، وفيها ملك القائد محمد ابن
عائشة ألمرية وفر صاحبها ابن صمادح فى البحر الى أفريقية •

وفى سنة خمس وثمانين ملك المرابطون دانية وشاطبة وفر صاحبهما
ابن منقذ ، وفى هـاذـه السنة ملك المرابطون بلنسية وفر صاحبها القادر
ابن ذي النون •

وفى سنة ست وثمانين فتحت مدينة افراغ من شرق الأندلس •
وفى سنة تسعين تمحض ملك الأندلس ليوسف بن تاشفين واستوثق
لـه أمره •

وفىها توفي أبو الحسن عبد الرحمان بن محمد بن يونس بن افلج
النحوى بأشبيلية ، وكان عالما فاضلا ، وله تأليف •

وفى سنة ست وتسعين أخذ الامير يوسف البيعة لولده علي بقرطبة
وفى سنة سبع وتسعين توفي الفقيه الحافظ محمد ابن الطلاع ،
وله تأليف •

وفىها توفي الفقيه المشاور أبو المطرف عبد الرحمان بن قاسم
الشعبى الملقى ، وكان فقيها ذاكرا للمسائل ، وشوور ببلده فى الأحكام
وفىها توفي الفقيه الحافظ محمد بن قرج ، له تأليف •

وفى سنة ثمان وتسعين ابتدأت علة أمير المسلمين يوسف التى
مات منها •

وفى مهل محرم فاتح سنة خمسمئة (الأحد ٢ شتنبر ١١٠٦ م) توفي أمير المسلمين يوسف رحمه الله وعمره مئة سنة ، وبويع لولده علي بمراكش .

وفيهما غزا القائد أبو عبد الله بن زلفى طليطلة وأوقع بالنصارا بباب القنطرة ، وفى ربيع الآخر منها دخل أمير المسلمين علي مدينة فاس وقد فر عنها ابن أخيه المخالف عليه .

وفى سنة احدا وخمسمئة توفي الشيخ الصالح العالم الواعظ ابر الحسن عبد الرحمان ابن خلف الكنانى القرطبى المعروف بالزيتونى .

وفيهما توفي الولي الكامل العارف الواصل أبو جبل (٩٥) رضى الله عنه وذكر صاحب التشوف بأن أبا جبل توفي فى سنة ثلاث وخمسمئة ، ودفن بظاهر الرابطة التي بخارج باب أصليتين من أبواب فاس ، وكان أبوجبل نفع الله به من كبار الفضلاء ، لقي بمصر أبا الفضل عبد الله ابن حسن الجوهري ، وكان جزارا أسود اللون مليح الوجه نقى القلب أحد المخلصين الخائفين من الله تعالى ، ويقال انه رأى الخضر عليه السلام بعد أربعين سنة من اقباله على الله تعالى ومجاهدته ، فبشره ان الله قد أثبتته فى الأبدال ، وكان كثير السباحة فى الأرض ، وهو القائل :

سافر لتكسب فى الأسفار فائدة	فرب فائدة تلقا مع السفر
ولا تقم بمكان لاتصيب به	شيئا ولو كنت بين الظل والزهر
فان موسا كلم الله أعوزه	علم تكسبه فى صحبة الخضر

وفيهما (٩٦) كانت وقعة اقليج على النصارا وفتح الحصن ، وقتل سانشو ولد الفنش فى الوقعة ، ومات أبوه بعده لعشرين يوما من الوقعة

(95) يعلا الفاسى المكنى بأبى جبل ، انظر ترجمته فى التشوف ع ١٠ وجذوة الاقتباس ص 35١ وسلوة الانفاس 3 : 162 .

(96) فى الأصل (وفى سنة اثنتين وخمسمئة) وهو خطأ والصواب أن وقعة اقليج ابتدأت فى فجر يوم الجمعة 16 شوال عام 501 هـ (29 مايو سنة 1108 م) انظر عن وقعة اقليج مجلة تطوان ع 2 ص 115 سنة 1957 .

- غفقة (٩٧) •

وفى سنة سبع وخمسمئة توفي العالم الصالح عبد الرحمان بن محمد المعروف بابن الطوج من أصحاب الامام ابى عمر بن عبد البر ، وكانت له جنازة لم ير مثلها •

وفى سنة أربع عشرة وخمسمئة ظهر المهدي الموحدى بالمغرب ، واجتمع فى طريقه من الشرق بعبد المومن بن علي •

وفى سنة تسع عشرة ضعفت الدولة اللمتونية وظهر فيها الخلل ، واشتغلوا بحرب المهدي والموحدين القائمين عليهم بجبل درن (٩٨) ، وعجزوا عن نصرة بلاد الأندلس ، وضعت أحوالهم ، واشتغلوا بأنفسهم عنها ، وقوي أمر الموحدين ، وملكوا بلادا كثيرة من بلاد المغرب حتى ضاقت الأرض على المرابطين •

وفى سنة احدا وعشرين وخمسمئة فى التاسع عشر من شهر ربيع الأول منها توفي الفقيه القاضى أبو الوليد الباجي باشبيلية وهو معزول عن القضاء •

وفى سنة تسع وثلاثين ثار القاضى ابن حمدين بقرطبة على المرابطين وقتلهم مع العامة ، والبقاء لله وحده •

(97) بل بعد ذلك بنحو سنة يوم 30 يونيو سنة 1109 م .

(98) كان اسم درن بفتح أوله ونانية يطلق فى العصر الوسيط على جبال الأطلس ولاسيما جبال البصامدة الواقعة خلف مدينة مراكش ، وفى هذه الجبال قال المعتمد بن عباد أمير اشبيلية عند ما كان سجيناً بأغلمات :

هذى جبال درن	حفت بكل درن
ياليتنى لم أرها	وليتها لم ترنى

الخبر عن الدولة الموحدية المومنية

وقيامها على يد محمد بن تومرت المُسمَّأ بالمهدي

قال المؤلف عفا الله عنه :

أما المهدي القائم بدولة عبد المومن بالمغرب الأقصى فهو على ما ذكره المؤرخون لدولتهم : محمد بن عبد الله المعروف بتومرت ابن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر ابن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن ابن علي بن أبى طالب رضي الله عنهم ، وقيل هو دعي فى هاذو النسب الشريف ذكره ابن مطروح القيسى فى تاريخه وقال : هو رجل من هرغة من قبائل المصامدة يعرف بمحمد بن تومرت الهرغى وقيل هو من كنفيسة والله أعلم بذلك كله .

كان فى أول أمره وابتداء حاله رجلا فقيرا مشتغلا بطلب العلم وتحصيله ، وكان له ناموس عظيم ، فارتحل الى الشرق فى طلب العلم ، فرأى مشايخ وسمع منهم وأخذ عنهم علما كثيرا ، وحفظ كثيرا من حديث النبي صلا الله عليه وسلم ، ونبغ فى علم الأصول والاعتقادات ، وكان فى جملة من لقي من العلماء الذين أخذ عنهم العلم الشيخ الامام الأوحى أبو حامى الغزالى رضي الله عنه ورحمه ، لازمه لاقتباس العلم منه ثلاث سنين ، فكان أبو حامى اذا دخل عليه المهدي يتأمله ويختبر أحواله الظاهرة والباطنة ، فاذا خرج عنه يقول لجلسائه : لا بد لهاذا البربري من دولة ، أما أنه يثور بالمغرب الأقصى ويظهر أمره ويعلو سلطانه ويتسع ملكه فان ذلك ظاهر عليه فى صفاته ، وبائن عليه فى شمائله ، وردت بذاك الأخبار ، ودلت عليه العلامات والأثار ، فنقل اليه الخبر بعض الأصحاب وأخبره أن ذلك عند الشيخ فى كتاب ، فلم يزل يجتهد فى خدمة الشيخ ويتقرب اليه ، حتى أطلعه على العلم الذى كان عنده فيه ، فلما تحققت عنده الحال استخار الله تعالا وعزم على الترحال .

قال المؤلف عفا الله عنه :

أقبل محمد المهدي المذكور من المشرق يؤم بلاد المغرب متوكلا على الله عازما على اقامة شرائع الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام ، وكانت رحلته عن بلاد المشرق في أول يوم من ربيع الأول المبارك من عام عشرة وخمسمئة (الجمعة ١٤ يوليوز ١١١٦ م) فكان حيثما حل من مدن أفريقية وبلاد المغرب يدرس العلم ، ويظهر التقشف والورع والزهد في الدنيا ، ويأمر بالمعروف وينها عن المنكر حتى وصل لبلاد بجاية ، فنزل منها بقرية تعرف بملالة من أحواز بجاية ، فلقبه بها (٩٩) عبد المومن بن علي ، فأنضاف الى خدمته وقرأ عليه وأخذ عنه العلم ، وعلم بمراذه وماقصد اليه من طلب الخلافة ، فوافقه على حاله وتبعه في أمره ، وبايعه على مؤازرته في الشدة والرخاء ، والعسر واليسر ، والأمن والخوف ، وقدم معه الى المغرب الأقصى ، وكان المهدي أوجد عصره في علم الكلام وعلوم الاعتقاد ، حافظا للحديث والفقه ، له لسان وفصاحة ، فأخذ يشيع عند الناس أنه الامام المهدي المنتظر ، المخبر به القائم في آخر الزمان الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، وأخذ يستنقص المرابطين ملوك المغرب ويطعن فيهم ، وينسبهم الى الكفر والتجسيم ، ويدعو الى خلع طاعتهم ، ويمشي في الأسواق ويأمر بالمعروف وينها عن المنكر ، ويكسر المزامير وألة اللهو ، ويريق الخمر حيثما وجده ، يفعل ذلك في أي بلد حل فيه وأي موضع نزل به الى أن وصل مدينة فاس ، فنزل بها بمسجد طريانة (١٠٠) فأقام بها يدرس العلم الى سنة أربع عشرة وخمسمئة ، فارتحل الى مدينة مراكش دار مملكة المرابطين ، لعلمه أنه لا يظهر أمره الا منها ، فسار الى أن وصلها وبها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، فدخل المدينة بزي الزهاد ، وقصد مسجدا يأوي اليه

(99) في الأصل (حتى وصل لبلاد تلمسان فنزل منها بقرية تعرف تاجرة من أحواز تلمسان فلفه بها عبد المومن بن علي) وذلك غلط من ابن أبي زرع ، فلقاء عبد المومن للمهدي كان بقرية ملالة (تأملات) من ظاهر بجاية أثناء سفر عبد المومن صحبة عمه الى المشرق للحج وطلب العلم .
(100) هو المسجد الواقع بمدخل درب ابن سالم من الطالعة الكبرى بفاس .

ومعه عبد المؤمن بن علي في خدمته مشيعا لامامته ، فكان يمشى في أسواق المدينة وشوارعها يأمر بالمعروف وينها عن المنكر ، ويريق الخمر ويكسر آلات الطرب من غير إذن أمير المسلمين ولا مؤامرة من أحد من القضاة والوزراء ، فاتصل خبره بأمر المسلمين علي بن يوسف ، فأمر باحضاره ، فلما مثل بين يديه نظر الى تقشفه ورثائه حاله ، فاستحقره وهان عليه أمره ، وقال له : ماهاذا الذي بلغنا عنك ؟ قال : وما بلغت أيها الأمير ؟ انما أنا رجل فقير طالب الاخرة ولست بطالب دنيا ولا حاجة لي بها ، غير أنني أأمر بالمعروف وأنها عن المنكر ، وأنت أولا من يفعل ذلك ، فانك المسؤول عنه ، وقد وجب عليك احياء السنة وامامة البدعة ، وقد ظهرت بملكك المنكرات وفشت البدع ، وقد أمرك الله بتغييرها وحياء السنة بها ، ان لك القدرة على ذلك ، وأنت المأخوذ به والمسؤول عنه وقد عاب الله تعالا قوما تركوا النهي عن المنكر فقال تعالا : (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ماكانوا يفعلون) ، فلما سمع ذلك أمير المسلمين علي بن يوسف من مقالته هابه وأطرق برأسه الى الأرض مليا يفكر في أمره ومقالته وينظر في حاله ، ثم رفع رأسه الى وزرائه ، فأمرهم باحضار الفقهاء الى مناظرته واختباره ، فحضر فقهاء مراكش وطلبتها وأشياخ لتونة والمرابطين حتى امتلأ المجلس وغص بالناس ، فعرفهم أمير المسلمين بأمر المهدي ومقالته ، وقال لهم انما بعثت لكم لتختبروا أمره ، فان كان عالما اتبعناه ، وان كان جاهلا أدبناه ، فأكثروا الكلام ، وأخذوا في الملام ، وكان المهدي عالما بالجدال ، فقال لهم : قدموا من تقوم به حجتكم ، وتأدبوا بأدب أهل العلم ، وسلموا عند شروط المناظرة ، واتركوا اللجاج ، وقدموا أحدهم ممن تثقون بمعرفته وتقدمه ، وكان جل من حضر ذلك المجلس من الفقهاء أصحاب حديث وفروع ، وليس فيهم من له معرفة بالأصول والجدل ، فكان أول ماسألهم عنه ان قال للذي تقدم للكلام : أيها الفقيه أنت لسان الجماعة المتقدم للكلام ، فأخبرني هل تنحصر طرق العلم أم لاتنحصر ؟ فأجابه : هي تنحصر في الكتاب والسنة والمعاني التي بنيت عليهما ، فقال له المهدي : انما سألتك عن طرق العلم

هل تنحصر ام لا ، فلم تذكر الا واحدة منها ، ومن شرط الجواب أن يكون مطابقا للسؤال ، فلم يفهم مقالته وعجز عن الجواب ، ثم سألته عن أصول الحق والباطل ماهي ؟ فعاد الى جوابه الأول ، فلما رأوا عجزه وعجز أصحابه عن فهم السؤال وقبحوا الخطاب ولم تكن لهم معرفة بالجواب شرع لهم في تبين أصول الحق والباطل فقال لهم : أما أصول الحق والباطل فهي أربعة : العلم والجهل والشك والظن ، فالعلم أصل للهدا ، والشك والجهل والظن أصل للضلال ، ثم أخذ في تبين طرق العلم ، فبهروهم بطريق أنوار العلم ، وغلقت دونهم أبواب الفهم ، وعجزوا عن جوابه ، ولم يفهموا له معنا خطابه ، فلما رأوا باهر علمه واصابة معرفته أخذتهم فضيحة العجز ، وركنوا الى ظلمة الجحد والانكار ، فلبسوا عليه وقالوا أمير المسلمين علي بن يوسف : هاذا رجل خارجي مسعور أحقق صاحب جدل ولسان يضل جهال الناس ، وان بقي بالمدينة يفسد عقائد أهلها وينشر ذالك عند الناس حتى يرسخ ذالك في قلوب أكثر العامة ، فأمره أمير المسلمين علي بالخروج من المدينة ، فخرج منها فبنا خيمة بالمجانة بين القبور بقرب المدينة وقعد بها ، فكان يأتيه بعض الطلبة فيقرأون عليه ويأخذون عنه حتى كثر عليه الجمع واجتمع عليه أتباعه وتلاميذه وتكاثر عليه الناس ، وامتألت قلوبهم له محبة ومهابة وتعظيما ، فأعلم الخاصة منهم بالذئ قصده وبما يريده ، وأخذ يطعن على المرابطين ويقول : هم كفرة مجسمون ، وغزوهم واجب على كل من يعلم أن الله تعالى واحد في ملكه أوجب من غزو الروم والمجوس ، وتابعه على ذالك مايزيد على الف وخمسمئة ، فرفع خبره الى المسلمين علي بن يوسف ، وعرف أنه يطعن في دولته ويكفرهم ، وأنه قد كثر أتباعه على مذهبه ، فبعث اليه فقال له : أيها الرجل اتق الله في نفسك ، ألم أنك عن عقد الجموع والأحزاب وأمرتك بالخروج عن المدينة ، فقال : قد امتثلت أمرك وخرجت عن المدينة الى المجانة ، فبنيت خيمة بين الموتى واشتغلت بطلب الآخرة ، فلا تسمع لأقوال المضلين ، فأغلظ له أمير المسلمين بالقول وتوعده بالنكال وهم بالقبض عليه ، فعصمه الله منه ، ليقتضي

الله أمرا كان مفعولا ، فأمره بالانصراف ، فأنصرف يريد خيمته ، فبينما هو فى بعض الطريق اذ أغروا به أمير المسلمين وشرحوا له جلية حاله وما يدعو الناس اليه من امامته وبيعته ، فبدأ له فى أمره وعزم على قتله ، وبعث من يأتيه برأسه ، فسمع بذلك بعض تلامذته فأتاه مسرعا حتى وقف بالقرب من خيمته ونادا بأعلا صوته : (ياموسا ان الملائمة بك ليقتلوك فأخرج اني لك من الناصحين) ، وكرر النداء ثلاث مرات ثم سكت ، ففطن المهدي لندائه ، فخرج فى الحين مسرعا مختفيا حتى بلغ تينمل ، وذلك فى شهر شوال من سنة أربع عشرة وخمسمئة (يناير ١١٢١ م) ، فنزل هناك ، ولحقه أصحابه العشرة ، وهم : عبد المومن بن علي ، وعبد الله البشير ، وعمر (أبو حفص) بن يحيى أينتى ، وعمر بن علي أصناك ، وسلميان بن مخلوف ، وإبراهيم بن اسماعيل الهزرجي ، وعبد الواحد الحضري ، وموسا بن تمارى ، وأبو عثمان ابن يخلف ، وأبو يحيى بن يجيت ، فهؤلاء أصحاب المهدي العشرة السابقون الى دعوته المصدقون بامامته المنقادون لامارته ، المسارعون الى بيعته فأقاموا معه بتنمل الى شهر رمضان المعظم من سنة خمس عشرة وخمسمئة ، فكثرت أتباعه وعظم صيته فى جبل درن ، واجتمع عليه خلق عظيم ، فلما رأى ذلك أظهر دعوته ، ودعا الناس الى بيعته ، فكان أول من بايعه أصحابه العشرة المذكورون ، وكانت بيعتهم له بعد صلاة الظهر من يوم الجمعة الخامس عشر من شهر رمضان عام خمس عشرة وخمسمئة (٢٧ نونبر ١١٢١ م) فلما كان من الغد وهو يوم السبت السادس عشر من رمضان المذكور خرج الى المسجد يتنمل مع أصحابه العشرة متقلدين سيوفهم ، فصعد المنبر وخطب الناس ، وأعلمهم أنه الامام المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا وأظهر دعوته الى بيعته ، فبايعه كافة أهل تينمل ومن جاورهم بها من الناس ، وبقي بعد ذلك يستجلب القبائل ، وفرق من يثق بسياسته من تلاميذه فى البلاد القاصية والدانية يدعون الى بيعته ويتثبتون عند الناس امامته ، ويزرعون فى قلوبهم محبته مما يذكرون له من الفضائل والكرامات

ويعصفونه به من الزهد فى الدنيا واظهار الحق ، فقصد الناس اليه من كل جهة ومكان يبائعونه ويتبركون برؤيته ، فيأخذ عليهم البيعة ويعلمهم أنه المهدي المنتظر حتى علا أمره ، وقوي سلطانه ، وسما كل من دخل فى طاعته وبايعه وتابعه على طريقته بالموحدين وعلمهم التوحيد باللسان البربري ، وجعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والصور ، وقال لهم : من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بمؤمن ، وانما هو كافر لاتجوز امامته ، ولا توكل ذبيحته ، فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن العزيز ، لأنه وجدهم قوما جهلة لايعرفون شيئاً من أمور الدنيا ولا من أمور الدين ، فاستهواهم بكيده ، وغلبهم بعذوبة لفظه ولسانه ومكره ، حتى كانوا لا يدكرون غيره ، ولا يمتثلون أمراً إلا أمره ، يستغيثون به فى شدائدهم ، ويتبركون بذكره على موائدهم ، ويقولون هذا الامام المعلوم والمهدي المعصوم على منابرهم ، قدخل الناس فى طاعته أفواجا ، واتخذوا سنته شريعة ومنهاجا ، فرتب العشرة والخمسين ، وتمكن فى الملك اى تمكين ، وسما العشرة من أصحابه السابقين الأولين ، وجعل الخمسين للسراي والمشورة ، وعقد لنفسه الامامة والنظر للمسلمين ، فلم تنزل تقبل اليه الجموع والقبائل ، وتقد عليه الوفود ، ويخطب له فى المحافل ، حتى كمل له من انصاره من الموحدين وأصناف قبائل المصامدة مايزيد على العشرين ألف رجل ، فقام فيهم خطيبا ، وندبهم الى جهاد الرباطين ، فانتدب اليه الناس وبائعوه على الموت بين يديه ، فانتخب منهم جيشا من عشرة الاف رجل من أجناد الموحدين ، وقدم عليهم عبد الله البشير وعقد لهم راية بيضاء ، ودعا لهم وودعهم ، فخرجوا قاصدين مدينة أغمات ، فاتصل خبرهم بأمير المسلمين علي بن يوسف ، فبعث لقتالهم جيشا من الحشم والأجناد وقدم عليهم الأحوال اكلثوم ، وكان له النظر على لتونة فهزم جيش علي بن يوسف ، وقتل الأحوال ، واستمرت الهزيمة على لتونة واتبعهم الموحدون بالسيف حتى أدخلوهم مدينة مراكش ، فأقاموا عليها محاصرين أياماً ، ثم ارتحلوا عنها الى الجبل لما تكاثرت عليهم جيوش لتونة ، وذلك فى سادس شعبان المكرم من سنة ست عشرة وخمس مئة (١٠)

أكتوبر ١١٢٢ م) فانتشر أمر المهدي بجميع بلاد المغرب والأندلس ، وقسم الغنائم التي غنموا من عسكر لمتونة على الموحدين وتلا عليهم : (وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه) الآية .

الخبر عن غزواته وحروبه مع لمتونة

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما هزم الموحدون جيوش أمير المسلمين علي بن يوسف عظم أمر المهدي وقوي سلطانه ، وركب أكثر جيشه على خيل المرابطين التي غنموها من عساكرهم ، فنهض الى قتال المارقين ، وقتال أهل الزيغ المبطلين ، فجمع قبائل الموحدين وعبأ الجيوش وقصد نحو مراكش ، فسار حتى نزل بجبل كليز قريبا من المدينة ، فأقام به ثلاثة أعوام يباكر جيوش لمتونة بالقتال ويرأوهم في كل يوم من سنة ست عشرة الى سنة تسع عشرة ، فلما طال مقامه هنالك ارتحل الى وادي نفيس وسار مع مسير الوادي ، فانقاد اليه أكثر تلك الجهات والنواحي من السهول والجبال ، وبايعته قبائل كدميوة ، ثم غزا بلاد رجراجة ، فأخذهم بالدعوة الى معرفة الله تعالا وتعليم شرائع الاسلام ، فسار في بلاد المصامدة ، وكل من أنف منهم عن دعوته غزاه الموحدون ففتح بلادا كثيرة ، ودخل في طاعته عالم كثير من قبائل المصامدة ، ورجع الى تينمل فأقام بها شهرين حتى استراح الناس ، ثم غزا مدينة أغمات وبلاد هزرجة ، فخرج اليها من تينمل في ثلاثين ألفا من الموحدين ، فاجتمع أهل أغمات وقبائل هزرجة وخلق كثير من الحشم وملتونة وغيرهم واستعدوا لقتال المهدي ، فالتقا الجمعان ، فكان بينهما قتال شديد فنصر عليهم المهديون فهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وقسم المهدي الأنفال على الموحدين ، ثم غزا قبائل جبل درن فسار فيه يقتل من عصا ويؤمن من اتبعه وانقاد اليه ، ففتح جميع قلاع جبل درن وحصونه وأوديته ، وأطاعه جميع من فيه من قبائل هنتاة

وجنيسة وهرغة وغيرهم ، ثم رجع الى تينمل فأقام بها مدة حتى استراح الناس ، فميز الموحدين وأمرهم بالخروج الى قتال مراكش وجهاد من بها من المرابطين ، وقدم عليهم عبد المومن بن علي -ومحمدا البشير- ، وجعل امام الصلاة عبد المومن بن علي ، فارتحلت عساكره من تينمل قاصدين مراكش ، فلما وصلوا الى أغمات تلقاهم بها الأمير أبوبكر بن علي بن يوسف اللمتوني في جيوش عظيمة من لتونة وقبائل صنهاجة والحشم وغيرهم ، فكانت بينهم حروب عظيمة ثمانية أيام ، ثم منح الله تعالى الموحدين النصر ، فهزم الأمير أبوبكر بن علي ولتونة ، وتبعهم عبد المومن بن علي بجيوش الموحدين يقتلونهم في كل فج ، واتصلت المهزيمة الى أن أدخلهم مدينة مراكش وسدوا الأبواب في وجوههم ، فحاصروهم بها ثلاثة أيام ، ثم ارتحلوا عنها الى تينمل ، وذلك في شهر رجب الفرد عام أربعة وعشرين وخمسمئة (يونو - يوليوز ١١٣٠ م) فلما رجع الموحدين الى تينمل خرج المهدي الى لقائهم فسلم عليهم ورحب بهم وعرفهم بما يكون له من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد ومدة ملكهم ، وأعلمهم أنه يموت في تلك السنة ، فبكوا لذلك وأسفوا ، ثم بدأه مرضه الذي مات منه ، فأقام مريضا أياما ، وقدم عبد المومن بن علي للصلاة في أيام مرضه ولم يزل مرضه يشتد الى أن توفي في يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان المعظم سنة أربع وعشرين وخمسمئة (٢٠ غشت ١١٣١ م) .

الخبر عن وفاته رحمه الله

ذكر بعض المؤرخين لآيامهم ان المهدي الموحي راا في منامه قبيل وفاته بيسير كان رجلا وقف بباب بيته فأنشده هاذا البيت :

كانى بهاذ البيت قد باد أهله وقد درست أعلامه ومنازله

فأجاب به المهدي :

كذلك أمور الناس يبلا جديدها وكل فتا حقا ستبلا محاسنه

فأجابه الرجل :

تزود من الدنيا فانك راحل وانك مسؤول فما أنت قائله ؟

فأجابه المهدي :

اقول بأن الله حق شهادته وذاك مقال ليس تحصا فضائله

فأجابه الرجل :

فخذ عدة للموت انك ميت وقد أزف الأمر الذي أنت نازلـه

فأجابه المهدي :

متى ذاك خبرنى هديت فأننى سأفعل ما قد قلته وأعاجله

فأجابه الرجل :

نبيت ثلاثا بعد عشرين ليلة الى منتها شهر فما أنت كامله

فلم يلبث بعدها الا ثمانية وعشرين ليلة ومات رحمه الله .

وقيل أنه لما ثقل عليه المرض وأيقن بالموت دعا عبد المومن بن علي فأوصاه بما أحب وأوصاه باخوانه خيرا ، وأعطاه كتاب الجفر الذى صار اليه من قبل الامام أبى حامد الغزالى رضي الله عنه ، وأمره أن يخفي أمر موته أياما اذا مات حتى تجتمع كلمة الموحدين ، وأمره بما يكفنه فيه من الثياب ، وان يتولا غسله ودفنه بيده ويتقدم للصلاة عليه ويدفنه بجامع تينمل ، فبكى عبد المومن لفراقه بكاء شديدا ، وتوفي فى يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان المعظم سنة أربع وعشرين وخمسمئة ، قاله البرنسى ، وقيل توفي يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر رمضان المذكور ، وقاله ابن الخشاب فى تفسيره ، وقال غيره كان قيام المهدي واطهار دعوته فى يوم السبت غرة شهر المحرم مفتتح عام خمسة عشر وخمسمئة ، وتوفي يوم الأربعاء الثالث عشر من رمضان سنة أربع وعشرين المذكورة ، فكانت دولته على هذا تسع سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما ، أولها يوم السبت مفتتح خمسة عشر ، وآخرها يوم

الأربعاء المذكور ، والصحيح فى بيعته ووفاته ما ذكره ابن صاحب الصلاة فى كتاب المن بالامامة ، وأبو علي ابن رشيق المويسى فى كتاب ميزان العمل انه ببيع يوم السبت غرة محرم مفتتح عام ست عشرة وخمسمئة ، وتوفي يوم الأربعاء الثالث عشر لشهر رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمئة ، وقال بعض المؤرخين أنه نقل ذلك من خط أمير المسلمين يوسف بن عبد المومن ، وأنه قيده بين يدي أبيه عبد المومن وبأمره واملائه فكانت أيامه على هاذة الرواية ثلاثة آلاف يوم وخمسة وثمانين يوما ، يجب لها من السنين ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما ، أولها يوم السبت يوم بيعته ، والآخرها يوم الأربعاء الذي توفي فيه .

الخبر عن صفته وسيرته ونبذ من أحواله

كان محمد المسما بالمهدي القائم بدولة الموحدين حسن القد ، أسمر اللون ، رقيق البشرة ، أفلج ، أقنا ، غائر العينين ، خفيف العارضين ، له شامة سوداء فى خذه الأيمن ، ذا سياسة ودهاء ومكر وناموس عظيم ، وكان مع ذلك عالما فقيها ، راويا لحديث النبي صلا الله عليه وسلم حافظا له ، عارفا بالأصول ، عالما فى علم الاعتقاد والجدل ، فصيح اللسان ، مقداما على الأمور العظام ، سفاكا للدماء ، غير متورع فيها ولا متوقف عنها ، يهون عليه سفك دم عالم من الناس فى هوا نفسه وبلوغ غرضه ، وكان مع ذلك متيقظا فى أحواله ، ضابطا لما ولي من سلطانه ، شرع وأسرع ، ومهد الملك لغيره بالخدع ، ووجد قوما قد غلب عليهم الجهل وتمكن منهم فغلب عليهم ، وتحيل على جهال المصامدة حتى بايعوه ، وعلمهم توحيدا بلغتهم ، فانه كان رجلا منهم ، والتوحيد بأيديهم الى الآن ، وأعلمهم أنه الامام المهدي القائم على كمال الخمسمئة سنة ، ونسب المرابطين الى التجسيم والكفر ، وأباح لهم جهادهم وسبي نسائهم وذرائعهم وأموالهم وقال لهم : انهم تسموا بأمراء المسلمين ، وانما

يعرفون بالملتثمين ، وأخبرهم أنهم هم القوم الذين وصفهم النبي صلا الله عليه وسلم بقوله : صنفان لا يدخلان الجنة ، الأول هم قوم يخرجون فى آخر الزمان لهم سياط كأذناب البقر ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت ، وكل ما وصف رسول الله صلا الله عليه وسلم فى أمراء آخر الزمان نسبه اليهم ، فاستهوا بذلك قلوب الرعاع الجهال .

ومن تحيله وتهاونه بسفك الدماء أنه أخذ قوما من أتباعه ودفنهم أحياء وجعل لكل واحد منهم متنفسا فى قبره وقال لهم : اذا سئلتهم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من مضاعفات الثواب على جهاد لمثونة وعلو الدرجات التي نلنا بالشهادة فجدوا فى جهاد عدوكم ، فان مادعاكم اليه الامام المهدي صاحبكم حق ، وقال لهم : اذا قُلتُم ذلك أخرجتكم وكانت لكم من المنزلة عندى أعلاها وأسناها ، وعاهدهم على ذلك ، والسبب فى ذلك أن جيش الموحدين لما التقا بعسكر المرابطين واشتدت الحروب بينهم قتل من الموحدين خلق كثير ، فعظم ذلك على قبائلهم وعشائهم ، ففعل ذلك ليهون عليهم ما أصابهم من القتل والجراحات ، فأتا الى موضع المقتلة ليلا مع أصحابه ، فدفنهم بين القتلا ورد عليهم التراب ثم رجع الى محلته وقد ذهب أكثر الليل ، فقال لأشياخ الموحدين : يامعشر الموحدين أنتم حزب الله وأنصار دينه وأعوان الحق ، فجدوا فى قتال عدوكم فانكم على منهاج الحق ، وأنتم على بصيرة من أمركم ، وان كنتم ترتابون فيما أقوله لكم فاذهبوا الى موضع المعركة واسألوا من قتل اليوم من اخوانكم يخبروكم بفضل جهادكم وعظيم ثوابكم عليه فى الاخرة ، فأتا بهم الى المقتلة ثم نادا برفع صوته : يامعشر الشهداء ، خبرونا ما لقيتم من الله عز وجل ، فقالوا وجدنا عند الله تعالا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فلما سمعوا الجواب رجعوا الى قومهم وقبائلهم فقالوا : قد سمعنا ما أجاب به اخواننا الذين استشهدوا منا وما شاهدوا من فضل الله تعالا وجزيل ثوابه ، فافتتن بذلك كافة الناس ، فأتا فأغلق على أصحابه الذين دفنهم المنافس التي كانت تركت لهم ، فماتوا من

ساعتهم غما ، فعل ذلك بهم ليلا يخرجوا فيسروا الى خاصتهم مافعله بهم ومن حيلته وسياسته أنه لم يقدر على طائفة المصامدة أن يتعلموا أم القرآن لشدة عجمتهم ، فعدد كلمات ام القرآن ، وسما بكل كلمة منها رجلا ، ثم أقعدهم صفا واحدا فقال للأول منهم : اسمك الحمد لله ، والثاني رب ، والثالث العالمين ، هاكذا حتى تمت كلمات السورة ، ثم قال لهم : لايقبل الله لكم صلاة حتى تجمعوا هاذة الأسماء كلها على نسقها فى كل ركعة من الصلاة ، فسهل عليهم الأمر وحفظوا أم القرآن ذكره صاحب المعرب فى ملوك المغرب .

الخبر عن الخليفة أمير المؤمنين عبد المومن بن علي الكنى الزناتى

هو أبو محمد عبد المومن بن علي بن يعلا بن مروان بن نصر بن عامر بن الأمير بن موسى بن عون الله بن يحيى بن ورزايع بن صطفور ابن نفور بن مطماط بن هود بن مادغيس بن بر بن قيس بن عيلان بن نزار بن معد بن عدنان ، هاكذا أثبت نسبه جماعة من المؤرخين لدولته ، وأصله منقول من خط حفيده عبد الواحد على ماذكروه ، والله تعالى أعلم ، فهو زناتى الأصل ، وكان والده علي فخارا يعمل النوافخ (١٠١) وكان عبد المومن قد تطلب من صغره ولزم المساجد لدرس القرآن ، فمر به المهدي حين أقبل الى المغرب ، ففضمه اليه لما أراده الله تعالى من أمره ، والذي ثبت من خبره انه رجل زناتى الأصل من كومية هنين من موضع يعرف بتاجرة (١٠٢) على ثلاثة أميال من مرسا هنين (١٠٣) ، وزعم

(101) نافخ : المجرم فى العنمية المغربية .

(102) تاجرة : قرية على ساحل البحر بتراب قبيلة بنى عابد من حوز ندرومة ، مازالت تعرف بهذا الاسم الى الآن .

(103) قرية شهيرة تقع بجبال ترامة على ساحل البحر المتوسط بين مصب نهر تافنا ومرسا الغزوات ، كانت فى العصر الوسيط مرسا تلمسان وناحيتها بها آثار موحدية ومرينية .

بنو عبد المومن أن المهدي استخلفه بعده ، لما توفي المهدي بويع عبد المومن بيعة خاصة ، بايعه العشرة أصحاب المهدي وأخفوا موته ، واجتمعوا على بيعة عبد المومن لاختصاص المهدي له وثنائه عليه وقوله فيه :

تجمعت فيك أشياء خصصت بها
السن ضاحكة والكف مانحة
فكلنا بك مسرور ومغتبظ
والصدر متسع والوجه منبسط

الى ماكان من تقديمه له للصلاة وما يعرفونه من فضله وعلمه ودينه وعزمه وبسالته وشجاعته وحسن سياسته ورجاحة عقله .

وقيل لما مات المهدي تشوَّف كل واحد من العشرة الى الخلافة بعده ، وكانوا من قبائل شتا ، وأحبت كل قبيلة من قبائل الموحيدين أن يكون الخليفة منها وأن لايلي عليها أحد من غيرها ، فذنافسوا في ذلك وتحاسدوا فاجتمع العشرة والخمسون وتأامروا بينهم وخافوا النفاق وأن تفسد كلمتهم ويَفرق جمعهم ، فاتفقوا على خلافة عبد المومن لكونه غريبا بينهم ليس منهم مع ماكانوا يرون من ميل المهدي اليه وثباته عليه ، فبايعوه .

وذكر ابن صاحب الصلاة في كتاب (المن بالامامة) أن المهدي الموحيدي لما توفي أخفي موته ولم يعلم به أحد الا عبد المومن وأصحابه العشرة ، فبقي موته مكتوما ثلاث سنين ، وهم يدبرون الأمر ، وذلك بسياسة ظاهرة من عبد المومن في ذلك الوقت ، فانه لما توفي المهدي عمد عبد المومن الى شبل أسد وطائر قرباهما ودر بهما فيما أراد ، فأنس الأسد به ، فكان الأسد اذا رآه ربحض بين يديه وبصمص له ، وعلم الطير النطق باللسان العربي ، فكان يقول : النصر والتمكين للخليفة عبد المومن أمير المسلمين ! فلما كمل ذلك من مراده أمر أشياخ الموحيدين وقبائلهم أن يحضروا مجلسه ، فأمر فضربت له قبة كبيرة بخارج تينمل ، وفرش له في وسطها وجعل الطير على عمود القبة ، وأمر سائس الأسد أن يأتي به اذا غص المجلس بالناس فيطلقه بينهم ، فلما اجتمعوا قام عبد المومن خطيبا ، فحمد الله وأثنا عليه وصلا على النبي صلا الله

عليه وسلم وترضا عن الصحابة والامام المهدي ، وترحم عليه ، وأعلمهم بموته ، ونعاه لهم وعزاهم فيه ، فكثرت البكاء منهم وارتفع الضجيج ، فقال لهم : ان الامام قد سار الى ماعد الله ووجد خيرا مما ترك ، فكونوا في انفسكم ، وانظروا فيمن تولونه أموركم وتجتمع عليه كلمتكم بعده ، ولا تفرقوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، ويختل أمركم ويترقب جمعكم ، ويتمكن منكم عدوكم ، فبينما أشتياخ الموحدين في تلك الحال وإذا بسائس الأسد قد أطلقه ومعلم الطير قد صفر له ، فقال الطير عند ذلك بلسان فصيح ، النصر والفتح والتمكين لسيدنا الخليفة عبد المومن أمير المسلمين ! وأما الأسد فإنه لما أطلقه سائسه ورأى الناس زار وضرب بذنبه وكثر عن أنيابه ، ففر الناس منه يمينا وشمالا ، وبقي عبد المومن بمكانه قاعدا لم يتحرك ، فلما بصر به الأسد بصيص بين يديه ، فجر عبد المومن يده عليه وسكنه ، فلما رأى الموحدون فعل الأسد وسمعوا كلام الطير اتفقوا على تقديم عبد المومن وقالوا : ما على هذا من مزيد ، وليس أحد أولا بخلافة الامام المهدي من عبد المومن الذي ظهرت له هاهه الكرامات يدعو له الطائر ، ويبصيص بين يديه الأسد ، ويستخلفه الامام للصلاة وهي أصل الاسلام ، فنقدمه نحن للخلافة ، ونقتدي بذلك في فعل الصحابة مع النبي صلا الله عليه وسلم والصدر الأول من هاهه الامة في تقديم أبي بكر رضي الله عنه لسابقته وفضله وعلمه ، ولكون النبي صلا الله عليه وسلم قدمه للصلاة في مرضه ، وكان فيهم من هو أقرب له نسبا منه ، فبايعوه وتمت له البيعة ، ويقال أنه لما بصيص الاسد بين يديه جر يمينه المباركة عليه وأمره بالرجوع ، فرجع مطيعا لأمره ، ولو قدر على الكلام لناطق بثنائه وشكره ، فظهر في ذلك المقام ماشاع في الأفاق ، وخذل في بطون الأوراق ، وأثبت له من عجائب الاتفاق ، وفي ذلك يقول الحسن ابن الأشيري (١٠٤) :

94) الحسن بن عبد الله بن الأشيري من أهل تلمسان كان كاتباً لتاشفين بن علي المرابط ثم لعبد المومن بن علي الموحّد . توفي عام 569 هـ (3 - 1174 م) انظر عنه اعلام المغرب العربي تأليف عبد الوهاب ابن مصور .

أنس الشبل ابتهاجا بالأسد
ودعا الطائر بالنصر لكم
أنطق الخالق مخلوقاته
أنك الفائز بالأمر له
ورأى شبه أبيه فقصد
فقضا حاكم لما وفد
بالشهادات فكل قد شهد
بعد ما طال على الناس الأمد

وكانت بيعة عبد المؤمن يوم الخميس الرابع عشر لشهر رمضان المعظم من سنة أربع وعشرين وخمسمئة (٢١ غشت ١١٣٠ م) وهي البيعة الخاصة ، بايعه العشرة أصحاب المهدي ، وبويع بيعته العامة يوم الجمعة الموافق عشرين لربيع الأول من سنة ست وعشرين وخمسمئة (٩ يبرابر ١١٣٢ م) بعد وفاة المهدي بسنتين بجامع تينمل بعد صلاة الجمعة من اليوم المذكور .

وأول من بايعه العشرة أصحاب المهدي ، ثم الخمسون من أشياخ الموحدين ، ثم كافة الموحدين ، لم يتخلف عن بيعته أحد منهم ، وكانت بيعتهم له فى طالع سعيد سعدوا بها وانقطعت بها دعوة لتونة ، فأغناهم بالقتل والجلاء وفتح المغرب بأسره ، ثم فتح بلاد أفريقية الى برقة ، وفتح بلاد الأندلس بأسرها ، وخطب له على منابر هاذة الأقاليم كلها ، ولما تمت له البيعة واستوثق أمر الموحدين أخذ فى الحركة الى جهاد أعدائه وقتال أهل الزيغ والعناد عن طاعته وافتتاح البلاد ، فكان أول غزوة غزاها فى خلافته غزوة تادلة خرج لها من تينمل يوم الخميس الرابع والعشرين لربيع الأول من سنة ست وعشرين وخمسمئة (١٣ يبرابر ١١٣٢ م) فى ثلاثين ألفا من الموحدين حتى وصل تادلة فغنمها وسبأ أهلها وانصرف ، ثم غزا بعدها بلاد درعة ففتحها ، ثم غزا بلاد تينغز (١٠٥) ففتحها ، ثم غزا بلاد فازاز وبلاد غياثة ، ثم خرج الى غزوته الطويلة وذلك فى شهر صفر من سنة أربع وثلاثين (أكتوبر ١١٣٩ م) فلم يزل فيها يفتح البلاد ويمهدا ويغزو القبائل الى سنة احدا وأربعين وخمسمئة (٦ - ١١٤٧ م) وكان الذي فتحه فى هاذة الغزاة بلاد تازة وجبال

غياثة ، واستمرت الحروب بين عبد المومن والمرابطين من يوم بويج الى أن توفي علي بن يوسف بن تاشفين وولي بعده ولده تاشفين ، فاستمرت الحال بينهما فى الحرب الى أن مات تاشفين بن علي بعد أن قام عبد المومن بكرنطة عامين اثنين وتاشفين بن علي بازائه يباكره فى الحرب ويرواحه ، ثم ارتحل عبد المومن الى جبل غمارة ، فارتحل تاشفين فى أثره ، فنزل بوادي تهليط بازاء عين القديح وذلك فى فصل الشتاء . فأقام بذلك المنزل شهرين حتى أحرق أهل محلته أوتاد أخبيتهم ورماعهم . وهدموا بيوتهم وأخبيتهم ، ثم ارتحل عبد المومن الى جهة تلمسان ، فارتحل تاشفين يطوي المراحل حتى دخل تلمسان قبله فضببطها وحصنها ، وأتا عبد المومن بجنوده الموحدين فنزلوا عليها بين الصخرتين ، فلم يزل الحرب بينهما الى أن ارتحل عبد المومن الى وهران وترك جيشا من الموحدين يحاصرون تلمسان ، فخرج تاشفين من تلمسان فى خاصة قومه واستخلف عليها بعض المرابطين وصار لحماية وهران ، فوقعت به رمكته من شاهق مشرف على البحر بالليل فمات ، ففتح عبد المومن وهران وتلمسان ، وذلك فى السابع والعشرين من شهر رمضان من سنة تسع وثلاثين وخمسمئة (الجمعة ٢٢ مارس ١١٤٥ م) قاله صاحب (المن بالامامة)

قال ابن مطروح القيسى : لما بويج عبد المومن بتينمل ارتحل بجيوش الموحدين نحو مراكش ، وذلك فى شهر شوال سنة ست وعشرين المذكورة فقاتلها أياما ، ثم ارتحل الى تادلة ففتحها ، ثم سار الى درعة ففتحها ، ثم ارتحل الى مدينة سلا ففتحها وتلقاه أهلها طائعين سامعين ، فدخلها يوم السبت الرابع والعشرين لذي الحجة سنة ست وعشرين المذكورة وخطب له بها .

وفى سنة سبع وعشرين فتح بلاد تازة .

وفى سنة ثمان وعشرين تسما بأمر المومنين .

وفى سنة تسع وعشرين أمر ببناء رباط تازة ، وأقام يحارب تاشفين بن علي من سنة ثلاثين الى سنة سبع وثلاثين الى أن حاصره بتلمسان ،

فلما أن ضاق به الحصار وخرج منها الى وهران سار عبد المومن فى اثره فحاصره بوهراڻ ، وترك جيشا من الموحدين يحاصر تلمسان ، فلما اشتد الأمر على تاشفين خرج فى جمع من جنوده من وهران بالليل ليضرب فى محلة عبد المومن ، وكانت ليلة مظلمة ، فتردا به فرسه من شاهق الجبل ، فأصبح ميتا بساحل البحر ، فقطع رأسه وحمل الى عبد المومن ، فأمر به فحمل الى تينمل ، فصلب بها على شجرة صفصاف عالية ودخل عبد المومن وهران ، عنوة ، وذلك فى شهر محرم من سنة أربعين وخمسة ، وفى شهر صفر التالى له دخل تلمسان وملكها الموحدون ، وفر عنها لتونة الى اكدير (١٠٦) فحاصروا بها الى سنة أربع وأربعين ، فدخله الموحدون عنوة عليهم .

وقال البرنسي : فتح تلمسان سنة تسع وثلاثين .

ولما فتح مدينة تلمسان بعث الى الأندلس جيشا من عشرة آلاف فارس من أجناد الموحدين ، فنزل بساحل الجزيرة الخضراء ، فكان أول مدينة فتحوها من الأندلس مدينة شريش ، فتحوها صلحا ، كان بها قائدها أبو الغمر ، من بنى غانية فى ثلاثة آلاف فارس من المرابطين ، فخرج بمن معه ، فتلقا الموحدين وبايعهم لعبد المومن ودخل فى طاعته ، فكان الموحدون يسمونهم السابقين الأولين ، وحررت أملاكهم ، فلم تزل أملاكهم محررة الى انقضاء أيامهم ، فليس فى أملاكهم رباعة ، وجميع بلاد الأندلس مربعة ، وكان ملوك الموحدين اذا قدم عليهم وفود الأندلس للسلام فى كل سنة أول من ينادا من أهل البلاد أهل شريش ، فيقال لهم : أين السابقون أهل شريش يدخلون للسلام ، فاذا سلموا وقضيت حاجاتهم انصرفوا ، فحينئذ يدخل غيرهم ، وكان فتح شريش فى أول يوم من شهر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسة (الجمعة ٢٥ مايو ١١٤٥ م) .

٢٥٦) الأحياء السفلا من تلمسان القديمة ، بها مسجد الامام ادريس الذى لاتزال صومعته ماثلة الى اليوم للعيان ، أما الأحياء العليا من تلمسان فقد سماها المرابطون الذين أسسوها (تآكرات) ومعناها المعسكر والمحلة باللغة الصنهاجية .

وقال ابن فرحون : دخل الموحدون الأندلس فى شهر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسمئة ، فنزلوا بجزيرة طريف ، وكان الأمير عليهم الشيخ موسى بن سعيد ، فدخل طريفا طوعا من أهلها ، ثم أرسل اليه أهل الجزيرة الخضراء فدخلها عليهم يوم النحر ، وهرب عنها المرابطون الى اشبيلية .

وفى سنة أربعين وخمسمئة فتح عبد المومن مدينة فاس بعد الحصار الشديد ، وقطع عنها النهر الداخل اليها بالألواح والخشب والبناء حتى انحصر الماء فوقها فى الوطا ، فوصل الى مركزه ، ثم خرقه فهبط الماء عليهم دفعة واحدة ، فهدم سورها وهدم من دورها مايزيد على ألفي دار ، وهلك به خلق كثير ، وكاد الماء أن يأتي على أكثرها ، فدخل عبد المومن مدينة فاس وأمن أهلها الا من بها من المرابطين ، فانهم لايمضوا لهم أمان وقتلهم قتلة كفر ، وأمر بالسور فهدم فيه ثلمات كثيرة ومسافات ، وقال : أنا لانتحاج الى سور ، وانما الأسوار سيوفنا وعدلنا فلم تزل مدينة فاس لا سور لها ، حتى بناه حفيده النصور ، فمات وقد شرع فى بنائه ، فتممه ولده الناصر فى سنة ستمئة .

وفى هذه السنة (٥٤٠ هـ) فتحت مدينة اشبيلية ، وملكها الموحدون وخطب بها لعبد المومن بن علي ، وفيها فتحت مدينة مالقة ، وفيها أمر أمير المومنين عبد المومن ببناء أسوار تاجرة من تلمسان وبنا جامعها وحسن المدينة وأعلى سورها ، وفيها فتحت دكالة .

ثم دخلت سنة احدا وأربعين ، فى نصف شهر محرم ، دخل عبد المومن مدينة أغصات صلحا دون قتال ، وفى آخر ربيع منها دخل الموحدون مدينة طنجة وفر عنها المرابطون ، وفى الثامن عشر من شوال منها وهو يوم السبت فتح عبد المومن مدينة مراکش بعد حروب عظيمة وهزائم كثيرة على المرابطين ، وقبض على أميرها اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فقتله عبد المومن ، وفى هذا الشهر وفدت جميع قبائل المصامدة بأسرها ، واستوثق أمر المغرب لعبد المومن بن علي ، ولم يبق له منازع .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسمئة ، فيها خرج على أمير المؤمنين عبد المومن بن علي الماسي وتسميا بالهادي ، واسمه محمد بن هود بن عبد الله ، وكان قصارا بمدينة سلا ، وكان أبوه دلالا يبيع الكتابيش ، فخرج على عبد المومن بعد ان حضر معه فتح مراکش وبايعة ، فغلب على بلاد تامسنا واكثر بلاد المصامدة ، فبايعة جميع القبائل حتى لم يبق تحت عبد المومن الا مراکش ، فبعث اليه عبد المومن الشيخ أبسا حفص في جيش عظيم من الموحدين ، فارتحل عن مراکش في أول يوم من ذي القعدة عام اثنتين وأربعين المذكورة (٢٣ مارس ١١٤٨ م) وخرج معه عبد المومن مشيعا حتى وصل تامسيفت ، ثم ودعهم ودعا لهم وانصرفوا ، فالتقوا بالماسي الخارج ببلاد تامسنا ، فكانت بينهم حروب عظيمة قتل فيها الماسي ، قتله الشيخ أبو حفص بيده ، وهزم عسكره ، وذلك في شهر ذي الحجة عام اثنتين وأربعين المذكورة ، فسموا الموحدون الشيخ بأحفص سيف الله ، تشبيها بخالد بن الوليد رضي الله عنه .

وفي هذه السنة وفد أهل أشبيلية على أمير المؤمنين عبد المومن بن علي ، فرجده مشغولا بقتال الماسي ، فأقاموا عنده بمراكش نحو سنة ونصف لم يروه حتى لقوه بالمصلا في يوم عيد الأضحا ، وفيهم القاضي أبوبكر بن العربي ، فسلموا سلام جماعة ، ثم بعد ذلك دخلوا عليه ، فسلموا وقبلت بيعتهم ، وسأل عبد المومن القاضي أبابكر بن العربي عن المهدي هل كان لقيه عند الامام أبي حامد الغزالي أم لا ؟ فقال له : ما لقيته ، ولكن سمعت به ، فقال له : وما كان أبو حامد يقول فيه ؟ قال ، كان يقول : ان هذا البربري لابد سيظهر ، ثم صرف الوفود الى أشبيلية وكتب لهم منشورا بتحريض أملاكهم ، فانصرفوا عنه في جمادا الآخرة سنة ثلاث وأربعين (أكتوبر - نونبر ١١٤٨ م) .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة ، فيها ارتحل عبد المومن الى سجنماسة فدخلها وأمن أهلها ، ثم رجع الى مراکش فأقام بها أياما ، وخرج الى غزو برغواطة فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة هزم فيها عبد المومن ، ثم كانت الكرة عليهم ، فأجال فيهم السيف ، ولم يبق منهم الا من

لم يبلغ الحلم ، وفى خلال هذه الايام قام أهل سبته على الموحدين بعد أن بايعوهم ومكنوهم من المدينة ، وكان قيامهم عليهم برأى قاضيهم عياض ابن موسا ، فقتلوا من بها من الموحدين وعمالهم وأحرقوهم بالنار ، وركب عياض البحر الى ابن غانية بالبيعة ، وطلب منه واليا ، فأرسل معه الصحراوي فدخلها وأقام بها أياما ، فلما سمع برغواة بخروج عبد المومن اليهم كتبوا الى الصحراوي والى سبته يستنصرون به ، فأتاهم ، فبايعوه واجتمعوا عليه وقاتلوا عبد المومن وهزموه ، ثم كانت الكرة عليهم وهزمهم وقتلهم وسباهم ، فهرب الصحراوي وراسل عبد المومن يطلب منه الأمان ، فأمنه وأتاه وبايعه وحسنت طاعته ، فلما رأى ذلك أهل سبته سقط فى أيديهم وندموا على صنعهم وكتبوا بيعتهم الى عبد المومن ، وأتا بها أشياخ المدينة وطلبها تائبين ، فعفا عنهم وعن القاضى عياض ، وأمره بسكنا مراكش ، وأمر بهدم سور سبته فهدم .

وفيهما فتحت مدينة مكناسة بعد حصار سبعة أعوام ، فدخلها عنوة بالسيف ، وذلك يوم الأربعاء الثالث لجمادا الأول من سنة ثلاث وأربعين المذكورة ، وخربت وقتل أكثر رجالها وخمست أموالهم وبقيت تاجرات المدينة الى الان .

وفيهما فتحت مدينة قرطبة وملكها الموحدون ، وأعطاهما وأئبها يحيى ابن علي بن غانية ، وخرج منها الى غرناطة ليحكم عاملها اللمتونى فى تمكينها للموحدين ، اذ كان هو قد مكنه من قرطبة وقرمونه ، فتوفي بغرناطة ، وذلك يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان سنة ثلاث وأربعين المذكورة ، ودفن فى القصبه بازاء قبر باديس بن حبوس .

وفى هذه السنة ملك عبد المومن مدينة جيان وخطب له بها .
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمئة ، فيها ملك الموحدون مدينة ملينابة .

وفيهما قام رجل بتامسنا يعرف بأبى مزكيدة (١٠٧) فبايعه برغواة

وقبائل كثيرة من البربر ، وبقي مدة يحارب الموحدين الى أن ظفر به ، فقتل وحمل رأسه الى مراكش ، وقتل معه خلق كثير من البربر .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ، فيها تحرك أمير المؤمنين عبد المومن الى مدينة سلا فوصل اليها ، وأجرأ اليها ماء عين غبولة حتى وصل الى المدينة من رباط الفتح ، وأذن للوفود من أهل الأندلس فى الوصول الى سلا ، فوصلوا فى نحو الخمسمئة فارس من الخطباء والفقهاء والقضاة والأشياخ والقواد ، فتلقاهم الوزير أبو ابراهيم ، والوزير أبو حفص ، والفقهاء الوزير الكاتب أحمد بن عطية (١٠٨) وأشياخ الموحدين على نحو الميلى من المدينة وأنزلوهم خير نزول ، وأضافوهم خير ضيافة ، ثم دخلوا على عبد المومن بن علي فسلموا عليه بعد ثلاثة أيام من وصولهم ، وكان دخولهم عليه فى أول يوم من شهر محرم عام ستة وأربعين وخمسمئة ، (الجمعة ٢٠ ابريل ١١٥١ م) فأشار الفقيه أحمد بن عطية لأهل قرطبة بالتقدم ، فتقدم قاضيهم أبو القاسم بن الحاج ، فتكلم على دهش ، ووصف حال قرطبة فقال : يا أمير المسلمين ان الفتن دمره الله قد أضعفها ، فتلافاه أبوبكر ابن الجد بخطبة بليغة ، فاستحسنها عبد المومن ، ووصل الجميع كلا على قدره ، وقضا حاجاتهم ، وأوصلهم بما أرادوا وأمرهم بالانصراف الى بلادهم ، فانصرفوا .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ، فيها تحرك أمير المؤمنين عبد المومن الى المشرق برسم غزو بجاية ، واستخلف على مراكش أبا حفص بن يحيى ، فسار حتى وصل مدينة سلا ، فأقام بها شهرين ، ثم تحرك منها قاصدا مدينة سبتة مظهرا أنه يريد الجواز الى الأندلس ، فلما وصل الى سبتة استدعا طلبة أشبيلية وقرطبة وفقهاء الأندلس وقوادها ، فوصلوا اليه فأوصاهم بما أراد ووعدهم وأخذ فى الحركة ، فلما وصل الى قصر

١٥٨ أحمد ابن عطية القضاى المكنى بأبى جعفر ، كاتب موحدى شهير ، انظر عنه الإحاطة

عبد الكريم (١٠٩) ميز جيوشه وفرق فيهم الأموال ، وأمرهم بتجديد الأزواد ، وأخذ على غير طريق ، وجعل مدينة فاس عن يمينه ، وانصل مسيرد حتى خرج الى وادى ملوية ، ثم سار الى مدينة تلمسان ، فقسام بها يوما واحدا ، ثم خرج منها ووالا السير قاصدا الى بجاية حتى وصل مدينة الجزائر ، فدخلها صلحا وأمن أهلها ، وخرج عاملها فارا الى بجاية ، ولم يشعر ابن حماد صاحب بجاية بقدم عبد المومن اليه حتى وصله عامله على الجزائر مخرجا عنها ، فأخبره بقدم عبد المومن اليه وتملكه الجزائر والمدينة ، فسقط فى يديه ، فسار عبد المومن حتى نزل بجاية ، ففتح له بابها أبو محمد ميمون بن علي المعروف بابن حمدون ، فدخلها (١١٠) وفر عنها يحيى بن العزيز ابن حماد فى البحر الى مدينة بونة ، ومنها الى قسطنطينة ، وذلك فى شهر ذي القعدة من سنة سبع وأربعين وخمسمئة (يبرابر ١١٥٣ م) .

وفى سنة ست وأربعين المذكورة جاز الشيخ أبو حفص الى الأندلس بعثه عبد المومن فى جيش عظيم من الموحدين ، ومعه السيد عثمان ابن أمير المومنين برسم غزو الروم واستنقاذ ألمرية من أيديهم ، فانهزم كانوا قد غلبوا عليها ، فساروا حتى نزلوا ألمرية ، فحاصروها وضيقوا عليها غاية ، وبنا السيد عثمان على محلته سورا حياطة لها ، فاستغاث الأنصارا الذين بألمرية بالفتح ، فبعث اليهم السليطيين (١١١) وابن مردنيش لاغاثتهم فى جيش عظيم كثيف ، فلم يمكنهم اغاثتهم ، ولم يتوصلوا الى محلة عثمان ، لكونه حصن عليها سورا عظيما منيعا ، فلما عجز السليطيين الرومى وابن مردنيش عن اغاثتهم ألقوا وافترقا ولم يجتمعا بعد فحصر السليطيين على أبدة وبياسة وكان قدملكهما فأخلاهما من النصارا ولزم

(109) قصر عبد الكريم هو مدينة العصر الكبير الحالية ، وعرف قديما بعصر كرامة ايضا .

(110) انظر رسالة عبد المومن عن فتح بجاية فى مجموع رسائل موحديه . الرسالة

السابعة ص 20 .

(111) السليطن لقب يلقب به المؤرخون المسلمون ألفونسو السابع المعروف «المنحارب

المتوفا فى 21 غشت 1157 (13 رجب عام 552 هـ) ومرة أخرى يجعل ابن أبى زرع من النفس فنتيين .

السيد عثمان على حصار ألمرية حتى فتحها وأنزل منها النصارا صلحا بالامان على يد النوزير الكاتب أحمد بن عطية (١١٢) .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ، فيها دخل عبد المومن بجاية ، وفيها حاصر الموحدون يحيا بن العزيز ابن حماد بقسطنطينة حتى نزل على الامان وبايع عبد المومن ودخل فى طاعة الموحدين ، وانتقل الى مراكش بخاصته فأعطاه عبد المومن بها مالا وأنزله منزلة رفيعة ، وأقام عبد المومن ببجاية شهرين حتى هدنها وفتح أحوازها وأقطارها وقدم فيها طلبة الموحدين ورجع الى مراكش .

وفى سنة ثمان وأربعين وخمسمئة رجع عبد المومن من فتح بجاية الى مراكش وبعث ليصليتين (١١٣) قريب المهدي ، فأتى به مكبولا من سبته ، فأمر بقتله وصلبه بباب مدينة مراكش ، وارتحل عبد المومن بعد قتل يصليتين الى تينبل لزيارة قبر المهدي ، ففرق فى أهلها أموالا عظيمة ، وأمر ببناء مسجد لها وتوسيعه ، ثم ارتحل منها الى سلا فأقام بها بقية سنة ثمان وأربعين .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ، فيها ولا عبد المومن ولده محمدا العهد بعده ، وأمر بذكره فى الخطبة بعده ، وكتب بذلك الى جميع عمله ، وفيها ولا بنيه البلاد ، فولا السيد عمر تلمسان وأحوازها ، وأصحابه أبا محمد عبد الحق ، ومن الكتاب الفقيه عبد الملك ابن عياش ، وكان يكتب بعد ذلك للخليفتين ، وولا السيد عثمان سبته وطنجة ، وأصحابه عبد الله بن سليمان وسعيد بن ميمون الصنهاجي ، ومن الكتاب الفقيه أبا الحكم هرمس ، ثم أبا بكر ابن الطفيل ، ثم أبا بكر بن حبيش الباجي ، وولا السيد عبد الله بجاية وأعمالها ، وأصحابه أبا سعيد يخلف بن الحسن

(١١٢) يجب التنبيه الى أن ابن أبي زرع جعل فتح ألمرية واسترجاعها من يد النصارا فى عام 546 هـ والحقيقة أن المرية استردت فى أواخر سنة 552 هـ (١١57 م) بعد تملك غرناطة الذى حدث سنة 55٢ كما سيأتى للمؤلف .

(١١٣) ويعرف أيضاً بصلالسن ، كان من زعماء قبيلة هرغة ومن أهل دار المهدي . ينظر عن مقتله أخبار المهدي بن تومرت ص 74 و 75 .

وولا السيد يوسف أشبيلية وشلب وأحوازهما ، وولا الشيخ أبا زيد بن يكيث قرطبة وأعمالها ، فلما ولا عبد المومن أولاده البلاد وجعل عهده لولده محمد وقتل يصلين قريب المهدي خرج عليه عبد العزيز وعيسا أخوا المهدي وكانا بفاس ، فخرجوا عنها الى مراكش على طريق المعدن ، فاتصل خبر خروجهما من فاس بعبد المومن ، فخرج هو من سلا متلافيا مدينة مراكش بعد أن قدم إليها وزيره أحمد بن عطية ، فوجدهما قد دخلا مدينة مراكش وقتلا عاملها عمر بن تفرادين ، فلما وصل عبد المومن لمراكش لم يقدم شيئا قبل قتلها وصلبها .

وفى هذه السنة دخل الموحدون لبلدة بعد الحصار الشديد ، بعث إليها أمير المؤمنين عبد المومن قائده يحيى بن يومر ، فحاصرها حتى دخلها عنوة ، فأخرج أهلها الى خارج المدينة وصفهم صفوفا ، ثم أمر بقتلهم جميعا وقتل جماعة من فقهاءهم ، منهم الفقيه أبو الحكم بن بطال المحدث ، والفقيه الصالح الفاضل أبو عامر ابن الجد ، والذي وقع عليه الاتفاق من الناس أنه عد من قتلا لبلدة فى ذلك الموضع ثمانية آلاف رجل ، وفى أحوازه أربعة آلاف (١١٤) ثم بيعت نسائهم وأبنائهم جميعا وسلبيهم أموالهم وأمتعتهم ، فعل ذلك برأيه دون إذن عبد المومن ، فرفع الخبر الى عبد المومن فأنكر عليه استبداده بذلك وسوء فعله ، وبعث إليه من مراكش من يقبض عليه مكبولا الى الحضرة ، فوصل لمراكش يوم عيد الفطر ، فسجن بمراكش مدة ثم سرحه وعفا عنه ! ولم يصرف على أهل لبلدة شيئا من جميع ما أخذ لهم .

ثم دخلت سنة خمسين وخمسمئة ، فيها أمر أمير المؤمنين عبد المومن بإصلاح المساجد وبنائها فى جميع بلاده وتغيير المنكر وتحريق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة الحديث ، وكتب بذلك الى جميع طلبة المغرب والعدوة .

(١١٤) هذه المجزرة لا يماثلها فى الهول والفظاعة الا التمييز التبهير ، الاول الذى قام به محمد بن تومرت ، والثاني الذى قام به عبد المومن ، وذلك من أكبر الأخطاء والخطايا التى يواخذ بها الموحدون . وعند الله يجتمع الخصوم .

ثم دخلت سنة /احدا/ وخمسين وخمسمئة ، فيها ملك الموحدون مدينة
غرناطة ، وخطب بها لعبد المومن بن علي ، وبعث أهلها بيعتهم اليه
فقبلها ، وبعث اليهم عامله فنكثوا البيعة وقتلوا العامل ، وقام بها ابن
مردنيش وابن همشك والبار ريدريكي (الأقرع النصراني) .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ، وفيها أمر امير المومنين بغزو
غرناطة فسار اليها ولداه يوسف وعثمان بعساكر كثيرة ، فقاتلوا حتى
فتحوها عنوة ، وقتل البار ريدريكي (الأقرع النصراني) ومن كان معه
من النصارا ، وفر ابراهيم ابن همشك وابن مردنيش عنها ، قاله ابن
مطروح ، وقال ابن صاحب الصلاة : كان فتح غرناطة وقتل الأقرع
النصراني عام سبعة وخمسين والله أعلم بذلك .

وفيها نكب أمير المومنين وزيره أحمد بن عطية وسجنه مدة ، ثم
قتله في شوال منها واستوزر مكانه عبد السلام بن محمد الكومي ، وكان
والد عبد المومن تزوج أم عبد السلام هاذا ، فولدت له ابنة تزوجها
أبو حفص ثم طلقها ، فاستوزره عبد المومن حين قتل أحمد بن عطية ،
واستكتب في الرسائل والأوامر عبد الملك ابن عياش القرطبي ، ولما حبس
ابن عطية كتب الى أمير المومنين عبد المومن يستعطفه ويطلب عفوه بهاذه
الرسالة .

يا ابن العزاء نفرط الهم والحزن
ورحمة منكم أنجا من السفن
وعطفة منكم أوقا من الجنن
بمن أجارته رحماكم من الحصن
بنصره لم يخف بطشا من الزمن
والطرف ينهض بعد الركن في سنن
من دون من بها كلا ولا ثمن
كلنا الحياتين من نفس ومن بدن
لم يألفوا النوح في فرع ولا فن
والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

عظفا علي أمير المومنين فقد
قد أغرقتنا ذنوب كلها لجـج
وصادفتنا سهام البين عن غرض
هيهات للخطب أن تسطو حوادثه
من جاء عندكم يسعا على ثقة
فالثوب يظهر بعد الغسل من درن
أنتم بذلتكم حياة الخلق كلهم
ونحن من بعض من أحيت مكارمكم
وصبية كفراخ الورق من صغر
قد اوجدتهم أياد منك سألقة

تأله لو أحاطت بي كل خطيئة ، ولم تنفك نفسى عن الخيرات بطيئة ،
حتى سخرت بمن فى الوجود ، وأنفت لآدم من السجود ، وقلت ان الله
لم يوح ، فى الفلك الى نوح ، وأبرمت لحطب نار الخيل حبلا ، وهرت
لقدار (١١٥) ثمود نبلا ، وحططت عن يونس شجرة اليقطين ، وأوقدت
مع هامان على الطين ، وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها ، واغتريت
على العذراء البتول ففقتها ، وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة ،
وظاهرت الأحزاب بالقصوا من العدو ، وأبغضت كل قرشى ، وأحببت
لأجل وحشى كل حبشى ، وقلت بأن بيعة السقيفة ، لاتوجب امامة خليفة،
وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبه ، واعتقلت من حصار الدار وقتل
أشمطها بشعبه ، وقلت نقاتلوا رغبة فى الأبيض والأصفر ، وسفكوا
الدماء على الثريد الأعفر ، وغادرت الوجه من الهامة خضيبا ، وناولت
من قرع سن الحسين قضيبا ، ثم كنت بحفرة المعصوم لائذا ، وبقبر
المهدى رضى الله عنه عائذا ، لقد ان لمقاتلى أن تسمع ، وان تغفر لى
هاذه الخطيئات أجمع ، مع أنى مقترف ، وبالذنب معترف :

فقفوا أمير المؤمنين فمن لنا **بسر قلوب هدها الخفقان**
والسلام على المقام الكريم ورحمة الله وبركاته .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ، فيها كانت حركة المهديّة وفتحها
وتخليصها من أيدي الروم الذين كانوا ملكوها (١١٦) وفيها فتحت جميع بلاد
أفريقية ، وكانت المهديّة قبل أن يملكها الروم بيد الحسن بن علي بن يحيى
ابن تميم بن المعز بن باديس أرائة من أبيه وأجداده ، فنزل عليه بها العدى
الرومى صاحب صقلية وشدّد عليه الحصار حتى دخلها عنوة ، وذلك
فى عام ثلاث وأربعين وخمسمئة ، فهرب الحسن بن علي المذكور الى
الجزائر واستوطنها ، فلما وصل عبد المؤمن الى الجزائر بجيوش

(١١٥) عاقر ناقة ثمود .

(١١٦) استولوا أمير البحر جرجى الأنطاكي - لحساب روجار الثانى ملك صقلية - على
المهديّة يوم ٢ صفر عام ٥٤٣ هـ (الثلاثاء ٢٢ يونيو سنة ١١٤٨ م) ، وكان عدد سفن أسطول
٢٥٠ سفينة .

الموحدين وجد فيها الحسن بن علي المذكور ، فخرج اليه وبإيعه وصاهره عبد المومن ، وحمله الى مراكش ، فأقام معه الى سنة ثلاث وخمسين المذكورة ، فخرج عبد المومن الى المشرق برسم غزو المهديّة ، فوصل اليها ونازلها برا وبحرا وشرع فى قتالها حتى نزعها من أيدي الروم ، وذلك فى سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، قاله البرنسي .

وقال ابن جنون : تحرك أمير المومنين عبد المومن الى غزو المهديّة من حضرة مراكش ، وذلك فى العشر الأول من شهر شوال عام ثلاثة وخمسين المذكور (أكتوبر - نونبر ١١٥٨ م) واستخلف على مراكش أبا حفص بن يحيى ، وترك معه ولده السيد علي ، واستعمل على مدينة فاس وأعمالها يوسف بن سليمان ، واستخلف على اشبيلية وقرطبة وجميع بلاد غرب الأندلس ولده السيد يوسف ، وعلى غرناطة ولده عثمان ، وسار هو فى أمم لاتحصا وجيوش لاتعد من الموحدين وقبائل العرب وقبائل زناتة والأغزاز والرمّة متوجها الى المشرق ، ففتحه الله عليه ، فسار فى أرض الزاب وبلاد أفريقية يفتح البلاد والمعقل ، ويؤمن من استأمن ويقتل من عصا حتى وصل الى مدينة تونس فحاصرها ثلاثة أيام ، وارتحل عنها وترك عليها جيشا من الموحدين ، وسار الى القيروان ففتحها ، وفتح سوسة وصفاقس وارتحل الى المهديّة فنزل على من بها من الروم برا وبحرا ، ونصب عليها المجانيق والرعادات فى البر والبحر ولم يرفع عنها القتال ليلا ولا نهارا ، وجعل قتالها نوبا على قبائل الموحدين حتى فتحها وقتل بها خلقا كثيرا من النصّارا .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ، فى شهر جمادى الأولى منها فتحت تونس وخطب بها لأمر المومنين عبد المومن ، وبعدها بيسير كان فتح المهديّة بعد حصارها سبعة أشهر ، وفيها فتح عبد المومن جميع بلاد أفريقية كلها ودخل أهلها فى طاعته من برقة الى تلمسان ولم يبق له بها منازع ، ففرق فيها عماله وقضاته ، وسكنها وأمنها وضبط ثغورها وأصلح أقطارها .

وفى هذه السنة أمر عبد المومن بتكسير بلاد أفريقية والمغرب ،

وكسرها من بلاد أفريقية من برقة الى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولا وعرضا ، فأسقط من التكسير الثلث فى الجبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرق والحزون ، وما بقي قسط عليه الخراج والزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق ، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب .

وقيل كان تملك عبد المومن بن علي المهدي وفتحها يوم عاشوراء من سنة خمس وخمسين (٢١ يناير ١١٦٠ م) .

وفى سنة خمس وخمسين وخمسمئة أمر أمير المومنين ببناء جبل الفتح وتحصينه ، فبنى وشيد حصنه ، وكان ابتداء البناء به فى تاسع ربيع الأول من سنة خمس وخمسين المذكورة (١٩ مارس ١١٦٠ م) وكمل بناؤه فى ذي القعدة منها .

وفى هاهذه السنة تحرك أمير المومنين من أفريقية الى المغرب يريد طنجة برسم الجواز الى الأندلس ، فسار حتى وصل الى مقربة من وهران فطلبه عرب أفريقية فى الوداع بالرجوع الى حللهم فأسعفهم بذلك ، ونقل منهم الى المغرب ألفا من كل قبيلة بعيالاتهم وابنائهم ، وهم عرب جشم ، وبنا فى رجعت هاهذه مدينة البطحاء (١١٧) وسبب بنائه اياها أنه لما طالت بالموحدين الإقامة بالشرق والتغرب عن أولادهم وأوطانهم عزمت طائفة منهم على قتل عبد المومن والفتك به فى خبائه اذا نام ، وتوافقوا على ذلك ، فأتا شيخ (١١٨) ممن علم الأمر الى عبد المومن فأخبره الخبر وقال له : دعنى أبت الليلة فى موضعك وانم فى فراشك ، فان فعلوا ما اتفقوا عليه كنت فديتك بنفسى فى حق المسلمين ، وأجرى فى ذلك على الله ، وان كانت السلامة فمن الله تعالا ويكون أجرى على قدر نيتي ، فبات على فراشه فاستشهد ، فلما أصبح وصلا عبد المومن

(١١٧) تقع قرب وادى شلف بالمغرب الأوسط .

(١١٨) هو اسماعيل بن يسلا بن الهزرجى تلميذ محمد بن تومرت وأحد أصحابه العشرة .

ينظر عنه المقتبس من كتاب الأنساب ص 3١ .

الصباح افتخده ، فوجده مقتولا ، فأخذه وحمله بين يديه على ناقته ، لايقودها أحد ، فسارت الناقة نمر يمينا وشمالا حتى بركت وحدها ، فأمر عبد المومن بالشيخ فأنزل عنها وأخذ بزمامها وأزيلت عن مبركها ، وحفر قبره فيه ودفن وبنيت عليه قبة ، وبنا بازاء القبة جامعا ، ثم أمر ببناء المدينة حول المسجد ، وترك بالمدينة عشرة من كل قبيلة من قبائل المغرب ، فقبر الشيخ هناك معظم عند أهل تلك البلاد يزار الى اليوم ، وعند دخول أمير المومنين الى مدينة تلمسان من هاذه الحركة قبض على عبد السلام ابن محمد الكومي وزيره وحبسه ، سمه في قدرة (١١٩) لبن فمات من ليلته (١٢٠) وخرج عبد المومن من تلمسان الى المغرب فسار حتى وصل الى طنجة ، وذلك في ذي الحجة سنة خمس وخمسين (دجنبر ١١٦٠ م) وفيها (١٢١) جاز الخليفة أمير المومنين عبد المومن بن علي من طنجة الى الأندلس ، فنزل بجبل الفتح ، فأقام به شهرين واستشرف على أحوال بلاد الأندلس ، وأتاه قوادها واشياخها للسلام ، فأمر بغزو بلاد غرب الأندلس ، فخرج اليها الشيخ عبد الله بن أبي حفص من قرطبة في جيش كثيف من الموحدين ، ففتح حصن اطرانكش ، من أحوال بطليوس وقتل جميع من كان به من النصارا وأتا ألفنش من طليطلة لاغاثنه فوجده قد فتح ، فقصد الموحدون لقتاله ، فهزمه الله ، وقتل من عسكره ستة ألاف رجل ، وساق المسلمون السبي الى قرطبة واشبيلية .

وفي سنة ست وخمسين ملك الموحدون بطليوس وباجة ويابورة وحصن القصر ، فولا عليها عبد المومن ، محمد بن علي ابن الحاج ، ورجع عبد المومن الى مراکش .

ودخلت سنة سبع وخمسين وخمسمئة ، وفيها أمر أمير المومنين

(119) وقيل سمه في ثردة .

(120) انظر عن مقتل عبد السلام الكومي **المن بالامامة** ص 173 .

(121) في الأصل (ثم دخلت سنة ست وخمسين ، فيها جاز) الخ والحقيقة أن جواز عبد المومن بن علي الى الأندلس كان في شهر ذي القعدة من عام 555 هـ كما عند ابن صاحب الصلاة في **المن بالامامة** ص 147 .

عبد المومن بإنشاء الأساطيل فى جميع سواحل بلاده ، وعزم على غزو بلاد الروم فى البر والبحر ، فأنشأ منها أربعمئة قطعة ، منها فى حلق المعمورة (١٢٢) ، ومرساها مئة وعشرون قطعة ، ومنها فى طنجة وسبتة وبادس (١٢٣) ومراسى الريف مئة قطعة ، ومنها ببلاد أفريقية ووهران ومرسا هنين مئة قطعة ، ومنها ببلاد الأندلس ثمانون قطعة ، ونظر فى استجلاب الخيل للجهاد ، والاستكثار من أنواع السلاح والعدد ، وأمر بضرب السهام فى جميع عمله ، فكان يضرب له كل يوم منها عشرة تناطير ، فجمع من ذلك مالا يحصى ، وفى خلال ذلك ورد على أمير المومنين قبيلة كومية فى جيش عظيم من أربعين ألف فارس ، والسبب فى قدومهم أنه لما همت طائفة من الموحدين بقتله وقتلوا الشيخ الذى بات بمكانه وتحقق ذلك منهم جاء بهم لأخذ ثأره منهم بحيلة ، لكونه غريبا بين قبائلهم ليس له عشيرة يستند إليها ولا قبيلة يثق بها ويعتمد عليها ، فبعث فى خفية الى أشياخ قبيلة كومية قبيلته ، وأمرهم بالقدوم عليه ، وأن يركب كل من بلغ الحلم ويأتونه فى أحسن زى وأكمل عدة وهياة ، وبعث اليهم بالأموال والكسا ، فاجتمع منهم اربعون ألفا ، فأقبلوا الى أمير المومنين بمراكش برسم الخدمة بين يديه ولشد ظهره بهم ، فقتشوش المغرب بقدومهم وتقول الناس الأقاويل ، فسار الجيش حتى وصل وادي أم الربيع ، فسمع الموحدون باقبالهم ، فارتاعوا منهم ، وعرفوا أمير المومنين عبد المومن بخبرهم ، فأمر الشيخ أبا حفص أن يخرج اليهم فى جماعة من الموحدين وأشياخهم ليتعرفوا خبرهم ، فسار حتى تلقاهم بوادي أم الربيع فقال لهم : أسلم أنتم أم حرب ؟ فقالوا بل نحن سلم ، نحن قبيل أمير المومنين عبد المومن بن علي ، نحن كومية الزناتيون ، قصدنا زيارته والتسليم عليه ، فرجع أبو حفص وأصحابه فعرف أمير المومنين

(١٢٢) تعرف اليوم بالمهدية ، عند مصب نهر سبو ، ولكن الغابة المجاورة لها ما زالت تسما غابة المعمورة .

(١٢٣) مدينة ساحلية بشاطئ البحر المتوسط تقع غربى مدينة الحسبة فى تراب قبيلة بقوية ، خربت ولم يبق منها الا بعض أطلال ، أمامها جزيرة صغيرة تسما باسمها تحتلها إسبانيا .

بخبرهم ، فأمر عبد المومن جميع الموحدين أن يخرجوا الى لقائهم ، فاحتفلوا لذلك ، وكان بمراكش يوم دخولهم عيد من الأعياد ، فرتبهم عبد المومن فى الطبقة الثانية ، وجعلهم من قبيلة تينمل فى ثانى درجة ، وقربهم من نفسه وجعلهم بطانته ، يركبون فى ظهره ويقفون على رأسه ويمشون بين يديه اذا خرج .

وفى سنة ثمان وخمسين وخمسمئة خرج أمير المومنين من مراكش الى الاندلس برسم الجهاد ، وكان خروجه يوم الخميس الخامس من ربيع الأول من السنة المذكورة (٢١ يبرابر ١١٦٣ م) ، فوصل الى رباط الفتح ، فكتب الى جميع بلاد المغرب والقبلة وأفريقية والسوس وجميع القبائل يستنفرهم الى الجهاد ، فأجابه خلق كثير ، فاجتمع له من عساكر الموحدين والمرتقة من قبائل المغرب وقبائل زناتة أزيد من ثلاثمئة ألف فارس ، ومن جيوش المطوعة ثمانون ألف فارس ومئة ألف راجل ، فضاقت بهم الأرض وانتشرت المحلات والعساكر فى أرض سلا من عين غبولة الى عين خميس واستدارت راجعة الى حلق المعمورة ، فلما استوفت لديه الحشود ، وتكاملت لديه الجنود والوفود ، ابتدأه المرض الذي توفي منه ، فتمادا مرضه واشتد ألمه ، فلما خاف أن يفجأه الموت أمر بإسقاط ولده محمد من الخطبة وعزله عن العهد لما ظهر له من العجز عن القيام بالخلافة ، وذلك يوم الجمعة الثانى من جمادا الآخرة من العام المذكور ، وكتب بذلك الى جميع طاعته وبلاده ، فتمادا مرضه ، واشتد ألمه ووجعه ، الى ان توفي يوم الثلاثاء عند الفجر عاشر جمادا الآخرة (١٦ ماي ١١٦٣ م) المذكورة فسبحان الحي الدائم الذي لا يموت ولا يفنا دوامه ولا يبيد ملكه ، وسنه يوم توفي ثلاث وستون سنة ، قاله ابن البُخْشِيَاب ، وقيل أربع وستون سنة ذكره ابن صاحب الصلاة فى كتاب (المن بالإمامة) ، وحمل الى تينمل ، ودفن بها الى جنب قبر الامام المهدي ، فكانت أيام ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما قاله غير واحد من المؤرخين لدولتهم .

وخلف عبد المومن من البنين جماعة ، وهم : يوسف الخليفة من بعده ، وشقيقه عمر ، ومحمد المخلوع من العهد ، وعبد الله صاحب

بجاية ، وعثمان صاحب غرناطة ، والحسن ، والحسين ، وسليمان ،
ويحيا ، واسماعيل ، وابراهيم ، وعلي ، ويعقوب ، وعبد الرحمان ،
وداود ، وعيسا ، وأحمد ، ومن البنات عائشة ، وصفية .

ومن أولاده النجباء الأدباء السيد أبو عمران ، كان استخلفه أخوه
يوسف على مراکش ، فاعتل وغاب ثلاثة أيام لم يره أحد ، فكتب اليه
القاضى حجاج بن يوسف :

يغيب البدر يوما ثم يبدو وأنت تغيب عن عيني ثلاثا
لئن بلغت ثلاث لم أراكم فليست بمدرک يوم الثلاثا
فأجابه السيد أبو عمران بديهة :

أتتنا منكم درر فحلت عجالى أوجبت منا انبعاثا
ولولا العذر من سبب قوي لسرنا نحوكم حتما حثا
ولكنى أسير بحال ود اليكم مصبعا يوم الثلاثا

الخبر عن صفة أمير المؤمنين عبد المومن بن علي

وسيرته وفضله رحمه الله

كانت ولاية عبد المومن حسنة ، وسيرته جيدة ، لم يكن فى ملوك
الموحدين مثله أحسن عطية ولا فروسية ولا دينا ولا أكثر علما منه .
وأما صفته : فكان أبيض اللون مشربا بحمرة ، أكحل العينين ،
أجعد ، تام القد ، له وفرة تبلغ شحمة أذنيه ، أزج الحاجبين ، قويم
الأنف ، عريضه ، مستدير اللحية ، فصيح اللسان نبها ، عالما بالجدل ،
فقيها فى علم الأصول ، حافظا لحديث النبي صلا الله عليه وسلم ، متقن
الرواية ، مشاركا فى كثير من العلوم الدينية والدنيوية ، اماما فى النحو
واللغة والأدب والقراءات ، ذاكرة للتاريخ وأيام الناس ، حسن السيرة :
نافذ الرأي ، ذا حزم وسياسة وشجاعة واقدام فى الحرب وفى مهمات

الامور ، سري الهمه ، ميمون النقيية ، منصورا مؤيدا ، لم يقصد قط بكذا
الا فتحه ، ولا قاتل جيشا الا هزمه ، وكان مع ذلك سخيا كريم الأخلاق ،
محبا فى أهل العلم والأدب ، مقربا لهم ، مشوقا لوفادتهم ، منفقا
لبضاعتهم ، وله شعر رائع حسن ، قيل انه خرج يوما مع وزيره أحمد
ابن عطية متنزها الى بعض بساتين له بمراكش ، فمر فى طريقه بشارع
من شوارع المدينة ، فاذا بطاق فى دار عليه شبك خشب قد قابله منه
وجه جارية كأنه الشمس الضاحية قد بادرت الطاق تنظر اليه ، فنظر
اليها عبد المومن ، فأعجبه حسننها ، وحلت من قلبه كل المحل ، فقال
ارتجالا :

قدت فؤادي من الشبك اذ نظرت

فقال ابن عطية :

حوراء ترنو الى العشاق بالقل

فقال عبد المومن :

كانما لحظها فى قلب عاشقها

فقال ابن عطية :

سيف المؤيد عبد المومن بن عني

فطرب عبد المومن واستحسن اجازة وزيره ، فخلع عليه وأمر له
بمال جزيل .

قال ابن جنون :

كان عبد المومن ذا سياسة وهمة سنية ، على أنه لم يكن من بيت ملك
ولم ينشأ فى نعيم ، فمن همته أنه لم يخلد الى الراحة ، ولا ركن الى
اللذات ، فتح المغرب بأسره ، ثم توجه الى المشرق ، ففتح أفريقية كلها
الى برقة ، وفتح الأندلس ، وقمع الجبارين ، واسترجع من أيدي الروم
المهدية من بلاد أفريقية والمرية وأبذة وبياسة وبطليوس من بلاد الأندلس
كتابه : أحمد ابن عطية ، وأخوه عطية ابن عطية ، وعبد الملك ابن

عياش ، وميمون الهواري ، وعبد الله بن جبل •
وزرائه : أحمد بن عطية ، ثم عبد السلام بن محمد الكومي ثم ولده
السيد عمر ، ثم ادريس بن جامع يقعد بين يدي السيد عمر •
قضااته : مرسا بن سهل من أهل تينمل ، ثم حجاج بن يوسف ،
ثم الاستاذ عبد الله بن ميمون القرطبي ، وهو القائل فى شاب من أهل
أغمات يعرف بأبى القاسم بن تسميت :
أبا قاسم والهوا جنة وها أنا من مسها لم افق
نبوات جاحم نار الضلوع كما خضت بحر دموع الحدق
أكنت الخليل أكنت الكليم أمنت الحريق أمنت الغرق

الخبر عن دولة أمير المومنين يوسف

ابن أمير المومنين عبد المومن بن علي

هو أمير المومنين أبو يعقوب ، يوسف ، بن الخليفة أمير المومنين
عبد المومن بن علي الزناتى الكومى •
أمه : حرة اسمها عائشة بنت الفقيه القاضي موسى التينملى •
مولده : يوم الخميس الثالث من شهر رجب من سنة ثلاث وثلاثين
وخمسئة (٦ مارس ١١٣٩ م) •

صفته : كان أبيض اللون تشوبه حمرة ، حسن القد التام ، أشعر
اللحية ، أجعد الشعر ، أفلج ، أقنا ، أعسر أيسر (١٢٤) يعمل بيديه
جميعا ، عاقلا صالحا ورعا فاضلا ، متوقفا فى سفك الدماء ، حلما ،
حسن السياسة والتدبير ، مصيب الرأي ، محبا فى الجهاد ، لما ولي أخذ
بنهج أبيه وسلك سبيله واهتدا بهديه ، وسار بسيرته واقتدا بأفعاله ،

وجمع الأموال الكثيرة ، وهو أول ملك من ملوك الموحدين جاز الى الجهاد فغزا بنفسه ، وواظب عليه ، واقتنا الذخائر ، واستكثر من الجيوش والجنود ، ومهد البلاد ، وأطاعه من بالعدوتين من العباد ، وضخم ملكه ، فكان ملكه من سويقة ابن مكتود قاصية بلاد أفريقية الى اقصى بلاد نول من أرض السوس الاقصا الى آخر بلاد القبلة ، وملك بالأندلس من مدينة تطيلة ، قاصية بلاد شرق الأندلس الى مدينة شنترين من بلاد غرب الأندلس ، يجبا اليه خراج ذلك كله دون مكس ولا جور ، فكثرت الأموال في أيامه وتمهدت البلاد ، وتأمنت الطرقات ، وضبطت الثغور ، وصلح أمر الناس في البادية والحاضرة ، وذلك لحسن سيرته الجميلة ، وعدله الشامل لرعيته ، وتفقدته لأحوال بلاده القريبة والبعيدة ومباشرة أمور مملكته بنفسه حتى لا يغيب عنه منها شيء ، ولا يدخله فتور عن النظر في أموره ولا يكلها الى غيره .

أولاده : ثمانية عشر ذكرا ، أولهم : يعقوب الخليفة بعده المنتجب بالمنصور ، واسحاق شقيقه ، ويحيا شقيقهما ، وإبراهيم ، وموسا شقيقه ، وأدريس شقيقهما ، وعبد العزيز شقيقهم ، وأبو بكر ، وعبد الله شقيقه ، وأحمد شقيقهما ، ويحيا شقيقهم ، ومحمد ، وعمر وعبد الرحمان ، وعبد الواحد الخلو ، وعبد الحق ، واسحاق ، وطلحة .

حاجبه : الضابط أمره والقائم بملكه أخوه السيد عمر .

وزيره : أدريس بن جامع ، ثم الوزير أبو بكر يقعد بين يدي ولده يعقوب .

قضاته : الفقيه القاضي حجاج بن يوسف ، والفقيه عيسا بن عمران ، ثم الفقيه القاضي أبو العباس بن مضا القرطبي .

كتابه : عبد الملك ابن عياش القرطبي النشأة الياپوري الأصل ، وكان رحمه الله من أهل الحديث والرواية والكتب البار ، له عقل ورأي سديد ، ومن كتابه أيضا الفقيه الكاتب البار أبو الفضل بن طاهر ، من أهل مدينة بجاية ، وهو المعروف بمحشرة ، وكان رحمه الله من أهل العلم

والفضل والدين والتقا والنبيل فى الكتابة والبلاغة فى الترسيل ، ثم كتب
لولده المنصور ثم لحفيده الناصر .

أطبأؤه : الوزير الطبيب أبوبكر بن الطفيل من أهل وادي آش ، من
أهل الحذق بصناعة الطب والنظر فى الجراحات ، توفي رحمه الله سنة
احدا وثمانين وخمسمئة ، ومنهم الوزير عبد الملك بن قاسم القرطبي ،
من أهل التبريز فى صناعة الطب ، توفي سنة خمس وسبعين وخمسمئة .
ومنهم الفقيه الأجل أبو الوليد ابن رشد ، استدعاه أمير المومنين الى
سكنا مراكش سنة ثمان وسبعين برسم الطب ، ثم ولاه القضاء بقرطبة ،
وهو ابن رشد الحفيد ، ومنهم الوزير ابوبكر بن زهر كان يتكرر على
الحضرة ، فيقيم بها ويرجع الى الأندلس ، ثم انتقل الى مراكش بجملته
وأهله وذلك فى سنة ثمان وسبعين وخمسمئة ، فأقام بها الى أن كانت
غزوة شنترين فحضرها ، ثم اختص بالمنصور ، وكان من أهل المعرفة
بالطب والحفظ للغة والأدب والمجالسة والمحاضرة ، مشاركا فى الفقه
والحديث والتفسير ، ذكر عنه ابن الجد أنه كان يحفظ كتاب البخاري
بأسانيده ، وكان من أهل السخاء والحمية ، شاعرا مجيدا ، له اشعار
بديعة فى الزهد ، ومن شعره يتشوق الى ولد له صغير :

ولي واحد مثل فرخ القطاة	صغير تخلفت قلبى لديه
نأت منه دارى فأوحشنى	لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقننى وتشوقته	فبيكى علي وأبكى عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا	فمنه الى ومنى اليه

توفي رحمه الله بمدينة مراكش فى الحادى والعشرين لذى الحجة
من سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وقد بلغ من السن أربعا وتسعين سنة
ومن الفقهاء الذين كانوا يجالسونه ويسامرونه الفقيه الحافظ
أبوبكر ابن الجد ، ومنهم الفقيه القاضي أبو عبد الله ابن الصقر ، ولي
القضاء باشبيلية ، ثم نقله أمير المومنين يوسف الى حضرته ، فولاه
الخزائن وبيوت الأموال ، وكان من أهل الأدب ، ومن شعره :

لله اخوان تنائت دارهم حفظوا الوداد على النوا أوخانوا
يهدى لنا طيب الثناء ودادهم كالاند يهدى الطيب وهو دخان
وهو القائل ايضا :

ارض العدو بظاهر متصنع ان كنت مضطرا الى استرضائه
كم من فتا القا بوجه باسم وجوارحي تنقض من بغضائه
فكان الأمير يوسف يجالسهم ويحدثهم ويستظرف ملحم رحمه الله

الخبر عن بيعته وأيامه رحمه الله

ببيع يوسف بعد وفاة أبيه ، وذلك فى غدوة يوم الجمعة (١٢٥) الحادي عشر لجمادا الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمئة (٢٩ ماي ١١٦٣ م) ، وتوفي شهيدا فى غزاة شنترين من بلاد غرب الأندلس يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمئة (٢٩ يوليوز ١١٨٤ م) وهو ابن سبع وأربعين سنة ، فكانت أيامه فى الملك احدا وعشرين سنة وأشهرًا وإياما ، وقيل أنه ببيع يوم الثلاثاء العاشر لجمادا الآخرة المذكور بعد وفاة أبيه بليلة ، قيد ذاك بعض ولده ، وقيل لما مات عبد المومن كتم موته لأجل غيبة ولده الخليفة بعده ببلاد الأندلس ، فلم يشهر موته حتى قدم يوسف من أشبيلية ، ذكر ذاك ابن الخشاب ، وأهل بيته أحق بالتقليد فى ذاك ، وذكر القاضى يوسف بن عمر المؤرخ لدولتهم ان يوسف ببيع بيعة الجماعة ، وانفقت الأمة على بيعته يوم الجمعة ثامن ربيع الأول سنة ستين وخمسمئة ، وذلك بعد وفاة والده بستتين ، لأنه لما ببيع بعد وفاة والده توقف عن بيعته قوم من أشياخ الموحدين ، وامتنع من بيعته اخواه السيد عبد الله صاحب بجاية والسيد

محمد صاحب قرطبة ، فكف عنهما ولم يطلبهما بالبيعة وتسما بالأمير ، ولم يتسم بأمر المومنين حتى اجتمع عليه الناس .

وذكر ابن مطروح فى تاريخه أنه لما مات عبد المومن كان ولده يوسف باشبيلية ، فأخفى موته ووجه الى يوسف فوصل من أشبيلية الى سلا فى أقرب وقت ، فبويع ، ولم يتخلف عن بيعته أحد الا ناس قلائل لم يلتفت اليهم ، فكان أول شيء فعله فى ولايته حين تمت بيعته أنه سرح الناس المجتمعين للجهاد الى بلادهم وقبائلهم ، وكتب الى جميع البلاد بتسريح السجون وتفريق الصدقات فى جميع عمله ، وتسما بأمر المومنين ، وارتحل الى مراكش ، فدخلها وأقام بها وكتب الى جميع طاعته من الموحدين يطلبهم بالبيعة فآذته البيعة من جميع بلاد أفريقية والمغرب وبلاد الأندلس ماخلا قرطبة وبجاية ، فان ولاتهما وهما أخواه توقفا فى ذلك ، فانتشر أمره فى أقطار البلاد ، ودان له من بالعدوتين من العباد ، وفرق الأموال فى قبائل الموحدين وأعطى كل الأجناد .

وفى سنة تسع وخمسين وخمسمئة قدم عليه أخواه السيد عبد الله صاحب بجاية والسيد محمد صاحب قرطبة تائبين طائعين مبايعين ، وقدم عليه بهما أشياخ حاضرتيهما وفقهاؤهما ، فوصلهم أمير المومنين يوسف وأحسن اليهم بالمال والخلق .

وفى هاذة السنة ثار مرزدغ الغماري الصنهاجي من صنهاجة مفتاح وضرب السكة وكتب فيها (مرزدغ الغريب ، نصر الله قريب) ، فتابعه خلق كثير من غمارة وصنهاجة وأوربة (١٢٦) فافسد تلك الناحية ودخل

(126) أوربة بفتح الهمزة والواو وسكون الراء وفتح الباء قبيلة بربرية كبيرة من شعب البرانس ، كانت تشتمل فى القديم على بطون وعماثر كثيرة مثل ديقوسة ورغوبة ولجاية ومزاية ونفاسة ونيجة ، وقد كبرت هذه البطون فيما بعد حتى أصبحت فى عداد القبائل ، كان شيخ هذه القبيلة عند دخول الاسلام أرض المغرب يسمى سكرديد بن زوغى ، ولى عليهم 73 سنة ، وأدرك الفتح الاسلامي ومات سنة 71 هـ وبقيت زعامة البربر فى أوربة حتى دخل الامام ادريس أرض المغرب فتنازل له شيخها اسحاق بن محمد بن عبد الحميد عنها فصارت أوربة فى عداد قبائل دولته ، لا تمتاز عن غيرها الا بالسبق الى تأييد دعوته ومقاتلة عدوه ، وقد حلت الفروع فى الوقت الراهن محل الأصل ، اذ لم يبق يحمل اسم أوربة الا بطن صغير منها مندمج

مدينة بنى تاودة (١٢٧) وقتل فيها خلقا كثيرا وسبها ، فبعث اليه أمير المومنين يوسف جيشا من الموحدين ، فقتل وحمل رأسه الى مراكش .

وفى سنة ستين كانت وقعة الجلاب (١٢٨) بالأندلس بين السيد أبى سعيد بن عبد المومن وجيوش الروم مع ابن مردنيش ، وكان الروم ثلاثة عشر الفا ، فهزم ابن مردنيش وقتل من كان معه من الروم بأجمعهم ، وكتب بالفتح الى أخيه يوسف .

وفى سنة احدا وستين ولا أمير المومنين يوسف أخاه السيد يحيى بجاية ، وأمره بتفقد أحوال بلاد أفريقية ورفع مظالمها وقطع الطغاة بها . وفيها خالف سبع (١٢٩) بن منغقاد وثار بجبل تيزران (١٣٠) من من بلاد غمارة .

وفى سنة ثلاث وستين اجتمعت الأمة على طاعته وتسمأ بأمرير المومنين ، وذلك فى شهر جمادى الاخرة منها

وفى سنة أربع وستين وقد عليه أهل البلاد من أفريقية والمغرب والاندلس القضاة والخطباء والفقهاء والشعراء والأشياخ والأعيان برسم السلام والمطالعة بأحوال بلادهم فوصلت الوفود الى مراكش ، فسلموا عليه ، ووصل الجميع كلا على قدره ، وأوصاهم بما أراد ، وكتب لهم الأوامر بحاجاتهم وشؤونهم ، وانصرفوا شاكرين .

فى قبائل البرانس شمالى تازة ، وهو معدود من القبائل ، وينطق به معرباً بحذف همزته (وربة) ، والقبيلة التى تحمل هذا الاسم تشتمل على أربعة بطون : أولاد عيو ، وأولاد عيسى ، وأولاد رحمون ، والريبيين (تيربيين) والبطن الأخير ينقسم الى عمارتين : الريبيين الفوقانيين ، والريبيين التحتانيين . والى قبيلة وربة تنسب حوبة الوردية بفاس .

127 الاسم القديم لقرية فاس البالى الواقعة ببطن البوار من قبيلة فشتالة (قيادة قلعة سلاس - إقليم فاس) .

128 فحص يعبد عن مرسية بضعة أميال ، والمعركة المشار اليها حدثت يوم الجمعة 15 أكتوبر سنة 1164 الموافق 7 ذى الحجة عام 560 هـ .

129 سماه ابن أبى زرع فى الأصل يوسف وذلك غلط منه ، وجعل ثورته عام 561 مع أن قمعا كان فى العام التالى ، فلعل عام 561 هو العام الذى ابتدأت فيه الثورة ، والعام الذى يليه هو الذى قمعت فيه . ينظر عن هاذة الثورة كتاب **المن بالامامة** ص 307 .

130 أعلا جبل بقبيلة غمارة ، يقع بين شفشاون والحسيمة عن شمال الذاهب من الأول الى الثانية .

وفى سنة خمس وستين وخمسمئة بعث الأمير يوسف أخاه السيد عمر الى بلاد الأندلس برسم الجهاد ، فجاز البحر من قصر الجواز الى طريف فى جيش من عشرين الفا من الموحدين والمتطوعة ، فغزا طليطنة .
وفى سنة ست وستين وخمسمئة أمر أمير المومنين يوسف ببناء قنطرة تانسيفت ، وشرع فى بنائها يوم الأحد ثالث شهر صفر من العام المذكور .

وفىها جاز أمير المومنين يوسف الى الأندلس لينظر فى ضبط ثغورها واصلاح أحوالها ولم شععتها ، فوصل الى أشبيلية ، فأقام بها سنة كاملة ، وأتاه بها قواد بلاد الأندلس ورؤساؤها وقضاتها وفقهاؤها برسم السلام عليه والتعريف بأحوالهم ، ثم خرج بعد السنة الى الغزو ، فغزا مدينة طليطلة ، وفتح حصونا كثيرة من أحوازها ، وقتل خلقا كثيرا من الروم ، وغنم وسبا ، وانصرف الى أشبيلية مؤيدا منصورا .

وفى سنة سبع وستين وخمسمئة شرع أمير المومنين يوسف فى بناء الجامع الكرم باشبيلية ، وكان أول خطيب خطب به الفقيه عبد الرحمان ابن غافر اللبلى ، وذلك فى ذي الحجة حين فرغ من بنائه .

وفى هاذة السنة عقد أمير المومنين يوسف الجسر على وادى أشبيلية بالقوارب ، وابتنا قصبتها الداخلة والخارجة ، وبنا الزلايىق للصور ، وبنا سور باب جهور ، وبنا الرصيفين المدرجين بضفتي الوادى ، وجلب الماء من قلعة جابر حتى أدخله أشبيلية ، وأفق فى ذاك أمرا لا تحصى ، ثم قفل الى مراكش ، وذلك فى شهر شعبان الكرم من سنة احدا وسبعين وخمسمئة ، فكان جملة مقامه بالأندلس أربعة أعوام وعشرة أشهر وأياما .

وفى سنة سبع وستين المذكورة مات محمد بن سعد ابن مردنيش صاحب بلاد شرق الأندلس ، فتحرك أمير المومنين نحو بلاده ففتحها بأجمعها ، ودان له جميع بلاد شرق الأندلس ورجع الى أشبيلية .

وفى سنة ثمان وستين أغزا أمير المومنين يوسف ولده السيد

أبأبكر بلاد الروم ، فسار حتى بلغ طليطلة ، فقتل وسبأ وأحرق القرا
فخرج اليه زعيم الروم شانشو خيمينو المعروف بأبى برذعة ، عرف بذلك
لأنه كان يركب برذعة من الحرير منسوجة بالذهب مكللة بأصناف الجواهر
فكان بينهما قتال عظيم قتل فيه شانشو أبو برذعة وجميع جيشه ، ولم
يفلت منهم أحد ، فكان عدد من قتل فى هاذة الغزاة من الروم ستة
وثلاثين الفا .

وفى سنة تسع وستين غزا أمير المومنين مدينة كركونة من بلاد شرق
الأندلس ، فأوغل فى تلك الناحية يقاتل ويسبى ويخرب البلاد بالحررق
والهدم وقطع الثمار ونسف الآثار ، ثم قفل الى أشبيلية .

وفى سنة سبعين وخمسة تزوج أمير المومنين يوسف صفية بنت محمد
ابن سعد ابن مردنيش ، وصنع لها مهرجانا عظيما يقصر اللسان عن وصفه ،
وفى سنة احدا وسبعين جاز أمير المومنين الى العدو ، فدخل مدينة
مراكش فى شهر شعبان منها ، فأقام بها الى سنة أربع وسبعين ، فاتصل
به ان ابن الرند (١٣١) قام بقفصة من بلاد أفريقية ، فاضطربت لأجل
ذلك أفريقية ، فتحرك أمير المومنين اليها فى سنة خمس وسبعين ، فمىل
الى أفريقية ونزل على مدينة قفصة وضيق عليها بالقتال والحصار حتى
فتحها وظفر بابن الرند الثائر بها فقتله ، وذلك فى سنة ست وسبعين ،
وعاد الى مراكش فدخلها فى سنة سبع وسبعين .

وفى هاذة السنة وفد على أمير المومنين بمراكش أبو سرحان
مسعود بن سلطان الرياحي فى جيش عظيم من وجوه رياح برسم الخدمة
وفى سنة ثمان وسبعين خرج أمير المومنين من مراكش لىبنان حصن
زكندر (١٣٢) بناد على المعدن الذي ظهر هنالك .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسة ، فيها جاز أمير المومنين

(١٣١) على بن عبد العزيز المعروف بالطويل من أعقاب بنى الرند أمراء قفصة .

(١٣٢) زكندر : قرية صغيرة بقيادة سكاوة (إيسكاون) من إقليم ورزازات كانت مدينة
مزدهرة فى القديم مبنية على معدن للفضة ، ولا يزال بها غار للتعدين مستعملا الى اليوم .

الجواز الثاني برسم الجهاد ، فخرج من حضرة مراكش فى يوم السبت الخامس والعشرين من شوال من سنة تسع وسبعين المذكورة (١١ يبرابر ١١٨٤ م) ، وكان خروجه على باب دكالة برسم افريقية ، فلما وصل الى سلا اثناء محمد بن أبى اسحاق من افريقية ، فأعلمه بهدوئها وسكونها ، فصرف الحركة الى الأندلس ، فتحرك من سلا ضحوة يوم الخميس الموفى ثلاثين لذى القعدة (١٥ مارس) من السنة المذكورة ، فنزل بظاهر البلد ، ثم اقلع عن ظاهر سلا يوم الجمعة التالى له ، فوصل الى مدينة مكناسة يوم الاربعاء السادس لذى الحجة ، فعيد بها عيد الأضحا بخارجها ، ثم ارتحل الى مدينة فاس ، فاقام بها بقية الشهر .

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسة ، فى اليوم الرابع (١٧ أبريل) منها خرج أمير المومنين من مدينة فاس ، فسار حتى وصل سبتة ، فاقام بها بقية شهر محرم ، وأمر الناس بالجواز فجازت قبائل العرب أولا ثم قبائل زناتة (١٣٣) ثم قبائل المصامدة ، ثم غمارة (١٣٤) وصنهاجة وأوربة وأصناف البربر ، ثم جازت جيوش الموحددين والأغزاز ، والرماة ، فلما

(١٣٣) جبل كبير من البربر البتر ، من ولد أجانا أو زانا بن يحيى بن خريس ، كانت مواطنهم الأصلية بصحراء المغرب ما بين غدامس ووادي الساورة ، ثم طلعت قبائل منهم الى الشمال فغمرروا سهول المغرب الأوسط وجباله حتى سعى بهم (وطن زناتة) وتسربت منهم قبائل وبطون فى شرق المغرب الأقصى فغمرروا الى جبال تازة .

كانت لزنانة اليد الطولا والزعامة بين قبائل المغرب ، وتسمنوا الملك والامارة فيه غير ما مرة ، منهم بنو مدرار ملوك سجلماسة ، وبنو مرين ملوك فاس ، وبنو عبد الواد ملوك تلمسان ، وملوك مرقاوة وبنى يفرن .

زناتة قبائل كثيرة عديدة مستقرة بمختلف جهات البلاد المغربية ، بعضها يحمل أسماء يتميز بها وبعضها يحتفظ باسمه الأصل مثل زناتة القبيلة المجاورة لمدينة فضالة (المحمدية) بالمغرب الأقصى ، وزنانة المستقرة بالسهل الواقع أمام تلمسان قرب نهر تافنا .

(١٣٤) غمارة : من شعب مصمودة من البربر البرانس ، سموا باسم والدهم غمار بن مصمود وتزعم العامة أنهم عرب غمروا فى الجبال فسموا غمارة .

وهم فى الواقع شعب متميز ، كانت مواطنه الأصلية على سيف البحر المتوسط من حد بلاد الريف الى المحيط الأطلسي ، ثم تمتد على السهول القريبة حتى تصل الى تامسنا حيث مواطن برغواطة فى القديم ، وقد انحسرت هذه المواطن فصارت لا تتعدا الجبل المعروف بغماره الواقع بشمال المغرب الأقصى شمال مدينة شفشاون ويسكنه من قبائل غمارة : بنو زجل ، وبنى زيات ، وبنى سلمان ، وبنى بوزرة ، وبنى منصور ، وبنى جرير ، وبنى سبيح ، وبنى خالد ، وبنى رزين .

كامل الناس بالجواز جاز هو فى أثرهم فى العبيد والدائرة ، وكان جوازه فى يوم الخميس الخامس لصفر (١٧ ماي) من العام المذكور ، فنزل بمرسا جبل الفتج ، ثم ارتحل منه الى الجزيرة الخضراء ، فسلك منها الى جبل الصوف الى قلعة خولان الى اركش الى شريش الى ذبريشة الى اشبيلية ، فلما كان فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر صفر نزل فى وادى برتقال ، فخرج اليه السيد أبى اسحاق ولده وفقهاء اشبيلية وأشياخها للسلام عليه ، فبعث اليهم بأمرهم بالوقوف بأخر المنية حتى يصل اليهم فلما صلا الظهر ركب وراز اليهم ، فلما قرب منهم نزلوا عن دوابهم ، فوقف اليهم حتى سلموا عن آخرهم وركبوا ، ثم تحرك الى غزو مدينة شنترين من بلاد غرب الأندلس ، فوصلها فى السابع من ربيع الأول من سنة ثمانين المذكورة ، فنزل بها وأدار عليها الجيوش والعساكر وشد عليها بالقتال وضيق عليها بالحصار ، وبالف فى ذلك جهده ، فأقام محاصرا لها مضيقا عليها الى ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من ربيع الأول المذكور (٣ يوليوز ١١٨٤ م) فانتقل من موضع نزوله بجوف شنترين الى غريبها ، فأفكر المسلمون ذالك ولم يعلموا له سببا ، فلم ياجن الليل وصلا العشاء الأخيرة بعث الى ولده السيد أبى اسحاق والى اشبيلية ، فأمره بالرحيل من غد تلك الليلة الى غزو مدينة لشبونة وشن الغارات على انحاءها وان يسير اليها بجيوش الأندلس خاصة ويكون رحيله نهارا ، فأساء الفهم وظن أنه أمره بالرحيل فى جوف الليل ، وصرخ الشيطان فى محلات المسلمين أن أمير المؤمنين قد عزم على الرحيل فى هاذة الليلة فتحدث الناس بذالك وتأهبوا له ، فرحل من الناس طائفة بالليل ، فلما كان قرب الفجر ، أقفل السيد أبى اسحاق وأقفل من كان يليه وتابع الناس بالرحيل ، فارتحلوا وأمير المؤمنين مقيم بمكانه لاعلم عنده بذالك ، فلما اصبح وصلا الصبح وأضاء النهار لم يجد حوله أحدا من أهل محله الا اليسير من خاصته وحشمه الذين يرحلون لرحيله وينزلون لنزوله وقواد الأندلس لأنهم كانوا يمشون أمام ساقته وخلف محله من أجل من يتخلف منها من الضعفاء ، فلما طلعت الشمس وتطلع النصارا

المحصورون من سور المدينة على المحلة وقد أفلعت وأرتحلت ولسم يبق حول المدينة غير أمير المؤمنين وعبيده وحشمه وأهل دأثرته وتحققوا ذالك من جواسيسهم فتحروا أبواب المدينة وأخرج جميع من فيها خرجة منكرة وهم ينادون الراي ! الراي ! أي اقصدوا السلطان ، فضربوا في محلة العبيد الى ان وصلوا أخبية أمير المؤمنين فمزقوها واقتحموا عليه فيها ، فقاتلهم بسيفه حتى قتل من رجاله ستة رجال ، وطعنوه طعنات نافذات ، وقتل ثلاث من جواريه كن قد انصبين عليه حتى طعن ووقع بالأرض ، فتصايح الناس والفرسان والعبيد والأجناد والموحدون وقواد الاندلس وتراجع المسلمون ، فقاتلوهم عليه حتى أفلعوه عن الخياء بالسيف ، واشتد القتال بينهم وتواقفوا ساعة في قتال شديد ، ثم انهزم أعداء الله ومنج الله عز وجل المسلمين أكتافهم ! فركبوهم بالسيف حتى ادخلوهم المدينة عنوة ، وقتل منهم خلق كثير يزيدون على العشرة الالف ، واستشهد من المسلمين جماعة ، فركب أمير المؤمنين والأمر قد فات فيه ، وأرتحل الناس ولايدرون الى أين ، ثم اهدتوا بالطبول فصاروا الى اشبيلية ، فاشتدت به الآلامه وطعناته فمات بالطريق ، قاله ابن مطروح ، وكانت وفاته يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر من سنة ثمانين وخمسئة (٢٩ يوليو ١١٨٤ م) بقرب الجزيرة الخضراء قاصدا للجواز الى العدو ، فحمل الى تينمل فدفن بها الى جانب قبر أبيه ، وقيل انه لم يمت حتى وصل مراكش ودفن بتينمل ، وكان ولده يعقوب الخليفة بعده هو الذي يدخل على أبيه ويخرج وتتصرف الأمور على يديه من يوم طعن والده الى ان مات ، وكانت دولته اثنتين وعشرين سنة وشهرا واحدا وستة أيام ، وكنم موته حتى وصل مدينة سلا ، فأشهره ، والبقاء لله وحده الذي له الأمر من قبل ومن بعد ، لأرب غيره .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يعقوب

ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المومن بن علي رحمه الله

• هو أمير المؤمنين ، عبد الله ، يعقوب بن عبد المومن بن علي •

لقبه المنصور بفضل الله •

• أم ولد كان أهداها سيد راي ابن وزير لآبيه يوسف •

مولده بقصر جده ، عبد المومن بمدينة مراکش سنة خمس وخمسين

• وخمسمئة •

كنيته : أبو يوسف •

نقش خاتمه : على الله توكلت •

صفته : كان آدم ، معتدل القد ، أكحل الشعر ، واسع الاكتاف ،

أقنا الأنف ، عاري العنققة ، مدور الوجه ، أفلج ، أعين ، له وفرة تنمذ

على جبينه ، جوادا ، شجاعا ، كريما ، شهما ، عالما بالحديث والفقه واللغة

مشاركا في كثير من العلوم النافعة للدين والدنيا ، محبا في العلماء ،

معظما لهم صادرا عن رأيهم ، كثير الصدقة ، محبا في الجهاد مواظبا

عليه ، يشهد جوائز الفقهاء والصلحاء ويزورهم ويتبرك بهم •

أولاده الذكور : أربعة ، ولي الخلافة بعده منهم ثلاثة ، محمد

الناصر ، وعبد الله العادل ، وادريس المامون •

وزرائه : وزراء أبيه •

أطبائوه : كذلك أطباء أبيه •

قضاته : أبو العباس ابن مضا القرطبي ، ثم موسا بن عيسا بن

عمران •

أيامه في الملك : بويع رحمه الله يوم الأحد التاسع عشر لربيع

الآخر من سنة ثمانين وخمسمئة (٣٠ يوليوز ١١٨٤ م) في بيعة الخاصة،

وتأخرت بيعة ألعامة بسبب كتم الوفاة المتقدم ذكره الى يوم السبت الثانى من جمادا الأولا من السنة بعينها ببيع البيعة العامة ، وتوفي رحمه الله يوم الخميس الثانى والعشرين لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وقيل ليلة الجمعة فى آخر الليل بمدينة مراكش ، وحمل الى تينمل فدفن بها ، وسنه يوم توفي أربعون سنة ، فكانت أيام دولته خمسة آلاف يوم ومئتي يوم واثنين وتسعين يوما ، يجب لها من السنين أربع عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة أيام .

ولما تمت له البيعة وأطاعته الأمة كان أول شيء فعله أنه أخرج مئة ألف دينار ذهباً من بيت المال ففرقها فى الضعفاء من بيوتات بلاد المغرب وكتب الى جميع بلاده فى تسريح السجون ورد المظالم التي فعلها العمال فى أيام أبيه ، وأكرم الفقهاء وراعا الصلحاء والفضلاء وأجرا على أكثرهم الانفاق من بيت المال ، وأوصا ولاته وعماله بالرجوع الى أحكام القضاة ، ونفقد أحوال بلاده ورعيته ، وضبط الثغور وشحنها بالخييل والرجال ، وفرق فى الموحدين وسائر الاجناد أموالا كثيرة .

وكان ذا رأي وعزم ودين وسياسة ، وهو أول من كتب العلامة بيده من الموحدين ، (الحمد لله وحده) ، فجرا عملهم على ذلك ، وهو واسطة عقدهم الذي ضخم الدولة وشرفها ، وكانت أيامه أيام دعة وأمن ورخاء ورفاهية وبنية حسنة ، صنع الله عز وجل فى أيامه الأمن بالمشرق والمغرب والأندلس ، فكانت الطعينة تخرج من بلاد نول لمطة (١٣٥) حتى تصل برقة وحدها لاترا من يعارضها ولا من يكلمها ، صنع عام الأراك المشهور ، وحصن البلاد ، وضبط الثغور ، وبنا المساجد والمدارس فى بلاد افريقية والمغرب والأندلس ، وبنا المارستان للمرضى والمجانين وأجرا المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم ، وأجرا الانفاق

(135) بلاد نول باللام أو نون بالنون كما هو النطق اليوم من منتهى أرض سوس من افليم أكدير ، وبها يمر وادى نون المسمى باسمها ، وهو ينبع من الجبال الواقعة خلف قرية الايدالة (تايدالت) ويصب فى المحيط الأطلسى .

على أهل المارستان والجذما والعميان فى جميع عمله ، وبنا الصوامع والقناطر والجباب للماء ، واتخذ عليها المنارات ، وبنا المنازل من سوس الاقصا الى سويقة بني مكتود ، فكانت أيامه زينة للدهر وشرقا لأهل الاسلام ، ولم يزالوا فيها أعزة ظاهرين على العدو قاهرين له .

وفى سنة اثنتين وثمانين وخمسمئة قتل المنصور أخويه زكرياء وعمر ، وقتل عمه سليمان ، وفيها خالفت مدينة قفصة من بلاد أفريقية فخرج اليها المنصور من حضرة مراکش فى ثالث شهر شوال من سنة اثنتين وثمانين المذكورة (الأربعاء ١٧ دجنبر ١١٨٦ م) فوصل اليها وحاصرها حتى فتحها فى سنة ثلاث وثمانين ، فلما فتح قفصة خرج الى غزو عرب أفريقية فهزمهم واستباح حلهم وأموالهم ، وبعد ذلك أتود طائعين فنقلهم الى المغرب ، ورجع الى مراکش فدخلها فى شهر رجب سنة أربع وثمانين وخمسمئة .

وفى سنة خمس وثمانين شرع المنصور فى ادخال ساقية مراکش . وفيها تحرك الى الأندلس برسم غزو بلاد غربيها ، وهي أول غزو للروم ، فجاز اليها من قصر المجاز (١٢٦) الى الجزيرة الخضراء ، وذلك يوم الخميس الثالث من ربيع الأول من سنة خمس وثمانين المذكورة ، فارتحل عن الجزيرة الخضراء حتى نزل شنترين وشن الغارات على مدينة الاشبونة وأنحائها ، فقطع الثمار وقتل وسبا وأضرم النيران فى القرا وحرق الزرع وبالغ فى النكاية ، وانصرف الى العدو بثلاثة عشر ألف سبية من النساء والذرية ، فوصل مدينة فاس فى آخر رجب من السنة المذكورة ، فأقام بها أياما ، فتواترت له الأخبار أن الميورقى (١٢٧) قد

136) قصر المجاز هو قرية القصر الصغير الواقعة على مضيق جبل طارق بين مدينتي سبتة وطنجة بتراب قبيلة أنجرة من إقليم تطوان . سمي كذلك لجوار جيوش المغرب منه الى الأندلس أيام الحكم الاسلامي ، ويسمى أيضاً قصر مصمودة . وهو غير قصر كنامة التسنما أيضاً قصر عبد الكريم (القصر الكبير الحال) .

137) يحيى بن اسحاق بن محمد ابن غانية المسوفى البورفى ، وهو الذى خلف أخاه عليا المعروف بالميورقى المتوفى فى السنة قبلها (584 هـ) .

ظهر فى أفريقيا مع قراقوش (١٣٨) غلام بنى أيوب ملوك مصر والشام ،
فارتحل اليها من مدينة فاس فى الثامن من شعبان من السنة بعينها ،
فدخل مدينة تونس فى أول شهر ذي قعدة من السنة المذكورة ، فوجد
أفريقية ساكنة وقد فر عنها الميورقى الى الصحراء حين سمع بقدومه .

وفى سنة ست وثمانين دخل النصارا مدينة شلب ومدينة باجة
ويابورة من بلاد غرب الأندلس ، وذلك لما علموا أن المنصور قد بعد عنهم
واشتغل بأفريقية ، فاغتنموا الفرصة فاتصل الخبر بالمنصور ، فاستعظم
ذلك وغازله ، وكتب الى قواد الأندلس يوبخهم ويأمرهم بغزو بلاد الغرب
ويعلمهم أنه قادم عليهم فى اثر كتابه ، فاجتمع قواد الأندلس الى محمد
ابن يوسف والى قرطبة ، فخرج بهم فى جيش عظيم من الموحدين والعرب
والاندلس حتى نزل شلب فحاصرها وشد عليها القتال حتى فتحها وفتح
قصر أبى دانس ومدينة باجة ويابورة ورجع الى قرطبة ، فدخلها بخمسة
عشر ألف سبية وثلاثة آلاف أسير من الروم ، وادخلهم فى القطائن (١٣٩)
بين يديه ، جعل خمسين علجا فى كل قطينة ، وذلك فى شوال سنة سبع
وثمانين وخمسمئة .

وفى هذا الشهر رجع المنصور من أفريقيا فدخل مدينة تلمسان ،
فأقام بها الى آخر سنة سبع المذكورة .

وفى أول يوم من المحرم من سنة ثمان وثمانين وخمسمئة وهو عام
أكرواوا (١٤٠) خرج المنصور من تلمسان الى مدينة فاس وهو مريض ، فكان
يركب فى أكرواوا فدخل فاسا وأقام بها مريضا سبعة أشهر حتى استراح

138) هو قراقوش الأرمنى مملوك تقي الدين ، دخل مع طائفة كبيرة من الغز والترك الى
المغرب واستولوا على طرابلس ودعا للسلطان صلاح الدين الأيوبي وابن أخيه تقي الدين عمر بن
شاهنشاه ، وأخباره وأخبار رفيقه القائد ابراهيم بن فرانكين المعظمى الداخل معه الى المغرب طويلة
تنظر فى محلها من كتب التاريخ .

139) جمع قطينة قيد أو غل تغل به الأيدى والأرجل ، وملزمة تزيير بها الأخشاب المفراة ،
وما زالت الكلمة - بمعنيها - مستعملة فى المغرب الى الآن .

140) المحفة ، المحمل بالبربرية .

من علته ، وارتحل إلى مراكش فأقام بها إلى سنة احدى وتسعين وخمسمئة
فخرج من مراكش إلى الأندلس برسم الغزى ، فصنع غزاة الأراك الشهيرة

الخبر عن غزاة الاراك وهزيمة الروم بها

وهي غزاة المنصور الثانية بالأندلس

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما طانت غيبة المنصور عن الأندلس بأفريقية وبلاد العدو واعتزاد
المرض بها اغتنم العدو الفرصة فى بلاد الأندلس لطول تلك الغيبة ، فحال
من المسلمين مراده ، وعاث فى بلادهم وشن فيها الغارات وشقها بجنوده
واخترق جميعها بوفوده ، ولم يجد بها من ينازعه ويحاربه ، ولا رءا من
يقف فى وجهه ولا من يدافعه ، ولا من يصده عن قصده ، فسار الفونسو
الثامن ملك قشتيلة اللعين فيها حتى نزل بظاهر الجزيرة الخضراء ،
فكتب منها كتابا الى الأمير المنصور يستدعيه فيه للقتال ، لما أدركه من
الاعجاب والاختيال ، يقول فيه :

«باسمك اللهم فاطر السموات والأرض ، وصلا الله على السيد
المسيح ، روح الله وكلمته السيد الفصيح .

أما بعد ، فإنه لا يخفى على ذى ذهن شاقب ، ولا ذى عقل لازب ، أنك
أمير الملة الحنفية ، كما انى أمير الملة النصرانية ، وقد علمت الآن ما
عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والتواكل وإهمال الرعاية وإخلالهم إلى
الراحة (١٤١) وأنا أسوقهم بحكم القهر وخلاء الديار وأسبى الذراري
وأمثل بالرجال ، واذيقهم عذاب الهمون وشديد النكال ، ولا عذر لك فى
التخلف عن نصرهم اذا أمكنتك يد القدرة ، وأنتم تزعمون أن الله تعالى

(141) هذه العبارة حملت بعض المؤرخين على الاعتقاد بأن هذه الرسالة موجهة من الفونسو
السادس الى يوسف بن تاشفين ، لا من الفونسو الثامن الى يعقوب المنصور .

فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ، فلان خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا فلا تستطيعون دفاعا ، ولا تملكون امتناعا ، وقد حكى لى عنك أنك أخذت فى الاحتفال ، وأشرفت على ربرة القتال ، وتماطل نفسك عاما بعد عام ، تقدم رجلا وتؤخر أخرا ، فلا أدري أكان الحين أبطأبك ، أم التكذيب بوعد ربك ؟ ثم قيل لى أنك لاتجد الى جواز البحر سبيلا لعله لايسوغ لك التقحم معها ، وما أنا أقول لك مافيه الراحة لك ، واعتذر لك وعنك ، على أن نفي بالعهود والمواثيق ونستكثر من الرهان وترسل الي جملة من عبيدك بالمراكب والشوانى والطرائد والمسطحات ، وأجوز بجملتى اليك فأقاتلك فى أعز الاماكن لديك ، فان كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت اليك ، وهديّة عظيمة مثلت بين يديك ، وان كانت لى كانت يدى العليا عليك ، واستحققت امارة الملتين والحكم على البرين ، والله تعالى يوفى للسعادة ، ويسهل الارادة ، لارب غيره ، ولا خير الا خيره» .

فلما قرأ المنصور الكتاب أخذته غيرة الاسلام ، ثم أمر بقرائته على الموحدين ، والعرب ، وقبائل زناتة ، والمصامدة ، وسائر الأجناد ، فقريء عليهم فكلهم أنف منه ونعر ، وعزم على الجهاد ، واستعد للسفر ، ثم دعا المنصور بولده وولي عهده ، فدفع اليه الكتاب وأمره أن يرد على اللعين الجواب ، فقرأه ثم مزقه وقلبه فكتب على ظهره :

«قال الله العظيم : ارجع اليهم فلنأينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون» . الجواب ما ترا لاماسمع»

واستشهد ببيت التنبي :

ولا كتب الا المشرفية عنده ولا رسل الا الخميس العرمم

ورما بالكتاب الى أبيه ، فسر والده بالتوقيع العجيب ، الذى لا يصدر مثله الا عن عاقل أريب ، ثم صرف الرسول بالكتاب ، وأمر باخراج

أفراك (١٤٢) والقبّة الحمراء والمصحف فى ذلك اليوم ، وأمر الموحدىر وسائر الأجناد بالحركة والجهاز الى الجهاد ، وكتب الى أفريقية وسائر بلاد المغرب والقبلة يستنفر الناس الى الجهاد ، فأقبل اليه الناس خفافا وثقالا ، من كل فج عميق ، ومن كل مكان سحيق ، فخرج من حضرّة مراکش فى يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الاولى سنة اّدا وتسعين وخمسمئة يجد السير ويوالى الرحيل ويطوى المراحل ، ولايلوى على فارس ولا على راجل ، والجىوش تتابع فى أثره من جميع الأقطار ، والوفود تقصد نحوه لغزو الكفار ، فلما وصل قصر الجواز أخذ فى تجويز الجىوش ، لايفرغ من تجويز طائفة الا وقد تلاحقت به طائفة اخرا أكثر منها ، فكان أول من جاز البحر قبائل العرب ، ثم قبائل زنّاة ، ثم المصامدة ، ثم غمارة ، ثم الجىوش المطوعة من قبائل العرب وغيرهم من الأغزاز والرمّة ، ثم الموحدون ، ثم العبيد ، حتى استوفت الجىوش بالجواز واستقروا بساحل الجزيرة الخضراء ، فعند ذلك جاز أمير المؤمنين فى أثرهم فى جيش عظيم من أشياخ الموحدين وأهل النجدة والزعامة ، ومعه فقهاء المغرب وصلحاؤه ، فسهل الله تعالا عليه الجواز ، واستقر بالخضراء فى أسرع وقت ، وكان وصوله بعد صلاة الجمعة الموفى عشرين من السنة المذكورة (١ يونيو ١١٩٥ م) ، فأقام بظاهر الجزيرة الخضراء يوما واحدا ونهض نحو العدو قبل أن تكل قرائع المجاهدين وتفسد نياتهم ، فسار بجميع جىوشه الوافرة بنيات خالصة ، وعزائم ماضية غير ناكصة ، فلم يعطف العدو بالرجوع الى بلاده بعدده وعديده الا وقد تواترت عليه الأخبار ، وصحت عنده الانباء والأثار ، بجواز المنصور اليه ، وقدمه لقتاله فى أعز البلاد عليه ، ففقد ألفونسو الثامن اللعين ، بجىوشه وجموعه

(142) دائرة كبيرة تشتمل على بيوت وحباب مصنوعة من نسيج الملف والوبر تنام للملوك أثناء تنقلاتهم للنزول بأهلهم ومتاعهم فيها ، وأصل الكلمة عربى (فراق) لأن أفراق يفرق بين الملك وبين مرافقيه فى السفر من وزراء وقواد وجنود .

ينتظره بازاء مدينة الأراك (١٤٣) ، فارتحل أمير المؤمنين المنصور قاصدا اليه ، ومعولا بحول الله تعالى وقوته عليه ، ولم يدخل بلدا ولم ينتظر أحدا ، ولم يلتفت لمن أبطأ ولا لمن قعد ، بل صمم نحوه وقصد ، حتى بقي بينه وبين مدينة الأراك مرحلتان قريبتان ، فنزل هنالك ، وذلك فى يوم الخميس الثالث من شعبان المكرم من سنة احدا وتسعين وخمسمئة (١٣ يوليوز ١١٩٥ م) .

فلما وصل من يومه ذلك جمع الناس وأخذ فى شورا المسلمين فى كيفية لقائه لأعدائه وأعداء الله الكافرين اتباعا لأمر الله تعالى واقتداء بسنة رسول الله صلا الله عليه وسلم اذ هي الصفة المحمودة التي مدح الله تعالى بها هاذة الأمة بقوله تعالى : (وأمرهم شورا بينهم ومما رزقناهم ينفقون) ، وقوله تعالى لنبيه صلا الله عليه وسلم : (وشاورهم فى الأمر فاذا عزمتم فتوكل على الله) الآية ، فدعا أولا أشياخ الموحدين فاستشارهم ، ثم أشياخ العرب ، ثم أشياخ زناتة ، ثم أشياخ القبائل ، ثم الأغزاز ، ثم المطوعة ، كل يقول مايظهر له من القول والرأي ، ويتبينه من النصيحة والاجتهاد للمسلمين ، ويراه رأيا وصوابا لهم ، ثم دعا أخيرا قواد الأندلس ، فلما دخلوا عليه سلموا وقعدوا بين يديه ، فكلهم بما كلم به من تقدم قبلهم ، ثم قال لهم : يا أهل الأندلس ، ان جميع من استشرت قبلكم وان كانوا اولى بأس وشدة ، ومعرفة بالحروب وقوة فى الجهاد ونجدة ، لايعلمون من قتال النصارا ماتعلمون ، فانكم المجاورون لهم ، المدربون على قتالهم ، العارفون بخدعهم وأحوالهم ، فقالوا يا أمير المؤمنين ، رأينا أجمع موقوف على واحد منا قد اتفقنا على تقديمه لدينه ، ومعرفته وحسن عقله وتدبيره ، ومعرفته بالحروب ومكايدها وخدعها ، ونصيحته للمسلمين ، فهو لساننا ، وما قال فهو مذهبنا ، على ان رأيكم سده الله ووفقه أحسن رأي ، وتدبيركم أوفق تدبير ، رضى الله عنكم ،

(143) محلة صغيرة من أعمال فلعة رباح تقوم فوق ربوة عالية تمتد سوحها حنى وادى بانه ، تقع غربى مدينة ثيوداد ريال على بعد II كلم منها ، تقوم مكانها اليوم قرية صغيرة تسمى سانطا مرية دى الاركوس .

وأشاروا بأجمعهم الى القائد الأجل الموفق الصالح أبى عبد الله بن صناديد رحمه الله ، فقربه أمير المؤمنين بين يديه ، وأقبل بكلية عليه ، ثم سألته عن قصده ورأيه فى كيفية الحرب واللقاء لهذا العدو ، فقال له يا أمير المؤمنين ان النصارا أهلكهم الله تعالى أهل خدع ومكائد فى الحروب ، فيجب علينا ان نقابلهم ونقاتلهم بما هم عليه ، ورأينا فى مقاتلتهم - ورأيك الاعلا - أن تقدم لهم امامك شيئا من أشياخ الموحدين الموصوفين بالشجاعة والدين والاخلاص والنصيحة لك وللمسلمين بجيوش الأندلس وحشودها وجميع من فى عسكرك من العرب وزناتة والأعزاز والمصامدة وسائر قبائل الغرب من المتطوعة وغيرهم ، وتعتقد له رايتك المنصورة ، فيقاتل بهاذا العسكر المبارك عسكر العدو أهلكه الله ودمره ، وتعتقد أنت بجيوش الموحدين أنجدهم الله تعالى والعبيد والحشم بالقرب من موضع المقاتلة فى موضع خفي رداً للمسلمين ، فان ظفرنا بعدونا فبفضل الله تعالى وبركتك ويمن خلافتك ، وان كان غير ذلك تكون أنت بعسكر الموحدين حماية للمنهزمين ، فتلحق العدو بهم وقد انكسرت شوكته ، وذهبت قوته وحدته ، وهذا رأيي فى ذلك رضى الله عنكم ، فقال له المنصور ، نعم والله الرأي ما رأيت ، فلقد وفقك الله تعالى فيما أشرت ، فانصرف الناس الى مضاربهم ، وبات أمير المؤمنين ليلته ذلك وهي ليلة الجمعة الرابعة من شعبان المذكور فى سجاده راکعاً وساجداً ومبتهلاً وراغباً الى الله سبحانه فى تأييد المسلمين على أعدائه الكافرين ، فلما كان عند السحر غلبته عيناه فنام فى مصلاه قليلاً ، ثم انتبه فرحاً مسبشراً ، فبعث الى أشياخ الموحدين والفقهاء فدخلوا عليه ، فقال لهم انما بعثت لكم فى هذا الوقت لأبشركم بما بشرت به من نصر الله تعالى فى نومي هذه الساعة المباركة بينما أنا راکع فى مصلاي اذ غلبتنى عيني ، فرأيت فى نومي كأن باباً قد فتح فى السماء ، ونزل منه فارس على فرس أبيض حسن الوجه والرائحة وبيده راية خضراء منشورة قد سدت الأفق من عظمها ، فسلم علي فقلت له من أنت يرحمك الله ؟ فقال انا ملك من ملائكة السماء السابعة ، جئتك لأبشرك بالفتح من رب العالمين لك ولعصابتك المجاهدين

الذين اتوا تحت رايتك فى الشهادة راغبين ، ولثواب الله تعالا طالبين ،
ثم انشدنى هاذة الأبيات فحفظتها فانتبهت وكأنما نقشت فى قلبي :

بشائر نصر الله جاءتك سافره لتعلم أن الله ينصر فناصره
فأبشر بنصر الله والفتح انه قريب ، وخيل الله لاشك ظافره
فتفنى جيوش الروم بالسيف والقنا وتخلى بلادا لا ترا بعد عامره
فأيقنت بالفتح والظفر ان شاء الله تعالا .

فلما كان فى يوم السبت الخامس من شعبان المذكور قعد أمير
المومنين فى قبته الحمراء المعدة لقتال الأعداء ، ثم دعا الشيخ الأجل أبا
يحيى بن أبى حفص ، وكان من أكبر وزرائه ، وكان يؤلف حفص فى الموحيدين
أهل الفضل والتقا والدين ، والى بيتهم عاد فى المشرق أمر الموحيدين ،
فلما جاءه قدمه على عساكر الأندلس وحشودها والعرب وزناته والمتطوعة
ونشرت على رأسه الرايات وضربت الطبول ، وتقدم بقبيلة هنتاة ، وقدم بين
يديه القائد ابن صناديد بعساكر الأندلس وحشودها ، وعقد لجرمون ابن رباح
على جميع قبائل العرب ، وعقد لمنديل المغراوي على قبائل مغراوة
وعقد لحيو بن أبى حماسة بن محمد على جميع قبائل مرين ، وعقد لتجليدين
على قبائل هسكورة وسائر المصامدة ، وعقد لمحمد ابن منغفاد على قبائل
غمارة ، وعقد للحاج الصالح أبى خرز يخلف الأوربى (١٤٤) على
الطوعة ، والكل تحت طاعة أبى يحيى ابن أبى حفص وحكمه ويده ، وبقي
أمير المومنين بكافة عسكر الموحيدين والعبيد ، ثم أمرهم بالرحيل فتقدم
الشيخ أبو يحيى بجيوشه والقائد ابن صناديد على مقدمته بقواد الأندلس
وفرسانها وحمايتها ، فكانوا اذا أقلعت محلة أبى يحيى أول النهار من
موضع نزلت به محلة أمير المومنين فى عشيته ، حتى أشرف أبو يحيى
بجيوش المسلمين على محلة المشركين دمرهم الله وهي على ربوة عالية

(144) هو غير أبى خرز يخلف الأوربى الفاسى المنونفا سنة 578 هـ فل وقوع معركة الأرز
بثلاثة عشر عاما كما سيأتى للمؤلف فيما بعد .

ذات مهاوي وأحجار كبار قد ملأت السهل والوعر بأزاء مدينة الأراك ، فنزل عسكر المسلمين فى الوطا ، وذلك ضحوة يوم الأربعاء التاسع من شعبان ائكرم من سنة احدا وتسعين وخمسة (١٩ يوليوز ١١٩٥ م) ، فعبا أبو يحيى عساكره تعبئة الحرب ، وعقد الرايات لأمرء القبائل ، لكل أمير راية تلجأ قبيلته اليها ويقفون عندها ، وعقد للمطوعة راية خضراء ، وجعل عسكر الأندلس فى ميمنته ، وجعل زناتة والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب فى مسيرته ، وجعل المطوعة والأغزاز والرماة فى مقدمته . وبقي هو فى القلب فى قبيلة هنتاتة ، فلما أخذ الناس مصافهم للقتال على هذا الترتيب العجيب ، ولزمت كل قبيلة رايته واخذت للحرب عدتها وأهبتها ، خرج الأمير جرمون ابن رياح أمير العرب يمشى بين صفوف المسلمين ويقوي قلوب المجاهدين ويتلو هذه الايات . (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) ، (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ، فبينما هم كذلك والعدو أمامهم فى رأس الربوة بجانب الحصن اذ تحرك من جيش العدو دمره الله تعالا عقدة كبيرة من سبعة آلاف فارس الى ثمانية آلاف فارس كلهم قد احتجب بالحديد والبيضات والزرذ النظيف اللنضيد ، فدفعت نحو عسكر المسلمين فنادا منادى الشيخ أبى يحيى ابن أبى حفص : معشر المسلمين اثبتوا فى مصافكم ، ولا تزالوا من مواضعكم وأخلصوا لله تعالا نياتكم وأعمالكم ، واذكروا الله عز وجل كثيرا فى قلوبكم ، فانما هي احدا الحسينيين : اما الشهادة والجنة ، واما الأجر والغنيمة ، ثم خرج عامر الزعيم يجول فى الصفوف ويقول عباد الله انكم حزب الله ، فاثبتوا لقتال أعداء الله ، فان حزب الله هم المفلحون ، وهم المنصورون وهم الغالبون ، فوصلت تلك العقدة التي دفعت بأجمعها حتى لظمت أطراف رماح المسلمين فى صدور خيلهم أوكدات ، ثم تقهقروا قليلا ، ثم عادوا بالحملة ، فعلوا ذلك مرتين ، ثم تهيأوا للدفعة الثالثة ، والقائد ابن صناديد والزعيم العربي يناديان برفع أصواتهما : اثبتوا معشر المسلمين ثبت الله أقدامكم بالعزيمة الصادقة ، فدفع النصارا على القلب

الذي فيه أبو يحيى قاصدين اليه يظنون انه أمير المؤمنين ، فقاتل رحمه الله قتالا شديدا وصبر صبيرا جميلا حتى استشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المسلمين من هنتاة والمطوعة وغيرهم ممن ختم الله تعالى له بالشهادة ، وسبقت له من الله تعالى السعادة ، وصبر المسلمون صبيرا جميلا ، ورجع النهار بالغبار ليلا ، وأقبلت قبائل المطوعة والعرب والأغزاز والرماة ، وأحاطوا بالنصارا الذين دفعوا من كل جانب ، ودفع القائد ابن صناديد بجيوش الأندلس وحشودها ، وزحفت معه قبائل زناتة والمصامدة وغمارة وسائر البربر الى البربرة التي فيها ألفونسو الثامن لعنه الله يقاتلون من فيها من جيش الروم ، وكان ألفونسو لعنه الله فيها مع جيوش الروم وجميع عساكره وأجناده فيما يزيد على ثلاثمئة ألف مابين فارس وراجل ، فتعلق المسلمون بالبربرة وأخذوا في قتال من بها فاشتد القتال ، وعظمت الأهوال ، وكثر القتل في النصارا الذين دفعوا في الحملة الاولى وكانوا نحو العشرة آلاف زعيم ، انتخبهم اللعين الفونسو الذميم ، وصلت عليهم الاقسة صلاة النصر ، ورشوا عليهم ماء العمودية في الطهر ، وتحالفوا بالصلبان الا يغفروا حتى لا يتركوا من المسلمين انسانا ، فصدق الله عز وجل وعده ، ونصر جنده ، فلما اشتد القتال على الكفار ، وأيقنوا بالفناء والبوار ، ولوا الأدبار ، وأخذوا في الفرار ، الى انزيوة التي فيها الفونسو ليعتصموا بها ، فوجدوا عساكر المسلمين قد حائوا بينهم وبينها ، فرجعوا على أعقابهم ناكسين في الوطا ، فرجعت عليهم العرب والمطوعة وهنتاة والأغزاز والرماة فطحنوهم طحنا ، وأفنوهم عن آخرهم ، وانكسرت شوكة الفونسو بفنائهم ، ان كان اعتماده عليهم ، وأسرعته خيل من العرب الى أمير المؤمنين ، وأطلقوا أعنتهم نحو ، وقالوا له قد هزم الله تعالى العدو ، فضربت الطبول ، ونشرت الرايات ، وارتفعت الأصوات بالشهادة ، وخفقت البنود ، وتسابقت لقتال أعداء الله الأبطال والجنود ، وزحف أمير المؤمنين بجيوش الموحدين ، قاصدا لقتال أعداء الله الكافرين ، فتسابقت الخيل وأسرعته الرجال ، وقصدوا نحو الكثرة للطعان والنزال ، فبينما ألفونسو الثامن لعنه الله قد هم وعزم ان يحمل

على المسلمين بجميع جيوشه ، ويصدهم بجنوده وحشوده ، إذ سمع انطبول عن يمينه قد ملأت الأرض ، والأبواق قد طبقت الربا والبطاح ، فرقع رأسه لينظر فيها ، فرأى رايات الموحدين قد أقبلت ، واللواء الأبيض المنصور فى أولها عليه : لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، لا غالب الا الله ، وأبطال المسلمين قد تسابقت وجيوشهم قد تناسقت وتنابت ، وأصواتهم بالشهادة ارتفعت ، فقال ماهاذا ؟ فقيل له هاذا أمير المؤمنين قد أقبل وما قاتلك اليوم كله الا طلائع جيوشه ، ومقدمات عساكره ، فقذف الله عز وجل الرعب فى قلوب الكافرين ، وولوا الادبار منهزمين ، وعلى أعقابهم ناكسين ، وتلاحقت بهم فرسان المجاهدين ، يضربون وجوههم وأدبارهم ، ويقتفون أثارهم ، ويحكمون فيهم رماحهم وشفارهم ، ويروون من دمائهم السيوف ، ويذيقونهم مرارة الحتوف ، وأحاط المسلمون بحصن الأراك وهم يظنون أن الفونسو لعنه الله قد تحصن فيه ، وكان عدو الله قد دخل فيه على باب وخرج على باب من الناحية الأخرى ، فدخل المسلمون الحصن بالسيف عنوة ، وأضرمو النيران فى أبوابه ، واحتوا على جميع ماكان فيه وفى محلة النصارى من الاموال والنخائر والأرزاق والأسلحة والعدد والأمتعة والدواب والنساء والذرية ، وقتل فى هاذة الغزاة من الكفرة ألوف لاتعد ولا تحصى ، ولا يعلم لها أحد عددا الا الله تعالى ، وأخذ فى حصن الأراك من زعماء الروم أربعة وعشرون ألف فارس أسارا ، فامتن عليهم أمير المؤمنين واطلقهم بعدما ملكهم ليكون له بذلك الامتنان ويد عليا عليهم ، فعز فعله ذلك على جميع الموحدين وعلى كافة المسلمين ، وحسبت له تلك الفعلة سقطة من سقطات الملوك ، وكانت هاذة الغزاة الكريمة والوقعة العظيمة يوم الأربعاء التاسع لشعبان المكرم من سنة احدى وتسعين وخمسمئة (١٨ يوليوز سنة ١١٩٥ م) .

وكان بين غزاة الأراك هاذة وغزاة الزلاقة مئة سنة واثنى عشرة سنة ، والأراك من الغزوات المذكورة المشهورة فى الاسلام ، وهى غزاة جرت على أيدي الموحدين أعز الله تعالى بها الاسلام وعلت كلمته ، وكتب المنصور بالفتح الى جميع بلاد الاسلام التى تحت يده ، من الأندلس

والعدوة وأفريقية ، وأخرج خمس الفية ، وقسم الباقي على المجاهدين ، ثم سار بجيوشه فى بلاد النصارا يخرب المدن والقرا والحصون ، ويفنم ويسبى ويقتل ، ويأسر حتى وصل الى جبل سليمان ، ثم عطف راجعا وقد امتلأت أيدي المسلمين بالغنائم ، ولم يعارضه من الروم معارض ، حتى وصل الى اشبيلية فدخلها وشرع فى بناء جامعها الكبير ومنارها العظيم ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة ، فيها خرج أمير المؤمنين الى غزوته الثالثة ففتح قلعة رباح ووادي الحجارة ومجريط وجبل سليمان واقليج وكثيرا من أحواز طليطلة ، ونزل على طليطلة وبها الفونسو فحاصره بها وضيق عليه وقطع ثمارها وحرق ارباضها ، وهتكها ونصب عليها المجانيق ، ثم ارتحل عنها الى مدينة طلمنكة فدخلها عنوة بالسيف ، فلم يحي أحد من رجالها ، وسبا نساءها وغنم أموالها ، وحرقها وهدم أسوارها وتركها قاعا صفصفا ، ورجع الى اشبيلية بعد ان فتح الحصون الكثيرة ، وفتح البلاط وترجالة ، فدخل اشبيلية في غرة صفر من سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة ، فأخذ فى اتمام بناء الجامع وتشيد مناره ، وعمل التفافيح من أملح مايكون ، ومن أعظمه ، لا أعرف لها قدرا الا ان الوسطا منها لم تدخل على باب المؤذن حتى قلع الرخام من أسفله ، وزنة العمود الذي ركبت عليه أربعون ربعا من حديد ، وكان الذي صنعها ورفعها فى أعلا المنار المعلم أبو الليث الصفار ، موهت تلك التفافيح بمئة الف دينار ذهباً ، وكان لما جاز الى الأندلس لغزاة الأراك المذكورة أمر ببناء قصبة مراکش وبناء الجامع المكرم الذي بازاء القصبة ، وصومعته ، وبناء منار جامع الكتبيين ، وبناء مدينة رباط الفتح من أرض سلا ، وبناء جامع حسان ومناره .

ولما كمل جامع اشبيلية وصلا فيه أمر ببناء حصن الفرج على وادي اشبيلية وارتحل الى العدوة فوصل الى مراکش فى شعبان سنة أربع وتسعين ، فوجد كل ما أمر به من البناء قد تم ، مثل القصبة والقصور والصوامع ، وأنفق فى ذلك كله من أخماس غنائم الروم .

وكان قد تغير على الوكلاء والصناع الذين تولوا ذلك واكتفلوه ،

وقيل له انهم أكلوا المال وصنعوا للجامع سبعة أبواب على عدد أبواب جهنم ، فلما دخله أمير المؤمنين أعجبه وسر به ، فسأل عن عدة أبوابه ، فتيل له انها سبعة والباب الذي يدخل منه أمير المؤمنين هو الثامن ، فقال عند ذلك لاباس بالغالى اذا قيل حسن ، وفرح به غاية .

ولما وصل أمير المؤمنين الى مراكش واستقر بها أخذ البيعة لولده محمد الملقب بالناصر لدين الله ، فبايعه كافة الموحدين ، وبويع له في جميع أقطارهم وبلادهم وطاعتهم ، وكانت طاعته قد عمت بلاد الأندلس بأسرها والمغرب كله وأفريقية من طرابلس الى بلاد نول من السوس الاقصا الى الصحراء من بلاد القبلة ، وما بين هاذي البلاد من القرا والحصون والمعازل والمدن والجبال والأودية وأهل العمد من عرب وبربر كلهم كانوا مذعنين طائعين لأمره منقادين لأحكامه ، يجلبون له من خراجهم وزكاتهم وأعشارهم ويخطبون له على منابرهم .

فلما تمت البيعة لمحمد الناصر وقعد في محل الخلافة وجبرت الأحكام والأوامر باسمه وعلى يديه في حياة أبيه دخل المنصور الى قصره فلزمه وبدأه المرض الذي توفي منه .

ولما اشتد به المرض قال مANDمت على شيء فعلته في خلافتي الا على ثلاثوددت انى لم أفعلها :

أولها : ادخال العرب من أفريقية الى المغرب لأنى أعلم أنهم أصل فسادهم ، والثانية : بنائى رباط الفتح ، أنفقت فيه من بيت المال وهو صعيد لايعمر ، والثالثة : اطلاقى أسارا الأراك ، ولا بد لهم أن يطلبوا بثأرهم .

وتوفي المنصور رحمه الله بعد العشاء الأخيرة من ليلة الجمعة الثاني والعشرين لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمئة (٢٢ يناير سنة ١١٩٩ م) بقصبة مراكش والبقاء لله وحده لارب غيره ولا معبود سواه .

وكان المنصور رحمه الله أجل ملوك الموحدين وأكثرهم صيتا وأحسنهم في الأحوال كلها ، ولي والملك قد تمهد واتسق ، والمال قد توفر ،

وكانت له الهمة العالية ، والعزائم الملوكية ، والدين المتين ، والسير حسنة فى المسلمين ، رحمه الله تعالا بمنه ، وأباحه بحبوحة عدنه ، انه غفور رحيم ، جواد كريم •

الخبر عن دولة أمير المؤمنين محمد الناصر

ابن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المومن بن علي

رحمهم الله تعالا

هو أمير المؤمنين محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي الزناتى الكومى الموحدى •

أمه حرة اسمها أمة الله بنت السيد أبى اسحاق بن عبد المومن بن علي •

لقبه : الناصر لدين الله •

نقش خانمه : على الله توكلت ، وهو حسبي ونعم الوكيل •

علامته فى الأوامر : الحمد لله وحده •

صفته : أبيض ، تام القد ، نحيل الجسم ، مليح العينين ، أدعج واغر اللحية كبير الهامة ، غليظ الحجاب ، لاتكاد تصله الأمور الا بعد الجهد ، مصيب برأيه ، مستبذ فى أموره وتدبير مملكته بنفسه •

وزرائه : ابن الشهيد ، وابن منشأ •

حاجبه : وزير الأكبر أبو سعيد ابن جامع استبذ بالوزارة والحجابة،

وبويع الناصر فى حياة أبيه ، وجددت له البيعة بعد وفاته ، وذات يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه ، وأخذت له البيعة فى جميع أقطار طاعة الموحدين ، ودعى له على المنابر ، فأقام بحضرة مراكش بقية شهر ربيع الأول وربيع الثانى ، وخرج فى أول جمادى الآلا

من سنة خمس وتسعين المذكورة قاصدا الى مدينة فاس ، فأقام بها وبنا قصبته وأسوارها الى سنة ثمانية وتسعين ، فوردت عليه الأخبار من أفريقية أن يحيا الميورقي قد غلب على كثير من بلادها ، فخرج الناصر من مدينة فاس قاصدا الى أفريقية ، فوصل الى جزائر بنى مزغنة فأخذ فى تجهيز الأساطيل والعساكر لقتال مدينة ميورقة حتى فتحها وانتزعها من أيدي المرابطين ، وكان فتحها فى ربيع الأول من سنة ستئمة ، ووصل أهلها الى أمير المؤمنين الناصر فسلموا عليه وبايعوه فعفا عنهم ووصلهم على قدر طبقاتهم ، وتكلم اليهم بالجميل ، وقدم على قضاء ميورقة الامام المحدث عبد الله ابن حوط الله ، وارتحل محمد الناصر فى بلاد أفريقية فنطوف على جميع أقطارها وتفقد أحوال أهلها ، وفر الميورقي أمامه حتى دخل الصحراء وارتحل الى المهديّة وقد أطاعه جميع من كان خرج عليه بأفريقية دون قتال الا المهديّة وحدها ، فان واليها امتنع فيها ، وكان قد ولاه اياها يحيا الميورقي حين غلب عليها ، وكان هاذا الوالي حاجا الا أنه كان شهما عالما بوجوه الحرب ومكايده ، فنزل عليه الناصر بظاهر المهديّة وحاصره بها برا وبحرا ، ونصب عليه المجانيق والرعايات ، وكانت قبائل الموحدين وحشود العرب يتناوبون قتالها مع ساعات الليل والنهار ، فأظهر بها هاذا الحاج المذكور من مكاييد الحرب وخدعه مايقصر عنه الوصف ، فحاصره الناصر مدة طويلة وأشهرها عديدة ، وكان الموحدون يسمونه الحاج الكافر (١٤٥) ، ونصب عليه الناصر منجنيقا كبيرا لم يعمل مثله عظما يرمى مئة ربيع ، فرما البلد به فوقع الحجر من المنجنيق فى وسط دفة باب المدينة ، فطوا وسطها والدفة من حديد كلها قائمة على قاعدة من زجاج أخضر ، وفى مواضع الشرافات تماثيل أسد من نحاس أصفر ، فلما رأى ذاك الحاج والى المدينة علم أنه لاطاقة له بضبطها ولا بمدافعة أمير المؤمنين ، فبايعه وأسلم اليه البلد ، فأمنه الناصر وأكرمه

(١٤٥) اسمه على بن عازى بن محمد بن على ابن غانية ، اشترط على الموحدين قبل تسليم المهديّة الاذن له بالالتحاق بابن عمه ، فقبل شرطه ومضا لحال سبيله ، ثم بدا له فعاد اليهم وصار من خيرة رجالهم وقوادهم ، واستمر فى الخدمة حتى مات شهيدا فى وفاة العقاب سنة 609 هـ .

أكراما عظيما ، وأزله منزلة رفيعة وذلك لما رأوا منه من مراعاته لصاحبه واجتهاده فى حقه ، وأمر الموحدين أن يسموه الحاج الكافي .
وكان فتح المهديّة سنة اثنتين وستمئة (١٤٦) .

وفى سنة اثنتين وستمئة ، ولا أمير المؤمنين الناصر الشيخ عبيد الواحد بن أبى بكر ابن أبى حفص جميع بلاد أفريقية ، وارتحل الى المغرب ، فلما وصل وادي شلف خرج عليه يحيى الميورقى فى جيش عظيم من العرب وصنهاجة وزناتة ، فتقاتلا قتالا شديدا انهزم فيه الميورقى هزيمة عظيمة ، وذلك يوم الاربعاء عقب ربيع الأول سنة أربع وستمئة (٢٤) أكتوبر سنة ١٢٠٩ م) .

وفىها أمر أمير المؤمنين ببناء مدينة وجدة ، فشرع فى بنائها فى شهر رجب من السنة المذكورة .

وفىها بنى السور على المزمة (١٤٧) من بلاد الريف وبنيت قصبة بـادس .

وفى شوال من سنة أربع المذكورة خرج أمير المؤمنين من مدينة فـّاس الى حضرة مراكش بعد أن أمر بعمل السقاية بعدوة الأندلس منها ، وجلب إليها الماء من عين بخارج باب الحديد ، وبنا الباب الجوفى المدرج الذى بالصحن من جامع الأندلس شرفه الله بذكره ، وأنفق فى ذلك أموالا كثيرة من بيت المال .

وفىها بنا مصلا عدوة القرويين وأمر أن لا يصلا بمضلا الأندلس ، فأقام الناس يصلون بعدوة القرويين ثلاث سنين ، ثم عادوا يصلون بالأندلس والقرويين كما كانوا بعد أن شهد أنها قديمة ، فأقام الناصر بمدينة مراكش سنة خمس وستمئة وسنة ست بعد ، فاتصلت به الأخبار من الأندلس أن الفونسو الثامن ملك قشتالية لعنه الله يفتك فى بلاد الاسلام

146) فى الأصل سنة احدا وستمئة ، والصواب أن تسليم المهديّة للموحدين وقع يوم 27 جمادى الأولى عام 602 (11 يناير سنة 1206 م) .
147) فى الأصل المدينة .

ويضرب على قراها وعلى حصونها يقتل الرجال ويسبى النساء والأموال ،
فاستغاث أهلها بالناصر أمير المؤمنين ، فأخذ في الحركة للجهاد ، وفرق
الأموال على القواد والأجناد ، وكتب الى جميع بلاد المغرب وأفريقية وبلاد
القبلة يستنفر المسلمين لغزو الكافرين ، فأجابه خلق كثير ، وألزم كل قبيلة
من قبائل المغرب حصة خيلا ورجالا يخرجون معه للجهاد ، فقدمت عليه
الجيوش من سائر الأمصار ، وسارع الناس نحوه خفافا وثقالا من الأفاق
والأقطار ، فلما تكاملت لديه الوفود ، واستوفت عليه الجنود والحشود ،
خرج من حضرة مراكش في يوم السبت عشرين (١٤٨) من شعبان المكرم
سنة سبع وستمئة (٥ يراير ١٢١١ م) فسار حتى وصل الى قصر الجواز
فنزل فيه وأخذ في تجويز الناس ، فأقام بقصر الجواز يجوز العساكر
والقبائل والخيول والعدد من أول شهر شوال الى آخر شهر ذي قعدة من
سنة سبع وستمئة ، فلما تكامل المجاهدون بالجواز جاز هو في أثرهم ،
فنزل بساحل طريف ، وذلك في يوم الاثنين الخامس والعشرين لذي قعدة
المذكورة ، فتلقاه هناك جميع قواد بلاد الأندلس وفقهائها وصلحائها ،
فسلموا عليه ، وأقام بطريف ثلاثة أيام ، وارتحل الى اشبيلية في جيوش
لا تحصى وأمم كالجراد المنتشر قد ملأت السهل والوعر ، وضاق بهم المتسع
والنجد والغور ، فأدرك الناصر الإعجاب لما رآه من كثرة جنوده ، فقسم
الناس على خمس فرق ، فجعل العرب فرقة ، والمطوعة فرقة وكانوا مئة
وستين الفا مابين فارس وراجل ، وقواد الأندلس وحشودها فرقة ،
والموحدين فرقة ، وأمر كل فرقة ان تنزل ناحية ، فوصل الى اشبيلية في
السابع عشر من ذي حجة من سنة سبع المذكورة (٢ يونيو) ، فأقام بها
واهتزت جميع بلاد الروم بجوازه ، ووقع خوفه في قلوب ملوكهم ، واخذوا
في تحصين بلادهم ، واخلاء ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم ،
وكتب اليه أكثر أمرائهم يسألون سلامته ويطلبون منه عفوه ، وجأه منهم

ملك بيونة (١٤٩) مستمسلا خاضعا مستصغرا يطلب صلحه ويسأل منه عفوه وصفحه .

ولما سمع هذا اللعين بدخول أمير المؤمنين الى اشبيلية أدركه الخوف فبادر الى الإدارة عن نفسه ، وبلاده ، فبعث رسوله اليه يستأذنه فى القدوم بجملته عليه ، فأذن له أمير المؤمنين فى الوصول ، وكتب الى كل بلد من بلاد الأندلس هي على طريق هذا اللعين اذا مر بهم أن يضيفوه ثلاثة أيام ، فاذا عزم على الرحيل فى اليوم الرابع يحبسونه بها عندهم من جنسه ألف فارس ، فخرج هذا اللعين من قاعدة ملكه بيونة قاصدا ودخلا الى أمير المؤمنين ، فكان اذا وصل بلدا فى بلاد المسلمين تلقاه قوادها وأجنادها ، وبرز اليه أهلها فى أكمل عدة وأحسن هيئة وأضافوه ثلاثة أيام خير ضيافة ، فاذا كان يوم رحيلهم حبسوا له ألف فارس من جيشه ، فلم يزالوا يفعلون ذلك به الى ان وصل مدينة قرمونة ، ولم يبق معه من جيشه غير ألف فارس ، فأقام فى ضيافة أهلها ثلاثة أيام ، فلما أراد الرحيل فى اليوم الرابع حبست الألف فارس الباقية معه ، فقال لقوادها كيف تمسكونها ولم يبق لى مع من أسير غيرها ، قالوا له تسير فى ذمة أمير المؤمنين وتحت ظلال سيوفه ، فخرج لعنه الله من قرمونة فى خاصته وزوجته وخدامه وهديته التي قدم بها الى الناصر ، وقدم بين يديه كتاب النبي صلا الله عليه وسلم الذي كتبه الى هرقل ملك الروم يستشفع له به ويعلمه ان الملك عنده موروث كابرا عن كابر ، فكان هذا الكتاب عندهم يتوارثونه محفوظا مطيبا فى حلة خضراء فى وسط صندوق من ذهب مملوئا مسكا تعظيما له واجلالا لحقه ، وأمر أمير المؤمنين محمد الناصر أن يجعل له بروز من باب مدينة قرمونة الى باب اشبيلية ، فاصطفت الخيل والرجال أمامها عن اليمين والشمال صفين بالثياب الحسنة والعدة الكاملة والسيوف المصلطة والرماح المشرعة والقسي الماثورة من قرمونة الى اشبيلية أربعين ميلا او

(١٤٩) لعل الذى قدم على الناصر لاشبيلية هو ملك بنبلونة لابونة . ينظر عن هذه المسألة كتاب تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين تأليف الأستاذ محمد عبد الله عنان ٢ : 290 .

نحوها ، فخرج ملك بيونة يمشى تحت ظلال سيوف المسلمين ورماحهم فلما قرب من اشبيلية أمر أمير المؤمنين الناصر بالقبة الحمراء ان تضرب له بخارج المدينة مما يلى قرمونه ، ويجعل له فيها ثلاث مراتب ، ثم سار عن يحفظ لسان العجمية من القواد ، فقتل له أبو الجيوش عساكر ، فأمر بإحضاره ، فحضر بين يديه ، فقال له ياأبا الجيوش : ان هذا الكافر قد قدم علي ولا بد من اكرامه ، فان قمت له من مجلسي اذا دخل كنت قد تدمت وخالفت السنة فى قيامي لرجل كافر بالله تعالا ، وان قعدت ولم أقم له كنت مقصرا فى حقه وهو ملك كبير وضيغ وارد ، ودخيل قاصد ، ولكنى أملك أن تقعد فى المرتبة التى فى وسط القبة ، فاذا دخل العليج من باب القبة دخلت أنا من الباب المقابل ، فتقوم أنت فتأخذ بيدي فتقعدنى عن يمينك ، وتأخذ بيده أيضا فتقعه عن شمالك ، ثم تكون بعدها تترجم بيننا ، فقعد القائد أبو الجيوش فى وسط القبة ، فلما دخلا عليه أقعد الناصر عن اليمين ، وملك بيونة عن الشمال ، ثم قال له هاذا أمير المؤمنين ، فسلم عليه ، ثم تكلم بما يجب وتحدثا مليا ، ثم ركب أمير المؤمنين وركب أمير بيونة متأخرا عنه قليلا ، وركب الموحدون وجيوش المجاهدين وحشر الناس ضحا ، وصنع أهل اشبيلية بروزا عظيما ، وكان عندهم من الأيام المشهورة ، فدخل الناصر اشبيلية وملك بيونة على أثره قريبا ، فأنزله بداخل المدينة ، وأعطاه تحفا وصالحه صلحا مؤبدا مادامت عدة الموحدين ، ثم صرفه الى بلاده مكرما مسعفا بجميع مطالبه ، وخرج الناصر فى أثره قاصدا لغزو بلاد قشتالية ، وذلك فى أول يوم من صفر سنة ثمان وستمئة (الجمعة ١٥ يوليوز ١٢١١ م) فسار حتى نزل حصن شلبطرة وهو حصن عظيم على رأس جبل عال قد تعلق بعنان السماء ، ليس له مسلك الا طريق واحد فى أوعار ومضايق ، نزل عليه وأدار به الجيوش وأخذ فى قتاله ونصب عليه أربعين منجنيقا فهتك أرباضه ولم يقدر منه على شيء ، وكان وزيره أبو سعيد ابن جامع لم يكن شريف النسب فى الموحدين ، فلما ولي حجابة الناصر ووزارته أخذ يقهر أعيان الموحدين ويهين أهل الشرف منهم حتى فر من بساط محمد

الناصر أكثر الأشياء الذين قام الأمر بهم ، فانفرد بالخدمة هو ورجل معدل يعرف بابن منشا ، فكان الناصر لا يقطع أمرا الا بمشورتها ، فلما مر الناصر بهذا الحصن يريد قشتيلية تعجب من منعته ، فقالا له يا أمير المؤمنين لاتجاوزه حتى تفتحه فيكون أول الفتح ان شاء الله ، فيقال انه أقام على ذلك الحصن حتى عشش الخطاف فى خبائه وباض وأفرخ وأطار أفراخه ، من طول مقامه ، فأقام على ذلك الحصن ثمانية أشهر ، ودخل فصل الشتاء واشتد البرد وقلت العلوفات ، وفنيت أزواد الناس ونفذت نفقاتهم وكلت عزائمهم ، وفسدت نياتهم التي قصدوا بها للجهاد، وقنط الناس من المقام وانقطعت المواد من المحلة وغلت بها الأسعار ، فلما تحقق عدو الله الفونسو الثامن ذلك وعلم ان شوكة المسلمين قد انكسرت والحدة التي قدموا بها قد خمدت انزعج لطلب الثأر ، ورفع صلبانه فى جميع بلاد الكفار ، فجاءته ملوك الروم فى جيوشهم مستعدين غاية الاستعداد ، قد شمعروا للطعان والجلاد ، وأقبل نحوه عباد سانطامرية وأظهروا حمية الجاهلية ، فلما استوفت لدى ألفونسو الثامن جيوشه وحشوده ، وتكاملت لديه وفوده ، أقبل فى جيوشه حتى نزل ثغرا من ثغور المسلمين يسما قلعة رباح ، كان فيها القائد الأجل المشهور ، البطل الشجاع المذكور ، أبو الحجاج ابن قادس فى سبعين فارسا من أنجاد المسلمين يضبط بهم ذلك الثغر ، فحاصره وشرع فى قتاله ، وضيق عليه تضيقا كثيرا ، وابن قادس صابر لقتاله يبعث فى كل يوم كتابا الى أمير المؤمنين محمد الناصر يعلمه بحاله ، ويستنصره على أعدائه ، وهو على شبلطرة ، فكانت كتبه اذا وصلت الى الوزير حبسها ولم يطلع أمير المؤمنين عليها ليلا يقلع عن الحصن قبل ان يفتحه ، وكان ذلك غشا منه لأخير المؤمنين محمد الناصر ولجميع المسلمين ، فانه لم يكن يخبره بشيء من أخبار بلاده ولا من أمور رعيته ، ويخفى عنه مهمات الأمور التي لاينبغى أن يغفل عنها ولا يتهاون بها ، فلما طال الحصار على ابن قادس ونفذ ماكان عنده بالحصن من الأقوات والسهم ويئس من الاغاثة وخشي

أن يدخل الحصن على من به من المسلمين (١٥٠) فلما خرج المسلمون من حصن قلعة رباح وملكه العدو وسار ابن قادس الى أمير المؤمنين تبعه صهده وكان مثله في النجدة ، فعزم عليه ابن قادس أن يرجع ويتركه يمشى وحده ، وقال له : ارجع فاني والله مقتول لامحالة ، ولا أعيش بعدها أبدا ، لكنى بعث نفسى من الله تعالى بسلامة من كان في الحصن من المسلمين ، فأبى أن يرجع ، وقال له لآخر في الحياة بعدك ، فلما وصلا الى محلة الناصر تلقاهما قواد الأندلس يسلمون عليهما ، فاتصل خبرهما بابن جامع الوزير ، فخرج اليهما مسرعا وأمر العبيد أن ينزلوهم بالعنف ، فأنزلا ، وكثفا ، وقال لايدخل على أمير المؤمنين فاجر ، ثم دخر فأغرا الناصر بهما حتى أمر بقتلهما ، فخرج فأمر عليهما بالرماح فقتلا في الحين ، فجمد الناس عند قتلها وحقدوا على محمد الناصر وفسدت نيات قواد الأندلس ، ثم خرج الوزير ابن جامع الى مخيم الساقة فأمر باحضار قواد الأندلس ، فأحضروا بين يديه فقال لهم اعتزلوا من جيش الموحدين فلاحاجة لنا بكم كما قال الله تعالى (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم) ، وسننظر بعد هذه المقابلة في أمر كل فاجر ، فلما سمع محمد الناصر باقبال الفونسو الثامن وتملكه قلعة رباح التي هي أمنع ثغور المسلمين شق ذلك عليه حتى امتنع من الطعام والشراب حتى مرض من شدة ما تغير لذلك ، ثم شرع في قتال شلبطرة وبذل الأموال الجلييلة في حقها حتى فتحها صلحا ، وذلك في آخر ذي حجة من سنة ثمان وستمئة .

فلما سمع الفونسو الثامن ان محمد الناصر قد فتح شلبطرة تحرك نحوه بجميع من كان معه من ملوك الروم وحشودهم ، فاتصل خبر قدومه بالناصر فقصده الى قتاله بجيوش المسلمين ، فالتقا الجمعان بموضع يسما بحصن العقاب ، فكانت المقابلة به ، فضربت القبة الحمراء المعدة لقتال الأعداء على رأس ربة ، وأتا الناصر حتى نزل بها وقعد على

دركته وغرسه أمامه ، ودارت العبيد بالقبة من كل ناحية كلهم بالسلاح والعدة ، ووقفت الساقات والبزود والطبول أمام العبيد مع الوزير ابنى سعيد ابن جامع ، فأقبلت اليهم جيوش الروم على مصافها كأنهم الجراد المنتشر ، فتلقاهم المتطوعة وحملوا عليهم أجمعين ، وكانوا مئة وستين ألفا فقاموا فى صفوفهم فانطبقت عليهم جيوش الروم فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر المسلمون لهم صبرا جميلا ، واستشهد المتطوعة عن آخرهم وعساكر الموحدين والعرب وقواد الاندلس ينظرون اليهم لم يتحرك منهم أحد ، فلما فرغ الروم من المتطوعة حملوا بأجمعهم على عساكر الموحدين والعرب حملة منكرة ، فلما انتشب القتال بين الفريقين فر قواد الاندلس وحشودها لما كانوا حقدوا فى قلوبهم من قتل ابن قادس وتهديد ابن جامع وطرده اياهم ، فلما رأوا الموحدون والعرب وقبائل العرب ان المطوعة قد قتلوا وجيوش الاندلس قد فروا وكثر القتل فيمن بقي وتكاثرت عليهم الروم انهزموا أمامهم ، وانكشفوا عن محمد الناصر ، وركبهم الروم بالسيف حتى وصلوا الى الدائرة التي دارت على الناصر من العبيد والحشم ، فوجدوها كالبناء المرصوص ، فلم يستطيعوا دخولها ، فردوا أكفال الخيل المدرعة الى رماح العبيد وهي مصوبة اليهم فدخلوا فيها والناصر قاعد على درة أمه خبائه يقول صدق الرحمان ، كذب الشيطان ! وهو فى مكانه لا يتزعزع حتى كادت الروم ان تصل اليه ، وقتل حوله من عبيد الدائرة مايزيد على عشرة آلاف عبد ، فأقبل اليه أعرابى على فرس اثنا فقال له الى متى قعودك يا أمير المؤمنين ؟ قد نفذ حكم الله وتم مراده وفني المسلمون ، فحينئذ قام الى جواد سابق كان أمامه ليركبه ، فنزل الأعرابى عن الفرس التي كان عليها وقال له اركب هاذى الحرة فانها لاترضا بعار ، فعل الله عز وجل ان يسلمك عليها ، فان فى سلامتك الخير كله ! فركبها وركب العربي جواده ، وتقدم أمامه فى كبكة عظيمة من العبيد دائرة بهم ، والروم فى أعقابهم ، وبقي القتل فى المسلمين الى الليل ، وتحكمت فيهم سيوف الروم فاستأصلوهم حتى فني جميعهم ولم ينج منهم الا الواحد فى الألف ، ونادا منادي الفونسو الثامن أن لا أسر

الا القتل ، ومن أتا بأسير قتل هو وأسيره ، فلم يأسر العدو فى هاذه الوقعة أحدا من المسلمين ، وكانت هاذه الكائنة المهمة والرزية العظيمة يوم الاثنين الخامس عشر من صفر سنة تسع وستمئة (١٦) يوليوز ١٢١١ م) فذهبت قوة المسلمين بالأندلس من تلك الهزيمة ، ولم تنصرلهم راية بها ، فاستطال العدو عليها فملك معاقلها واستحوذ على أكثر بلادها حتى كاد أن يملك جميعها لولا أن الله عز وجل تداركها بجواز أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ورضي عنه ، فأحيا زمارها وأقام منارها وغزا بلاد الكفرة فدمرها .

ولما فرغ ألفونسو الثامن لعنه الله من وقعة العقاب سار الى مدينة أبذة فدخلها على المسلمين بالسيف عنوة فلم يحي فيها ذكرا كبيرا ولا صغيرا ، ومن بعدها لم يزل يملك بلاد الأندلس بلدا بعد بلد حتى استولا على جميع قواعدها ولم يبق بأيدي المسلمين منها الا النزر اليسير ، ولم يوقفهم على أخذ تلك البقية الا حماية الله عز وجل لها على يد الدولة المرينية خلد الله ملكها ، ويقال انه لم يبق من ملوك الروم الذين حضروا وقعة العقاب ودخل أبذة أحد الا مات فى تلك السنة بعينها .

ولما وصل محمد الناصر من هزيمة العقاب قدم الى اشبيلية فدخلها فى العشر الأواخر من ذي الحجة من العام المذكور ، وكان الناصر قد أدركه الاعجاب فى هاذه الغزاة واغتر بكثرة جنوده وتوافر جيوشه وحشوده ، لأنه اجتمع فى تلك الحركة من المقاتلين خيلا ورجالا مالم يجتمع ملك قبله ، عد فى عسكره من المتطوعة مئة وستون ألفا بين فارس وراجل ، ومن الرجال المحشودين ثلاثمئة ألف راجل ، ومن العبيد الذين يمشون بين يديه بالحرب ويدورون حوله ثلاثون ألف عبد ، ومن الرماة والأعزاز عشرة آلاف ، دون المرتزقة من الموحيدين وزناتة والعرب وغيرهم ، فاعتمد على كثرة جنوده ، وظن أن لاغالب له من الناس ، فأراه الله عز وجل تلك الآية ليعلم أن النصر من الله عز وجل ، وإن القدرة والحوال والقوة بيد الله سبحانه وتعالى .

ولما وصل الناصر لمراكش عند انصرافه من العقاب أخذ البيعة لولده

السيد يوسف الملقب بالمستنصر ، فبايعه كافة الموحدين ، وخطب له فى جميع منابرهم ، وذلك فى العشرة الأخيرة من ذي الحجة من سنة تسع وستمئة المذكورة ، فلما تمت له البيعة دخل الناصر قصره فاحتجب فيه عن الناس ، وانغمس فى لذاته ، فأقام فيها مصطبحا ومغتبقا الى شهر شعبان المكرم من سنة عشرة وستمئة ، فمات مسموما بأمر وزرائه ، دسوا اليه من سمه من جواريه فى كأس خمر فمات من حينه ، لأنه كان قد عزم على قتلهم فعاجلوه قبل ذلك ، فكانت وفاته يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من عام عشرة المذكورة (٢٢ دجنبر سنة ١٢١١ م) بقصره من قصبة مراكش ، فكانت أيام دولة خمسة االف يوم وأربعمئة يوم وواحدا وخمسين يوما ، يجب لها من السنين خمس عشرة سنة ، وأربعة أشهر ، وثمانية عشر يوما ، أولها يوم الجمعة الثانى والعشرون لربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وهو الذي بويع فيه بعد وفاة أبيه ، وأخرها يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من سنة عشر وستمئة ، وهو الذي توفي فى غرته .

الخبر عن دولة أمير المومنين يوسف المنتصر بالله ابن محمد الناصر ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف ، بن عبد المومن بن علي رحمهم الله

- هو أمير المومنين يوسف بن محمد الناصر ، ابن يعقوب المنصور ،
ابن يوسف الشهيد ، ابن عبد المومن .
لقبه : المنتصر بالله .
كنيته : أبو يعقوب .
صفته : شاب السن ، حسن القد ، أزهر اللون ، جميل الصورة ،
أقنا الأنف ، سبط الشعر .

كتابه: : كتاب أبيه .

وزراؤه : أعمامه ، وهم الذين كانوا يدبرون الدولة مع الاشياخ ،
لانه كان حين ببيع صغير السن كما راهق الحلم ، لاحكمة له ولا تجربة
ولا معرفة بالأمور ، فأقام أشياخ الموحيدين دولته مع أشياخ من أعمامه ،
فاستقرت خلافته لأجل ذلك ، ولم ينازع عليها ، ولم يغز في أيامه ولم
يقدر عليه ، وكانت أوامره لاتمتثل ، وكل من ولي بلدا عمل فيه برأيه ،
واستبد فيه بأمره ، فضعفت دولة الموحيدين في أيامه ، واعتراها النقص
وأخذت في الادبار ، الا أن أيامه كانت أيام هدنة ودعة وعافية ، فلما كبر
واستقل بأمره ونهيه واستبد بملكه فرق أعمامه من حوالية الذين كانوا
يدبرون أمر دولته وأقاموها وأشياخ الموحيدين الذين أسسوها ، وقرب
أناسا لم يكن لهم أصل فيها ، فبعث الى الأندلس عمه محمد بن يعقوب
المنصور وولاه بلنسية وشاطبة ، وولا عمه عبد الله بن يعقوب المنصور
مرسية ودانية وأحوازهما ، وبعث معه الشيخ عبد الرحمان بن برجان
وكان من أشياخ الموحيدين ودهاتهم ، وبعث عمه ادريس الكبير الى أفريقية
لمدافعة الميورقي ، وادريس هو الذي بنا البرجين اللذين على باب المهديّة
وحصنها ، وهو الذي بنا برج الذهب باشبيلية أيام ولايته عليها في حياة
أبيه ، فأقام بأفريقية مدة ثم عزله عنها وولا مكانه الشيخ عبد الله ابن
أبي حفص .

وفي سنة أربع عشرة وستمئة هزم المسلمون بقصر أبي دانس (١٥١)
وهي من الهزائم الكبار التي تقرب من هزيمته العقاب ، لأن العدو كان
قد نزل قصر أبي دانس وحاصره فخرج جيش اشبيلية وجيش قرطبة
وجيش جيان وجنود بلاد غرب الأندلس بأمر أمير المومنين يوسف المنتصر
لإعانتة واستنقاذه فساروا نحوهم فلم تجتمع العين بالعين الا والمسلمون
قد خامر قلوبهم الرعب وولوا الادبار وأخذوا في الفرار لما سبق لهم من
الرعب في هزيمة العقاب ، لأن العدو كان قد تكالب وقوي واستأنس ،

فركبهم بالسيف وقتلوه عن آخرهم ورجع الفونسو الثانى ملك البرتغال الى قصر أبى دانس فحاصره حتى دخله بالسيف فقتل كل من به من المسلمين .

وفى سنة عشرين وستمئة توفي أمير المومنين يوسف بمراكش ، وكانت وفاته فجأة ضربته بقرة بقرنها على قلبه فمات من حينه لأنه كان مولعا بالبقر والخيول ، كان يوتا بالبقر من الأندلس فيستنتجها فى رياضه الكبير من حضرة مراكش ، فخرج فى عشي اليوم الذي توفي فيه لينظر اليهم ، وكان قد ركب فنيشا فمشا به بين البقر فقصدت اليه بقرة منهن كانت شرودة فضربته فمات ، وذلك فى عشي يوم السبت الثانى عشر لذى حجة سنة عشرين وستمئة (٦ يناير سنة ١٢٢٤ م) ، وتوفي ولم يعقب الا حملا من جارية ، ولم يخرج من حضرة مراكش طول خلافته الى أن توفي وكانت أوامره لايمتثل أكثرها لضعفه وليانته وادمانه على الخلاعة وركونه الى اللذات وتقويضه أمر مملكته ومهمات أموره الى السفلة .

أيامه فى الملك ثلاثة آلاف يوم وستمئة يوم وخمسة وعشرون يوما، لها من السنين عشرة أعوام وأربعة أشهر ويومان ، أولها يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من سنة عشر وستمئة ، وهو اليوم الذي بويع فيه، وأخراها يوم السبت الثانى عشر لذى حجة سنة عشرين وستمئة حكاه من شهد موته ممن أدركه من انتساب .

الخبر عن دولة أمير المومنين عبد الواحد المخلوع

رحمه الله

هو أمير المومنين أبو محمد عبد الواحد ابن أمير المومنين يوسف ابن عبد المومن بن علي الكومى الموحدى ، بايعه أشياخ الموحدين على كره منه بقبة النصر من قصبة مراكش ، وذلك فى ضحا يوم الاحد الثالث عشر من ذى حجة سنة عشرين وستمئة (٧ يناير سنة ١٢٢٤ م) وهو

يومئذ فى سن الشيخوخة ، فكانت خلافته منسوخة ، وكان رجلا صالحا فاضلا متورعا ، فاستقام له الأمر شهرين ، وخطب له فى جميع طاعة الموحدين ماعدا مرسية ، فان ابن أخيه السيد عبد الله الملقب بالعدل كان واليا عليها وكان وزيره الشيخ ابو زيد بن برجان المعروف بالأصفر وكان أحد دهاة الموحدين ، كان المنصور اذا رآه يستعيز بالله من شره ، ويقول مايجرى على يدك من الفتن يا أصفر ، فلما وصلت بيعة أمير المؤمنين عبد الواحد الى مرسية قال أبوزيد بن برجان للسيد عبد الله ابن المنصور اياك أن تباع عبد الواحد فانك أحق بالخلافة وأقرب اليها منه ، أنت ولد المنصور ، وأخو الناصر ، وعم المنتصر ، ولك الحزم ، والعقل الراجح والكرم ، وحسن السياسة واصابة الرأي ، ولو دعوت الموحدين الى بيعتك لم يختلف عليك اثنان ، فدع التواني وبادرالى فسخ أمره قبل التمكن ، فخرج السيد عبد الله من فوره ذلك الى مجلس حكمه ، فبعث الى من بمرسية وأحوازها من الموحدين والفقهاء والأشياخ فدعاهم الى بيعته فباعوه ، ثم كتب الى أخيه السيد ادريس والي اشبيلية يدعوه الى بيعته فباعه وأخذ له البيعة أهل اشبيلية ومن بها من الموحدين وامتنع سائر البلاد عن بيعته ، فلما رآا العدل أن الناس قد سبقوا الى بيعة عبد الواحد كتب الى أشياخ الموحدين الذين بحضرة مراکش يدعوه الى بيعته وخلع عبد الواحد ووعدهم على ذلك بالأموال الجزيلة والمنزلة الرفيعة والولايات العظيمة ، فسارعوا الى مادعاهم اليه فدخلوا على أمير المؤمنين عبد الواحد فهددوه وخوفوه بالقتل الا أن يخلع نفسه ويباع العدل ، فأجابهم الى ذلك ، فخرجوا ووكلوا بالقصر من يحفظه ، وذلك يوم السبت الحادي والعشرين من شعبان المكرم من سنة احدى وعشرين وستمئة ، فلما كان فى يوم الأحد التالى له دخلوا عليه القصر وأحضروا القاضي والفقهاء والأشياخ فأشهد على نفسه بالخلع وبإيعاد العدل ، ثم انهم دخلوا عليه بعد ثلاثة عشر يوما من خلعه فخنقوه حتى مات واذتهبوا قصره وأخذوا أمواله وسبوا حريمه وهتكوا ستره ، فكان أول من خلع وقتل من بنى عبد المؤمن ، ولم يكن ذلك فيمن تقدمهم من ملوكهم ،

ورجع أشياخ الموحدين كالأتراك مع بنى العباس ، فكان فعلهم ذالك سببا لخراب دولتهم ، وذهاب سلطاتهم ، وقتل ملوكهم وأشياخهم ، وهو أول باب فتحه القوم على أنفسهم للفتنة •

وكانت وفاة عبد الواحد المخلوع المخنوق ليلة الأربعاء الخامس من شهر رمضان المعظم سنة احدى وعشرين وستمئة (٢٠ شتنبر ١٢٢٤ م) ، فجميع دولته مئتا يوم اثنتان وخمسة وأربعون يوما يجب لها من الشهور ثمانية أشهر وخمسة أيام ، أولها الأحد وأخرها السبت ولا حول ولا قوة الا بالله •

وقد اختصر صاحب (نظم السلوك) دولة عبد الواحد فى رجزه فقال :

قد قام بالملك أخو المنصور	وخلعه من أعظم الأمور
قد قتلوه بعد ما قد خلعا	ولم يخافوا القتل والسبي معا
فى قتل عبد الواحد بن يوسف	قد ركبوا أمرا لهم لم يعرف
ورجع الأشياخ كالأتراك	مع بنى العباس فى الأملاك
قد دبروا لجهلهم تدبيرا	كان على ملكهم تدميرا
بفعلهم كان خراب الدولة	وقتلهم فى الأرض شر قتله

الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الله العادل

ابن يعقوب المنصور رحمه الله

هو أمير المؤمنين عبد الله بن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن الكومى •

لقبه : العادل فى أحكام الله تعالى •

كنيته : أبو محمد

أمه : أم ولد رومية من سبي شذترين ، اسمها سر الحسن •

صفته : أبيض اللون ، تام القد ، نحيل الجسم ، أشهل العينين
أقنا الأنف ، خفيف العارضين ، حازم فى أموره قبل خلوص الأمر له
مؤثر هواه على أمر دينه .

ببيع له البيعة الأولى بمرسية فى نصف صفر من سنة احدا وعشرين
وستمئة ، وخلص له الأمر واجتمع على بيعته كافة الموحدين ماعدا أهر
افريقية ، وخطب له بحضرة مراكش وسائر بلاد العدو والأندلس بع
خلع عمه عبد الواحد وذلك يوم الاحد الثانى والعشرين لشعبان المكره
سنة احدا وعشرين المذكورة ، وتوقف عن بيعته السيد عبد الرحمان ابن
السيد ادريس بن يوسف بن عبد المومن صاحب بلنسية وشاطبة ودانية
وكذلك توقف عن بيعته عمال افريقية الحفصيون واستبدوا لأنفسهم فلم
يستقم له أمر لأجل ذلك .

ولما رأى السيد عبد الله بن السيد محمد بن ادريس بن يوسف أخاه
السيد عبد الرحمان توقف عن بيعة العادل وضبط بلاده قام هو أيضا
ببياسة ، وقرطبة وجيان وقيجاطة وحصون الثغر الأوسط وسمى البياسى
لقيامه ببياسة ، فوقعت الفتن فى بنى عبد المومن وابتدأت فيهم المحن .
فبعث اليه العادل أخاه السيد ادريس فى جيش كثيف فحاصره ببياسة ،
فلما اشتد عليه الحصار صالحه مكرامه ، وباع العادل ، فلما ارتحل
عنه ادريس عاد الى نكته وبعث الى الفونسو يستنصر به على العادل
على أن يعطيه بياسة وقيجاطة ، فكان أول من سن اعطاء البلاد والحصون
للروم ، فبعث اليه الفونسو بجيش من عشرة آلاف فارس ، فلما وصله
الجيش جمع خيله وحشده وخرج من قرطبة يريد اشبيلية حتى قرب منها ،
فخرج اليه السيد ادريس فى جيش من الأجناد والحشود ، فالتقا الجمعان
وتقاتلوا قتالا شديدا هزم فيه السيد ادريس واحتوا البياسى والروم الذين
معه على جميع ماكان فى محلته من سلاح ودواب وغير ذلك .

فلما رأى أن جيشه قد هزم وقتل جنده خاف ان يتغلب عليه البياسى
ويفوته مقصوده من الخلافة ، فجاز من الأندلس الى العدو ، فوصل
لمراكش واستقر فى قصر الخلافة وفوض أمر الأندلس الى أخيه ادريس ،

فأقام إدريس عاملاً للعادل الى شهر شوال من سنة أربع وعشرين ، فنكث بيعته ، وقام عليه ودعا لنفسه ، وتلقب بالمامون ، فبايعه أهل اشبيلية وجميع بلاد الأندلس فلما تمت بيعته بالأندلس كتب الى الموحدين الذين ببراكنش مع أخيه يعلمهم باجتماع بلاد الأندلس ومن بها من الموحدين على بيعته وخلع أخيه العادل ، ويدعوهم مع ذلك الى بيعته والدخول فى طاعته ، ووعدهم ومناهم ، فكان منهم من تردد فى أمره ، ثم اجتمع رأيهم على خلع العادل ، ، فدخلوا عليه القصر وسألوه أن يخلع نفسه فامتنع فجعلوا رأسه فى خصة تفور بالماء وقالوا لا تفارقك او تشهد على نفسك بالخلع وتبايع لأخيك المأمون ، فقال لهم اصنعوا ما بدا لكم ، أنا لا أموت الا أمير المؤمنين ! فجعلوا عمامته فى عنقه وخنقوه بها ورأسه فى ماء الخصة حتى مات ، وذلك فى يوم الثلاثاء الحادي والعشرين لشوال من سنة أربع وعشرين وستمئة ، وكتبوا البيعة الى المامون ، وبعثوا بها اليه مع البريد ، ثم بدا لهم فى بيعته المامون بعد انصراف البريد بها ، فنكثوا بيعته وبايعوا يحيى بن محمد الناصر ، فكانت أيامه من حين بويج بمرسية الى أن توفي ثلاث سنين وسبعة أشهر وتسعة أيام .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يحيى بن محمد الناصر

ومزاحمته لعمه إدريس المامون

هو أمير المؤمنين يحيى ، ابن محمد الناصر ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف ، بن عبد المؤمن بن علي .
كنيته : أبو زكرياء وقيل أبو سليمان .
لقبه : المعتصم بالله .
صفته : شاب السن ، حسن القد والوجه ، أدم اللون ، خفيف العارضين ، أشقر الشعر .

اجتمع أشياخ الموحدين على بيعته بعد بيعتهم للمامون وقتلهم العادل .
وسبب اجتماعهم على بيعته أنهم كتبوا للمامون بالبيعة وبعثوا بها اليه
ثم ندموا وخافوا لما يعرفون من شهامة المامون وشدة سطوته وكونه
قتلوا عمه عبد الواحد المخلوع ، ثم أخاه العادل ، فخافوا ان يطلبهم بثأر
من قتلوه من قرابته ، فلجأوا الى يحيى فبايعوه لصغر سنه ، فانه كان يوم
ببيع ابن ست عشرة سنة ، فبايعوه بجامع المنصور من قصبة مراكش
بعد صلاة العصر من يوم الاثنين الثامن والعشرين لشوال سنة أربع
وعشرين وستمئة (١١ اكتوبر سنة ١٢٢٧ م) ، فامتنع من بيعته عرب
الخط وقبائل هسكورة ، وقالوا قد بايعنا ادريس المامون فلا ننكت بيعته .
فجهز لهم يحيى جيشا من الموحدين والأجناد وبعثهم الى قتالهم فهزمهم
الخط وهسكورة ، وهم فى طاعة المامون ، ورجع جل الموحدين منهزمين
الى مراكش بعد أن قتل منهم خلق كثير ، وتوالت فى أيامه على عساكره
الهزائم والقتل والاسر وسلبت أموالهم وتبدلت أحوالهم .

ولما تمت بيعته بمراكش بعث الى الشيخ عبد الرحمان ابن برجان
وابنه عبد الله فضرب أعناقهما وأمر بتعليق رؤوسهما على باب الكحل ،
وطيف بجسديهما فى المدينة ، وأقام يحيى بمراكش شهرا من ولايته ،
فاضطربت عليه البلاد وغلت الأسعار وخيفت الطرق وفشا الفساد والخراب
فى المغرب لكثرة الفتن ، وعاد أشياخ الموحدين يعبثون ببنى عبد المومن ،
يبايعون وينكثون ، ويخلعون ويقتلون ، فلما رأى اختلاف الموحدين عليه
واضطراب أموره لديهم بسبب بيعة أكثرهم للمامون خرج فارا عن حضرة
مراكش الى تينمل ، وذلك فى شهر جمادا الأخيرة من سنة ست وعشرين
وستمئة ، فقدم من كان بمراكش من أشياخ الموحدين واليا عليها يضبطها
للمامون ، وجددوا له البيعة ، وكتبوا له يخبرونه بقرار يحيى عنها الى
تينمل ويسألونه القدوم عليهم ، فأقام يحيى بتينمل أربعة أشهر ثم بدا له
فرجع الى مراكش فدخلها وقتل عامل المامون الذي كان بها ، وخرج عنها
بعد أن أقام بها سبعة أيام ، فنزل بين الجبلين منتظرا لقدم المامون
وقتاله ، ولم يزل يحيى ينازع المامون وولده الرشيد الى ان قتل بفتح عبد

الله من أحواز رباط تازة ، قتله عرب المعقل غدرا ، وذلك فى يوم
الخميس الثامن والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث و ثلاثين
وستمئة (٥ يونيو سنة ١٢٣٦ م) وحمل رأسه الى الرشيد بمراكش .
فجميع دولة يحيا المعتصم ثلاثة الاف يوم ومئة يوم وسبعة وتسعون
يوما ، أولها يوم الاثنين الذى بويع فيه وأخرها يوم الاربعاء لكونه قتل
يوم الخميس التالى له ، يجب لها من السنين تسعة أعوام ، وتسعة ايام ،
كلها فتن ومزاحمة للمأمون والرشيد .

الخبر عن دولة أمير المومنين ادريس الملقب بالمامون ابن يعقوب المنصور الموحدى

هو أمير المومنين ادريس المامون ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف ،
ابن عبد المومن بن علي .
كنيته : أبو العلاء .
لقبه : المامون .
أمه : حرة اسمها صفية بنت الأمير محمد بن سعد ابن مردنيش .
صفته : كان أبيض اللون ، أكحل العينين ، معتدل القد ، مليح
الوجه ، فصيح اللسان ، فقيها حافظا لحديث النبي صلا الله عليه وسلم ،
ضابطا للرواية عارفا بالقراءات ، حسن الصوت والتلاوة ، اماما فسى
علم اللغة والعربية والمعرفة بالأاداب وأيام الناس ، كاتبا بليغا ، له
التوقيعات العجيبة ، اماما فى الحديث ، لم يزل أيام خلافته يقرأ كتاب
الموطأ وكتاب البخاري وسنن أبى داوود ، عالما بأمور الدين والدنيا ،
وكان مع ذلك شهما حازما مهابا شجاعا مقداما على عظام الأمور ،
الا أنه كان سفاكا للدماء ، لايتوقف فيها طرفة عين .
مولده : بمالقة سنة احدا وثمانين وخمسمئة .

ولي الخلافة والبلاد تضطرم نارا قد توالى عليها الخراب والفتـر والقحط والغلاء الشديد والخوف بالطرقات ، وقد تكالب العدو على أكثر بلاد المسلمين بالأندلس ، وبنو حفص قد استبدوا بأفريقية ، وبنو مرين قد دخلوا المغرب واستحوذوا على جميع بواديه وأخرجوا عليها عمالهم وحفاظهم فلم يدر ماذا يصنع فى أمره ذالك ، فأنشد متمثلا :

تكاثرت المظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

فبويع بيعته الأولا باشبيلية يوم الخميس ثانى شوال سنة أربع وعشرين وستمئة ، اجتمع عليه فى هاذه البيعة جميع بلاد الأندلس وسبـطة وطنجة من بلاد العدو ، فلما كمل له ذالك أرسل الى الموحدين الذين بمراكش ودعاهم الى بيعته والفتك بأخيه العادل ، فسارعوا لامثال أمره وقتلوا العادل وكتبوا اليه ببيعتهم وخطبوا له على منبر جامع المنصور ، ثم بدا لهم فى ذالك لأمر خافوها منه ، فنكثوا ببيعته ، وبايعوا ابن أخيه فى عشي ذالك اليوم بعيته ، فوصلته بيعة الموحدين وهو باشبيلية فأمر بها فقرئت على منابر الأندلس ، ثم أخذ فى الحركة الى حضرة مراكش دار ملكهم ، فسار حتى وصل الى الجزيرة الخضراء يريد الجواز منها ، فاتصل به أن الموحدين قد نكثوا ببيعته ، وبايعوا ابن أخيه يحيى ، فأطرق مليا ثم أنشد متمثلا بقول حسان حين قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه :

لتسمعن وشيكا فى ديارهم يالرجال الى ثارات عثمانا

ثم بعث من حينه الى ملك قشتالية يستنصره على الموحدين ويسأله أن يبعث اليه جيشا من الروم يجوز بهم الى العدو لقتال يحيى ومن معه من الموحدين ، فقال له ملك قشتالية لا أعطيك الجيش الا على شرط ان تعطيني عشرة حصون مما يلى بلادي اختارها بنفسى ، واذا من الله تعالى عليك ودخلت مراكش تبنى للنصارا الذين يسرون معك كنيسة فى وسطها يظهرون بها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم فى أوقات صلواتهم ، وان أسلم أحد من الروم لايقبل اسلامه ويرد الى اخوانه فيحكمون فيه

بحكمهم ، ومن تنصر من المسلمين فليس لأحد عليه من سبيل ، فأُسعفه في جميع ماطلب منه ، فبعث اليه جيشا كثيفا من اثني عشر ألف فارس من النصارا ، برسم الخدمة معه والجواز الى العدو ، فهو أول من جوز الروم الى العدو واستخدمهم بها ، فوصله الجيش في شهر رمضان من سنة ست وعشرين وستمئة ، فجاز الى العدو واستخلف على الأندلس وقد اختلفت عليه أحوالها ، وباع أكثر بلادها لابن هود القائم بها بشرق الأندلس ، فجاز من الجزيرة الخضراء الى سبتة وذلك في شهر ذي قعدة من سنة ست وعشرين المذكورة ، فأقام بسبتة أياما ثم خرج الى مراكش حتى قرب منها فتلقيه يحيا بجيوش الموحدين وذلك في وقت صلاة العصر من يوم السبت الخامس والعشرين لربيع الاول من سنة سبع وعشرين وستمئة ، فهزم يحيا وفر الى الجبل وقتل كثير من جيشه ودخل المامون مدينة مراكش ، فبايعه الموحدون كافة ، فصعد المنبر بجامع المنصور ، وخطب الناس ولعن المهدي ، وقال أيها الناس لاتدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالغوي المذموم ، فانه لامعصوم الا الأنبياء ، ولا مهدي الا عيسا ، وانا قد نبذنا أمره النحيس ، فلما آتا على الآخر خطبته ، قال يامعشر الموحدين لاتظنوا أني ادريس الذي تدرس دولتكم على يديه ، كلا انه سيأتي بعد ان شاء الله تعالا ، ثم نزل فكتب الى جميع بلاده ، بتغيير سير المهدي وماكان ابتدعه للموحدين وجرا عليه عملهم وسير ملوكهم وأمر باسقاط اسم المهدي من الخطبة وازالته عن الدنانير والدراهم ، ودوروا الدراهم المكنة التي ضربها المهدي ، وقال كل ماقلعه المهدي وتابعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل لابقاء البدع ، ثم دخل الى قصر بها احتجب فيه عن الناس ثلاثة أيام ، ثم خرج في اليوم الرابع فأمر بأشياخ الموحدين وأعيانهم فحضرُوا بين يديه ، فقال لهم يامعشر الموحدين انكم قد أظهرتم علينا العناد ، وأكثرتم في الأرض الفساد ، ونقضتم العهود ، وبذلتكم في حربنا المجهود ، وقتلتكم اخواننا وأعماما ، ولم ترأعوا لهم عهدا ولا ذماما ، ثم أخرج لهم كتاب بيعتهم التي كانوا له بها بعثوا ، وبين لهم عهدهم الذي نكثوا ، فوقعت الحجة على

جميعهم فبهتوا وسقط فى أيديهم ، فرد رأسه الى قاضيه المكيدى وكثر بازائه قد قدم معه من اشبيلية ، فقال له ماتراه أيها الفقيه فى هازلأء الناكثين ؟ فقال يا أمير المؤمنين ان الله تعالا يقول فى كتابه الميسر (فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما) ، قال صدق الله العظيم ، نحن نحكم فيهم بحكم الله تعالا فان من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، فأمر بقتل جميع أشياخ الموحدين وأشرافهم فقتلوا عن آخرهم ولم يبق منهم على أحد . ولم يراع والدا ولا ولدا ، حتى أنه أتى بولد أخته وهو صبي صغير ابن ثلاث عشرة سنة وكان قد حفظ القرآن ، فلما قدم ليقتل قال له يا أمير المؤمنين أعف عني لثلاث ، قال ماهي ؟ قال صغر سني ، وقرب رحمي منك وحفظى للكتاب العزيز ، فنظر الى القاضى المكيدى كالمستشير له ، فقال له القاضى كيف رأيت قوة جأش هذا الغلام واقدامه على الكلام فى هذا المقام ؟ فقال له القاضى يا أمير المؤمنين انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ، فأمر به فقتل ، ثم أمر بتعليق الرؤوس على أسوار المدينة فعلقت بدائرتها ، وكان جملةا أربعة آلاف وستمئة رأس ، وكان زمن القبط فنتنت منها المدينة ، وتأذا الناس من روائحها ، فرفع اليه ذلك فكان من جوابه أن قال هنا مجانيين وتلك الرؤوس لهم حروز ولا يصلح حالهم الا بها ، وانها لعطرة عند المحبين ومنتنة عند المبغضين ، وأنشد :

أهل الحراية والفساد من الورا	يعزون فى التشبيه للذكار
ففساده فيه الصلاح لغيره	بالقطع والتعليق فى الأشجار
فتراهم ذكرا اذا ما أبصروا	فوق الجذوع وفى ذرا الأسوار
وكذا القصاص حياة أرباب النها	والعدل مألوف بكل جوار
لوعم حلم الله سائر خلقه	ماكان أكثرهم من أهل النار

وقبض المامون على قاضى الجماعة بمراكش وهو عبد الحق بن عبد الحق فقيده ودفعه الى هلال بن حميدان بن مقدم الخلطي فحبسه حتى افتدا منه بستة آلاف دينار ، وأقام المامون بمراكش خمسة أشهر ،

ثم خرج الى الجبل ليقاقل يحيا ومن معه من الموحدين ، وذلك فى شهر رمضان المعظم من سنة سبع وعشرين المذكورة ، فالتقا معه على بلد لكافة فهزم يحيا وقتل من عسكره ومن أهل الجبل خلق كثير ، سيق من رؤوسهم الى مراکش أربعة الاف رأس .

وفى سنة ثمان وعشرين أنفذت كتب المأمون الى جميع بلاده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيها خرجت بلاد الأندلس كلها عن ملك الموحدين وملكها ابن هود القائم بها .

وفى سنة تسع وعشرين خرج على المأمون أخوه السيد عمران ابن المنصور بمدينة سبتة وتسم بالمؤيد ، فاتصل الخبر بالمأمون ، فخرج اليه فحاصره مدة فلم يقدر منه على شيء ، فلما طالبت غيبته بسبتة اغتنم يحيا الفرصة فنزل من الجبل فدخل مراکش وهدم كنيسة الروم التي بنيت بها ، وقتل كثيرا من اليهود ، وبنى فرخان (١٥٢) وسبا أموالهم ، ودخل القصر وحمل جميع ما وجد فيه الى الجبل ، فاتصل الخبر بالمأمون ، فارتحل عن سبتة مسرعا الى مراکش وذلك فى شهر ذي الحجة من السنة المذكورة ، فلما بعد عن سبتة جاز عمران الى الأندلس ، فبايع ابن هود وأعطاه سبتة فولاه ابن هود ألمرية عوضا منها فمات بها ، فوصل المأمون وهو بالطريق أن ابن هود قد تملك سبتة ، فتوالت عليه الفجائع فمرض فمات مفقوعا بوادي العبيد ، وهو قافل من حصار سبتة ، وذلك يوم الاحد منسلخ شهر ذي الحجة عام تسعة وعشرين وسنة (١٧ أكتوبر سنة ١٢٢٢ م) ، فكانت أيامه ألف يوم واحد وثمانمئة يوم وثمانية وخمسين يوما يجب لها من السنين خمسة أعوام وثلاثة أشهر ويوم واحد ، أولها الخميس وأخرها الاحد ، وكانت أيامه كلها شقية فى منازعة يحيا افترق الموحدون فيها فرقتين ، فصارت الدولة دولتين ، فكان محو دولتهم وذهاب نخوتهم على يديه ، لأنه وضع السيف فيهم حتى أقنأهم ، ولولا أن الحال فى دولته

(١52) بنى فرخان ، أى أبناء الحرام ، والمراد الساخطون على الدولة المنرصون بها ، وفرخان جمع بربرى (ايفرخان) معرب لكلمة أفروخ ، أى الفرخ ، وله معنيين فى عنابة المغرب ، فهو الشاب فى مقتبل العمر ، وهو ابن الزنا ، والمراد هنا المعنى الثانى .

تغيرت والفتن فى نواحي الأندلس والمغرب قد اشتعلت لكان المامون موافقا لوالده المنصور فى خلال ، متابعا له فى جميع الأعمال والأحوال .

الخبر عن دولة أمير المومنين عبد الواحد الرشيد

رحمه الله

هو أمير المومنين عبد الواحد بن ادريس المامون ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف الشهيد ، ابن عبد المومن المؤيد ابن علي الكرمى الموحدى .

كنيته : أبو محمد

لقبه : الرشيد

أمه : أم ولد رومية اسمها حباب كانت من دهاة النساء وعقلائهن .
بويغ له بالخلافة بوادي العبيد ثانى يوم وفاة أبيه وهو يوم الاثنين غرة محرم من سنة ثلاثين وستمئة (١٨ أكتوبر سنة ١٢٣٢ م) ، وسنه يوم بويغ أربع عشرة سنة .

أخذ له البيعة كانون بن جرمون السفينانى وشعيب اخو قاريط الهسكوري ومرقسيل قائد الروم ، لأنه لما مات المامون كتبت حباب موته وبعثت فى هاؤلاء النفر الثلاثة لأنهم كانوا عمدة عسكر المامون يركب لكل واحد منهم عشرة ألاف من اخوانه ، فلما وصلوا اليها أعلمتهم بموت أمير المومنين ورغبت منهم ولاية ولدها والقيام ببيعته ، وبذلت لهم أموالا جلييلة وجعلت لهم مع ذلك مدينة مراكش فيئا اذا غلبوا عليها ، فبايعوه وقاموا بأمره وتولوا أخذ البيعة له على من سواهم ، فبايع الناس طوعا وكرها خوفا من سيوفهم ، فلما تمت بيعته توجه الى مراكش وحمل أباه أمامه فى تابوت ، وكان يحيا قد استقر بها فسمع أهل مراكش بما شرطته حباب للرومى والقواد من نهب المدينة ، فخرجوا مع يحيا لقتال

الرشيد ، فالتقا الجمعان فهزم يحيى وأتا الرشيد حتى وقف بباب المدينة شتخصن منه أهلها وغلقتوا الأبواب فأمنهم وبعث الى القائد الرومى وأصحابه قيمة فيء مراكش فقبضوه منه ، فيقال انه دفع لهم فى ذلك خمسئة ؟ دينار ، ودخل الرشيد مدينة مراكش ، فلم يزل بها الى سنة ثلاث وثلثين وستمئة فاستدعا أشياخ الخلط فدخلوا عليه فقتل منهم خمسة وعشرين أميرا فى قصره ، فقامت عليه الخلط ودخلوا لمراكش فنهبوها ، وفر الرشيد عنها بجيش الروم الى سجلماسة ، وبعث الخلط الى يحيى فبايعوه وأدخلوه لمراكش ، فأقام بها الى ان قوي الرشيد وجمع الجيوش والاموال ، فخرج من سجلماسة حتى وصل مدينة فاس ، فأقام بها أياما وفرق فى فقهاءها وصلحائها أموالا ورباعا كثيرة من ربايع مختصها وارتحل الى مراكش فتلقيه يحيى بجيش العرب والموحدين فهزمه الرشيد وقتل خلقا كثيرا من عسكره ، وفر يحيى قاصدا رباط تازة ، فغدر به عرب المعقل فقتلوه غيلة قبل ان يصل اليها ، وحملوا رأسه الى الرشيد ، ودخل الرشيد لمراكش ، فأقام بها الى أن توفي رحمه الله غريقا فى صهريج ، وذلك يوم الخميس تاسع جمادا الأخيرة سنة أربعين وستمئة (٤ دجنبر سنة ١٢٤٢ م) فمدته ثلاثة آلاف يوم وسبعمة يوم ، يجب لها من السنين عشرة أعوام وخمسة أشهر وتسعة أيام ، زاحمه يحيى منها فى سنتين وتسعة أشهر .

وفى رمضان المعظم من سنة خمس وثلثين بايع أهل اشبيلية الرشيد، وفى شوال التالى له بايعه أهل سبتة ، وكان بالعدوة والأندلس فى هاهه المدة غلاء شديد وباء مفرط هرب فيها أكثر أهل البلاد ووصل قفيز القمح فيها ثلاثين دينارا .

الخبر عن دولة أمير المومنين علي السعيد

رحمه الله تعالى

هو أمير المومنين علي بن ادريس بن يعقوب المنصور ابن يوسف
ابن عبد المومن بن علي الكومى .

• أمه أم ولد نوبية .

• كنيته أبو الحسن .

• لقبه السعيد ، وسمي بالمعتصم بالله .

صفته أسمر اللون شديد السمرة ، تام القد ، معتدل الجسم ،
سبط الشعر ، مليح العينين ، معتدل اللحية ، عالى المهمة ، بطل شجاع
مهاب له اقدام فى الحروب ونجدة فاق بها من تقدمه من أباائه .

بويع له بالخلافة ثانى يوم وفاة أخيه الرشيد بحضرة مراكش ،
وذلك يوم الجمعة عاشر جمادا الأخيرة سنة أربعين وستمئة (٥ دجنبر
سنة ١٢٤٢ م) ، وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء منسلخ صفر سنة ست
وأربعين وستمئة (٢٣ يونيو سنة ١٢٤٨ م) وهو محاصر ليغمراسن بن
زيان العبد الوادي بقلعة تامجزرت من أحواز تلمسان ، فكانت أيام خلافته
ألفي يوم اثنين وثمانية وعشرين يوما ، وبويع السعيد بمراكش وقد ظهر
أمر بنى مرين بالمغرب وملكوا جميع بواديه ، فأخذ يبعث اليهم بالجيوش
فيهزمونها ، فلما كان فى سنة ثلاث وأربعين اتصل به أن الامير أبابكر
ابن عبد الحق قد دخل مدينة مكناسة ، وأن يغمراسن بن زيان قد ملك
تلمسان واحوازا ، وان محمد المستنصر والي أفريقية قد تسما بأمر
المومنين خلافا لما كان عليه أباؤه واحتقارا لدولة السعيد ، فأخذ فى
الحركة الى غزوهم ، فخرج من حضرة مراكش فى جيوش لاتحصا من
الموحدين ومن العرب والروم ، فسار حتى وصل الى وادي بهت ، فلما نزل
به واتصل خبره بالأمير أبى بكر بن عبد الحق خرج له عن مكناسة

وأسلمها له ، وسار الى قلعة تازوطة من بلاد الريف ، واجتمع اليه جميع قبائل بنى مرين هنالك ، ووصل أمير المؤمنين علي السعيد الى مكناسة ، فخرج اليه أهلها يطلبون منه العفو ، وقدموا بين أيديهم الشيخ الصالح أبا علي منصور ابن حرزوز والصبيان من المكاتب بالألواح على رؤوسهم والمصاحف بأيديهم فعفا عنهم ، وارتحل الى مدينة فاس ، فنزل بظاهرها من ناحية القبلة ، فأقام هنالك أياما حتى وصلته بيعة الأمير أبى بكر ابن عبد الحق فسر بها وخلع على القوم الذين أتوا بها ووصلهم بأموال جليلة ، وكتب له بالذولية على جميع بلاد الريف والقلاع ، ثم ارتحل عن مدينة فاس فى الرابع عشر من المحرم سنة ست وأربعين وستمئة ، وخسف بالقمر كله فى تلك الليلة ، فأصبح السعيد فى ذلك اليوم مرتحلا ، فلما ركب انكسر لواؤه المنصور ، فتطير به ورجع ولم يرتحل ، فأقام النسي اليوم السادس عشر من المحرم المذكور ، فارتحل الى تلمسان ، وبها يغمراسن بن زيان القائم بها ، فخرج عنها يغمراسن فارا بماله وأهله الى قلعة تامجزرت ، فتحصن بها وأسلم له تلمسان ، فتبعه السعيد حتى نزل على القلعة المذكورة ، فحاصره بها ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع ركب مستخفيا فى وقت الهاجرة وخرج مع وزيره على حين غفلة من الناس لينظر الى القلعة ومنعتها وكيف تكون المحاولة فى قتالها والتمكن منها ، فلما توسط من الجبل بمكان وعبر بصر به فارس من بنى عبد الوادى يعرف بيوسف الشيطان كان يحرس ، فسار اليه هو ويغمراسن بن زيان ويعقوب ابن جابر العبد الوادى فخرجوا عليه من مخدع من الجبل فضربه يوسف الشيطان فقتله وقتل يعقوب ابن جابر وزيره وفر الرجال انذين كانوا معه الى المحلة فأخبروا بموته ، فارتحلت المحلة وأخذ أهلها فى الفرار ، وهبط يغمراسن فى بنى عبد الوادى من القلعة ، فاحتوا على جميع المحلة ، وأخذ ما فيها من الأموال والسلاح والكراع والعيال والطبول والبسنود والأخبية والقباب ، وأمر يغمراسن بالسعيد فغسل وكفن وحمل فدفن بالعباد من خارج مدينة تلمسان .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين عمر المرتضا

هو أمير المؤمنين عمر ابن السيد اسحاق ابن أمير المؤمنين يوسف
ابن عبد المومن بن علي الكومي الموحيدي

كنيته أبو حفص

لقبه المرتضا

أمه حرة بنت عم أبيه

ولي بعد وفاة السعيد باجماع ممن بقي بمراكش من أشيـاخ
الموحيدين فأخذوا له البيعة بجامع المنصور من حضرة مراكش وذلك
يوم الاربعاء غرة ربيع الأول من سنة ست وأربعين وستمئة (٢٤ يونيو
سنة ١٢٤٨ م) قاله ابن رشيـق في ميزان العلم ، وهذا وهم منه فان
السعيد توفي يوم الثلاثاء منسلخ صفر ولا يمكن أن يصل الخبر بموته
من تلمسان الى مراكش في ليلة واحدة والصحيح أنه كانت بين موت
السعيد وبيعة المرتضا أيام مهلة نحو العشرة أيام وحينئذ عقدت له
البيعة بجامع المنصور وكتب له بها في الثاني عشر من ربيع الأول
(الاحد ٥ يوليو) المذكور وكان المرتضا واليا للسعيد بقصبة رباط
الفتح تركه هنالك حين توجه الى تلمسان فوصلته البيعة وهو بها
فأمر بها فقرئت على الناس فبايعه جميع من حضره من الموحيدين
والفقهـاء والأشـيـاخ ثم ارتحل الى مراكش فدخلها وجددت له البيعة بها
واستقام له أمرها ومـلك جميع أحوازها من مدينة سلا الى السوس
فأقام بها الى سنة ثلاث وخمسين وستمئة فخرج برسم غزو مدينة فاس
وقـتـال من بها من بنى مـرين والعرب والأغـزـاز والأندلس والروم فسار
حتى نزل بجبل بنى بهلول من قبلة مدينة فاس وكان خوف بنى مـرين
قد خامر قلوب أهل محـلته فكانوا منذ قربوا من أحواز مدينة فاس
لا يـرقدون ليلا ، فانطلق فرس لبعض الأجناد فجرا بين الأخبية وجرا الناس
في أثره ليأخذوه ، فظن أهل المحلة ان بنى مـرين ضربوا بها ، فركب الناس

وماج بعضهم فى بعض ، وفروا منهزمين لايلوي أحد على أحد ، واتصل خبرهم بالأمير أبى بكر فخرج من مدينة فاس واحتوا على جميع ما فى المحلة من الأموال والسلاح والأخبية ، وسار المرتضا الى مراكش مهزوما فى نفر يسير من الروم والأشياخ ، فأقام بها الى ان دخلها عليه أبو دبوس وذلك يوم السبت الثانى والعشرين لمحرمة سنة خمس وستين وستمئة (٢٢ أكتوبر سنة ١٢٦٦ م) ، فخرج فارا بنفسه ، فظفر به وقتل فى الثانى والعشرين لصفر التالى له ، حكاه جملة من الناس من الذين شاهدوا ذلك ، فكانت أيامه فى ملكه سنة ١١ الف يوم وستمئة يوم وستة وتسعين يوما ، يجب لها من السنين ثمانية عشر سنة وعشرة أشهر واثنان وعشرون يوما ، وكان المرتضا يدعى الزهد والتصوف والورع ، وتسميا بثالث العمرين ، وكان مولعا بالسماع لا يكاد يستغنى عنه ليلا ولا نهارا ! وكانت أيامه أيام أمن ودعة ورخاء مفرط لم ير أهل مراكش مث لها ، والبقاء لله وحده .

الخبر عن دولة ادريس الملقب بأبى دبوس

آخر ملوك بنى عبد المومن رحمهم الله

هو أبى العلاء ، ادريس ابن السيد محمد ابن السيد عمر ابن أمير المومنين عبد المومن بن علي ، تسميا بأمر المومنين وتلقب بالواثق بالله .
أمه أم ولد رومية اسمها شمس .

صفته : أبيض اللون ، أشقر ، أزرق ، طويل القامة ، طويل اللحية ، بطل شجاع داهية مقدام فى الأمور ، دخل مدينة مراكش على عمر المرتضا غدرا ففر أمامه فملكها وبويع له بها بجامع المنصور ، بايع له كافة الموحدنين والأشياخ والوزراء والقضاة والفقهاء وأشياخ العرب وأشياخ المصامدة ، وذلك يوم الأحد الثالث والعشرين لمحرمة سنة خمس وستين وستمئة ثانى يوم دخوله المدينة (٢٤ أكتوبر سنة ١٢٦٦ م) وكان سبب

تملكه لمراكش أن المرتضا أراد قتله لأشياء رفعت له عنه ، فشعر أبو دبوس بذلك فخرج عن مراكش فارا بنفسه ، فوصل الى أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق المرينى مستنجرا به ، فالفاه بمدينة فاس ، فأقبل عليه وبالح في اكرامه ، فطلب منه الاعانة على حرب المرتضا وضمن له أخذ مراكش ، فأعطاه أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق جيشا من ثلاثة آلاف فارس من قبائل بنى مرين ، وأعطاه جنودا وطبولا ، وعشرين ألف دينار برسم النفقة ، وكتب له الى عرب جشم أن يكونوا معه يدا واحدة . وشرط له أبو دبوس أن يعطيه نصف ما يغلب عليه من البلاد ، فأنصرف أبو دبوس بجيشه ونشر بنوده وضرب طبوله ، فوصل الى مدينة سلا ، فكتب منها الى أشياخ المرتضا يدعوهم الى بيعته ويعددهم ويمينهم ، فتلقته وفود العرب والهساكرة ، وكتب الى خاصته من وزراء المرتضا أن يعلموه بأخبار مراكش فراجعوه أن أسرع السير وأقبل ولا تخش فإن الجند قد فرقناهم فى أطراف البلاد ، وهذا وقت انتهاز الفرصة قد أمكنك وقتها ، فأسرا أبو دبوس من تلك الليلة فأصبح على مراكش ، فدخلها من باب الصالحة على حين غفلة من أهلها ، وذلك يوم السبت وقت الضحا فى اليوم الثانى والعشرين لحرم عام خمسة وستين وستمئة ، فسار حتى وقف بباب البنود من قصبته ، فغلقت الأبواب فى وجهه ووقف عليها عبيد المخزن يقاقلونه ، فلما رأى المرتضا أن المدينة قد شركت معه خرج من القصر على باب الفاتحة فارا بنفسه ودخل أبو دبوس وبويع ، فاستقام له الأمر ، وسار المرتضا الى مدينة أزموور ، وكان بها صهره ابن عطوش واليا له عليها ، وكان قد أسر ، فافتكه المرتضا بمال جسيم وزوجه ابنته وولاه أزموور ، فلما فر عن مراكش قصد اليه ووثق به وبمناصحته ، فأخذه ابن عطوش وأوثقه فى الحديد ، وكتب الى أبى دبوس يقول له اعلم يا أمير المومنين أنى قد قبضت على الشقي وأوثقته فى الحديد ، فبعث فى محمل وقتل فى الطريق ، واشتغل أبو دبوس بملك مراكش وانحائها ، واتصل الخبر بأمر المسلمين يعقوب بن عبد الحق فكتب اليه يهنئه بالفتح ويطلب منه أن يمكنه بمأشرط له وذلك نصف

البلاد التي غلب عليها ، فلما وصله الكتاب أدركه الكبر ودخله الاعجاب وكفر بما أسداه اليه من نعمة ، وجد أياديه القديمة ومنته ، وقال لرسوله قل ليعقوب بن عبد الحق يغتنم سلامته ، ويقنع بما بيده من البلاد ، والا أدتيه بجنود لاقيل له بها ، فلما وصل الرسول الى أمير المسلمين يعقوب أبلغه مقاله ودفع اليه كتابه ، فاذا هو يخاطبه فيه مخاطبة الخلفاء الى عمالهم والرؤساء الى خدامهم ، فتحقق أمير المسلمين نكته وغدره على ماوقع عليه الاتفاق بينهما ، فخرج الى غزوه قلم يزل يشن الغارات على بلاده ويجهز الجيوش الى محاربته الى سنة سبع وستين ، فسار أمير المسلمين بجيوش بنى مرين ، فالتقا معه أبو دبوس ببلاد دكالة ، وكانت بينهم حروب شديدة باشر فيها أبو دبوس الحروب بنفسه ، فقتل وهزم عسكريه وانتهبت ملحته ، وأتي برأسه الى أمير المؤمنين يعقوب ، فأمر به فحمل الى مدينة فاس فطيف به فى أسواق المدينة .

وكان قتل أبى دبوس وانقراض دولته يوم الجمعة منسلخ شهر ذي حجة من سنة سبع وستين وستمئة (٣٠ غشت سنة ١٢٦٩ م) فكانت أيامه ألف يوم واحدة واثنين وأربعين يوما ، يجب لها من السنين سنتان اثنتان وأحد عشر شهرا وسبعة أيام ، وانقضت بموته الدولة الموحدية المومنية ، والملك والبقاء لله وحده الذي له الأمر من قبل ومن بعد ، لارب غيره ، ولا معبود سواه ، وهو الذي يرث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

وكانت أيام ملكهم من يوم بويح المهدي سنة خمس عشرة وخمسمئة الى أن قتل أبو دبوس فى منسلخ سبع وستين وستمئة ، مئة سنة واحدة واثنين وخمسين سنة وعدد ملوكهم أربعة عشر ملكا .

الخبر عن الاحداث التى كانت فى أيامهم من اولها إلى اخرها

أول حدث كان فى سنة خمس عشرة وخمسمئة قيام المهدي وبيعه
وظهور الموحدين ، فانه لم يزل أمرهم يظهر فى تلك السنة وسلطانهم يقر
وفى سنة أربع وعشرين توفي المهدي وبايع الموحدون عبد المومن
ابن علي .

وفى سنة ثمان وعشرين فتح عبد المومن درعة وتادلة ومدينة سلا
وبلاد تازة ، وفيها تسما أمير المومنين .

وفى سنة تسع وعشرين وخمسمئة أمر عبد المومن ببناء مدينة
رباط تازة فبنيت وحسن سورها .

وفى سنة تسع (١٥٢) وثلاثين وخمسمئة ملك الموحدون شريش وخطب
لهم بها .

وفيها قام ابن زريق وابن حمدين قاضى قرطبة على المرابطين
فأخرجوهم عن قرطبة .

وفيها جاز جيش الموحدين الى الأندلس وملكوا مدينة طريف والجزيرة
الخضراء ، وهرب عنها المرابطون .

وفى سنة أربعين هدم علي بن عيسا بن ميمون اللمتونى صنم قادس
وفيها ملك الموحدون مالقة .

وفيها نازل العدو المرية بثمانين جفنا ، فأحرق أرباضها وانصرف عنها

(153) فى الأصل وفى سنة سبع وهو غلط ، فان الموحدين لم يملكوا شريشا ولم يرسلوا
جيشاً الى الأندلس الا بعد موت تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين بوهراة وفتح عبد المومن
لتلمسان وكان ذلك بعد يوم 27 رمضان من عام 539 هـ (23 مارس سنة 1145 م) انظر ص ٥7 :
التقدمة وما بعدها ، يؤيد ذلك أن ابن أبى زرع يجعل تملك الموحدين لشريش وثورة ابن حمدين
قاضى قرطبة فى سنة واحدة ، ومن المعلوم أن أبا جعفر حمدين بن محمد بن علي ابن حمدين بويج
بالأماة فى المسجد الجامع بقرطبة يوم 5 رمضان سنة 539 هـ .

وفيهما فتح عبد المومن مدينة فاس ومدينة تلمسان ووهران وأحواز
ذلك كله ، وفيها بايعه أهل اشبيلية وأخرجوا عنها المرابطين .
وفيهما أمر عبد المومن ببناء سور تآكرارت (١٥٤) من تلمسان
وتحصينها وبناء جامعها .
وفى سنة احدا وأربعين فتح عبد المومن مدينة مراكش وأغمات وبلاد
دكالة .
وفيهما فتح مدينة طنجة وقتل من بها من المرابطين وانقرضت دولتهم
من جميع المغرب والأندلس .
وفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة فتح عبد المومن سجلماسة وسبتة ،
وفيهما غزا برغواطة ، وفى الآخرها قام أهل سبتة على الموحدين وقتلوا
عمالهم وحرقوهم بالنار .
وفيهما فتح الموحدون قرطبة وقرمونه وجيان ، وملك الروم المهديّة (١٥٥)
من بلاد أفريقية ، وملكوا من بلاد الأندلس مدينة أشبونة وألمرية وطرطوشة
وماردة واقراغة وشنترين وشنترية ، ملكوا ذلك كله على يد رذريق
لعنه الله .
وفيهما أعطى يحيى ابن غانية مدينة أبدة وبياسة وماوالاهما من
الحصون الى النصارى فملكوها .
وفى سنة خمس وأربعين فتح الموحدون مدينة مكناسة فدخلت عنوة
بالمسيح بعد حصار سبعة أعوام وقتل أكثر رجالها وأخذت أموالهم وسبي
حريمهم ، وذلك يوم الاربعاء الثالث لجمادى الاولى منها .
وفيهما بنيت مكناسة تآكرارت المدينة الآن وخربت القديمة .

(154) اسم الأحياء العليا من تلمسان ، أما الأحياء السفلى فاسمها أكدير ، والاوّل من بناء
المرابطين ، وتآكرارت معناها الرباط بلغة صنهاجة .

(155) فى الأصل وفى سنة أربع وأربعين وخمسمئة ملك الروم المهديّة النخ وهو خطأ ،
فان استيلاء أمير البحر جورجى الأنطاكى قائد أسطول زوجار الثانى ملك صقلية على المهديّة وقع
يوم 2 صفر سنة 543 هـ (22 يونيو سنة 1148 م) انظر ص 197 المتقدمة .

- وفيها أمر عبد المومن بجلب ماء عين غبولة الى سلا فجلبها .
- وفي سنة ست وأربعين وخمسمئة فتح عبد المومن جبال ونشريس ومليانة وجزائر بنى مزغنة وبجاية .
- وفي سنة سبع وأربعين وخمسمئة فتح عبد المومن مدينة بونة وقسنطينة وبلد العناب (١٥٦) والجريد بأسره وجميع بلاد أفريقية .
- وفيها انتزع الموحدون المرية (١٥٧) وأبذة وبياسة من أيدي الروم وملكها المسلمون .
- وفي سنة تسع وأربعين ملك الموحدون لبلة من بلاد الأندلس ، فتحوها عنوة وقتلوا جميع رجالها وسبوا حريمها وأموالها فكان بها الحادث الأعظم .
- وفي سنة خمسين وخمسمئة ملك الموحدون غرناطة ، ثم غدر بهم أهلها فقتلوه .
- وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمئة فتحوها ثانية بعد حصار شديد
- وفي سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة فتح عبد المومن مدينة تونس وسوسة وقفصة والقيروان وصفاقس وطرابلس المغرب (١٥٨) .
- وفي سنة خمس وخمسين وخمسمئة فتح المهدي وانتزعها من أيدي الروم .
- وفيها أمر عبد المومن ببناء حصن جبل الفتح فبنى .
- وفي سنة ثمان وخمسين توفي عبد المومن وولي ولده يوسف .
- وفي سنة تسع وخمسين قام مرزدغ ببلاد غمارة .

156) بلد العناب وبونة شيء واحد ، إلا أن يكون مراده ببلد العناب حوز عنابة التي هي بونة نفسها .

157) يجعل المؤلف هنا اسنرجع المرية في سنة 547 وجعله فيما تقدم (ص 194) في سنة 546 والحقيقة أن فتحها وقع في أواخر عام 552 هـ (أواخر 1157 م) بعد استيلاء الموحدون على غرناطة .

158) تقدم له (ص 148) أن فتح تونس كان في جباد الأول من عام 554 هـ .

وفي سنة تسع وخمسين المذكورة (١٥٩) في آخر شعبان منها (الأربعاء ٢٢ يوليو سنة ٨١٦٤م) توفي الشيخ الفقيه الصالح الفاضل علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله ابن حرزهم بن زيان بن يوسف بن شومران ابن جفص بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان رضي الله عنه فدفن بخارج باب الفتوح من أبواب مدينة فاس وكان فقيها حافظا زاهدا في الدنيا متصوفا ذكر عنه خديمه المعروف بأبي قرن قال دعا لى الشيخ علي ابن حرزهم بالعفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة وقال ان رب العزة أمني انى رأيت في النوم فقال لى سل حاجتك فقلت يارب العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، فقال قد فعلت ولذلك دعوت لك بهذا الدعاء ، ولما دخل شعبان الذي توفي فيه قال لتلاميذه انى لأصوم مع الناس شهر رمضان المعظم المستقبل ، وهو صحيح ليس به ألم فعجبوا من مقالته فلم يبق الا ثلاثة أيام من شعبان فمات في آخر يوم من شعبان قبل دخول رمضان عليه ، ولما كان اليوم الذي توفي فيه تطهر وتوضأ وتطيب وقال لخدمته لم يبق لكم من خدمتي الا اليوم ثم دخل الى بيته فصلا ركعتين ونام على فراشه فلما حان وقت صلاة الظهر أتاه خديمه يوقظه للصلاة فرجده ميتا رضي الله تعالى عنه ونفعنا به

وفي سنة ستين كانت غزوة الجلاب قتل فيها خلق كبير من الروم وفي سنة احدا وستين (١٦٠) توفي الشيخ الفقيه الصالح أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي المعروف بالسارية اذا وقف في صلاته يطيل

159) في الأصل وفي سنة تسع وستين وخمسة وانصوب ان ابن حرزهم توفي قبل ذلك بعشرة أعوام وقد نقلنا الفقرة كلها من مكانها الأصلي وأثبتناها في المكان الذي ينضيه التسلسل التاريخي ينظر عن ابن حرزهم التشوف ع 51 ونيل الابتهاج ص 182 وجنوة الاقتباس من 293 وستوة الأنفاس 3 71

160) في الأصل وفي سنة سبع وخمسة توفي الشيخ الفقيه الخ والصواب ان وفاة أبي شعيب أيوب الصنهاجي دفين أزمور كانت يوم الثلاثاء ١٥ ربيع الثاني عام 561 هـ وقد نقلنا الفقرة من مكانها الأصلي وحولناها الى مكانها الجديد الذي يقتضيه التسلسل التاريخي ينظر عن أبي شعيب التشوف ع 62

القيام ، ولذلك سمي بالسارية ، ويقال انه كان من الأبدال ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الثانى من سنة سبعين المذكورة .
وفى سنة أربع وستين وخمسمئة توفى الشيخ الفقيه الصالح عثمان ابن عبد الله السلالجي الأصولي صاحب البرهانية وامام أهل المغرب فى علوم الاعتقاد (١٦١) .

وفيهما كان السيل العظيم باشبيلية .
وفى سنة ست وستين وخمسمئة أمر أمير المومنين يوسف ببناء قنطرة تانسيفت قبنيات .

وفى سنة سبع وستين وخمسمئة أمر أمير المومنين بعقد الجسر على وادي اشبيلية فعقد على القوارب .

وفيهما بنا قسبة اشبيلية ، وبنيت الزلايق لسورها .
وفيهما مات محمد بن سعد ابن مردنيش صاحب بلاد شرق الأندلس ، وملك الموحدون بلانسية وشاطبة ودانية وجميع عمله .

وفى سنة ثمانية وستين وخمسمئة فى ثانى عشر شوال منها كان زلزال عظيم هائل لم ير الناس مثله ، عمت الزلزلة أكثر بلاد الشام والموصل وبلاد الجزيرة والعراق ، واشد ماكانت بالشام ، هدمت كثيرا من دمشق وبلبك وحمص وحماة وسهرورد ، وحلب تهدمت أسوارها وقلاعها وسقطت الدور على أهلها ، وهلك فيها من الناس ما يخرج عن الحد ولا يحصيه عد نعوذ بالله من سخطه ونلجأ اليه من أليم نقمه ، وتهدمت أسوار تلك المدن وخرب جلها ، وكان بمدينة حلب من اثر الزلزلة مائيس بغيرها من البلاد ، حتى فر أهلها عنها الى البرية ، وكانوا لايقدررون أن يأووا الى مساكنهم خوفا من الزلزلة ، وبنا نور الدين بن ايوب جميع الأسوار التي هدمتها الزلزلة ، وبنا المعقل خوفا على

(١٦١) ينظر عنه ذكريات مشاهير المغرب للاستاذ عبد الله كنون الحسنى ع II والتشوف

ع 69 وجدوة الاقتباس ص 289 وسلوة الأنفاس 2 : 183 .

المسلمين من الافرنج أن يفجؤوهم .

وفيها هزم سانشو خيمينو (أبو بردعة النصراني) وقتل وجميع جيشه على يد الموحدين .

وفى سنة احدا وسبعين وخمسمئة كان الطاعون الشديد بمراكش وأحوازاها ، وكان الناس يموتون فيه من غير مرض ، فكان الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه فى برااة ويجعلها فى جيبه ، فان مات حمل الى موضعه وأهله ، وانتهى عدد الأموات بمراكش الى ألف وسبعمئة رجل .

وفيها كان الغلاء العظيم بالمغرب .

وفى سنة اثنتين وسبعين توفي الفقيه القاضي أبو يوسف حجاج .
وفيها عتب أمير المؤمنين على أخيه الحسن فكتب اليه الحسن بهاذه الابيات :

اذا نحن اذنبنا فعفوك نطلب	وان نحن قصرنا فما عنك مهرب
حنانك قد عودتنا منك رحمة	وأنت لنا فى كل حالنا الاب
ولم ن تعود قبل حالة ذلة	ولا حذرا مما يقول المحبب

فلما وقف على ابليات رضى عنه وولاه قرطبة .

وفى شوال منها توفي قطب دهره ، وأعجوبة عصره ، أبو يعززا يلنور بن ميمون بن عبد الله اليزميري (١٦٢) وقيل هو من بنى صبيح من هسكرة ، مات وقد نيف على المئة وثلاثين سنة ، أقام عنها عشرين سنة سائحا فى الجبال المشرفة على تينمل ، ثم ارتحل الى السواحل فأقام بها منقطعا ثمانى عشرة سنة لايتعيش الا من نبات الأرض ، وكان أسود كبدي اللون طويلا رقيقا يلبس برنسا مرقعا وشاشية عزف على رأسه .

وفى سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة توفي الشيخ الفقيه العالم المشاور

(162) ينظر عن الشيخ أبى يعززا كتاب المعزا ، فى مناقب الشيخ أبى يعززا لأحمد الصومعى الهارونى ، والتشوف ع 77 .

عبد الله ابن المالقى شيخ طلبة الحضر فى وقته ، وكانت وفاته فى ذي الحجة منها ، وشهد جنازته أمير المؤمنين يوسف .

وفى سنة ثمان وسبعين توفى الشيخ الفقيه القاضى الصالح الورع عيسا بن عمران تاضى الجماعة بمدينة مراكش ، وولى مكانه أحمد ابن مضى القرطبي ، وكان القاضى عيسا أحد الأجواد من أهل السخاء والكرم ، وله نكت رائقة ، كتب الى ولد له بمدينة فاس قد راهق الحلم : الى ولدي فلان هداه الله وصانه ، وجمله بالعلم والتقوا وزانه ، كتبت اليكم عن اشتياق كثير ، وبمشيئة الله تعالا تتسير الأمور ، ويتكاثر السرور ، وإذا وجدتكم على ما أحبه من أدوات الحفظ والأداء ، والتزام أدب العقلاء ، جازيتكم بما يرضيكم ، وبما يزيد على أقصا تمنيتكم ، وقد أجمعت الأمة على ان الراحة ، لاتنال بالراحة ، وان العلم ، لاينال براحة الجسم ، فادرس ترؤس ، واحفظ تحفظ ، واقرا ترقا ، ومهما ركنت الى المدعة ، كنت فى أهل الضعة ، وما رأيت الناس مجتمعين على حمده فاجتلبه ، وما رأيتهم مجتمعين على ذمه فاجتنبه ، والأعدل الأقسط ، أن تسلك السبيل الأوسط .

وما المرء الا حيث يجعل نفسه ففى صالح الأعمال نفسك فاجعل

وفى هذه السنة فتح المسلمون مدينة شنتفيلة ومدينة اقليم وقاتل من بهما من الروم وسبيت نسائهم وأموالهم .

وفىها توفى الشيخ أبو خزر يخلف بن خزر الأوربى (١٦٣) من أهل مدينة فاس ، وكان أحد الفضلاء والعلماء الحفاظ الموصوفين بالسور والتواضع واجابة الدعاء .

وفى سنة ثمانين وخمسمئة توفى أمير المؤمنين يوسف وولى ولده

(163) هو غير أبى خزر يخلف بن خزر الأوربى المتقدم فى ص 225 ، هذا يجعل المؤلف وفاته سنة 578 والآخر عقد له يعقوب المنصور على المطوعة فى معركة الأراك التى وقعت سنة 591 هـ وأميل الى الاعتقاد أن الشخصين شخص واحد ، وأن ابن أبى زرع حصل له غلط بشأن وفاته مثلما حصل له ذلك فى وفيات غيره ووقع فى الغلط جميع من نقلوا عنه ، ينظر عن أبى خزر يخلف الأوربى التشوف ع 55 وسلوة الانفاس 2 : 49 ونيل الابتهاج ص 394 .

يعقوب المنصور .

وفيهما دخل علي ابن غانية المعروف بالميورقي مدينة بجاية ، وذلك يوم الجمعة السادس من شعبان منها (١٣ نونبر سنة ١١٨٤ م) والناس في الصلاة ، وكانت أبواب المدن قبل ذلك لاتسد يوم الجمعة ، فارتقب الناس حتى أحرموا للجمعة ، فدخل عليهم المدينة وقصد الجامع الكبير ، فأدار به الخيل والرجال ، فمن بايعه خلا سبيله ، ومن توقف عن بيعته قتل فأقام بها سبعة أشهر ثم استرجعت من يده ، ومن ذلك اليوم أحدث الناس سد أبواب المدن يوم الجمعة في وقت الصلاة .

وفيهما توفي الشيخ الصالح المتقشف أبو عبد الله التاودي المعلم لكتاب الله العزيز بمدينة فاس ودفن بخارج باب الكيسة .

وفي سنة خمس وثمانين جلب المنصور الماء الى مراكش .

وفي سنة ست وثمانين وخمسمئة دخل النصارا مدينة شلب وباجة ويابورة من بلاد غرب الأندلس .

وفي سنة سبع وثمانين فتح المسلمون قصر أبي دانس .

وفي سنة احدا وتسعين هزم النصارا في غزاة الاراك وقتل منهم ألوف كثيرة .

وفي سنة ثلاث وتسعين بني رباط الفتح وتم سورره وركبت أبوابه ، وفيها بني جامع حسان ومناره ، وفيها بني منار جامع اشبيلية ومنار جامع الكتبيين من مراكش .

وفيهما تمت قصبة مراكش وجامعها بالبناء ، وفيها توفي الشيخ الصالح الفقيه العالم أبو عبد الله بن معطى .

وفي سنة أربع وتسعين وخمسمئة (١٦٤) توفي الشيخ الصالح قطب زمانه

(164) جعل المؤلف وفاة أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الاشبيلي التلمساني سنة 584 ونصواب أنها كانت بعد ذلك بعشرة أعوام ، وقد نقلت الفقرة من مكانها الأصلي الى مكانها الجديد الذي يقتضيه التسلسل التاريخي وتجدر الإشارة الى أن ابن أبي زرع أضاف في آخر

أبو مدين شعيب ابن الحسين الأنصاري ، وأصله من قطنيانة من عمل
أشبيلية ، توفي بتلمسان ودفن بجبل العباد ، وكان مقامه التوكل ، سمع
(رعاية المحاسبي) على علي ابن حرزهم ، وسمع كتاب السنن لأبي عيسا
الترمذى على علي ابن غالب ، وأخذ التصوف عن أبي عبد الله الدقاق ،
والآخر ماسمع من كلامه عند الموت : الله تعالا الحي القيوم الدائم .

وفى سنة خمس وتسعين وخمسمئة توفي المنصور وولي بعده الناصر
وفيهما توفي الشيخ الصالح الفقيه العالم محمد بن ابراهيم المهدي
صاحب كتاب الهداية ، نزل فاسا وبها توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين
لجمادى الأولى من السنة المذكورة ، كان من أهل الفضل والعلم والعمل
والزهد فى الدنيا ، دخل مدينة فاس بأربعين ألف دينار أنفقها كلها فى
سبيل الخير حتى لم يبق له الا دار سكناه ، فباعها وأمتعته المشتري فيها
الى ان مات ، أقام بجامع القرويين مستقبل القبلة نحو الأربعين سنة لم
تفته صلاة فى جماعة يوما واحدا ، وأصابته اهل مدينة فاس مجاعة كان
عنده فيها الف وسق من قمح قباعه كله من أهل الضعف بوثائق وأخرهم
بالثمن الى أجل ، فلما حل الأجل استدعاهم فحضرُوا فى منزله فحل
الوثنائق فى الماء وقال لهم أنتم من ذالك فى حل ، فانى مايعت الا من
الله تعالا .

وفيهما توفي الشيخ الفقيه محمد بن علي بن عبد الكريم الفدلاوي
المعروف بأبن الكتانى (١٦٥) من أهل مدينة فاس ، كانت وفاته فى العشر الأواسط
من ذي الحجة منها ودفن بخارج باب الجيسة من أبواب مدينة فاس ،
وشهد أمير المومنين جنازته ، وكان رحمه الله من أئمة المغرب فى العلم ،

المقرة قوله (وقيل انه توفي فى سنة 596) وهو أيضاً قول غير صحيح ، لأن الذى استدعا أبا
مدين من بجاية الى مراكش هو الخليفة يعقوب المنصور لا ولده محمد الناصر ، وقد كانت وفاة
يعقوب المنصور سنة 595 هـ .

ينظر عن أبى مدين كتاب أنسى الفقير وعز الحفير لأحمد ابن فنفذ القسنطينى .
١65) صاحب كتاب المستفاد ، ينظر عنه التشوف ع ١69 وجذوة الاقتباس ص 137
وسلوة الأنفاس 3 : 173 .

مقدما فى فنونه ، زاهدا فى الدنيا معرضا عنها مقبلا على الآخرة ، لزم
العبادة والصوم والمجاهدة حتى لم يبق منه الا رسمه ، وهو القائل :

وما أبقا الهوا والشوق منى سوى نفس تردد فى خيال
خفيت عن المنية أن ترانسى كان الروح منى فى محال

وفى سنة ثمان وتسعين وخمسمئة توفي الشيخ الفقيه الصالح الورع
امام القرويين أبو محمد يسكر الجورائى الغفجومى (١٦٦) وذلك فى ضاحا
يوم السبت الحادى عشر لذي قعدة من العام المذكور ، نشأ بتادلة واستوطن
مدينة فاس ، وبها توفي ، تفقه على أبى خزر ، وسمع أبا الربيع التلمسانى
وصحب علي ابن حرزهم وأبا يعزا ، وكان ورعا فاضلا اذا دخل عليه
شهر رمضان طوا فراشه ، وأخذ فى الاجتهاد ، فيقطع الليل قائما يختم
القرآن فى تسليمة واحدة ، وقد قيل له ذات ليلة لو رocht نفسك قليلا
وأعطيتها حظها من النوم لكان أوفق لك ، فقال انما أطلب راحتها ثم انشد:

لا تجعلن رمضان شهر فكاهاة تلهيك فيه من الحديث فنونه
واعلم بأنك لن تنال ثوابه حتى تكون تصومه وتقومه

وفى سنة ستمئة كمل سور مدينة فاس بالبناء والتجديد ، وتم باب
الشريعة وركب مصراعه .

وفى هذه السنة قام العبيدي بجنال ورغة فظفر به وقتل وعلق رأسه
على باب الشريعة من مدينة فاس وأحرق جسده فى وسط الباب ، وذلك
فى اليوم التى تم باب الشريعة المذكور بالبناء وركب مصراعه فسمي
باب المحروق .

وفى سنة احدا وستمئة بنا يعيش عامل الناصر على الريف سور
مدينة بادس وسور المزمة وسور مليلية حياطة على ذلك من فجأة العدو .
وفى سنة اثنتين وستمئة ولي الحفصيون عمالة أفريقية .

• وفي سنة أربع وستمئة جدد سور مدينة وجدة .

وفيها أمر الناصر ببناء دار الوضوء والسقاية بازاء جامع الاندلس بفاس ، وجلب اليها ماء العين من خارج باب الحديد ، وفيها بني الباب الكبير المدرج الذي بصحن الجامع المذكور وأتفق في ذلك كله من بيت المال وفيها بني مصلا عدوة القرويين .

وفي سنة ثمان وستمئة توفي الشيخ الصالح أبو عبد الله بن جرير المعروف بابن تاخميست من أهل فاس ، مات بها ليلة الثلاثاء السادس والعشرين لذي حجة من العام المذكور ، ودفن بخارج باب الجيسة ، وكان كثير الورع شديد الانقباض عن الناس ، وكان له خط حسن ، وكان ينسخ المصاحف بيده ويدفعها لمن يراه أهلا لها ابتغاء الثواب ، لم يزل مولعا بطلب العلم ودرسه وتحصيله الى أن مات وهو القائل :

أخو العلم حي ذكره بعد موته وأوصاله تحت التراب وميم
وذا الجهل ميت وهو ماش على الترا يظن من الأحياء وهو عديم

وفي سنة تسع وستمئة كانت هزيمة المسلمين بالعقاب فني بها جميع عساكر المغرب والاندلس .

وفي سنة عشر وستمئة قام ولد العبيدي المحروق بفاس بجبال غمارة وادعا انه الفاطمي ، وبايعه خلق كثير من أهل الجبال والبوادي ، فبعث اليه الناصر جيشا فظفر به فقتل .

• وفيها توفي أمير المومنين الناصر وولي ولده يوسف .

وفيها أقبل بنو مرين من قبلة زاب افريقية فدخلوا المغرب في أمم كثيرة .

• وفيها كان الوباء العظيم بالمغرب والاندلس .

• وفيها ملك النصارا مدينة أبدة .

وفي سنة ثلاث عشرة وستمئة هزم بنو مرين جيش الموحيدين بفحص وادي نكور فدخل الموحدون مدينة فاس عرايا قد تستروا بالمشغلة فسمي

عام المشغلة •

وفى سنة أربع عشرة وستمئة هزم المسلمون بقصر أبى دانس ،
وقتل منهم العدو أمما لاتحصا •

وفى سنة خمس عشرة وستمئة دخل الفونسو الثاني ملك البرتغال
قصر أبى دانس بالسيف وقتل من به من المسلمين •

وفى سنة سبع عشرة كان الغلاء الشديد بالمغرب والقحط والجراد •
وفيهما بني برج الذهب بوادي اشبيلية •

وفى سنة ثمان عشرة وستمئة جدد سور اشبيلية وبني الحرم
البراني وجعل الحفير دائرا بالحرم •

وفى يوم الخميس الخامس عشر من ذي حجة من سنة تسع عشرة
وستمئة فتح الموحدون جزيرة ميورقة •

وفى سنة عشرين وستمئة توفي يوسف المنتصر •

وفى سنة احدا وعشرين وستمئة بويع عبد الله بن يعقوب المنصور
الملقب بالعال بالمرسية •

وفيهما قتل الأمير عبد الواحد المخلوع •

وفى سنة اثنتين وعشرين قام السيد عبد الله بن محمد بن يوسف
ابن عبد المومن البياسى ببياسة ودعا لنفسه ، وفيها أعطا البياسى بياسة
وقيجاطة للنصارا • وفيها تغلب العدو على مدينة قرمونه من نظر مرسية
وقتل جميع من فيها وأسر النساء والذرية ، وفيها أعطا البياسى للألفونسو
حصن أندوجر ومرترس ومدسس وحصن الذراب ونحو العشرين حصنا
ومن البروج مالا يوصف •

وفيهما ملك الفونسو مدينة مربالة ودخل تطيلة بالسيف وقتل بها
خلق كثير من المسلمين •

وفيهما قتل من أهل اشبيلية نحو العشرة الاف قتلهم العدو وكانوا
خرجوا لاعانة تطيلة •

وفيها قتل من أهل مرسية نحو العشرة آلاف كانوا أيضا خرجوا
لإعانة حصن دلالة فهزمهم العدو فقتلوا وقتل في هاتين الكائنتين من أهل
المدينتين اشبيلية ومرسية ألوف لانحصا حتى خلت المساجد والأسواق .
وفي سنة ثلاث وعشرين وستمئة تغلب العدو على مدينة لوشة من
بلاد غرب الأندلس وفيها أعطا البياسى للنصارا حصن شلبطرة وبالأمس
بذل الناصر في أخذه الأموال الجليلة حتى ملكه المسلمون .
وفيها قتل البياسى بحصن المدور قتله ابن يبورك وحمل رأسه الى
اشبيلية .

وفيها أخذ النصارا مدينة كباله .
وفيها تقاتل عرب الخلط مع الموحدین بالعدوة فهزمهم الخلط .
وفي سنة أربع وعشرين وستمئة اشتد الغلاء بالمغرب والأندلس
فبيع قفيز القمح بخمسة عشر دينار .
وفيها كان الجراد المنتشر بالمغرب .
وفيها بايع أهل اشبيلية السيد ادريس بن يعقوب المنصور .
وفيها ملك النصارا جزيرة ميورقة .
وفيها توفي عبد الله العادل .

وفيها بويع يحيى بن محمد الناصر وبويع المامون .
وفي سنة خمس وعشرين وستمئة قام ابن هود الملقب بالمتوكل بحصن
أوريواله من بلاد شرق الأندلس وبايعه أهل مرسية على الخلافة العباسية
وفي سنة ست وعشرين وستمئة كان السيل العظيم بمدينة فاس
حدم من سورها القبلى مسافتين ، وهدم من جامع الأندلس ثلاث بلاطات
وديارا كثيرة وفنادق من عدوة الأندلس
وفيها ملك ابن هود شاطبة ودانية .

وفيها ملك النصارا حصن جبل العيون من ثغر بنلسية .
وفيها قتل القاضي القسطلبي بمرسية قتله ابن هود .

- وفيها ملك ابن هود جيان
- وفى ذى القعدة منها بايع أهل قرطبة لابن هود وأخرجوا منها
الموحدين وقتلوهم •
- وفيها تسما ابن هود بأمير المؤمنين
- وفيها جاز المامون الى العدو
- وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين لصفر الموافق الآخر يوم من
دجنبر كان الحدث الأعظم على ميورقة أعادها الله تعالا للإسلام •
- وفى سنة ثمان وعشرين وستمئة كانت هزيمة ماردة على المسلمين
وفيه دخل العدو ماردة بالسيف •
- وفي شعبان منها ملك العدو مدينة بطليوس وأحوازها
- وفى رجب منها ملك ابن هود جبل الفتح والجزيرة الخضراء ولم
يبقى للموحدين بالأندلس أمر ولا نهى •
- وفى سنة تسع وعشرين وستمئة قام السيد أبو موسى على أخيه
المامون بسببة •
- وفيه قام محمد بن يوسف بن نصر الشهير بابن الأحمر ودعا
الناس الى بيعته فبايعه أهل أرجونة وتسما بأمير المسلمين ، وفيها ملك
العدو مدينة مروالة من عمل سرقسطة •
- وفى سنة ثلاثين وستمئة توفي المأمون وولي بعد الرشيد •
- وفيه ملك ابن هود سببة فأقامت على ملكه ثلاثة أشهر فخلعوه
وبايعوا أحمد البياسى وتسما بالموفق •
- وفيها رجعت قرطبة وقرمونه لحمد بن يوسف ابن نصر •
- وفيها بويع القاضي الباجى باشييلية
- وفيه عقد ابن هود الصلح مع العدو لاشتغاله بقتال ابن الأحمر
والباجى فصالحه بألف دينار فى كل يوم •

وفيها خلت بلاد المغرب وكثر فيها الجوع والوباء ، وصل فيها وسق القمح ثلاثين ديناراً .

وفى سنة واحد وثلاثين وستمئة وقعت المقاتلة بين ابن الأحمر وابن هود والباجى على مقربة من اشبيلية فهزماء .

وفيها قتل ابن الأحمر الباجى بعد الهزيمة غدرا ودخل اشبيلية فأقام بها شهرا وأخرجه أهلها .

وفى جمادى الآخرة منها ثار شعيب ابن محفوظ بن محمد بلبلية وتسم بالمعتصم .

وفى شوال منها صالح ابن نصر ابن هود وبسايعه على جيان وأرجونة وبركونه .

وفى سنة اثنتين وثلاثين وستمئة نازل العدو جزيرة يابسة خمسة أشهر حتى دخلها .

وفيها نزل الجنويون سبتة بأجفان لاتحصا ، ونصبوا عليها المنجنيقات فلم يقدروا منها على شيء .

وفى سنة ثلاث وثلاثين أقلع أهل جنوة عن مدينة سبتة بعد الحصار الشديد والتضييق العظيم ونصب المجانيق والآلات الحرب المعدة فصالحهم أهلها بأربعمئة ألف دينار .

وفيها غدر النصارا شرقية قرطبة وذلك فى ثالث شوال عشاء فى غفلة السمار وسلم الله عز وجل النساء والذراي حتى لحقوا بالغربية ، وبقي الناس منهم فى قتال عظيم ، ولم تزل الغربية محصورة الى أن أخذت وملكها النصارا أجمع .

وفيها انعقد الصلح بين ملك قشتالة وابن هود لأربعة أعوام بأربعمئة ألف دينار فى السنة .

وفيها قتل أمير المومنين أشياخ الخلط .

وفى سنة خمس وثلاثين بايع أهل اشبيلية الرشيد وبسايعه أهل سبتة

وفيها اشتد الغلاء والوباء بالعدوة فأكل الناس بعضهم بعضا وكان يدفن في الحفرة الواحدة المئة من الناس .

وفي سنة أربعين وستمئة توفي الرشيد وولي أخوه السعيد .
وفي سنة ثلاث وأربعين وستمئة ملك الأمير أبو بكر المريني مدينة مكناسة .

وفي سنة اثنتين وأربعين ملك النصارا مدينة بلنسية .
وفي سنة أربع وأربعين ملك النصارا مدينة جيان .
وفي سنة ست وأربعين توفي أبو الحسن علي السعيد .
وفي هذه السنة ملك العدو مدينة اشبيلية .
وفيها ملك الأمير أبوبكر المريني مدينة فاس ورباط تازة .
وفي هذه السنة وقع الحريق بأسواق فاس احترقت أسواق باب
السلسلة بأسرها الى حمام الرحبة .
وفيها ولي المرتضا بمراكش .

وفي سنة ثلاث وخمسين كانت هزيمة عمر المرتضا ببنى بهلول من
أحواز فاس .

وفي سنة خمس وستين قتل المرتضا بمراكش وولي أبو دبوس .
وفي سنة سبع وستين وستمئة قتل أبو دبوس وهزم جيشه ، وملك
أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق مدينة مراكش وأحوازا فدخلها في
يوم الأحد التاسع من محرم سنة ثمانية وستين وستمئة .

الخبر عن الدولة السعيدة المرينية العبد الحقية

أطالها الله وخلد ملكها وأعلا كلمتها وأيدها ، وذكر نسبها الصريح ، وقيامها
بالحق والاعتقاد الصحيح ، وأخبار ملوكهم وفتوحاتهم وغزواتهم وسيرهم
الجميلة ومآثرهم

قال المؤلف عفا الله عنه :

أما بنو مرين فهم أعلا قبائل زناتة حسبا ، وأشرفها نسبا ، واغزرها
كرما ، وأحسنها شيما ، وأرعاهها ذماما ، وأرجحها أحلاما ، وأشدها فى
الحروب بأسا واقداما ، وأكثرها ديناً ، وأحسنها ظناً وأصلحها يقيناً ،
وأوثقها عقداً ، وأوفاهها عهداً ، وأوفرها عدداً ، وأطولها فى الشدائد يداً ،
لهم شرف النجار ، وحفظ الجواد ، وحماية الذمار ، ووقود النار ، واکرام
الضيف والضرب بالسيف ، والبعد عن الغدر والعار والحيث ، والأدب
والدين ، واکرام العلماء وتوقير الصالحين ، لم يزلوا على هذا السنن
القويم ، والمنهج المستقيم ، يعرفون به فى الحديث والقديم ، أبقاهم الله
تعالاً متصلة أيامهم ، منصوراً أعلامهم ، نافذة أحكامهم ، ماضية فى
الأعداء سيوفهم وأقلامهم ، بمنه وكرمه .

الخبر عن نسبهم الصريح وحسبهم العالى الصحيح

قال المؤلف عفا الله عنه :

نقلت من تقييد الفقيه أبى علي المليانى بخط يده قال :

«بنو مرين فخذ من زناتة ، وهم من ولد مرين ، بن ورتاجن ، بن
ماخوخ ، بن وجديج ، بن فاتن ، بن يدر ، بن عبد الله ، بن ورتيب ،
ابن المعز ، بن ابراهيم ، بن سجيح ، بن واسين ، بن يصلين ، بن

مشرى ، ابن زاكيا ، بن ورسيك ، بن زنات ، بن جانا ، بن يحيى ، ابن تمزيت ، بن خريس ، وهو جالوت الأول ملك البربر ، ابن زجيح ، بن مادغيس الابتر ، ابن بر ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر ، بن نزار ، ابن معد ، بن عدنان .

فمن زنات بن جانا تفرقت قبائل زناتة ، فهم عرب صريحون ، والسبب فى تغير لسانهم عن العربية الى اللغة البربرية ما ذكره علماء التاريخ وأهل المعرفة بالأنساب وأيام الناس أن مضر بن نزار كان له ولدان : الياس وعيلان ، أمهما الرباب بنت جندة بن عمرو بن معد بن عدنان ، فولد عيلان بن مضر ولدين : قيس ، ودهمان ، ابني عيلان ، فأما دهمان فولده قليل ، وهو بيت فى قيس يقال لهم بنوا أمامة ، وأما قيس بن عيلان فولد أربعة رجال وجارية وهم سعد ، وعمر ، وخصفة ، أمهم مدنة بنت أسد بن ربيعة بن نزار ، وبر وأخته تماضر أمهما يريغ بنت مجدلى بن مجدول بن عمار بن مضر البربرى الجدولى ، وكانت قبائل البربر اذ ذاك يسكنون الشام ويجاورون العرب فى المساكن والأسواق والمراعى ، ويشاركونهم فى المياه والمسارح والمساعى ، ويصاهر بعضهم بعضا ، وكانت البهاء بنت دهمان بن عيلان بن مضر من أجمل نساء زمانها وأكملهم ظرفا وحسنا ، فكثرت خطابها من كل قبيلة من العرب ، فقال بنو عمها قيس وهم عمرو وسعد وبر وخصفة لايتزوج ابنة عمنا الا أحدنا ، ولا تخرج منا الى غيرنا ، فخيروها فيمن شاءت منهم فاختارت برا ، وكان أصغرهم سنا وأكملهم شبابا ، فتزوجته دون اخوته ، ففسدوه عليها وهموا بقتله من أجلها ، وكانت أمه يريغ من دهاة النساء ، فخافت على ولدها من اخوته ، فبعثت الى البهاء بنت دهمان وأعلمتها الخبر وتواطأت معها على الخروج الى بلد اخوتها من البربر مع ولدها بر حيث تأمن عليه ، ثم بعثت الى قومها فاتوها سرا ، فسارت معهم هي ولدها والبهاء بنت دهمان ، فلحقوا ببلاد البربر ، فنزل بر بين أخواله ، وأعرس بابنة عمه البهاء ، واعتز وامتنع ممن أراده بسوء ، فولدت له هنالك ولدين علوان ومادغيس ابني بر بن قيس بن عيلان ، فأما علوان فمات

صغيرا ولم يعقب ، وأما مادغيس فكان يلقب بالأبتر ، وهو أبو البتر من
البربر ، واليه يرفعون أنسابهم ، ومن ولده جميع زناتة .
وفى ذلك يقول بعض ولد مادغيس بن بر :

أيها السائل عن أحسابنا قيس عيلان بنى العز الأول
نحن ما نحن بنو بر النندا طارد الأزيمة نحر الإبل

ولبعض الشعراء من العرب رحمه الله فى معناه :

ألا أيها الساعى لفرقة بيننا توخ هداك الله سبل الأطايب
فاقسم أنا والبرابر اخوة نمائنا وهم جد كبير المناسب
أبونا أبوهم قيس عيلان فى الذرا وفى حومة يشفى غليل المحارب
فنحن وهم ركن منيع واخوة على رغم أعداء لثام المناقب

فمات بر بن قيس فى بلاد أخواله فنشأ ولده مادغيس وذريته فى
البربر حتى كثروا وصاروا ألوفاً لاتعد ولا تحصى ، لسانهم بلغتهم ناطق
وحالهم لحالهم موافق مطابق ، يسكنون البرارى والسباسب ، ويركبون
الخيول والنجائب ، ناطقين بأفصح كلامهم ، الأخذين بأحسن سيرهم
وما هجهم ، وبذلك رثت برا أخته تماضر بنت قيس تبكيه ، وتذكر بعده
عن وطنه وقرابته وذويه ، فى أشعار كثيرة منها :

لتبكي كل باكية أخاها كما أبكى على بر بن قيس
تحمل عن عشيرته فأضحى ودون لقائه انضاء عيس

وهي القائلة ايضا :

وشطت ببر داره عن بلادنا وطوح بر نفسه حيث يمما
وأزرت ببر لكنة أعجمية وما كان بر بالهجان بأعجما

وفى ذلك يقول صاحب أرجوزة (نظم السلوك ، فى الأنبياء والخلفاء
والملوك) عبد العزيز المزوزي :

فجاورت زناتة البرابرا فصيروا كلامهم كما ترا
ما بديل الدهر سوى أقوالهم ولم يبدل منتها أحوالهم

بل فعلهم أربا على فعل العرب
فانظر كلام العرب قد تبديلا
لا يعرفون اليوم ما الكلام
وان تمادت بهم الأحوال
كذاك كانت قبلهم مرين
فاتخذوا سواهم خليلا
فى الحال والايتار ثم فى الأدب
وحالهم عن حاله تحولا
ومالهم نطق ولا افهام
لم تبق فى الدهر لهم أقوال
كلامهم كالدر اذ يبين
فبدلوا كلامهم تبديلا

الخبر عن دخولهم المغرب وظهور ملكهم السنى المعجب

لما أراد الله اظهار الدولة السعيدة المرينية المباركة العبد الحقية
ونسخ الدولة الموحدية المومنية لما سبق فى قدره وعلمه ، من مبرم حكمه ،
كان من تقدم من ملوك الموحدين أولى حزم ورأى ودين ، الى ان كانت
رقعة العناب ، فأذنت دولتهم بالذهاب ، فرجع الناصر منها ذا انكسار ،
فدخل لمراكش ولم يزل أمره فى ادبار ، الى أن مات فى سنة عشر وستمئة
مفجوعا ، وولي ولده المنتصر صبيا صغيرا هلوعا ، لم يبلغ الحلم ولا
جرب الأمور ، فاعتكف على اللهو واللعب والخمر ، وسلم الملك الى أعمامه
وقرأته ، وفوض أموره الى وزرائه وأشياخ دولته ، فتحاسدوا فيما بينهم
على الرياسة ، وناقض بعضهم بعضا تكبرا ونفاسة ، وأدرك رؤساءهم
الاعجاب ، فأضاعوا الأمور وأغلظوا الحجاب ، وقطعوا الأرحام ،
وجاروا فى الأحكام ، وولوا أمورهم سفلتهم ، وتحكم عليهم
أشرارهم ، فبدا الفساد فى ملكهم ، وظهر النقص فى دينهم وبلادهم ،
وولت أيامهم ، وأدبرت سعودهم ، فجعل الله بأسهم بينهم ، وبعث لفنائهم
عصبة مرين ، وأيدهم عليهم فأصبحوا ظاهرين ، ومكن لهم فى الأرض
وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

وكان بنو مرين أهل تصميم وصحة يقين ، يسكنون بلاد القبلة من
زاب أفريقية الى سجلماسة ، وينتقلون فى تلك البراري والقفار ، ولا

يؤدون لأمير درهما ولا دينار ، ولا يدخلون تحت حكم سلطان ، ولا يرضون بذل ولا هوان ، لهم همة عالية ، ونفوس سامية ، لا يعرفون الحرث ولا التجارة ، ولا يشتغلون بغير الصيد وطراد الخيل والغارة ، جل أموالهم الخيل والابل والخول ، وطعامهم اللحم والتمر واللبن والعسل ، وكانت طائفة منهم يدخلون بلاد المغرب فى زمن الصيف يكتالون ميرتهم ويرعون أنعامهم ، فاذا توسط الخريف اجتمعوا ببلاد كرسيف ، ثم شدوا رحالهم وانصرفوا الى بلادهم ، كان ذلك دأبهم على مر الزمان ، وتعاقب الأحيان .

فلما كان فى عام عشرة وستمئة أتوا على دعائهم من البرية ، فوجدوا المغرب قد باد أهله ورجاله ، وفني خيله وحماته وأبطاله ، وعات الكل بغزاة العقاب ، واستولا على بلادهم الخراب ، وعمرته السباع والذياب ، فأقاموا بمكانهم ، وبعثوا الى اخوانهم وأخبروهم بحال البلاد وخصبها وطيب مزارعها وسعة مراعيها وكثرة مياهها ومشارعها والتفاف أشجارها ، وغزير ثمارها ، واطراد عيونها وأنهارها ، وقالوا لهم أسرعوا اليها ، فليس بها من يصدكم عنها ولا من ينازعكم فيها ، فوصل الخبر الى مرين ، فبادروا الى المغرب مقبلين ، وعلى الله عزوجل فى أمورهم متوكلين ، يقطعون المهامه والسباسب ، على ظهور الخيل والنجايب ، يرومون الدنو والبلاغ ، حتى وصلوا الى وادي تلاغ (١٦٧) فدخلوا المغرب من ذلك الباب ، بالخيول والابل والمراكب والقباب ، فى جيش كالسيل أو الليل المقمّر ، وأمم كالنمل أو الجراد المنتشر ، وذلك لأمر قد قدر ، وليظهر ماكان فى الغيب مجهولا ، وليقضي الله أمرا كان مفعولا ، لا اله غيره .

قدمت مرين الى بلاد المغرب والسعد يصحبها بنيل المطلب
فى عام عشرة كان بدء دخولهم من بعد ست مئتين فاحفظ واكتب

وقال عبد العزيز الملزوزي فى رجزه :

(١67) وادى وسهل ملاصق لنهر ملوية من جهة الشرق غير بعيد عن كرسيف ، وبالمغرب الأوسط ، جنوبى مدينة سيدى بلعباس ، مدينة وسهل يدعا كلاهما أيضاً بتلاغ ، والاول هو المقصود .

فى عام عشرة وست ميه أتوا الى الغرب من البرية
جاءوا من الصحراء والسباسب على ظهور الخيل والنجائب
كمثل ما قد دخل المثلثون من قبل ذا وهم له ميمون

وكان ملوك الموحيدين فى تلك السنين قد تهاونوا فى الأمور ،
واشتغلوا باللهو والخمور ، وركنوا الى الغيد فى القصور ، فأذا ذلك
بهم الى القصور ، فدخلت مرين المغرب ، والقدر يسوقهم للكه ، ويقرب
وانتشروا فى بلاده كالجراد ، وملأت عساكرهم النجود والوهاد ، فلم
يزالوا ينتقلون فى بلاده ، ويسيرون فى نجوده ووهاده ، ويقطعونه مرحلة
مرحلة ، حتى أبادوا الجيش عام المشغلة ، وهو عام ثلاثة عشر وستمئة .
قال المؤلف عفا الله عنه :

حدثنى من أثق به من أهل التاريخ (١٦٨) أنه لما دخلت مرين المغرب تفرقت
قبائلها فى أنحاء ، وشنوا الغارات على بلاده وأرجائه ، فمن أذعن لهم
بالطاعة سالوه ، ومن بدأهم بالحرب قاتلوه وقصموه ، ففر الناس أمامهم
يمينا وشمالا ، ولحقوا بالجيال المنيعه لتكون لهم حصنا ومآلا ،
فاتصل خبرهم بيوسف المنتصر ، فأطرق يفكر فى أمرهم ويدبر ، ثم دعا
الوزراء وأشياخ الموحيدين ، وشاورهم فى أمر بنى مرين ، فقالوا يا أمير
المومنين لانهتم بأمرهم ، ولا تشغل خاطرك بهم ، فهم أضعف ناصرا . وأقل
عددا ، لكننا لانتركهم سدا أبدا ، بل نبعث لهم جيشا من الموحيدين ،
يبديهم فى الحين ، يقتل رجالهم ، وينهب أموالهم ، ويسبى نساءهم ،
ريشرد بهم من خلفهم ، ويطلقهم بهم جمرة من سواهم ، فبعث اليهم
بجيش من عشرة ألاف من الموحيدين ، وقدم عليهم أبا علي بن وانودين ،
وأمرهم باستئصال مرين ، وقال اقتلوا الوالد والولد ، ولا تبقوا منهم على
أحد ، فارتحل الجيش عن مراکش ، قاصدا للحرب والتناوش ، فسمعت
مرين باقبالهم ، فتأهبت لحربهم ونزالهم ، وتتابعت قبائلها ، وتشاورو

رؤساؤها وأقيالها ، فاجتمعت كلمتهم واتفق رأيهم وقولهم أن يجعلوا بلقعة تازوطة حريمهم وأموالهم ، ثم أقبلوا مستعدين ، لقتال جيش الموحيدين ، فالتقا الجمعان بمقربة من وادي نكور ، فكان بينهم حرب عظيم مذكور ، منح الله فيه بني مرين النصر على الموحيدين ، فهزموهم وقتلوه قتلًا ذريعًا ، وفر من أفلت منهم خائفًا فزوعًا ، واحتوت مرين على جميع ماكان في محلثهم من الأثاث والمال ، والعدد والخيول والبغال ، فقويت مرين بذلك قوة عظيمة ، وشكروا الله تعالا على ماخولهم من نعمه الجسيمة ، وهابهم جميع من بالمغرب من الناس ، ودخل جل جيش الموحيدين الى رباط تازة ومدينة فاس عراة حفاة منهزمين ، وبالمشغلة محتزمين ، وبأوراقها مستترين ، قد علاهم الغبار ، واعتورهم الادبار ، وبدت عليهم الذلة والصغار ، دموعهم مرسلة ، وقلوبهم بالحزن مشغلة ، فسمي العام عام المشغلة ، وفيه قوي أمر بنى مرين ، وضعف ملك الموحيدين فخلت بلادهم ، وقل خراجهم ، وفني أشرافهم ، وقتل حماتهم وأنصارهم ، وجعل الله بأسهم بينهم ، فكان أشياخهم يبايعون سلطانا ثم يخلعون ، ويولون غيره ثم يقتلونه ، وينهبون ذخائره وأمواله ، ويقتسمون خوله وعياله ، فجعلوا عبد الواحد ثم قتلوه ، وبايعوا بعده العادل ثم دخلوا عليه فخنقوه ، وبعثوا الى المامون بيعتهم ثم نكثوا ، وبايعوا ابن أخيه يحيا في الحين وما تلبثوا ، فضعف ملكهم بذلك ، وظهر أمر بنى مرين واعتد وقوي .

الخبر عن دولة الامير المبارك عبد الحق بن محيو

ابن أبى بكر بن حماسة

هو الأمير أبو محمد عبد الحق ، ابن الأمير أبى خالد محيو ، بن أبى بكر ، بن حماسة الزناتى المرينى ثم الحمامى ، أمير ابن أمير الى مرين ابن ورتاج ابن ماخوخ ، شهد والده محيو بن أبى بكر غزاة الأراك مع

أمير المؤمنين يعقوب المنصور متطوعا ، فعقد له فى ذلك اليوم على جميع من فى عسكره من زناتة ، وأبلا فى تلك الغزاة بلاء حسنا ، وتوفي رحمه الله فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة ببلاده من قبلة زاب أفريقية بعد انصرافه من غزاة الأراك المذكورة من جراحات نالته فى تلك الغزاة فانتقضت عليه فمات شهيدا ، فقام بأمر بنى مرين بعده ولده الأمير عبد الحق ، وكان فى بنى مرين مشهورا بالتقا والفضل والدين ، والصلاح والبركة واليقين ، معروفا بالعفاف ، موصوفا فى أحكامه بالعدل والانصاف ، يطعم الطعام ، ويكفل الأيتام ، ويؤثر على نفسه المساكين ، ويحنو على المستضعفين ، كانت له بركة معروفة ، ودعوة مجابة موصوفة ، كانت قلنسوته وسراويله يتبرك بها فى جميع أحياء زناتة ، تحمل الى الحوامل اللواتى صعب عليهن الوضع فيهن الله تعالى عليهن الوضع ويسهل عليهن الولادة ببركته ، وكان بقية وضوئه يحملته الناس فيستشفون به لمرضاهم ، وكان رحمه الله على سنن أهل الفضل ، فلا يزال صائما فى شدة الحر والبرد ، ولا يرا مفطرا الا فى أيام الأعياد خاصة ، كثير الذكر والتسبيح والأوراد ، لا يفتقر عن الذكر على أي حالة كان ، ولا يأكل الا الحلال المحض من طيب كسبه من لحوم أبله وغنمه وألبانها ، ومما يعانيه بيده من الصيد ، فكان من قبائل مرين عالما مشهورا ، وأميرا مطاعا مذكورا ، يقفون عند أمره ونهيه ، ولا يصدرون فى جميع أمورهم الا عن رأيه ، وكان قليل الولد ، فريدا فى العدد ، نام ليلة بعد ان فرغ من ورده ، وأكثر من ذكر الله وحمده ، فرأا فى سنته منامة ، كانت له ولعقبه دليل الملك والامامة ، رأا كان قبس نار خرج من ذكره فعلا فى الهواء وارتفع حتى احدثوا على أقطار المغرب أجمع ، واستوا على جهاته الأربع ، فقص رؤياه على بعض الصالحين ، فقال أبشر ولا تخف منها فهي لك عز وتأمين ، هاذه رؤيا جليلة ، لك ولعقبك بها شرف وفضيلة ، دلت على الملك والتعظيم ، والتأييد والتفخيم ، انك تلد اولادا ذكورا ، ترا لهم فخرا مذكورا ، وشرفا مشهورا ، يملك المغرب منهم أربعة ، تكون الامة على اخرهم مجتمعة ، فيكون لهم التقدم والرياسة ، والامارة والسياسة ،

يتوارث الملك فى بنيه وأعقابيه ، وبهم يستقر الأمر فى نصابه ، وكان الأمر كما قص عليه ، فلم يمت حتى راا ماذكر له قد صار اليه ، فملك أمر بنى مرين أجمع ، وتوارث الأمر بعده بنوه الأربع .

وفى شهر ذي الحجة من سنة ثلاث عشرة المذكورة زحف الأمير عبد الحق بجيوش مرين الى رباط تازة فوقف بازاء زيتونها فخرج لحربه عاملها فى جيش كثيف من الموحدين والعرب والحشود من قبائل تسول ومكناسة وغيرهم ، فقتل العامل وهزم جيشه ، وجمع الأمير عبد الحق الأسلاب والخيل والسلاح ، وقسم ذلك كله فى قبائل مرين ، ولم يتمسك منها بشيء وقال لبنيه اياكم ان تأخذوا من هاذة الغنيمة شيئا ، يكفيكم الثناء والظهور على أعدائكم .

وفى شهر جمادا الأخيرة من سنة أربع عشرة وستمئة كانت الملاقاة بين بنى مرين وبنى رياح ومن ظاهرهم من بنى عسكر ، وكانت رياح اقوا قبائل عرب المغرب وأشجعها وأكثرهم خيلا وأموالا ورجالا ، ولما أقبلوا لقتال مرين وسمعت بنو مرين باقبالهم اجتمعوا على أميرهم عبد الحق فقالوا له انت أميرنا ورئيسنا ، فماترا فى أمر هاؤلاء العرب المقبلين الينا ؟ فقال لهم يامعشر مرين أما ان كنتم فى أمركم مجتمعين ، وقسى أحوالكم متفقين ، وكنتم فى حرب عدوكم أعوانا ، وفى ذات الله اخوانا ، فلا أخشا أن القا بكم جميع أهل المغرب ، وان اختلفت أحوالكم ، وتشتت أراؤكم ، ظفر بكم أعداؤكم ، فقالوا له أنا نجدد لك البيعة على السمع والطاعة ، وعلى أن لاختلف عليك ولا نفر عنك أو نموت دونك ، فانهض بنا اليهم على بركة الله تعالا ، فالتقا الجمعان بقرية (١٦٩) من وادي سبوعلى أميال من تافرطست ، فكانت بينهم حروب عظيمة ، فقتل فيها عبد الحق وولده ادريس ، فغضبت مرين لقتل أميرها وانفت لموت رئيسها وكبيرها ، وتراجعت كالأسد فى زئيرها وهريرها ، واقسمت بأيمانها الا يدفن حتى تأخذ ثأره ، وتحمي ذماره ، فحملوا على رياح حملة الأسد على الثعالب

وانقضوا فى جيوشهم انقضاض البزاة فى اليعاقب ، فصبر الفريقان صبرا جميلا ، ورأوا أن لامحيد عن الموت فى حروبهم ولا تحويلا ، فاشتد الحرب بينهم والكفاح ، وكثر القتل فى الفريقين والجراح ، وتقللت السيوف ونقصت الرماح ، فنصرت مرين ومزقت رياح ، وقتل مرين منهم خلقا عديدا ، وسار من بقي منهم مهزوما شريدا ، واحتوت مرين على جميع ماكان فى محلتهم من الأموال والعدد والثياب ، والخيل والابل والدواب وقام بأمرهم بعد موت عبد الحق أميرهم ولده عثمان .

قال المؤلف للكتاب عفا الله عنه :

أخبرنى الفقيه القاضى عبد الله بن الودون وأخوه الفقيه يوسف أنهما قدما على أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رحمه الله فى وفد أهل مدينة فاس من الشرفاء والفقهاء والصلحاء بمدينة رباط الفتح ، وذلك فى شهر رمضان من سنة ثلاث وثمانين وستمئة للسلام عليه حين قدم من حضرة مراکش يريد الجواز الى الأندلس برسم الجهاد ، فجرا فى مجلسه رحمه الله ذكر والده الأمير عبد الحق ، فقال أمير المسلمين يعقوب كان والله الأمير عبد الحق صادق اللسان اذا قال فعل ، واذا عاهد وفا ، لم يحلف قط بالله تعالا برا ولا حانثا ، ولا شرب مسكرا ، ولا ارتكب فاحشة ، ببركة ازاره تضع الحوامل اللواتى صعب عليهن الوضع ، وكان يسرد الصوم ، ويقوم اكثر الليل ، واذا سمع بصالح او عابد قصد لزيارته واستوهب منه الدعاء ، شديد الخوف من الصالحين ، متواضعا لهم ، وكان مع ذلك سما لأعدائه ، قاهرا لهم ، وما وجدنا الا ببركته وبركات من دعا له من الصالحين نفعا الله ببركاتهم .

الخبر عن دولة الامير عثمان بن عبد الحق

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما فرغ بنو مرين من قتال رياح ورجعوا من اتباعهم اجتمعوا على

أمير المسلمين عثمان بن عبد الحق فعزوه فى أبيه وأخيه ، وبأيعوه — رضا منهم به وتنزيهه ، فأخذ فى غسل أبيه ودفنه ، وقلبه يلتهب بالأسـ من حزنه •

فلما فرغ من شأنه وقف بين قومه وإخوانه فأمرهم بجمع السـ والأموال ، فقسمها فى قبائل مـين بالسوية والاعتدال ، ثم سار الى غـو رياح وحلف الا يكف عنهم حتى يقتل منهم بأبيه مئة شيخ من أشـرافهم فقتل منهم خلقا عديدا ، فلما رأت رياح ذلك أذعنوا له بالطاعة ، فكفـعـهـ على مال جليل يؤدونه له فى كل سنة •

وفى هذه المدة ضعفت دولة الموحدين ، وظهر فيها النقص وتبين أي تبين ، وصارت ملوكهم ليس لهم حكم فى البوادي ، وإنما سلطانهم وأوامرهم فى المدن خاصة ، وكثرت الفتن بين القبائل ، واشتد الخوف فى الطرقات والمناهل ، ونبذ أكثر الناس الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، وقالوا لولاتهم لاسمع ولاطاعة ، فاستوا المدني والشريف ، وأكل القوي الضعـ وكل من قدر على شيء صنعه ، ومن أراد شرا ابتدعه ، ليس لهم سلطان يكفهم ، ولا أمير عن غيهم يردهم ويصدهم ، وكانت قبائل فازان من جنـاة وقبائل العرب والبربر يقطعون الطرقات ، ويغيرون على القرا والمجاشر مع الأحيان والأوقات •

فلما رأى الأمير عثمان بن عبد الحق أن ملوك الموحدين ، قد ضعفت دولتهم ، وضيعوا حرمتهم ، وأهملوا رعيـتهم ، واعتكفوا فى قصورهم . واحتجبوا عن مهمات أمورهم ، واشتغلوا بالخمور والغوانى ، وتلذذوا باللهو وسماع الاغانى ، ورأى أن ضلالهم قد تبين ، وغزوهـ على من له قدرة قد تعين ، وخلعهم من أوجب الواجب ، لعجزهم عن القيام بالحق الواجب ، جمع أشياخ مـين ، وندبهم الى القيام بأمر الدين ، والنظر فى مصالح المسلمين ، فوجدهم الى ذلك مسرعين ، قسار بجيوشه الوافرة ، وجنوده المنصورة الظاهرة ، فى بلاد المغرب وقبائله ، وجباله وأوديته ومناـله ، فمن سارع الى بيعته ودخل فى طاعته ، آمنه ووضع عنه الخراج ، وتركه آمنا منيعا ، ومن حاده ونابذه أباده نهبا وقتلا وغادره

صريعا ، فكان أول من بايعه من قبائل المغرب هوارة وزكارة ، ثم تسول ومكناسة ، ثم بطوية وفشتالة ، ثم صدراته وبهلولة ومديونة ، فوضع عليهم الخراج وأخرج لهم الحفاظ ، وصالح أهل مدينة فاس ومكناسة وبارط تازة وقصر عبد الكريم على أموال معلومة يؤدونها اليه فى كل سنة على أن يؤمن بلادهم ويرفع عنهم الغارات ، ويدفع عنهم إذا من كان يؤذيه من القبائل .

وفى سنة عشرين وستمئة غزا الأمير عثمان بلاد فازاز ومن بها من قبائل جناتة فأخذن فيهم حتى أذعنوا له بالطاعة ، وكفوا أذاهم عن الناس واستنكفوا عن الفساد .

وفى سنة احدا وعشرين غزا من بفحص أزغار من قبائل العرب فأبادهم ، وأخلا بلادهم ، وكان رحمه الله شديد الحزم ، ذا نجدة وشجاعة وعزم ، له رأي شديد ، وعضد شديد ، وكرم وإيثار ، وحماية للذمار ، وحفظ للجار ، وحياء ودين ، وفضل مستبين ، معظما للفقهاء ، مكرما للصالحاء ، سلك بذلك نهج أبيه وطريقته ، ولم يزل على ذلك الى أن توفي رحمه الله ، اغتاله علج كان له رباه صغيرا ضربه بحربة فى منحره فمات من حينه ، وذلك فى سنة ثمان وثلاثين وستمئة ، فكانت أيام امارته على مرين وبوادي المغرب من وفاة والده وبيعة قبائل مرين له ثلاثا وعشرين سنة وسبعة أشهر .

الخبر عن دولة الامير أبى معرف محمد بن عبد الحق

لما قتل الأمير عثمان بن عبد الحق اجتمع أشياخ بنى مرين إلى أخيه الأمير محمد فبايعوه على السمع والطاعة ، وإن يحاربوا من حارب ، ويسالموا من سالم ، فاستقام له أمرهم ، وسار فيهم بسيرة أخيه ، وفتح كثيرا من جبال المغرب وبواديه ، وكان رحمه الله شهما بطلا شجاعا مؤيدا منصورا مهابا مطاعا كثير الغارات حسن السياسة والمحاولة ، لم

يفتر في أيامه عن قتال ، ولم يزل مرتكبا للحروب والأهوال ، عارفا بمكايد الحرب وخدعه ، فكان كما وصفه الشاعر في رجزه :

ثم تسولا بعده محمد	وكان في أموره مسدد
فكان لا يفتر عن قتال	مواقبا للحرب والنزال
كم عسكر لاقا وكم جنود	ومن جموع جمّة الحشود
وكل جيش جاء من مراکش	أفناه بالحروب والتناوش
نهاره وليله طعان	لكنه مؤيد معان

كان الأمير أبو معرف مع ذلك مبارك الامارة ، ميمون النقيبة . حسن الادارة ، ذا عقل ودهاء ، ورأي وصدق ووفاء ، اذا صال أفنا واذا أعطا أغنا ، واذا رأى الفرصة انتهزها ، لم يزل يحارب جيوش الموحدين فيرجعون عنه خاسرين ، الى أن كانت سنة اثنتين واربعين وقد تمكن في الملك اي تمكين ، فأخبر السعيد بشدة بأسه وجلاده ، وأنه قد استحوذ على اكثر بلاده ، فبعث اليه بجيش كثيف من عشرين ألف فارس من قبائل الموحدين والعرب وهسكورة وقواد الروم ، فسار الجيش قاصدا اليه ، فسمع الأمير محمد باقباله ، فاستعد لقتاله وعول عليه ، فالتقا الجمعان بموضع يعرف بصخرة أبي بياش من أحواز مدينة فاس ، فكانت بينهم حروب كثيرة عظيمة لم يسمع بمثلا من أول النهار الى آخره ، فلما كان العشي قتل الأمير محمد بن عبد الحق ، قتله زعيم من الروم في المعترك تحاملا قطمرت به الفرس فأمكن الرومي منه الغرة فطعنه فمات رحمه الله وانهزمت مرين واتخذوا الليل جملا ، فأسروا طول ليلتهم بأولادهم وعيالهم ، وخیلهم ، وأموالهم ، فأصبحوا بجال غياثة فتمنعوا بها أياما ، وكانت هذه الواقعة وموت الأمير محمد عشية يوم الخميس التاسع من جمادا الأخيرة سنة اثنتين واربعين وستمئة (١٢) نونبر سنة ١٢٤٤ م) وولي مكانه أخوه الأمير أبوبكر بن عبد الحق رحمه الله تعالا

الخبر عن دولة الامير أبى بكر بن عبد الحق

رحمه الله

هو الأمير أبو بكر بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة
الزناتى ثم المرينى .

أمه : الحرة العبد الوادية .

كنيته : أبو يحيى

صفته : كان أبيض اللون مشرباً بحمرة ، تام القد ، بسيط الجسم ،
حسن الوجه طلق اليمين ، يضرب بقلتا يديه ، ويرمى بحربتين فى حالة
واحدة ، فارساً شجاعاً بطلاً ، لم يكن فى زمانه مثله ، ذا عزم وحزم
واقدام ، زعيماً ضرغاماً ، كان فى الحروب فريداً عصره ونسيج وحده
يقوم فى الجيش مقام حيدرة ، وكان الأبطال يهابون مبارزته ، والزعماء
يخافون محاربته ومناجزته ، وكان مع ذلك كريماً جواداً كالغمام ،
يعطى عطاء تعجز عنه الملوك العظام ، وفياً بالعهود صادقاً فى الأقوال
والوعد .

فاق ملوك الأرض بالزعامة وبالوفا والصدق والكرامة

وهو أول ملك فى بنى مرين جند الجنود ، وضرب الطبول ونشر البنود ،
وملك الحصون والبلاد ، واكتسب الطارف والتلاد ، وأعطى النصر
والتمكين ، فكان عنوان سعد بنى مرين .

لما تمت بيعته ، واستقرت فى الملك طلعتة ، كان أول شيء فعله ، أنه
جمع أشياخ قبائل بنى مرين فقسم عليهم بلاد المغرب ، فأنزل كل قبيلة
فى ناحية منه ، وجعل لها منازل فيه من الأرض ، وماغلبت عليه من
البلاد طعمة لا يشاركون فيها غيرهم ، وأمر كل واحد من الأشياخ أن
يركب الرجال ، ويستكثر من الفرسان للقتال ، ثم سار هو بجملته فنزل

جبل زرهون (١٧٠) باخوانه ومحلته ، وكان يغادى مدينة مكناسة ويراوحها حتى غلب عليها وملكها وذلك فى سنة ثلاث وأربعين وستمئة فى أيام السعيد الموحدى فتحها صلحا على يد شيخها أبى الحسن ابن أبى العافية ، فاتصل بالسعيد ملك الموحدين تملك أبى بكر اياها فخرج الى قتاله من مراكش فى جيوش عظيمة وجنود وافرة من الموحدين والمصامدة والعرب والروم ، فسار حتى وصل الى وادي بهت ، فنزل به وأخذ فى تمييز جيوشه ، فخرج الأمير أبوبكر ليلا وحده من مكناسة متجسسا ومتجسسا يتطلع على عساكر السعيد ، فسار حتى وصل المحلة وشاهد أحوالها وعان كثرة جيوشها وأبطالها ، فعلم أنه لاطاقة له ببقائه ، فتخلا له عن البلاد ، وبعث الى قبائل مرين فاجتمعت اليه من كل واد ، فارتحل بهم الى قلعة تازوطة من بلاد الريف ، وأتا السعيد حتى نزل مكناسة ، فتلقاها أهلها بأولادهم وعيالهم يطلبون عفوه ، فعفا عنهم وأمنهم ، وارتحل عنهم الى مدينة فاس ، فنزل بظاهرها من ناحية القبلة ، فخرج أشياخها فسلموا عليه ، فتكلم لهم خيرا ، وسألوه دخول المدينة فأبى وارتحل الى رباط تازة ، فنزل بخارجه فبعث اليه الأمير أبوبكر ببيعته فقبلها ، وكتب

(١٧٠) جبل زرهون جبل يقع الى الشمال من بسيط سيس الممند بن فاس ومكناس وابتدأه بالنسبة للذهاب اليه من مكناس المحل المعروف بعبدة العربى ، وهو جبل جيد التربة كثر الأشجار المغلة ، عديد الفوا ، من أشهر قراه زاوية مولاي ادريس ، وكان يسكن هاذا الجبل فى صدر الاسلام قبيلة أوربة ، ثم انحازت اليه أجيال من قبائل الريف ، ثم طرأت عليه وعلى سهل سايس الواقع الى الجنوب منه قلول قبائل المغرب الشرقى والمغرب الأوسط التى انحازت الى داخلية المغرب الأقصى أمام رحف الجيش الفرنسى على الأقاليم الجزائرية وتوغلها فى الأقاليم المغربية الشرقية والجنوبية فى القرن الماضى فهى بهما الى الآن ، من أشهر هذه القبائل والبطون حبيان والمهايا وأشجع (الشجع) والنصيريين والغنائمة والرواشد وفرطاسة وأولاد سيدى الشيخ وذوى منيع ، ولهذا الجبل قدسية فى نفوس سكان المغرب لدفن الامام ادريس به ، وله ذكر طويل يذكر فى تاريخ انتشار الاسلام واللغة العربية بالمغرب الأقصى .

وقد ورد ذكر جبل زرهون فى شعر محمد ابن الخطيب السلمانى فى قطعة مدح بها مدينة مكناس يقول فيها :

وكفالك شاهد حسنها وجمالها	أن أوثرت بالقرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بجوه	فبكى عذاب عيونه بعيون
وكأنما هو بربرى نافد	فى لوحه والتين والزيتون

له بالأمان هو وجميع قبائل مرين على أن يبعث معه خمسمئة فارس من أنجاد بنى مرين يرسم الخدمة ، فقال له الأمير أبوبكر يا أمير المؤمنين ارجع الى حضرتك وقونى بالجيش والرماة وأنا أكفيك أمر يغمراسن (١٧١) وافتح لك تلمسان وأحوازها ، فعزم السعيد على ذلك ثم استشار وزراءه فيه ، فقالوا له يا أمير المؤمنين لاتفعل ، فان الزناتى أخو الزناتى ، لا يخذله ولا يسلمه ، فنخاف ان يصطلحا عليك ، ويجتمعا على حربك ، فكتب له أن يقعد بموضعه ، ويبعث اليه بالحصاة ، فبعث اليه خمسمئة فارس من أنجاد بنى مرين ، فسار السعيد الى تلمسان ، فمات على قلعة تامزجردت من أحوازها وهو محاصر ليغمراسن بن زيان ، فاتصل خبر موته بالأمير أبى بكر ، وقدمت عليه الحصاة التي كانت توجهت مع السعيد للخدمة ، فأعلموه بموته واقتراق جيوشه ونهب أمواله وعياله ، فجد السير الى مكناسة فدخلها وملكها ، فأقام بها أياما وخرج الى رباط تازة فملكه وفتح جميع حصون ملوية ، وذلك كله فى آخر شهر صفر من سنة ست وأربعين وستمئة (الاثنين ٢٥ يونيو سنة ١٢٤٨ م) .

وفى آخر شهر ربيع الاول من سنة ست وأربعين (الخميس ٢٣ يوليوز) المذكورة ملك الأمير أبوبكر مدينة فاس ودخلها صلحا عن رضا من أهلها ، فبعث اليه أشياخها فأتاهم فبايعوه بالرابطة التي بخارج باب الشريعة ، وكان أول من بايعه الشيخ الفقيه الصالح عبد الله الفشتالى، ثم الفقهاء والأشياخ ، وأخرجوا السيد أبا العباس من القسبة بعياله وأولاده فأمنه الأمير أبوبكر وأعطاه خمسين فارسا يبلغونه الى وادى أم الربيع ، ودخل الأمير أبوبكر مدينة فاس يوم الخميس قرب الزوال السادس والعشرين من ربيع الآخر من السنة المذكورة (١٨ غشت) وذلك

١71) يغمراسن بن زيان ، فارس زناتة الأشهر ، وبطلها الأكبر ، مؤسس الدولة العبدلودية الزيانية بتلمسان ، ولد عام 600 وبويع بالامارة يوم الأحد 24 ذى النعده عام ١٠١٠ هـ ومات بوادى رهيو يوم الاثنين 29 ذى النعده عام 681 هـ ونقل جثمانه الى تلمسان فألحد بها ، كان مزاحماً فى ملكه ببنى عمه مرين ملوك فاس ، وبسبب حروبهم معه والحروب التي توصلت بين أناتهما وحفدتها من بعدهما ضاعت الأندلس وذهبت هبة اقطار المغرب وتبست السبل أمام الاسبانيين والبرتغاليين لاحتلال شواطئها .

بعد موت السعيد بشهرين ، فاستقامت له الامور بالمغرب وتمهد له الملك
وقدمت عليه الوفود للبيعة والتهنئة وتهنئت البلاد وتأمينت الطرقات
وكثرت الخيرات ، وتحركت التجارة ، وأمر القبائل بسكننا الأوطية وعمارة
القرا والمداشر الخالية والاستكثار من الحرث ، فرخصت الأسعار وصلح
أمر الناس ، وأعطى رباط تازة الى أخيه يعقوب مع جميع ملوئية ، وأقام
هر بمدينة فاس سنة كاملة ، والوفود تقصد اليه من كل ناحية .

فلما كان فى شهر ربيع الأول من سنة سبع وأربعين وستمئة خرج
الامير أبوبكر من مدينة فاس الى معدن العوام من بلاد فازاز واستخلف
عليها مولاة السعود بن خرباش الحشمى ، فلما أوغل أبوبكر فى بلاد
فازاز اجتمع نفر من أشياخ فاس الى قاضيها أبى عبد الرحمان المغيلى
وتأمرؤا على خلع الامير أبى بكر وقتل مولاة السعود الذي تركه خليفة
عليهم وأن يبعثوا ببيعتهم الى المرتضا ويضبطوا بلدهم الى أن يأتيهم عامله
فيمكنوه منه ، فاتفق رأيهم على ذلك وبعثوا الى القائد الشديد الرومى
فخواطؤا معه على ذلك ، وكان القائد شديد قد ولاه الموحدون قيادة مدينة
فاس فكان بها فى مئتي فارس من الروم الى أن دخلها بنو مرين ، فأقروه
على حاله وخدمته ، وكان مائلا الى الموحدين ، فقالوا له تقتل هاذا
السعود وتضبط بعده البلاد وتبعث الى المرتضا ببيعتهنا فيبعث لنا بوال
من قبله يقوم بأمرنا ، فتضمن لهم الرومى بقتل السعود ، فلما كان صبيحة
يوم الثلاثاء المؤفى عشرين لشوال من سنة سبع وأربعين المذكورة (٢٦)
يذاير سنة ١٢٥٠ م) طلع الاشياخ الى القصبة يصبحون على السعود ،
فسلموا عليه وقعدوا بين يديه ، فانتهرهم السعود وأغلظ لهم فى القول
وتوعدهم فردوا عليه أسوأ رد ، ثم نادوا بشعارهم الى القائد الرومى ،
وكان واقفا فى عسكره أمام القبة ، فقتل السعود وأربعة من رجاله
واحتزوا رأسه وجعلوه على عصار (١٧٢) وطوفوه بأسواق المدينة وطرقها

١٧٢) عصار : وفى بعض النسخ عسا ، والذي فى الذخيرة السنية عصار ، وهو عود غليظ
كصا الفاس تمصر عليه الثياب بعد غسلها تسهلا لتنشيفها وتبيسها ، ومازالت الكلمة مستعملة
فى عامية فاس الى اليوم .

ودخل الاشياخ القصر وأخذوا ماوجدوا به من الأموال والأثاث والخول وانتهبوا ذلك كله وسدوا أبواب المدينة وبعثوا ببيعتهم الى المرتضا ، فاتصل الخبر بالأمير أبى بكر فجذ السير نحوهم فوجد أبواب المدينة مغلقة فى وجهه وأشياخها مستعدين لقتاله ، فحاصرهم بها مدة من تسعة أشهر ، فلم يقدر منها على شيء ، واتصل به أن يغمراسن بن زيان خرج من تلمسان برسم رباط تازة ، فترك على فاس حصنة من بنى مرين تحاصرها ، وتباكرها بالقتال وتراوحها ، وارتحل عنها الى لقاء يغمراسن وقتاله ، فتلقاه بوادي ايسلى من أحواز وجدة ، فكانت بينهما حروب عظيمة هزم فيها يغمراسن وفر وترك أمواله ومحلته ، فاحتوا الامير أبوبكر على ذلك كله ، وقتل من بنى عبد الواد فى هاذة الواقعة أنجادهم ، ثم رجع الأمير أبوبكر الى فاس فوصلها فى جمادا الأخيرة من سنة ثمان وأربعين وستمئة ، فشدد عليها الحصار والقتال ، فلما رأى ذلك أهلها سقط فى أيديهم ، ورأوا أنهم قد ضلوا فى فعلهم ، اذ لم ياتهم ناصر من قبائل الموحدين ، وليس لهم بد من طاعة بنى مرين ، فبعثوا الى الأمير أبى بكر يطلبون منه الأمان ، ويسألونه العفو والامتنان ، فأمنهم على أن يعطوه ما أخذ له من المال ، وذلك مئة الف على الكمال ، فأجابوه لذلك وفتحوا له أبواب المدينة ، فدخلها فى أحسن ترتيب وأكمل زينة ، وذلك فى الثالث والعشرين من جمادا الأخيرة المذكورة ، فأقام بها أياما الى أول رجب التالى له ، وهم يسوفونه فى المال ويوذون له فى المقال ، فلما رأى ذلك منهم قبض على أشياخها ورؤسائها وأشرافها فتشققهم فى الحديد وطالبهم بالمال والأثاث الذي انتهبوه من قصره ، فقال لهم شيخ منهم يعرف بابن الخبا انما فعل الذنب مناستة ، فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ ولو فعلت ما أقول لك لكان صوابا وحزما ، قال وماهو أيها الشيخ قال : تخرج هاؤلاء الستة الذين سعوا فى الفتنة وكانوا رؤوسها للسيف فتعشف بهم وتأخذنا نحن بغرم الأموال ، قال صدقت ، فقتل الاشياخ الستة ، وهم الشيخ القاضى أبو عبد الرحمان المغيلى ، وولده ، والشيخ المشرف ابن جشار وأخوه وابن أبى طاطو وولده ، ونهبت ديارهم وأموالهم

وأخذت رباعهم ، وكان قتلهم خارج باب الشريعة يوم الأحد الثامن من شهر رجب المذكور عام ثمانية وأربعين وستمئة (٦ أكتوبر ١٢٥٠ م) وأخذ سائر الأشياخ بغرم الأموال فذلوا ولم يكن فيهم من يرفع رأسا بعدها الى اليوم

وفى سنة تسع وأربعين وستمئة ملك الأمير أبوبكر مدينة سلا وولا عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق .

وفى سنة ثلاث وخمسين وستمئة هزم الأمير أبوبكر المرتضا بجبال بهلولة من أحواز فاس واحتوا على جميع ماكان فى محلته من الأموال والعدد والახبية والقباب والخيول والابل والخول ، وملك فيها بنو مرين أموالا جليلة .

وفى سنة خمس وخمسين وستمئة ملك الأمير أبوبكر مدينة سجلماصة ودرعة وكانتا للمرتضا ، فطمع فيهما يغمراسن ، وسار نحوهما فى جيش كثيف من بنى عبد الوادى والعرب ، فاتصل خبر مسيره اليهما بالأمير أبى بكر وهو بمدينة فاس ، فجمع عساكر مرين وجد السير الى سجلماصة ، فوجد يغمراسن قد نزل بخارجها من باب تاخنست ، فكانت بينهما حروب عظيمة هزم فيها يغمراسن وفر الى تلمسان وأسلم له سجلماصة ودرعة فملكها وأقام بهما حتى أصلح أحوالهما وولا عليهما عامله أبى يحيى القطرانى وأوصاه بما أحب ، وارتحل الى مدينة فاس فدخلها وقد عظم ملكه وكثر جيشه وجنوده ، وتأمنت البلاد ، وانقمع أهل الفساد ، وكثرت العمارات ، وفنى أهل الدعارات .

وفى سنة ست وخمسين وستمئة فى رجب منها مرض الأمير أبوبكر بمدينة فاس فمات بها بعد أيام حتف أنفه ، ودفن بباب الجيزيين (١٧٣) من أبواب عدوة الأندلس بازاء قبر الشيخ الفقيه الصالح محمد الفشتالى تبركا به ، فإنه رحمه الله كان أوصا بذلك فى حياته ، فكانت أيام ملكه

(١٧٣) تسمى اليوم باب الحمراء ، والجيزة الناحية والجهة المقابلة لك من الوادى ، وما زالت الكلمة مستعملة فى العامية الى اليوم ، لكن العامة تقلب جيمها دالا فتقول (ديزة) كما تقول فى كلمة جاز (داز) .

من يوم بويج بعد وفاة السعيد فى أول ست وأربعين الى أن توفي فى شهر رجب سنة ست وخمسين عشر سنين كاملة وأشهرها •

ولما توفي الأمير أبوبكر قام عامله أبو يحيا القطرانى بسجل ماسية بالدعوة لنفسه وبإيعه أهلها فأقام أميراً عليها سنتين ثم قتل سنة ثمانية وخمسين ، وقام فيها علي بن عمر بدعوة المرتضا فملكها ثلاث سنين ونصفا الى أن توفي علي بن عمر المذكور فى سنة اثنتين وستين وستمئة ، فقام بها عرب المنبات بدعوة يغمراسن بن زيان ، وبعثوا اليه ببيعتهم ، فبعث اليها عاملاً من بنى عبد الوادى ، فلم تزل بيد يغمراسن بن زيان الى أن دخلها عليه أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق فى الآخر يوم من صفر سنة ثلاث وسبعين وستمئة (الاثنين ٣ شتنبر سنة ١٢٧٤ م) •

الخبر عن دولة أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق

المرينى رحمه الله

هو أمير المسلمين عبد الله ، يعقوب ابن الأمير عبد الحق ، بن محيو ، بن أبى بكر ، بن حماسة ، بن محمد الزناتى ثم المرينى الحمامى •
أمه : حرة اسمها أم اليمن بنت علي البطويى الزناتى ، كانت أمه وهي بكر رأت فى منامها كأن القمر قد خرج من قبلها حتى صعد فى السماء ، وأشرق نوره بالأرض ، فقصت رؤياها على أبيها فسار الى الشيخ الصالح أبى عثمان الورياكلى فقص عليه رؤيا ابنته ، فقال له ان صدقت رؤيا هاذة الجارية فانها تلد سلطاناً عظيماً صالحاً عادلاً يعم الناس خيره وبركته فكان كذلك ، ولما تزوجها الأمير عبد الحق قال له والدها علي : بارك الله لك فيها ، أما والله أنها لفاصية خير مباركة ، وانك لتعرف بركتها ، وستلد لك ملكاً عظيماً يكون لك عزا ولقومك الى آخر الدهر •

مولده : فى سنة سبع وستمئة وقيل فى سنة تسع وستمئة •

كنيته : أبو يوسف •

لقبه : المنصور بالله •

صفته : كان رحمه الله أبيض اللون ، تام القد ، معتدل الجسم ، حسن الوجه ، واسع المنكبين ، كامل النحية معتدلاً أشيب ، كأن لحيته من بياضها قطعة ثلج ، مليح الوجه ، كريم اللقاء ، شديد الصفح ، حسن السيرة ، حليماً متواضعاً شقيقاً كريماً جواداً مظفراً منصور الراية ، ميمون النقيبة ، لم تهزم له قط راية ، ولم يقصد قط عدواً الا قهره ، ولا جيشاً الا هزمه ، ولا بلداً الا فتحه ، صواماً قواماً دائم الذكر كثير البر ، لا يزال ذاكرة اثناء الليل وأطراف النهار سبحته فى يده لا يزالها فى اكثر اوقاته ، مكرماً للصالحين موقراً لهم معظماً للعلماء مقرباً لهم ، حاضراً فى مصالح المسلمين ، كثير الخير والرفقة على الضعفاء والمساكين ، لما ولي واستقام له الأمر صنع المارستان للمرضى والمجانين ، وأجرأ عليهم النفقات وجميع ما يحتاجون اليه من الأغذية والأشربة ، وأمر الأطباء بتفقد أحوالهم كل يوم غدوة وعشية ، وأجرأ على الكل الانفاق من بيت المال ، وأجرأ على الجذما والعميان والفقراء مالا معلوماً يأخذونه فى كل شهر من جزية اليهود لعنهم الله ، وبنا المدارس ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن وطلب العلم ، وأجرأ عليهم المرتبات فى كل شهر ، كل ذلك ابتغاء ثواب الله تعالى نفعه الله بقصده الصالح •

قضاته : بفاس الفقيه علي بن أحمد المعروف بابن القزاز ، والفقيه محمد بن عمران ، والفقيه أبو جعفر الزدغى ، والفقيه أبو أمية الدلائى ، وقضاته بحضرة مراکش الفقيه القاضى العالم المشاور أبو عبد الله الشريف ، والفقيه القاضى أبو فارس العمرانى •

وزرائه : الشيخ الوزير يحيى بن حازم العلوي ، والشيخ الوزير

أبو علي بن أبى منديل العسكري ، والشيخ الوزير أبو سالم فتح الله الصدراتى •

حاجبه : مولاه القائد عتيق •

كتابه : الفقيه أبو عبد الله الكنانى وأخوه الفقيه أبو الطيب سعد الكنانى ، والفقيه أبو عبد الله ابن الربيب ، والفقيه أبو عبد الله العمرانى وكتب له فى آخر عمره الفقيه عبد الله بن أبى مدين العثمانى •

بويق له رحمه الله بالخلافة بعد وفاة أخيه أبى بكر بثمانية أيام ، وذلك فى اليوم التاسع والعشرين من رجب سنة ست وخمسين وستمئة (الخميس ١ غشت سنة ١٢٥٨ م) وسنه يوم بويق ست وأربعون سنة ، واستقام له الأمر ، وفتح البلاد من أقصا السوس الى وجدة ، وفتح حضرة مراكش ، وقطع ملك الموحدىن ومحا أثرهم ، وفتح مدينة سجلماسة وبلاد درعة ومدينة طنجة ، وبايعه أهل سبتة على مال يؤدونه له فى كل سنة ، وجاز الى الأندلس برسم الجهاد ، فملك بها مايزيد على الخمسين مصرا مابين مدن وحصون ، منها مالقة ، ورندة ، والجزيرة الخضراء ، وطريف ، والمنكب ، ومريالة ، واشبونة ، وما بين ذلك من الحصون والقرا والبروج ، وخطب له على جميع منابر المغرب ، وهو أول ملك من بنى مرين حما الاسلام وشتت الصليبان وغزا الروم قدوخهم وقهر ملوكهم وحصرهم ، وأعز الله تعالا به الدين ، ورفع بدولته منار المسلمين وكانت الروم قبل ذلك قد استطالت أيديهم ، فملكوا أكثر بلاد الأندلس ، ولم ينصر بها للمسلمين راية من وقعة العقاب التي كانت فى سنة تسع وستمئة الى أن جازت للجهاد رايته المنصورة وجيوشه ، وذلك فى عام أربعة وسبعين وستمئة ، فملك العدوتين ، واحتوا على ملك الحضرتين ، فله الغزوات المشهورة ، والمآثر المذكورة ، والسير المحمودة ، والفضائل المشهودة والورع والدين ، والعدل والرفق بالمسلمين •

وقد كان منصورا على كل من ناوأه ، مؤيدا على من عاداه ، لم يزل على هذا السنن القويم ، الى أن أتاه اليقين ، وانتقل الى دار النعيم

الخبر عن سيره الجليلة ومآثره الجميلة

نذكرها مختصرة وجيزة ، ونقتصر منها على ما ذكر عبد العزيز
الملزوزي صاحب الأرجوزة :

قد حاز فيها قصبات السبق
ويذكر العلوم والآداب
وماله عن ورده من ميل
قام وصلا للالاه وركع
حتى يتم الحزب فى التغليس
والقصص التى بكل خبر
وبعده المعروف بالانجاد
ومن لديه من أجل الكنية
ثم يصلها كفعل الصلحا
فى باطن من سره وظاهر
للراي والتدبير والتزيين
ولا فتا فى قوله يجور
وبينهم يعقوب مثل البدر
وحل فى مكانة مكينه
قام الى بيت النداء والفخر
يأتى بقصد نهيه والأمر
ولم يزل الى صلاة العتمه
ويترك الوزير والخديما
يدبر الأمور والادارة
ينوي الجهاد باطنا وظاهرا
مبارك طالعه ميمون
ونشر العدل على العباد

سيرة يعقوب بن عبد الحق
سيرته أن يقرأ الكتابا
يقوم للصلاة ثلث الليل
حتى اذا ما أصبح لاح وانصدع
وضج بالتسبيح والتقديس
يقرأ أولا كتاب السير
ثم فتوح الشام باجتهاد
سؤاله تعجز عنه الطلبة
يقعد للكتب الى وقت الضحا
ويأمر الكتاب بالأوامر
ويدخل الأشياخ من مرين
مجلسه ليس به فجور
كانهم مثل النجوم الزهر
قد ألبس الوقار والسكينة
حتى اذا ما حان وقت الظهر
يبقى الى وقت صلاة العصر
فينصف المظلوم ممن ظلمه
ثم يؤم بيته الكريما
ثم ينام تارة وتارة
ما ان ينام الليل الا ساهرا
رايته يصحبها التمكنين
فأمن الغرب من الفساد

ولم يدع فى الغرب من يجور	وزالت الأموال والفجور
وخضعت مرين تحت قهره	وأذعنوا لنهييه وأمره
ورفع الظلم عن الرعيه	وقمع الطغاة فى البريه
فهل سمعتم مثل هاذي السيره	وهأذه المأثر الأثيره
كذاك كان فعله قديما	بذاك نال الملك والتعظيما

ولما استقامت له الأمور وتوطأ له الملك ، خرج من مدينة فاس الى رباط تازة يستشرف منها على أخبار يغمراسن بن زيان ، فدخلها فى أول يوم من شعبان من سنة ثمانية وخمسين وستمئة (الاثنين ١٢ يوليوز سنة ١٢٦٠ م) فأقام بها الى اليوم الرابع من شوال ، فوصله الخبر أن النصارا دخلوا مدينة سلا غدرا ووضعوا السيف فى أهلها فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأموالها وتمنعوا بها ، فكان دخولهم اياها ثاني يوم من شوال ، من سنة ثمانية وخمسين المذكورة ، فخرج من فوره مسرعا لاستنقاذها مشمرا عن ساعد الجد فى أمرها ، وكان خروجه اليها من رباط تازة بعد أن صلا العصر فى اليوم الرابع من شوال المذكور الذي اتصل به الخبر فيه فى نحو الخمسين فارسا ، فأسرا ليلته تلك ، ومن الغد صلا بظاهر سلا صلاة العصر ، فوصلها فى يوم وليلة ، ونزل على من بها من الروم ، وتداركت عليه جيوش المسلمين والقبائل المطوعين من جميع أفاق المغرب ، فحاصر الروم بها ، وضيق عليهم فيها ، ولم يرفع عنها القتال ليلا ولا نهارا حتى فتحها وأخرج النصارا قهرا عنها بعد أربعة عشر يوما من دخولهم اياها .

فلما خرج النصارا عنها بنا عليها السور الغربي الذي يقابل الوادي ، لأنها كانت لاسور لها من تلك الجهة ، فكان خروج النصارا منه ، فسار فى بنائه فبناه من أول دار الصناعة الى البحر ، وكان رحمه الله يقف على بنائه بنفسه ، ويمكن الصخرة بيده ، ابتغاء ثواب الله تعالى وتواضعا وحياطة على المسلمين حتى تم السور بالبناء والتحصين .

وفى هأذه السنة ملك أمير المسلمين بلاد تامسنا أنفا .

وفيها وصلت هدية المرتضا صاحب مراکش الى أمير المسلمين يعقوب وكتابه يطلب منه سلمه فصالحه أمير المسلمين وجعل الحد بينه وبينه وادي أم الربيع (١٧٤) .

قال المؤلف عفا الله عنه :

وفى السنة التي ولي فيها أمير المؤمنين يعقوب أنزل الله تعالا على أهل المغرب البركات ، وفتح عليهم بالخيرات ، فرأى الناس فيها من الدعة والخير مالا يوصف ولا يقوم أحد بشكره ، بيع الدقيق فيها بمدينة فاس وغيرها من بلاد المغرب ربع بدرهم ، والقمح ستة دراهم للصحفة والفول وجميع القطاني مالها سوم ، ولا يوجد من يشتريها ، والعسل ثلاثة أرطال بدرهم ، والزيت أربعون أوقية بدرهم ، ولحوم البقر مئة أوقية بدرهم ، ولحوم الضأن سبعون أوقية بدرهم ، والكبش بخمسة دراهم ، والزيت درهم ونصف للربع ، والتمر ثمانية أرطال بدرهم ، واللوز صاع بدرهم ، والشابل الطري فرد بغيراط ، والملح حمل بدرهم ، وذلك ببركته ويمن خلافته وحسن سيرته ونيته .

وفى سنة تسع وخمسين وستمئة فسد ما بين أمير المسلمين يعقوب والمرتضا الموحد صاحب مراکش ، فسرح فى أطراف بلاده ، وفيها كانت وقعة أم الرجلين بين أمير المسلمين يعقوب وجيش المرتضا من العرب والروم والموحدين ، فهزم جيش المرتضا وقتل حماتهم وفر من بقي وتركوا أموالهم ، وكان المرتضا قد استعد لهاذه الغزاة غاية الاستعداد ، وبعث فيها وجوه الموحدين ، وأشياخهم وسائر عرب جشم من الخلط وسفیان والأثبج وبنى جابر وبنى حسن وقواد الروم والأندلس والأغزاز ، ولم

(١74) نهر عظيم ينبع من جبال الأطلس المتوسط بين خنيفرة وعين اللوح ، ويصب فى المحيط الأطلسى عند مدينة أزموور بعد ما يقطع فى جريه مسافة 600 كلم ، تقدر كمية فيضه بألف متر مكعب فى الثانية خلال فصل المطر وتنخفض فى فصل الصيف الى أربعين متراً مكعباً فى الثانية فقط ، من أكبر روافده وادى العبيد الشهير ، أقيم على نهر أم الربيع سد علوه 50 م بالمكان المدعو ايمفوت يسقى 150 ألف هكتار من سهول دكالة ، كما أقيم على وادى العبيد سد بين الويدان الشهير الواقع خلف بنى ملال ، ويبلغ علو هذا السد 132 م وتسقى مياهه أراضى فلاحية مساحتها 160 ألف هكتار ، وتولد من الكهرباء كل سنة 600 مليون كيلو واط .

يترك بحضرته من جيشه أحدا الا نفرا يسيرا ، فهزم الكل وتركوا أموالهم
وأثقالهم وعددهم وسلاحهم ، فاحتوا أمير المسلمين يعقوب على ذلك كله .
وفى سنة ستين وستمئة سار أمير المسلمين يعقوب الى مراكش ،
فنزل بجبل جليز ، ثم زحف اليها وبرز عليها أحسن تبريز ، وصف
جيوشه ، ونشر الويته وينوده ، فأنحصر المرتضا بها ، وغلق على نفسه
أبوابها ، وفى ذلك يقول عبد العزيز الملزوزي فى رجزه رحمه الله
وعفا عنه :

فى عام ستمئة وستين	سار لمراكش سلطان مرين
فوقف المنصور فى كليز	مبرزا بأحسن التبريز
وعاد فيها المرتضا محصورا	ولم يكن فى قصره منصورا
ودارت الأعراب بالأسوار	واعتمدوا فيها على الحصار

فأخرج المرتضا لحربه السيد ادريس الكنا بأبى دبوس ، فكانت
بينهما حروب عظيمة قتل فيها الأمير عبد الله بن أمير المسلمين يعقوب ،
فارتحل عن مراكش بسبب قتل ولده فدخل مدينة فاس فى آخر شهر
رجب من سنة احدا وستين وستمئة .

وفى سنة احدا وستين وستمئة المذكورة طلع النجم أبو الذوائب ،
وكان ظهوره يوم الثلاثاء الثانى عشر لشعبان من السنة المذكورة (٢٢)
يونيو سنة ١٢٦٣ م) وبقي يطلع فى كل ليلة فى وقت السحر نحو من
شهرين .

وفى هذه السنة جاز الفارس الأنجد عامر بن ادريس فى جمع من
بنى مرين والمطوعة يزيدون على ثلاثة آلاف فارس برسم الجهاد ، فعقد
لهم أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رايته المنصورة ، وأعطاهم العدد
والخيل وودعهم ودعا لهم ، وهو أول جيش من بنى مرين جاز الى الأندلس
وفى سنة اثنتين وستين وستمئة توفي ادريس ابن أبى قريش عامل
أمير المسلمين على بلاد المغرب .

وفى سنة ثلاث وستين وستمئة بعث الفقيه العزفى صاحب سبتة

أجفانه الى هدم سور أصيلة وقصبتها ، فهدمت لأنه خاف بخلائها ان يملكها العدو ويتمنع بها *

وفيها سار أمير المسلمين الى مراكش برسم رعي زروعها ، فوصل الى أحوازها وباعه جملة من العرب الذين بأئنائها ، وانصرف الى مدينة فاس ، وبعد انصراف أمير المسلمين عن مراكش واستقراره بفاس وشي للمرتضا بقائد جيوشه السيد ادريس أبى دبوس ، وقيل له انه يكاتب بنى مرين ، فأراد القبض عليه ، ففر منه ولحق بأمر المسلمين يعقوب بحضرته بفاس ، فأكرمه وأقبل عليه غاية الاقبال ، وقال له ماالذي أتاك ياادريس ؟ قال فررت من القتل وقصدت حماك لتصرنى وتعينني على عدوي وتعطيني عسكريا من بنى مرين وبنودا وطبولا ومالا أنفقه على ذلك ، وأنا أضمن لك أخذ مراكش ، واذا أخذتها يكون نصفها لك ونصفها لى فأسعهف أمير المسلمين لطلبه وعاهده على ذلك ، وتوثق له بالايامن المغلظة ، والعهود المؤكدة ، فأعطاه جيشا من خمسة آلاف فارس من قبائل رناتة ، وأعطاه طبولا وبنودا وخيلا وسلاحا ومالا برسم النفقة فى طريقه ، وكتب له الى قبائل العرب وقبائل هسكورة أن يكونوا له عوناً ، وودعه فانصرف ، فارتحل ادريس أبو دبوس حتى وصل بلاد هسكورة ، فنزل بها وكتب الى من بمراكش من خاصته يخبرهم بقدومه ويسألهم عن حال البلد والمملكة ، فكتبوا اليه ان أقدم ، فان الناس فى غفلة والجيوش متفرقة فى أطراف البلاد ، ولن تجد وقتا لانتهاز فرصة مثل هاذى ، فأسرع أبودبوس نحوها ، وجد السير بجيوشه حتى دخلها ، وكان دخوله اياها من باب الصالحة فى وقت الضحا والناس فى غفلة ، فتملك حضرة مراكش واستقر بقصرها ، وفر عنها المرتضا ، فقتل بخارجها وذلك فى شهر المحرم من سنة خمس وستين وستمئة ، فبعث اليه أمير المسلمين يعقوب للعهد الذي كان بينهما ، فقال للرسول مايبنى وبينه عهد الا السيف وقال له : قل له يبعث ببيعته وأقره على مايبده من البلاد ، والا غزوته بجنود لا قبل له بها ، فوصل الرسول الى أمير المسلمين فأبلغه الجواب ، وأعلمه بملكته وميله عن الصواب ، فخرج أمير المسلمين يعقوب بن عبد

الحق الى غزوه من حضرة فاس ، فسار حتى نزل بظاهر مراکش فحاصرها
وهناك أحوازاها ، ورعا زروعها فلما رأوا أبو دبوس ماناله من شدة القتال
والحصار ، ورعي الزروع ونسف الآثار ، وشدة المجاعة في بلاده وغلاء
الأسعار ، كتب الى يغمراسن بن زيان يستنصر به ويرغب منه ان يكونا
على أمير المسلمين يعقوب يدا واحدة ، فتعاهدا على ذلك ، واتفقا عليه ،
فشن يغمراسن الغارات في أطراف بلاد أمير المسلمين يعقوب ، فاتصل به
الخبر وهو محاصر لمراكش فأقلع عنها وقصد الى تلمسان ، لحرب
يغمراسن بن زيان ، ورأوا ان تقديم غزوه من الواجب ، اذ هو فارس زناتة
البطل المحارب ، فسار حتى وصل الى مدينة فاس ، فأقام بها أياما حتى
استراح الناس ثم خرج الى تلمسان وذلك في الخامس عشر من شهر
محرم من سنة ست وستين وستمئة (٥ أكتوبر ١٢٦٧ م) في احتفال عظيم
وزي عجيب ، بالقباب والعيال ، والجيوش الوافرة والركاب والأموال ،
فسمع يغمراسن بأقباله ، فخرج من تلمسان الى لقائه وقتاله ، فالتقا
الجمعان بوادي تلاغ ، فالتقا الأبطال بالأبطال ، واختلط الأمثال
بالأمثال ، وتمازجت الركاب بالركاب ، واصطفت من الجانبين العيال
والقباب ، وزحفت الجيوش على الجيوش ، فكانت بينهم حروب عظيمة ،
وهزاهز جسيمة لم ير مث لها ، فلم تر الا الخيول تضبح ، وأهلها السى
اللقاء تطمح ، فدام القتال بينهما من وقت صلاة الضحا ، الى صلاة
الظهر ، وصبرت قبائل مرين لقتال عدوها صبر الكرام الغر ، ومنحهم
الله تعالا على أعدائهم النصر ، فتمكنوا من رقابهم ، فهزمت بنو عبد
الوادي ، وأذاقهم مرين الكرام الحمام في ذلك الوادي ، وفر يغمراسن
مهزوما على وجهه ، وقتل قرّة عينه عمر أكبر ولده وولي عهده ، وسار
أمير المسلمين يعقوب في أعقابهم ، ورماحه تشرع فيهم وسيوفه تعمل
في رقابهم ، فدخل يغمراسن تلمسان خاسرا مقيدا ، مهزوما وحيدا ،
وانتهبت مرين جميع محله وأمواله ، ومضاربه وعياله ، فكانت غزاة
تلاغ المذكورة يوم الاثنين الثاني عشر لجمادى الآخر من سنة ست
وستين وستمئة (٢٨ يناير سنة ١٢٦٨ م) ، ورجع أمير المسلمين من

هاذه الغزاة مظفرا منصورا ، مؤيدا مسرورا ، واذ حنق على ادريس ابى دبوس أقام هناك بمدينة فاس الى أن ظهر هلال شعبان من السنة المذكورة ، فخرج الى مراكش لغزو ادريس أبى دبوس الناكث لعهوده ، فلم يزل يوالى المسير ، والسعد يقدمه والتيسير ، حتى وصل الى وادي أم الربيع ، فنزل هناك وبث جنوده فى بلاد أبى دبوس يأكلون زروعها ، ويسفون ربوعها ، فأقام هناك الى ان دخلت سنة سبع وستين وستمئة فى غرة المحرم منها (الاثنين ١٠ شتنبر سنة ١٢٦٨ م) فارتحل عن وادي أم الربيع الى ناحية تادلة ، فغزا بها عرب الخلط ، فأكلهم وسبوا حريمهم وأموالهم ، ورجع من تادلة فنزل بوادي العبيد فأقام هناك أياما ، ثم غزا بلاد صنهاجة وسباها وأقبل يدور فى أحواز مراكش الى آخر ذي قعدة من سنة سبع وستين وستمئة ، فاجتمع أشياخ القبائل من العرب والمصامدة فساروا الى أبى دبوس وقالوا له كم تقعد عن حرب بنى مرين وتجنبن عن لقاءهم ؟ أما ترا بلادنا قد خربت ، وأموالنا قد نهبت ، وحريمتنا قد سبي ؟ فاخرج لجهادهم عسى ان يكون السبب لبعادهم ، فانهم فى شردمة قليلة وعصابة يسيرة ، وأكثرهم قد بقي برباط تازة يحرس ذلك الثغر خوفا عليه من بنى عبد الوادي ، فاغتر ادريس أبو دبوس بقولهم ، وسارع الى نصرهم ، وخرج فى جيوش عظيمة وجنود وافرة من الموحيدين والعرب والروم وقبائل المصامدة ، فلما سمع أمير المسلمين يعقوب بخروجه من مراكش كر راجعا نحو المغرب حيلة منه ليبعده عن حضرته ، فسمع ادريس أبو دبوس برجوعه فطمع فيه ، وظن رجوعه انما هو للخوف منه، فجد فى اتباعه ، فكان أمير المسلمين يعقوب اذا ارتحل من موضع أقبل أبودبوس فنزل به ، فلم يزل لأثره يقفو ، حتى أتا لحينه وادي ودغفو ، فكر أمير المؤمنين راجعا فى وجهه عازما على قتاله وحربه ، فالتقا الجمعان ، وأقبلت بنو مرين امثال العقبان ، والتحم القتال واشتد النزال، وصبرت مرين صبرها فى قتال أعدائها ، فرأى أبو دبوس مالا طاقة له به ، فأاد الفرار ، لكي ينجو الى مراكش فيعتصم فيها بالأسوار ، فأدركته الضمر السوابق ، وأقبلت أبطال مرين نحوه تسابق ، فحالوا بينه وبين

أماله ، وسارعوا الى طعنه وقتاله بالرماح فى وسط المعترك ، وسقط تحت جواده صريعا فكم من ذئب مع النسر فى أشلائه اشتبك ، واحتز قاذله رأسه فى الحين ، وأتا به الى أمير المسلمين ، فوضعه بين يديه ، فحمد الله وأثنا عليه ، ثم خر لله تعالا ساجدا ، ثم رفع رأسه شاكرا وحامدا ، ثم أمر بالرأس فحمل الى مدينة فاس ليعتبر برؤيته الناس ، واحتوا أمير المسلمين يعقوب على جميع محلته ، وذلك يوم الأحد الثاني لحرم مفتتح سنة ثمان وستين وستمئة (١ شتنبر سنة ١٢٦٩ م) ، وارتحل أمير المسلمين الى حضرة مراکش فدخلها فى يوم الأحد التاسع لمحرم المذكور ، فاستقر بحضرة مراکش وتم له ملك المغرب وتهذنت البلاد ، وصلى أمر العباد ، ونأمنت الطرقات ، وكثرت الخيرات ، وأذعن الناس الى الطاعة ، ودخلوا فى الجماعة ، فلا تائر ولا قاطع ، ولا مفسد ، ولا ألفك ولا ملحد .

ونأ دخل على حضرة مراکش أمن أهلها وقبائلها وأحسن اليهم ، وأفاض العدل فيهم ، وبعث ولده الأمير عبد الواحد الى بلاد السوس وتلك الاقطار ، وغزو من بها من المنافقين والأشرار ، ففتح تلك البلاد ، وأتت قبائلها طائعة مدعنة من الأغزاز والأجناد .

فلما فتح بلاد السوس بأجمعها واستنقام له أمرها ، رجع الى حضرة مراکش فسر والده بقدمه وأقام أمير المسلمين يعقوب بحضرة مراکش يسدد أحوالها وينظر فى أمورها ومصالحها ، الى رمضان من سنة تسع وستين وستمئة ، فخرج فى أول يوم من رمضان المذكور (الاثنين ١٢ أبريل سنة ١٢٧١ م) الى غزو العرب ببلاد درعة ، فانهم كانوا قد ثاروا بها وملكوا حصونها وقلاعها وأبادوا بالنيب والقتل أهلها وأموالها ، فوصلهم فى النصف من رمضان المذكور فقتل منهم خلقا كثيرا وسلب أموالهم ونساءهم ، وفتح جميع بلاد درعة وملك حصونها بعد ان كان أهل المغرب تمنعوا بمعقل منها ، فحاصروهم بها أياما فنزلوا بأمان ولده الأمير عبد الواحد فعفا عنهم وأمضا أمان ولده اليهم ، ولم يبق ببلاد درعة من أهل النفاق والفساد أحد ، ثم ارتحل الى مراکش فدخلها فى

نصف شوال من السنة المذكورة ، فأقام بها بقية شهر شوال وخرج منها الى مدينة رباط الفتح من أرض سلا ، فدخلها في آخر ذي قعدة من سنة تسع وستين المذكورة ، فعيد بها عيد النحر ، وأخذ البيعة لولده عبد الواحد في ذلك اليوم على بنى مرين ، وكان الأمير عبد الواحد على غاية الفضل والكرم ، والشجاعة والحزم ، ومكارم الاخلاق ، وكان عالي الهمة محبا للادب مقربا لأهله ، يجالس العلماء والأدباء والشعراء ، ويتخذهم بطانة وقد اختص جماعة من الفقهاء لمجالسته ومنادمته ، منهم القاضي يوسف ابن حكم ، والفقيه القاضي الكاتب البار علي المغيلي ، والفقيه الأديب القدوة مالك ابن المرحل ، والفقيه الكاتب أبو عمران التميمي ، والفقيه الأديب عبد العزيز الملزوزي الشاعر .

وكان الأمير عبد الواحد رحمه الله يحب الشعر ويرويه ويأخذ نفسه بنظمه ، وربما نظم منه البيتين والثلاثة ، ومن شعره يفخر رحمه الله وعفا عنه :

فرقت في الميدان كل ملك وجمعت بين جراءة ونسوك
وجعلت في الميدان حدا مالكا كي لا تغيره انعدا بسوك

ولما أخذ أمير المسلمين البيعة لولده عبد الواحد برباط الفتح ، وذلك يوم عيد النحر سنة تسع وستين المذكورة (٢١ يوليوز سنة ١٢٧١م) عز ذلك على جماعة من بنى عبد الحق ، وساروا من ليلتهم تلك الى جبل أمركو (١٧٥) فنافقوا به ، وهم محمد بن إدريس بن عبد الحق ، وموسا بن رحو بن عبد الحق ، وجميع أولاد سوط النساء ، فخرج أمير المسلمين في أثرهم ، وقدم بين يديه ولده الأمير يوسف في خمسة ألاف فارس أخرا فشرعوا في قتالهم ثم لحق بهم أمير المسلمين بجميع عساكر مرين ، فنزل عليهم في اليوم الثالث ، فحاصره به يومين فاذعنوا للطاعة ، وطلبوا الأمان فأمنهم وعفا عنهم على أن يرتحلوا الى تلمسان فساروا

١٧٥) امركو : جبل شهير بقبيلة فشنالة قرب صريح مولاى بوستا الخمار . بأعلاه حصن منيع من بناء المرابطين .

اليها ، ثم جازوا منها الى الأندلس .

وفى سنة تسع وستين المذكورة توفى يعقوب بن جابر العبد الوادي أمير سجلماسة ليغمراسن خرج له خراج فى مذاكيره فمات منه .

وفى سنة سبعين وستمئة خرج أمير المسلمين يعقوب الى غزو تلمسان ، وقتال يغمراسن بن زيان ، فبعث ولده الأمير عبد الواحد الى أرض مراکش يحشد من بها من قبائل العرب والمصامدة ، ويلحقه بالجميع ، فخرج بالجميع من مدينة فاس فى غرة صفر من السنة المذكورة (الثلاثاء ٨ شتنبر سنة ١٢٧١ م) ، فى جميع جيوشه من بنى مرين أنجدهم الله تعالا ، فسار حتى نزل وادي ملوية ، فأقام عليه أياما حتى ورد عليه ولده الأمير عبد الواحد فى جيوش عظيمة من قبائل عرب جشم والأندلس والأغزاز والروم فى احتفال واستعداد ، فأقام بعد وصول ولده اليه ثلاثة أيام ، ثم ميز جيوشه وارتحل الى تلمسان ، فلما كان بتافنا (١٧٦) أتاه رسول ابن الأحمر يسأله ان ينصر الدين ، ويغيث بالأندلس المسلمين ، ويخبره ان الفونسو لعنه الله قد ضيق ببلاده ، فخرج أمير المسلمين يعقوب رحمه الله الى خباء الساقية وجمع أشياخ بنى مرين وأشياخ العرب وأخبرهم بما فيه المسلمون بالأندلس واستشارهم فى ذلك ، فأشاروا عليه بصلح يغمراسن وتهديد البلاد ، والجواز الى الجهاد ، فبعث الأشياخ من كل قبيلة من زناتة والعرب الى يغمراسن يطلبونه فى الصلح ، وقال لهم ان الصلح خير كله ، فان جنح اليه وأتاب فحسن ، وان أبا الا القتال فاسرعوا الى الرجوع ، فسارت الأشياخ الى يغمراسن فرغبوه فى الصلح ولاطفوه فى ذلك بالقول الجميل ، فقال لهذ لاصلح بيني وبينه ، أبعد قتل ولدي عمر أصلحه ؟ والله لاكان ذلك أبدا ، ولا أترك قتاله أبدا ، حتى أأخذ منه الثأر ، وأذيق بلاده التبار ، فوصلت الرسل بذلك ، فأسرع أمير

(176) تافنا : نهر ينبع من جبل بنى ورنيد قرب قرية سيدو جنوبى تلمسان ، ويسير متحشداً فى اتجاه جنوبى عربى ثم شمال شرقى حتى يصب فى البحر المتوسط أمام جزيرة أرشكون غربى مرسا بنى مصاف ، كان به الحد بين المغربيين الأقبصا والأوسط خلال الحكم التركى للجزائر ، ثم دفع الحد غرباً الى نهر كريس سنة 1845 .

المسلمين نحوه السير ، ودعا الى الله تعالى بالنصر والتيسير ، وخرج يغمراسن للقاءه فى قوة واستعداد ، وجيوش مالها حصر كأنها الجراد ، فالتقا الجمعان بوادي ايسلى بمقربة وجدة ، فالتحمت الحروب بينهما واضطربت ، واشتعلت نار الوغا والتهبت ، وشمرت عن ساقها وتذمرت ، فجعل أمير المسلمين ولده عبد الواحد على اليمينه وولده يوسف على اليسرة ، فتقدم يوسف باليسرة للقتال ، وتابعه عبد الواحد باليمينه للطن والذال ، وأتا والدهم أمير المسلمين على اثرهم فى القلب والساقة فالتحم الحرب وكثرت الأهوال ، فهزم يغمراسن وقتل ولده فارس ، وفر مع بعض ولده ، وخرج من تحت ذباب السيوف وقتل من بنى عبد الوادي وبني راشد خلق كثير ، وقتل جميع من كان بمحلته من الروم . ولولا أنه حال الظلام بين الفريقين لمن بنى عبد الوادي باقية ، ومسر يغمراسن على محلته وهو مهزوم ، فأضرم فيها النيران وفر حتى دخل تلمسان ، كما قال الله تعالى فى كتابه المبين (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) ، وانتهبت الناس محلته وأمواله ، وأثقاله وعياله ، وارتحل أمير المسلمين من الغد فى أثره حتى وصل الى وجدة ، فوقف عليها حتى هدمت وعفا أثرها وجعل عاليها سافلها ، وتركها قاعا صفصفا ، وارتحل عنها وكانت هاذة الهزيمة فى النصف من رجب من سنة سبعين وستمئة (١٦ يبرابر سنة ١٢٧٢ م) ، وفى ذلك يقول بعض الكتاب ، المتزمين لخدمة ذلك الباب ، رحمه الله :

إذا الخيل جالت فى الحروب حسبتهم قضاء من أرحمان مامنه عاصم
ووالدهم فى جاحم الحرب بينهم يبيد حماة الجيش والسعد قائم
فويحك يا يغمور هل لك منجد أيقظان حين أت أم أنت نائم ؟
أفى كل عام ترك ابنك للقنا وتسبل لك الغيد الحسان الكرائم

ولما هدم أمير المسلمين وجدة ولم يبق لها اثر أوغل فى بلاد يغمراسن يخربها ويسبى أموالها حتى وصل الى تلمسان ، فزّلها ودارت المحلات بأسوارها وشد فى حصارها ، وشرع فى قتالها ، فوصل اليه وهو عليها الأمير محمد بن عبد القوي التجينى فى جيش كثيف واحتفال عظيم

بالطبول والبنود ، فركب أمير المسلمين الى لقائه فى جيوشه وأبطاله ، فتلقيه بأحسن زى وأكمل احتفال ، واشتد الحصار على يغمراسن وعظم القتال ، وضيق قبائل تحيين بمدينة تلمسان ، لأخذ ثارهم من يغمراسن بن زيان ، فقطعوا الثمار والجناث وخربوا الرباع ، وأفسدوا الزروع ورقوا القرا والضياح ، حتى لم يدعوا بتلك النواحي قوت يوم ، حاشا السدرة والدوم ، فلما نسف بلاده ، وقتل أجناده ، أمر بازيان محمد ابن عبد القوي بالرجوع الى بلاده ، وأعطاه ألف ناقة من مال بنى عبد الوادي ومئة فرس من مراكبهم ، وخلعا وسيوفا ودرقا ومضارب ، وقعد أمير المسلمين بظاهر تلمسان حتى تعرف أنه وصل الى ونشريس خوفا عليه من يغمراسن ان ينبعه ، فلما علم أمير المسلمين أنه قد وصل الى بلاده بجميع ما أعطاه من النعم أقلع عن تلمسان وكر راجعا الى المغرب مظفرا منصورا ، فوصل رباط تازة فى أول يوم من ذي حجة من سنة سبعين المذكورة (الخميس ٢٩ يونيو سنة ١٢٧٢ م) ، فعيد بها عيد النحر وارتحل الى مدينة فاس فدخلها فى غرة المحرم من سنة احدا وسبعين وستمئة (الجمعة ٢٩ يوليوز سنة ١٢٧٢ م) فأقام بها الى اليوم الحادي عشر من صفر فتوفي ولده الأمير عبد الواحد ، فأسف لفقده ، ثم تلقا بالرضا أمر ربه ، وصبر الصبر الجميل ، وارتحل الى مراكش فدخلها فى أول يوم من ربيع الثانى من السنة المذكورة (الثلاثاء ٢٦ اكتوبر) فأقام بها وأصلح أحوالها ، وهادن أحوازها ، وخرج منها الى طنجة فوصلها فى أول يوم من ذي حجة من سنة احدا وسبعين المذكورة (الاثنين ١٩ يونيو سنة ١٢٧٣ م) ، فنزل عليها وحاصرها وشرع فى قتالها ، فأقام يقاتلها غدوا ورواحا ، ومساء وصباحا ، مدة من ثلاثة أشهر ، وكانت طنجة حين قتل بها ابن الامين وأولاد أبى يحيى ملكها الفقيه أبو القاسم العزفى صاحب سبتة ، فضبطها وقام بأمرها مع أشياخها ، فلما طال مقام أمير المسلمين عليها أراد الرحيل عنها فبينما هو فى اليوم الذى عزم على الرحيل فى غده واقفا أمامها والناس يقتتلون بين يديه وقد قارب العشي اذا جماعة من رماتها قد قاموا فى برج من أبراجها ، وكان معهم

شيخ من أشياخ الرماة وقوادها يعرف بابن اللجى فأشار الى المحلة ورفع راية بيضاء شعارا فبادر اليه المقاتلون من أهل المحلة فملكوهم البرج ، فأقاموا عليه يحاربون أهل البلد طول ليلتهم ، فلما كان عند الصباح تكاثرت عليهم الرجال والرماة واشتد الكفاح ، فانهزم أهل البلد وأخلوا الأسوار ، وركنوا للفرار ، فدخلت المدينة عنوة على أهلها ، فعفا أمير المسلمين عنهم، ونادا مناديه الأمان ، ولم يمت بها الا نفر يسير ممن رفع يده ، وشهر سلاحه فى حين الرحلة ، وكان فتح طنجة ودخول أمير المسلمين اياها عنوة فى شهر ربيع الأول من سنة اثنين وسبعين وستمئة .

ولما فرغ أمير المسلمين من فتح طنجة بعث ولده الامير يوسف الى سبتة فحاصر بها العزفى أياما فبايعه وصالحه على مال يؤديه فى كل سنة ، فقبل ذلك منه وارتحل عنه .

وفى شهر رجب من سنة اثنتين وسبعين المذكورة خرج أمير المسلمين يعقوب لغزو مدينة سجلماسة ، وكانت بيد يغمراسن بن زيان وعرب المنبات ، وكان يغمراسن يبعث اليها فى كل سنة ولدا من أولاده لضبطها وجباية خراجها مع المنبات الذين قاموا بأمرها ، فسار أمير المسلمين يعقوب اليها فى جيوش بنى مرين وقبائل العرب ، فحاصرها وشرع فى قتالها وضيق عليها وبالح فى حربها ونصب عليها المجانيق والرعمادات وضاق أهلها من شدة الحصار والقتال ، فكانوا يصعدون على الأسوار فيسبون ويلعنون بالقبيح ، فهتك المنجنيق من سور لها برجا ومسافة ، فانهد البرج والمسافة ، فدخلها من هنالك عنوة بالسيف على عاملها عبد الملك ابن حنينة العبد الوادي ، فقتل هو ومن كان معه بها من بنى عبد الوادي وعرب المنبات ، وكان فتحها يوم الجمعة ثالث ربيع الأول من سنة ثلاث وسبعين وستمئة (٧ شتنبر سنة ١٢٧٤ م) ، وقيل كان فتحها آخر يوم من صفر من السنة المذكورة ، فأمن أمير المسلمين أهلها وعفا عنهم وأصلح أحوالهم وأقام بها أياما حتى تهدنت أحوازها وأوديتها وتأسمت سبلها وراتحل عنها وترك بها عامله .

ولما رجع أمير المسلمين من فتح سجلماسة سمت به همته العلية الى

الجهاد ، اذ لم يبق له منازع بالبلاد ، فورد عليه فى اثناء ذلك كتاب ابن الأحمر يستنصره ويسأله اعانة الأندلس ويخبره بما فيه المسلمون بها من القتل والاسر وكثرة الغارات مع الأحيان والساعات ، فوجده عازما على الجهاد حريصا على الجواز ، فتتابعت عليه رسل ابن الأحمر يقول له يا أمير المسلمين أنت ملك الزمان ، والمنظور اليه فى هذا الأوان قد وجب عليك نصر المسلمين ، واعانة المستضعفين ، فان لم تنصر الاسلام فمن ناصره ؟ وكان الشيخ أبو عبد الله ابن الأحمر قد أوصا ولده عند وفاته ان يستدعي أمير المسلمين للجهاد ، ويعطيه مايريده من البلاد ، فلما أمير المسلمين دعوته ، وبادر الى اجابته ونصرته ، وخرج من مدينة فاس برسم الجواز رحمه الله .

الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد وهي أولا غزواته إلى بلاد الشرك

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما تواترت الرسل وتتابعت الكتب على أمير المسلمين من ابن الأحمر يستدعيه للجواز ويستنصره ، خرج من مدينة فاس فى أول يوم من شوال من سنة ثلاث وسبعين المذكورة (السبت ٣٠ مارس سنة ١٢٧٥ م) حتى وصل الى طنجة فبعث الى الفقيه أبى القاسم العزفى ، وأمره بتعمير الاساطيل لجهاد المشركين ، واصلاح الأجفان واعادها لجواز المجاهدين ، وأمره بالتعاون على البر والتقوا ، وعقد لولده الأمير أبى زيان على جيش من خمسة آلاف فارس من أنجاد بنى مرين وفرسان العرب ، ودفع له رايته المنصورة ، وأوصاه بتقوا الله تعالا فى السر والعلانية ، ودعاه الى قصر المجاز ، فوجد الفقيه أبى القاسم العزفى قد جهز له عشرين جفنا وأعدها هنالك لجواز المجاهدين ، فركب الأمير أبو زيان البحر فى جميع جيشه من قصر المجاز ، فنزل بطريف من بلاد الأندلس ،

وذلك فى السادس عشر من ذى قعدة سنة ثلاث وسبعين المذكورة ، فأقام بطريف ثلاثة أيام حتى استراح الناس والخيـل من هول البحر ، فخرج الى البحيرة فغنمها وبعث بالغنم الى الجزيرة ، ووالا السير فى بلاد العدو يقتل ويسبى ويخرب القرا والحصون ويحرق الزرع ويقطع الثمار وينسف الاثار حتى وصل الى شريش ، ولم يقدر أحد من الروم ان يخرج اليه ثم قفل الى الجزيرة بالمغانم والسبي والعلوج فى القطائن يفرح به أهل الأندلس اذ كانت بلادهم لم تنصر بها للمسلمين راية من غزاة العقاب التى هزم بها الناصر الموحدى فى سنة تسع وستمئة الى هـ هذه الغاية ، وألقا الله تعالى الرعب فى قلوب أهلها من الروم ، فكانوا لا يستطيعون قتالهم ولا يبرزون اليهم ولا يواقفونهم ، فملك الروم بلادها وحصونها وقواعدها الى أن جازت راية المنصور أمير المؤمنين يعقوب فأعز الله تعالى بها الاسلام ونصر بها الايمان ، وأذل بجوازا عبدة الأوثان ولما انصرف الأمير أبو زيان بـراية والده المنصورة الى الأندلس بعث أمير المسلمين يعقوب حفيده الأمير تاشفين بن عبد الواحد السى يغمراسن بن زيان يطلبه فى الصلح واجتماع كلمة الاسلام لكي يجوز الى الجهاد ، ويزيل الروعة من البلاد ، فتم الصلح بينهما بفضل الله تعالى على المراد ، واجتمعت كلمة أهل الاسلام وألف الله تعالى بين قلوبهم ، فوصل الأمير تاشفين من تلمسان وقد تم صلحه مع يغمراسن ، فسر أمير المسلمين بذلك سرورا عظيما ، وتصديق بمال جليل شكرا لله تعالى ، ثم كتب الى أشياخ مرين وقبائل العرب والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل العرب يستنفرهم الى الجهاد ، فخرجت الكتب الى القبائل والبلاد ، وارتحل أمير المسلمين الى قصر المجاز ، فأخذ فى تجهيز الجيوش والخيـل والسلاح والعدد وتجويزهم الى الأندلس وتجويز المجاهدين ، فكان رحمه الله يجوز كل يوم قبيلة من بنى مرين ، وطائفة من المجاهدين ، فكان الناس يجوزون أفواجا أفواجا ، وقبيلا قبيلا ، وأفرد أجفانا لجواز الموطوعين لايجوز فيها غيرهم ، فلما كمل الناس بالجواز واستقروا بسواحل الأندلس وانتشرت محلات المسلمين من طريف

الى الجزيرة الخضراء جاز أمير المسلمين أخرهم على حين غفلة من الناس ، فنزل بساحل طريف ، وكان جوازه رحمه الله فى ضحوة يوم الخميس الحادي والعشرين لصفر من سنة أربع وسبعين وستمئة (١٥) غشت سنة ١٢٧٥ م) فصلا الظهر بطريف وانصرف الى الجزيرة الخضراء من حينه ، فوجد بها الأمير ابن الأحمر وابن أشقيلولة سلطاني الاندلس بعساكرهما وحشودهما ينتظرانه بها ، فالتقا بهما وسلما عليه ، وكان بين ابن الأحمر وابن أشقيلولة منافسة وشحناء ، فأزالها وأصلح بينهما واجتمعت الكلمة وتآلفت القلوب بحول الله وتفاوضوا فيما يصلح المسلمين وكيف يكون العمل فى جهاد المشركين ، ثم ودعه ابن الأحمر وابن أشقيلولة وانصرفا الى بلادهما ، فسار ابن الأحمر الى غرناطة ، وابن أشقيلولة الى مالقة ، وارتحل أمير المسلمين يعقوب بجميع جيوش المجاهدين تقاصدا الى غزو الكافرين لم يقعد ولم يتلبث ، ولم يبال بمن قعد او تخلف ، ثم تستطب جفونه مناما ولم يلتذ شرايا ولا طعاما ، حتى وصل الى الوادي الكبير مخافة أن يشعر الروم بقدومه او ينذرهم به نذير ، فعقد هنالك لولده الامير يوسف على مقدمته وقدمه بين يديه فى جيش من خمسة آلاف فارس ، وأعطاه طبولا وبنودا ، فانتشرت الجيوش فى أرض الوادي الكبير كأنها السيل العر الغزير او الجراد المنتشر ، لايمرون بشجرة الا قطعوها ، ولا بقرية الا خربوها ، ولا بمال الا غنموه ، ولا بزرع الا حرقوه فغنموا مايتلك الناحية من الاموال ، وقتلوا من وجدوه بها من الرجال ، وسبوا الذرية والعيال ، وسار حتى بلغ حصن المدور من أحواز قرطبة يقتل ويسبى ويحرق الزروع ، ويخرب القرا والربوع ، حتى هتت جميع أحواز قرطبة وأبدة وبباسة ونواحيها ، وقتل فيها من الروم أنوفا لاتحصى وسبا نساءهم وذرايرهم كذاك ودخل حصن بلنسية بالسيف ، وغنم المسلمون جميع ماكان به من الأموال ، وامتلات أيدي بنى مرين بالغنائم ، فأمر امير المسلمين بجمع المغنم ، فجمع البقر والغنم والخيل والدواب والعلوج والروميات والذرايري والثياب والعدد فتألف منها ماملاً السهل والوعر ، ولا يحويه عد ولا حصر ، ثم أمر بها فقدمت بين يديه ،

وأفسد بالحرق والقطع والتخريب جميع مامر عليه ، وأضرم النيران فى تلك الجهات ، حتى صار البلد كالشفق فى الظلمات ، واجتمع السبي على شنيل ، وفاضت الغنائم هنالك فيض النيل ، ثم ارتحل أمير المسلمين والغنائم تساق أمامه وتقاد الروم بين يديه فى الأصفاة مقرنين ، حتى قربوا من مدينة استجة فأثا بها النذير الى أمير المسلمين ، فأخبره ان جميع النصرانية قد تألفت على كبيرهم وزعيمهم دون نونيودي لارا ، وانه قد خرج فى طلبه فى جيوش عظيمة ، وجنود كثيرة جسيمة ، وهو لاحق بك فى يومك هاذا ، مستعد الى قتالك ورد المغانم واستنقاذها من يدك .

الخبر عن غزاة أمير المومنين يعقوب

إلى دون نونيو دى لارا

لما وصل أمير المسلمين الى استجة برز عليها بجيوشه المنصورة وبما أفاء الله تعالا عليه من الغنائم ، فوافاه النذير باقبال دون نونيودي لارا (١٧٧) اليه بجيوش الروم ، فدعا بأشياخ بنى مرين يشاورهم كيف العمل فى لقاء الكافرين اذ نظر الناس الى طلائع خيل الروم مقبلة نحوهم ألوا الوفا ، والرجال أمامهم صفوفا صفوفا ، وزعيم النصرانية دون نونيودي لارا فى وسط الجيوش كان ألفونسو لعنه الله قد قدمه على جيوشه وحروبه ، وفوض له فى جميع بلاده وأموره ، وكان النصرارا قد سعدوا به لانه لم يهزم قط ، وكان وبالا على بلاد الاسلام شديد اللوطاة عليها قد أباد أكثرها لايفتر عنها بالفارات على مدى الايام، فأقبل اللعين الى حرب أمير المسلمين بالأبواق وتحت ظلال البنود تخفق على رأسه فى جيش كأنه الليل الداج يموج كالبحر اذا هاج ، والخيـل

(١٧٧) فى الأصل ذى نونه ، ويكتبه المؤرخون المغاربة ذ نونه أيضاً ، واسمه الحقيقى هو ما أثبتناه .

والرجال تأتي على أثره زمرا وأفواجا بعد أفواج ، قد أعدوا للحرب
أوزارها ، وزعموا أنهم أصبحوا حماتها وانصارها ، وتدرعوا هم وخيولهم
بالزرد النضديد ، ومصفحات الحديد •

فلما عاين ذلك أمير المسلمين من أمرهم وشاهد عزمهم فى اقبالهم
أمر بالغنائم فقدمت بين يديه وبعث معها ألف فارس من أنجاد بنى مرين،
وتأخر هو بجميع جيوش المجاهدين ، للقاء أعداء الله الكافرين ، ثم نزل
عن جواده ، فأسبغ وضوءه وصلا ركعتين ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء
والمسلمون يؤمنون على دعائه ، فكان فى الآخر دعائه مادعا به النبي صلا
الله عليه وسلم يوم بدر للصحابة : اللهم انصر هاذة العصابة وسلمها
وأعنها على جهاد عدوك وعدوها وأيدها ، فقبل الله تعالا دعاءه ورحم
تضرعه وابتهاله •

ولما فرغ من دعائه قام فركب على جواده ، وعبأ جيوشه واستعد
لجهاده وجلاده ، وعقد لولده الأمير يوسف على مقدمته ، ثم أقبل على
أشياخ بنى مرين وأمراء العرب ورؤساء القبائل ، فقال : يامعشر
المسلمين وعصابة المجاهدين ان هاذا يوم عظيم ، ومشهد جسيم ، ألا وأن
الجنة قد فتحت لكم أبوابها ، وزينت أترابها ، فجدوا فى طلبها ، فان
الله تعالا اشترا من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فشمروا
عن ساعد الجد معاشر المسلمين فى جهاد المشركين ، فمن مات منكم مات
شهيدا ومن عاش عاش غانما ماجورا حميدا ، (فاصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) •

فلما سمع الناس منه هاذة المقالة تآقت أنفسهم الى الشهادة ، وعافق
بعضهم بعضا للوداع ، والقلوب لها وجيب وانصداع ، وقد طابت نفوسهم
على الموت ، وباعوها من ربهم بالجنة قبل الفوت ، وارتفعت أصواتهم
بالشهادة والتكبير ، وكلهم يقول عباد الله اياكم والتقصير ، فتسابقت
أبطال المسلمين نحو جيوش الروم ، فالتقا الجمعان والتحم القتال ،
واشتد النزال ، فلاترا الا السهام تهوي فى الروم كأنها الشهب الثواقب،

وتفعل فى أعداء الله تعالا فعل العذاب الواصب ، والسيوف بالدماء ترعف ورؤوس الكفرة عن أجسادهم تقطع وتقطف ، ودارت بهم أبطال بنى مرين ، كآساد العرين ، يحكمون فيهم السيوف ، ويذيقونهم مرارة الحنوف ، قد صبروا صبر الكرام ، فى حرب السفلة اللثام ، فنصر الله تعالا جنده ، وأظهر أوليائه وأيد حزبه ، فقتل زعيم الكفرة دون: ونيو وهزمت جيوشه وعساكره ، وقتلت جموعه ولم يكن الا كلمح البصر حتى لم يبق السيوف منهم من يخبر الخبر ولم تبق الرماح منهم باقية ، ولم تق الدروع منهم واقية ، وأمر أمير المسلمين بقطع رؤوس الروم الذين قتلوا فى المعركة واحصائها فقطعت وأحصيت ، فكانت ثمانية عشر ألف رأس ونيف ، طلعت كأنها الجبال ، فصعد المؤذنون عليها فأذنوا للصلاة ، فصلا المسلمون صلاة الظهر والعصر فى وسط المعترك بين القتلا مختضبين فى دمائهم ، فلما فرغ المسلمون من صلاة العصر افتقد أمير المسلمين جيوشه ونظر من استشهد فى ذلك الغزاة من المسلمين ممن سبقت له من الله الحسنا وختم له بالشهادة ، فوجد تسعة نفر من بنى مرين ، وخمسة عشر من العرب والأندلس وثمانية من المتطوعين ، فواراهم بالتراب ، ثم حمد الله تعالا وشكره ، وأطال الثناء عليه كما أمره ، وكانت هاذة الغزاة الكريمة والنعمة الجسيمة التي أعز الله تعالا بها الاسلام واذل بها عبدة الاصنام فى الخامس عشر من شهر ربيع الأول المبارك شهر مولد سيدنا محمد صلا الله عليه وسلم الذي هو من سنة أربع وسبعين وستمئة (٨ شتنبر سنة ١٢٧٥ م) ، وكتب أمير المسلمين بالفتح الى جميع بلاد المسلمين بالأندلس والعدوة ، فقرئت كتبه على المناير ، وعملت المفرجات فى سائر بلاد المغرب والأندلس ، وأخرج الناس الصدقات وأعتقوا الرقاب شكرا لله تعالا ، ووصل أمير المسلمين الى الجزيرة الخضراء بالغنائم والأسرا والسبي ، فدخلها فى الخامس والعشرين من ربيع الأول (١٨ شتنبر) من السنة المذكورة فى احتفال عظيم وزي عجيب وابطال الروم وزعمائهم يقادون بين يديه فى القطائن والحبال ، مصفدين فى السلاسل والأغلال ، وبعث أمير المسلمين برأس دونونيو دى لارا الى ابن الأحمر ليرا فعل

الله تعالا بأعدائه ، ونصره لأوليائه ، فأخذ ابن الأحمر الرأس وجعله فى المسك والكافور وبعث به الى القونسو يستخدمه بذلك ، ويتحجب اليه به ، وأقام أمير المسلمين بالجزيرة الخضراء لقسيمة ما أفاء الله تعالا عليه من المغنم ، فأخرج الخمس منه لبيت المال وقسم الباقي فى المجاهدين ، وكان عدد البقر فى هذه الغنيمة مئة ألف رأس وأربعة وعشرين ألف رأس ، وأما الغنم فعجز عنها الحصر لكثرتها ، بيعت الشاة منها فى الجزيرة الخضراء بدرهم .

وكان عدد الأسارى من الرجال والنساء والذرية سبعة آلاف وثمانمئة وثلاثين نفسا وعدد الخيل والبغال والحمير أربعة عشر ألف رأس وستمئة ألف رأس .

وأما الدروع والسيوف والعدد فمالها عدد من كثرتها فامتلات أيدي المسلمين ، وصلحت أحوالهم ، وأعطى أمير المسلمين حظه القوي والضعيف والملوك والشريف ، وأقام أمير المسلمين بالجزيرة الخضراء بقية الشهرين ربيع الأول والثانى .

فلما كان فى أول يوم من جمادى الاولى (الاربعاء ٢٣ أكتوبر) خرج من الجزيرة الخضراء غازيا الى أشبيلية ، ولما وصل أمير المسلمين الى الخضراء كتب اليه الرئيس أبو محمد ابن أشقيلولة كتابا يهنئه فيه بالفتح وفى آخره هذه القصيدة (١٧٨) .

هبت بنصركم الرياح الأربع	وجرت بسعدكم النجوم الطلوع
وأنت لعونكم الملائك سبعا	حتى لضاق بها الفضاء الأوسع
واستبشر الفلك الأثير تيقنا	أن الأمور الى مرادك ترجع
وأمدك الرحمان بالفتح الذي	ملا البسيطة نوره المتشعشع
لم لا وأنت بذلت فى مرضاته	نفسا تفديها الخلاق أجمع

١٧٨) هذه القصيدة انما تمثل بها ابن أشقيلولة فقط ، وهى من شعر الأمير الموحد سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن عل ، نظمها مهنا ابن عمه الخليفة يعقوب المنصور بفتح قنصة ، وهى مثبتة فى ديوانه المطبوع بطوان ص 20 .

بعزيمة كالسيف بل هي أقطع
أمر إذا أمضيته لا يرجع
والخيل تجري والأسنة تشرع
ما إن له إلا التوكل مفزع
يوما إذا أضحا الجوار يضيع

فجهله قد ظن ما لا ينفع
والأرض تنشر في يدك وتجمع
فتح يمد به سواه ويشفع
ولبست منه أنت ما لا يخلع
جعل الخلافة فيكم لاتنزع
والله يعطى من يشاء ويمنع
ومن ادعاه يقول ما لا يسمع
فأليك يا يعقوب يومى الأصبع
أنت المقدم والخلانق تبع
وجه الزمان بوقتها يتطلع
من قلب صدق لم يشنه تصنع
 والمدح من غيري إليك تطبع
فعساه يحسدها اسمك الأرفع
أنت الملاذ لها وأنت المفزع
وكفأك ما تخشا وما تتوقع
يفنا الزمان وعرفها يتضوع

وأتيت ننصر ديه متوكلا
وكتائب منصوره يحدو بها
لله جندك والصوارم تنتضا
من كل من تقوا الآله سلاحه
لا يسلعون الى النوائب جارهم
ومنها يصف انهزام العدو :

ان ظن أن فراره منج له
أين المفتر ولا فرار لهارب
أخليفة الله الرضا هنته
فنقد كسوت الدين عزا شامخا
ان السذي سماك خير خليفة
هيات سر الله أودع فيكم
لكم الهدا لا يدعيه سواكم
ان قيل من خير الخلائف كلها
ان كنت تتلوا السابقين فانما
فلانتم نخر الخلافة والذي
خذا أمير المؤمنين مدائحا
فالمدح مني في علاك طبيعة
حزها ملأه مدحة منسوجة
واسلم أمير المؤمنين لأمة
وحماك من يحمى بسيفك دينه
وعليك يا أسنا الملوك تحية

الخبر عن غزاة أمير المسلمين يعقوب

رحمه الله الثانية في جوازه الأول

قال المؤلف عفا الله عنه :

خرج أمير المسلمين يعقوب الى غزاته الثانية من الجزيرة الخضراء أول يوم من جمادا الاول من سنة أربع وسبعين المذكورة (الثلاثاء ٢٣ أكتوبر سنة ١٢٧٥ م) فقصده الى أشبيلية فسار بجيوش المسلمين حتى نزل عليها بموضع يعرف بالماء المفروش ، فشن الغارات على أحوازها ، وجالت جيوشه في أقطارها ، وغنموا ماكان في أنحائها ، وركب في اليوم الثاني حتى أشرف على بابها ، وبرز عليها تهدر طبوله وتخفق راياته ، وركب الروم الأسوار ، واعتمدوا على الحصار ، ولم يكن في ملوكهم من يقدم عليه ، ولم يستطع زعيم منهم ان يخرج اليه ، فلما غنمها وهتك أحوازها وأحرق قراها وخرب حصونها ارتحل عنها الى شريش ، ففعل بها كفعله في أشبيلية ، وأقام عليها ثلاثة أيام وارتحل الى الجزيرة الخضراء فدخلها في اليوم السابع والعشرين لجمادا الاول المذكور فقسم ماجاء به من الغنائم والسبي ، بيعت الرومية في هذه الغزاة بمثقال ونصف لكثرتهم ، ودخل فصل الشتاء ، فبقي أمير المسلمين زمن الشتاء كله ساكنا بمحلته على وادي النساء بقرب الجزيرة الخضراء ، واحترم الروم الحراثة فغلت أسعارهم ، وضعفت بلادهم ، وقنط بنو مريـن من المقام بالأنـدلس وتشوقوا الى أولادهم وديارهم .

فلما علم أمير المسلمين ذلك منهم جاز الى العدو ، فنزل بقصر المجاز وذلك في آخر يوم من رجب من سنة أربع وسبعين المذكورة (الاحد ١٩ يناير سنة ١٢٧٦ م) ، وكانت مدة اقامته بالأنـدلس ستة أشهر ، وسار الى مدينة فاس فدخلها في النصف من شعبان من السنة المذكورة ، وعند وصوله الى مدينة فاس نافق عليه طلحة بن محلى البطوئي أحد أخواله وتمنع بجبل أزرو من بلاد فازان فخرج اليه أمير المسلمين من فاس فنزل

عليه بعساكره وحاصره قرأا مالا قبل له به ، فنزل اليه بأمانه فعفا عنه وذلك فى نصف شهر رمضان المعظم من سنة أربع وسبعين المذكورة (الثلاثاء ٣ مارس ١٢٧٦ م) .

وفى ثانى شوال من هاذه السنة قتل اليهود بفاس ، قامت عليهم العامة فقتل منهم أربعة عشر الف يهودي ، ولولا ماركب أمير المسلمين فكف العامة عنهم ونادا مناديه لايتعرض لهم أحد لم تبقى منهم باقية .

وفى اليوم الثالث من شوال المذكور (٢١ مارس) أمر أمير المسلمين يعقوب ببناء البلد الجديد ، فأسس على وادي فاس ، وشرع فى بنائه وحفر أساسه فى ذالك اليوم ، وركب أمير المسلمين فوقف عليه حتى حد وأسس وأخذ له الطالع الفقيه المعدل علي ابن القطان ، والفقيه محمد ابن مبارك ، وكان تأسيسه فى طالع سعيد ووقت ميمون مبارك ، ومن بركته وسعادة طالعه أنه لايموت فيه خليفة ولم يخرج قط لواء منه الا نصر ، ولا جيش الا ظفر .

وفى شوال المذكور أمر أمير المسلمين ببناء قصبة مكناسة وجامعها وفى شهر محرم من سنة خمس وسبعين خرج الأمير يعقوب من مدينة فاس الى مراكش فوصلها فى نصفه ، فأقام بها الى أول شهر ربيع الأول المبارك من السنة المذكورة ، وخرج الى بلاد السوس ثم رجع الى مراكش ، فأقام بها أياما وخرج منها الى رباط الفتح ، فدخله فى أول يوم من شعبان فأقام به وكتب الكذب منه الى الأشياخ والقبائل من بني مرين وسائر العرب وسائر قبائل المغرب يستنفرهم للجهاد ، فتثاقلوا عليه ، فلم يزل يحرضهم وهم يلوذون بالأعدار ، ويتثاقلون الى ان دخلت سنة ست وسبعين فلما رأوا تتأقل الناس عن الجهاد وتثبطهم عن الجواز ، جد بنفسه وخاصته ، فخرج من رباط الفتح فى أول يوم من شهر محرم من سنة ست وسبعين وستمئة (الجمعة ٤ يونيو سنة ١٢٧٧ م) فسار حتى وصل قصر المجاز ، فجاز منه الى طريف وذلك فى الخامس والعشرين من محرم المذكور (٢٨ يونيو) .

الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب رحمه الله إلى الأندلس برسم الجهاد وهو الجواز الثاني

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما رأى أمير المسلمين يعقوب تناقل الناس عن الجهاد خف اليه بخاصته ، ونهض الى الجواز وسار نحوه بعزيمته ، فخرج من رباط الأنفتح فى أول يوم من محرم مفتتح عام ستة وسبعين وستمئة (الجمعة ٤ يونيو سنة ١٢٧٧ م) ، فوصل الى قصر المجاز وقد تلاحق به الناس حين رأوا عزمه ، وعلموا جده ، فتداركت فى أثره قبائل بنى مرين والعرب والمتطوعة من قبائل المغرب من المصامدة وصنهاجة وأوربة وغمارة ومكناسة وغيرهم ، فأخذ فى تجويز الجيوش حتى فرغ منها ، ثم جاز هوفى أثرهم فنزل بساحل طريف وذلك فى اليوم الثامن والعشرين من المحرم المذكور (الخميس ١ يوليوز) ثم ارتحل عنها الى الجزيرة فأقام بها ثلاثة أيام ، وخرج الى رندة فوصلها ونزل بخارجها وأتاه هناك بنو أشقيئولة وهم الرئيس أبو اسحاق صاحب وادي أش ، والرئيس أبو محمد صاحب مالقة ، فسلموا عليه وساروا معه تحت لوائه الى غزو اشبيلية ، فارتحل عن رندة فى أول يوم من ربيع الأول المبارك من سنة ست وسبعين المذكورة (الاثنين ٢ غشت سنة ١٢٧٧ م) ، فوصل اشبيلية فنزل قريبا منها ، وكان بها الفونسو العاشر الملقب بالعالم والحكيم ملك النصرانية ، فلما سمع بنزول أمير المسلمين عليه لم يمكنه الا الخروج اليه ، فخرج بجنوده وجيوشه ، ووقف حول المدينة بعساكره وحشوده ، واصطفت عساكر الروم على ضفة الوادي الكبير فى استعداد عظيم ، وعدد كثير جسيم ، وكلهم فى الدروع السابغة ، والبيضات اللامعة ، والسيوف البواتر ، والجواشن والحراش والمغافر ، شعاعها يذهب بالأبصار ، ويدهش الأذهان والافكار ، فزحف اليه أمير المسلمين بجيوش المجاهدين ، وأبطال بنى مرين وذلك يوم مولد سيدنا محمد صلا الله عليه وسلم ، فلما تقارب الجمعان

والتقا العيان بالعيان ، نزل أمير المسلمين رحمه الله فصلا ركعتين على عادته ، ودعا الله تعالا فى نصره ومعونته ، ثم قال يامعشر بنى مريـن ، جاهدوا فى الله حق جهاده واشكروه اذ جعلكم مسلمين ، فوالله لايبصر حر النار ، من جاهد أعداء الله الكفار ، وقد قال رسول الله صلا الله عليه وسلم الحق وهو قائله : (لايجتمع فى النار كافر وقاتله) ، فطوبا لمن يكثر السواد ، وان لم يباشـر طعانا ولاجلاد ، أما والله ان أجر الجهاد لكبير ، وقدره عند الله تعالا عظيم ، من مات فيه فهو حي يرزق وهـاذه مرتبة عالية لاتلحق ، فلما سمع المسلمون منه الموعظة ، وعـاينت أبطال مريـن جيوش الكفرة ، عاد الجبان منهم قسورة ، والضعيف كعمرو وعنزرة ، فدفعت عليهم كتائب المسلمين ، يقدمها النصر والسعد والتمكين، وتقدم الأمير يوسف برايته السعيدة فى ألف فارس من انجاد بنى مريـن ، أمام أبيه أمير المسلمين ، فاقتحم جيوش الروم ، فارتفعت الغبارات ، وضج المسلمون بالتكبيرات والشهادات ، فكان بينهما قتال شديد عظيم ، وموقف كريم ، ثم أقبل أمير المسلمين على أثر ولده بساقته وجيوشه وطبوله وبنوده ، فلما سمع الروم هدير طبوله ، وعـاينوا اشراق رايته المنصورة وبنوده ، ولوا منهزمين ، ونكصوا على أعقابهم مدبرين ، كأنهم حمـر مستنفرة ، فرت ذاهلة أمام قسورة ، فالجأهم بنو مريـن الى السوادي ، وحكموا فيهم السيوف والصفاد ؟ فكل من تاه منهم فى البرية قتل فى التيه ، ومن اقتحم الوادي غرق فيه ، ومن بقي فى المعترك مستمرا للمقتال قتل أو أسر ، فمات منهم فى الوادي ألوف كثيرة ، واقتحم المسلمون الماء يعمون فى أثارهم فيقتلونهم فى لجته الغزيرة ، حتى صار الوادي من دمائهم أحمرأ ، وطلعت جيفهم على وجه الماء فكان منظرهم عبـرة للورا ، ومزقت جيوشهم تمزيقا ، وفرقت كتائبهم تفريقا ، وحالت جيوش المسلمين فى تلك النواحي تقتل فريقا وتأسر فريقا ، وتحرق وتخرب الى الليل ، وبات أمير المسلمين تلك الليلة راكبا على جواده ، واقفا على باب اشبيلية والطبول تضرب والنيران تضرم ، حتى عاد الليل كالنهار والروم يضربون قرونها ويحترسون بالأسوار ، فلما ولا الليل بظلمته ، واصبح

الصبح بغرته ، صلا أمير المسلمين تلك الصلاة الوسطا مغلسا ، وارتحل الى جبل الشرف فلم يزل فى أنحائه راحلا ومعرسا ، وتفرق المجاهدون فيه يقتلون ويأسرون ويضرمون النيران ويخربون ، ودخل أمير المسلمين حصن قطنيانة ، وحصن جليانة ، وحصن القليعة بالسيف وقتل جميع رجاله وأسرى كافة نسائهم وأولادهم ، وغنمت أموالهم ، وخربت حصونهم ، وحرقت ديارهم ، ومر الحريق والتخريب على جميع قرا الشرف وحصونه ورجع أمير المسلمين بالغنائم والسبي الى الجزيرة الخضراء ، فدخلها فى ثامن وعشرين من ربيع الأول المبارك المذكور من سنة ست وسبعين المذكورة (الاحد ٢٩ غشت سنة ١٢٧٧ م) فأقام بالجزيرة حتى قسم الغنائم على المجاهدين واستراح الناس ثم خرج غازيا الى شريش . وفى جمادى الأولى من هاذة السنة توفي الرئيس أبو محمد ابن أشقيلولة بمالقة عند انصرافه من هاذة الغزوة المباركة .

الخبر عن غزوة أمير المومنين الرابعة

لما رجع أمير المومنين يعقوب من غزو اشبيلية وجبال الشرف أقام بالجزيرة حتى قسم المغانم واستراح الناس ثم خرج غازيا الى شريش وذلك فى الخامس عشر من شهر ربيع الآخر من سنة ست وسبعين وستمئة (الاربعاء ١٥ شتنبر سنة ١٢٧٧ م) ، عزم على هلاكها واستئصالها فسار حتى نزل عليها فحاصرها وشد فى قتالها وشرع فى قطع الزيتون والعنب والشجر وحرق الزروع وفسادها ، وهدم القرا والبروج وتخريبها ، وكان أمير المسلمين رحمه الله يقطع الثمار ويحرق الزرع بيده ، فأبصره الناس فجدوا فى فعلهم ، فكان فعله ذالك من الرشاد وأفضل الجهاد ، حتى صارت تلك البلاد خاوية على عروشها ، وقتل من بها من فرسان الروم وجيوشها ، وبلغت من الروم النكاية ، الى غاية النهاية ، فلما دوخ تلك البلاد وهتكها بعث ولده الأمير الأسعد يوسف فى سرية من ثلاثة آلاف

فارس الى غزو حصون الوادي الكبير ، فسار اليها فغنم حصن روطه وشلوقة وغليانة والقناطر وسار مع الوادي يخرب ويقسد ويقتل حتى وصل اشبيلية فغنمها ودوخ أحوازاها ورجع بالغنائم والسبي الى والده فوجده ينتظره بمقربة من شريش ، فسر بقدومه وارتحل الى الجزيرة ، فقسم بها المغانم على بنى مرين وقبائل المجاهدين ، ثم رجع أشياخ القبائل من بنى مرين والعرب والأغزاز والأندلس فندبهم الى الجهاد وقال يامعشر المجاهدين ان اشبيلية وشريش وأحوازاها قد ضعفا وبادا ، وان قرطبة وأعمالها بلاد حصينة عامرة وعليها اعتماد الروم واتكاهم ، وبها قوتهم ومعاشهم ، فان غزوناها وقطعنا ثمارها وأفسدنا زروعها فنيت الروم جوعا ، وضعفت جميع بلاد النصرانية ، وقد عزمتم على غزوها ، فما ترون فى ذلك ؟ فقالوا يا أمير المؤمنين وفقك الله تعالا فيما رأيت ، وأعانك وأثابك على مانويت ، نحن تبع لك فى رأيك ، سامعون لأمرك ونهيك ، لو خضت بنا البحر لخصناه ، ولو سرت بنا الى برك الغماد لقاتلناه ، فشكرهم ودعا لهم ، وفرق فيهم الخلع والأموال وأحسن اليهم وزادهم ، وكتب الى ابن الأحمر صاحب غرناطة يخبره أنه أراد غزو قرطبة ويدعوه فى المسير معه اليها ، ويقول ان خرجت معي اليها تكن لك مهبة فى قلوب الروم ماعشت ، وأجر عظيم عند الله تبارك وتعالى .

الخبر عن غزوة أمير المسلمين يعقوب

رحمه الله الخامسة وهي غزوة قرطبة

قا المؤلف عفا الله عنه :

خرج أمير المسلمين يعقوب الى غزو قرطبة من الجزيرة الخضراء فى جيوشه الموفرة ، وكتائبه المنصورة المظفرة ، وذلك فى أول يوم من جمادا الآخر من سنة ست وسبعين المذكورة (السبت ٣٠ اكتوبر سنة ١٢٧٧ م) ، وخرج أيضا الأمير ابن الأحمر بجنوده من غرناطة ، فالتقا الجمعان بخمار الورد من بلاد شذونة فأقبل عليه أمير المسلمين وفرح

به ، وجمع الله تعالى كلمة الاسلام وألف بين قلوب أهله ، فطابت نفوس المسلمين على القتال ،وقويت نياتهم ، فاستعدوا للجهاد ، فنزلوا على حصن بني بشير ، والفتح والنصر اليهم يشير ، فدخلوه فى حينه عنوة بالسيف ، وقتل جميع رجاله وسبيت نسائهم وأولادهم ، وغنمت أموالهم ، وهدم الحصن حتى لم يبق له أثر ، وأطلق أمير المسلمين الغارات فى كل ناحية من بلاد الكفرة وكل من والا من المسلمين مكانا دمره ، وغنموا بتلك الجهات من الغنم والبقر والمعز والخيل والبغال والحمير والزيت والعسل والقمح والشعير مالا يوصف ، فكثرت الخيرات ، وامتلأت أيديهم بالغنائم ، ثم ارتحلوا حتى نزلوا قرطبة ، فنزل أمير المسلمين عليها بالساقات والجيوش ، وضرب عليها الطبول وارتفعت أصوات المسلمين بالتكبير ، فتحصن الروم بالأسوار والرماة ، وسار أمير المسلمين تحت ظلال بنوده ، وقدم بين يديه الرؤساء من أبطاله وجنوده ، حتى وقف على بابها ، ثم دار بأسوارها ، ينظر كيف الحيلة فى قتالها ، ووقف ابن الأحمر بعساكر الاندلس أمام محلة المسلمين يحرسونها خوفا لما يحدث من قبل الروم ، فتفرقت قبائل بنى مرين والعرب فى أحواز قرطبة وحصونها وقراها ومدنها يقتلون ويأسرون ويفسدون ويخربون ، ودخلوا حصن الزهراء بالسيف ، فأقام أمير المسلمين على قرطبة ثلاثة أيام حتى هتكها وخرب قراها وأحرق زروعها ودوخ أرضها ، وارتحل عنها الى بركونة ، فدخل أرباضها بالسيف وخربها وقطع ثمارها ، وارتحل الى أرجونة ففعل بها كفعله فى بركونة ، وبعث الجيوش الى مدينة جيان وبث السرايا فى كل جهة فانتشرت فى تلك البلدان

فلما رأى الفونسو ما نال بلادده من الفساد والدمار وما حل برعيته من القتل والأسر والتبار ، جنح الى الصلح ورغب فيه ، وبعث بالأتقى والرهبان الى أمير المسلمين ليسأله ويعفيه ، فوصلوا الى بابه يرغبون فى السلم صاغرين ، ويتضرعون اليه داخرين ، فقال لهم أنا ضيف ، ولا أصالحكم الا ان صالحم ابن الأحمر ، فساروا الى ابن الأحمر وقتلوا له ان أمير المسلمين قد رد الأمر اليك ، ونحن أتيناك لتصالحنا صلحا مؤبدا

يدوم على توالى الأعصار ، ويبقى ماتعاقب الليل والنهار ، وأقسموا له بصلبانهم ان لم يرضه الفونسو خلعه من سلطانهم ، لانه لم ينصر النصلبان ، ولاحما الثغور ولاضبط البلدان ، وقد ترك رعيته نهبا للعدا ، وان تمادت بهم الحال لم تبق منهم أحدا ، فأتا ابن الأحمر أمير المسلمين فبين له الأمور وأخبره ان الأندلس لاتسكن الا بالصلح على قديم الدهر ، وقد سما الله تعالا الصلح خيرا ، فانعقد الصلح بين ابن الأحمر والرهبان وقال لهم تصلون فى أمرنا الى حضرة أمير المسلمين فيكون بها تمام الصلح والاشهاد به علينا وعليكم ان شاء الله تعالا ، فارتحل أمير المسلمين عن أرجونة قاصدا الى الجزيرة الخضراء ، وأخذ على طريق غرناطة ، فأعطا المغانم كلها لابن الأحمر احسانا اليه وفضلا منه وإيثارا له ، وقال له يكون حظ بنى مريـن من هاذة الغزاة الاجر والثواب ، فسار ابن الأحمر بالمغانم الى غرناطة ، وسار أمير المسلمين على مالقة حتى دخل الجزيرة الخضراء وذلك فى العشر الاول من شهر رجب من سنة ست وسبعين المذكورة ، فنزل بمحلته خارجها ، وعند وصوله اليها مرض ، فبقي مريضا سبعين يوما ، وذلك أنه مرض يوم الحادي عشر من شهر رجب فبقي عشرين يوما من رجب وشعبان بأسره وعشرين يوما من رمضان حتى تحدث الناس بموته فى بلاد العدو ، فبعث ولده الأمير يوسف يهدن الناس ويسكن روعاتهم ، فلما وجد أمير المسلمين الراحة من مرضه أتته أرسال الروم مع الرهبان والأقسسة لتمام الصلح فصالحهم وذلك فى آخر شهر رمضان المذكور (الخميس ٢٤ يبرابر سنة ١٢٧٨ م) وفى شهر رمضان من السنة المذكورة بعث الرئيس ابن أشقيلولة الى أمير المسلمين يرغب منه أن يأخذ منه مالقة ، وقال له اني عجزت عن ضبطها فان لم تصل اليها وتقبضها من يدي أعطيته الروم ولا يملكها ابن الأحمر ابدا ، وكان ابن الأحمر قد أعطى عليها لالفونسو من البلاد والحصون عددا كثيرا ، وكذلك أعطا عليها ابن أشقيلولة ، فبعث اليها أمير المسلمين ولده الأمير أبا زيان فقبضها منه وحل فى قصبتها وذلك فى العشر الأواخر من شهر رمضان المذكور ، فأقام أمير المسلمين بعده

بالجزيرة الخضراء حتى انقضا شهر رمضان وعيد عيد الفطر بها ثم خرج الى مالقة فى ثالث شوال ، فدخلها في اليوم السادس منه ، فتلقيه أهلها ببروز عظيم ، وفرحوا به ، وتهذنت روعاتهم ، وتأمنت بلادهم ، فأقام بها بقية شوال وشهر ذي قعدة وثمانية عشر يوما من شهر ذي حجة ، وارتحل الى الجزيرة الخضراء برسم الجواز الى العدو بعد ان رتب فيها ألف فارس من بني مرين والعرب ، وسكن فى قصبتها عمر بن علي وقدمه عليها وعلى جيشها ، وجاز الى العدو ، وذلك فى العشر الأول من المحرم سنة سبع وسبعين وستمئة (يونيو سنة ١٢٧٨ م) فوصل مدينة فاس فأقام بها أياما ثم خرج الى مدينة مراكش ، ولما تحقق الفونسو لعنه الله جواز أمير المسلمين الى العدو واستقراره بحضره مراكش نقض صلحه ورفض الايمان ، ونكث العهد ونسي الاحسان ، وهاذه صفة المشركين ، التي وصفهم الله تعالا بها فى كتابه المبين ، فقال وقوله الحق: (الذين ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لايتقون) ، فبعث اللعين الافروطة لحصر الجزيرة الخضراء وقطع المجاز ، فلما رأى ذلك عمر بن علي قائد أمير المسلمين على مالقة غدر وقام بها وراسله ابن الأحمر فى شأنها فباعها منه بخمسين ألف دينار ، وحصن شلوبانية ، وذلك فى نصف رمضان من سنة سبع وسبعين وستمئة ، وأتا ابن الأحمر بجيشه حتى دخل مالقة وملكها ودخل عمر بن علي على ماكان أمير المسلمين تركه بها من العدد والمال برسم المرتبات والانفاق على الأجفان والغزاة ، واتصل بأمر المسلمين غدر عمر بن علي وبيعه مالقة لابن الأحمر ، فبلغ ذلك منه كن مبلغ ، وخرج من فوره عن مراكش قاصدا الى الأندلس وذلك فى ثالث شوال من سنة سبع وسبعين المذكورة (الجمعة ١٧ يبرابر سنة ١٢٧٩ م) فوصل قرية مكول من بلاد تامسنا فتوالت عليه الأمطار والرياح والسيول، ولم تزل الأنواء مصطخبة لايفتر المطر ليلا ولا نهارا فلم يستطع الرحيل لأجل ذلك ، ووردت عليه الاخبار وهو بهاذا المنزل أن النصارا دمرهم الله قد نازلوا الجزيرة الخضراء برا وبحرا ، المحلات فى البر والأجفان فى البحر ، وكان نزول الافروطة عليها فى نصف ربيع الأول من سنة سبع

وسبعين المذكورة ، ونزلها الفونسو بعساكره فى البر سادس شوال من السنة بعينها فأمر أمير المسلمين بالرحيل الى طنجة لينظر فى الجواز الى الأندلس واستنقاذ الجزيرة الخضراء فبينما الناس يرتحلون اذ تواترت الأخبار فى المحلة أن أمير عرب سفيان مسعود بن كانون قد نافق ببلاد نفيس من أحواز مراكش وبأيعه جميع عرب سفيان ، فأسرع أمير المسلمين الرجوع الى مراكش ، فلما وصلها فر مسعود بن كانون أمامه الى جبل سكسيوة وتمنع منه هنالك وترك جميع أمواله وأمتعته ، فأخذها أمير المسلمين ففرقها فى بنى مرين ، ونزل عليه فحاصره بجبل سكسيوة وأقسم أن لايرتحل عنه حتى ينزل على حكمه او يموت دون ذلك ، وكان نفاق مسعود بن كانون المذكور يوم الأحد الخامس من ذي قعدة من سنة سبع وسبعين المذكورة ، فأقام محاصرا له وبعث ولده الأمير أبا زيان الى بلاد السوس فدخلها وهدنها وقمع ثوارها وجبا خراجها ورجع الى والده فوصله فى آخر يوم من ذي الحجة من السنة المذكورة (السبت ١٣ ماي سنة ١٢٧٩ م) ، ولما طال مقام أمير المسلمين على حصار الثائر مسعود ابن كانون تواترت عليه الأخبار بما هي عليه الجزيرة الخضراء من شدة الحصار ، وتوالى القتال والأسر بالليل والنهار ، وكان جملة من نازلها من البحر من أجفان العدو أربعمئة جفن بين قراقر وقطائع كبارا وصغارا ، ونزلها فى البر الفونسو لعنه الله فى ثلاثين الف فارس من الروم وثلاثمئة ألف راجل ، فشدوا عليها الحصار ، ودارت محلاتهم بالأسوار ، واحدقوا بها كما يحدق بالمعصم السوار ، ونصبوا عليها المجانيق والرعايات وضيّقوا عليها تضيقا عظيما حتى لايدخل اليها أحد ولايخرج منها ، وكان أهلها لايسمعون خبرا الا ما يأتهم به الحمام من جبل الفتح يحمل أنيهم الكتاب ويرد عليهم الجواب ، وفني أكثر أهلها بالأسر والجوع والقتل وسهر الليل فى الأسوار ، والحراسة والقتال بالليل والنهار ، حتى أشرف من بقي بها على الهلاك ، وقطعوا يأسهم من الحياة ، فجمعوا صبيانهم وطهروهم خوفا عليهم من التحويل ، واتقاء أن تدخل عليهم المدينة فيدعوهم الروم الى التبديل ، فلما سمع أمير المسلمين ما آل اليه أمر

الجزيرة الخضراء ، وقد كان سبق يمينه ان لا يرتحل عن ابن كانون حتى يظفر به أو ينزل اليه على حكمه ، دعا بولده الأمير الأجل يوسف وأمره أن يسير الى طنجة يرسم النظر فى استنقاذ الجزيرة وعمارة الأجفان لجهاد الأفروطة المحاصرة لها ، فخرج الأمير يوسف من حضرة مراکش قاصدا الى طنجة ، وذلك فى شهر المحرم من سنة ثمان وسبعين وستمئة فوصل طنجة فى غرة صفر التالي للمحرم المذكور ، فأمر بعمارة الأجفان بمدينة سبتة وطنجة وبادس ومدينة سلا ، وفرق الأموال والعدد على الغزاة والمجاهدين ، وكان من أهل سبتة فى هاذة العمارة وغزو هاذة الافروطة جد عظيم ، فان الفقيه أيا حاتم العزفى رحمه الله لما وصله كتاب الامير يوسف يأمره بالعمارة جمع أشياخ سبتة وقوادها ورؤساءها فندبهم للجهاد وحضهم على نصرة أهل الجزيرة الخضراء واستنقاذها مما هي فيه من الهلاك والجلاد ، فبادر جميع من فيها وسارعوا خفافا وثقالا الى ركوب الاجفان فأعد أهل سبتة خمسة وأربعين جفنا مابين كبار وصغار ، وركب فيها تطوعا يرسم الجهاد جميع من بسبتة من الفقهاء والصلحاء والطلبة والتجار والسوقة ومن لامعرفة له بالحرب كل قد باع نفسه من الله تعالا ، ولم يبق بسبتة الا النساء والزمناء والشيوخ الذين لا قوة لهم والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ، وعمر ابن الأحمر فى المنكب والمرية ومالقة اثني عشر جفنا ، وعمر الأمير يوسف بطنجة وسلا وبادس وأنفا خمسة عشر جفنا نض فى الجميع اثنتان وسبعون قطعة ، واجتمعت أجفان المسلمين كلها بسبتة ثم أقلعوا عنها الى طنجة ليراهم الامير يوسف فوصلوها فى أحسن زي وأكمل استعداد ، فركب فيها جماعة من أنجاد بنى مرين ممن رغب فى الجهاد ، وعقد لهم الأمير يوسف رايته السعيدة المنصورة ، وقال سيروا على بركة الله ويمنه ، فارتفعت أصوات المجاهدين بالشهادة ، وضج الناس بالدعاء لهم والابتهاال الى الله تعالا فى نصرهم وتأييدهم على عدوهم ، فأقلعوا من طنجة ثامن ربيع الأول المبارك من سنة ثمان وسبعين المذكورة (٢٠ يوليوز سنة ١٢٨٠ م) ، والناس يبكون ويتضرعون ، فأقام أهل طنجة وسبتة وقصر المجاز أربعة

أيام بلياليها لم ينم منهم أحد ولا غلق فيه باب ، ومن كان بقي بها من الشيوخ والصبيان ركبوا الأسوار ، وأقبلوا على الدعاء والتضرع لهم بالليل والنهار ، وانتشرت قلاع المسلمين فى البحر وقدموا المناطق ، وصار الموج لهم كالأباطح ، وسكنت بيمن الله تعالى الرياح ، ليطيب لهم الحرب والكفاح ، وإذا سكنت البحار الزواجر ، قدمت على حربها القراقر ، فقصدت أجفان المسلمين جبل الفتحة فباتوا فيه تلك الليلة مرابطين ، وبات المجاهدون بأجفانهم ما بين تال لكتاب الله تعالى وذاكر ، ومتهجد وداع ، فلما انفجر الصبح من يوم الأربعاء العاشر من ربيع الاول المذكور صلوا صلاة الصبح لأول وقتها ، فقام فيهم بعض الفقهاء الصلحاء خطيبا وذكرهم بما أعد الله تعالى للمجاهدين من الأجر العظيم ، والثواب الجسيم ، حتى ذرفت عيونهم ، وطابت قلوبهم ، وقويت نفوسهم ، وخلصت نياتهم ، واشتاقوا الى الشهادة وتواعدوا وعانق بعضهم بعضا وتغافروا فيما بينهم ثم أقبلوا قاصدين نحو أجفان المشركين ، فلما أبصر الروم قلوب المسلمين قاصدة نحوهم وقد سدت المسالك ، قاصدة للحروب والمهلك ، قذف الله تعالى الرعب فى قلوبهم ، والتحم بعضهم ببعض ليكون أمنع لهم فى حروبهم ، وصعد قائدهم الملند الأكبر على ظهر قرقورة ليعد أجفان المسلمين ، فعد ألفا وظن الباقي أكثر ، وعدها قواد الروم فأجمعوا على أنها ألف ونيف ليس فيها عندهم خلاف ولاريب ، فسقط فى أيديهم ، وكثرها الله تعالى فى أعينهم ، وأيقنوا بالهلاك والدمار ، وعزموا على الهروب والفرار ، وأقبلت أجفان أنجاد المسلمين أنجدهم الله تعالى فاصطفت أمامهم مثل السور ، متوكلين على الله تعالى فى جميع الأمور ، وكلهم قد وطن نفسه على الموت ، وباعها من الله تعالى بالجنة قبل الفوت ، فبرز اليهم الملند قائد الأفروطة فى قرقورة كان قد أعدها وبرزها جماعة من قواد الروم وغزاتها فى مقاطع وقراقر هائلة ، وكلهم قد لبس الحديد وأظهر العدة والعديد ، واكبر جفن من أجفان المسلمين وهو الغراب ترتفع عليه القرقرورة ارتفاع الجبل الشاهق وإذا نشرت شراعها صيرته لها أرضا وجرت عليه جري الجواد السابق ، فالتحم الحرب بين الفريقين ،

وتشهد المسلمون وقالوا لا أثر بعد عين ، وأقبلت سهام المسلمين عليهم صائبة كأنها القطر الواكف ، أو الريح العاصف ، تنفذ التراس والدروع ، وتفرق الكتائب والجموع ، ونصر الله تعالا عباده المومنين فخرجوا بثلاث قطع من أجفان الكفار ، وكثر فيما بقي من الأجفان القتل والجراح ، وتوالا رشق السهام وطعن الرماح ، فلما رأوا الكفرة مانالهم من البوار ، ولوا الأدبار ، وأخذوا فى الفرار ، وقالوا هاذة سفرة دائرة ، وكرة خاسرة ، فتراما المسلمون معهم فى الاجفان ، فقتلوا منهم عددا لا يحصا وتراما اكثرهم فى البحر يعومون كالضفادع ، ويتساقطون فيه تساقط الفراش فى الشهاب الساطع ، فقتلهم المسلمون بالرماح الذوابل والسيوف القواطع ، حتى لم تبق منهم باقية ، واضحت أجفانهم خالية خاوية ، فملكها المسلمون واحتووا على ما فيها من العدد والأزواد فقرح المجاهدون واستبشر المسلمون الذين بداخل الجزيرة الخضراء بفساد الأفروطة وهلاكها وقتل جماعتها وأخذها ، وايقنوا بالحياة بعدما أشرفوا على الوفاة ، وأتاهم من الله تعالا الأمان بعد الذعر ، واليسر بعد العسر ، والنصر بعد الصبر ، والرخاء بعد الشدة ، والسرء بعد الضراء ، والضياء بعد الظلام ، والصحو بعد الغمام ، ودخلت أجفان المسلمين الجزيرة الخضراء على من بها من الروم عنوة بالسيف وقتلوا جميع من وجدوه بها وأسر قائدهم الملند وجماعة من قواد الروم منهم ولد أخت ألفونسو وكبير بيونة واحتوا المسلمون على جميع ماكان بالجزيرة وفي الأجفان من العدد والسلاح والأسلاب والذخائر التى جاء بها التجار من الحلي والثياب والجواهر والعدد ، فاحتملوا من ذلك مالا يصفه لسان ولا يحويه عدد .

ولما رأوا أهل المحلة التي فى البر محاصرين للجزيرة الخضراء ما أصاب أهل البحر من الأسر والقتل والفساد خافوا من فجأة جواز الأمير يوسف اليهم ، اذ كان مقيما بساحل طنجة مستعدا للجواز ، فأخذوا فى الرحيل والفرار ، وخلفوا جميع ماكان معهم من الأثقال والأزواد فى تلك الدار ، فخرج الناس من الجزيرة الخضراء رجالا ونساء فانتشروا

فى مضاربهم ، وجالوا فى منازلهم ، يقتلون ويغنمون ، فوجدوا بها من الأموال والأسلاب والفواكه والادام والشعير والدقيق مالا يحصى كثرة ، فانتهبوا ذلك كله وأدخلوه المدينة فبيع الدقيق القرطبي بالجزيرة فى عشي ذلك اليوم ربعا بدرهم ، بعد أن كان فى غدوته معدوما بالكلية لا يوجد غالبا ولا رخيصا ، ومن فضل الله تعالى وتأيبه لأوليائه فى هاذة الغزاة أن أجفان المسلمين كانت نيفا وسبعين جفنا ، وأفروطة الرومى زادت على أربعمئة قطعة ، فغلبتها وسارع البشير الى الامير يوسف فأعلمه بما سناه الله تعالى لعباده المسلمين من الفتح الجليل والصنع الجميل ، فحمد الله تعالى وأثنا عليه وكتب فى الحين الى والده بالفتح ، وكانت هاذة الغنيمة العظيمة والمنة الجسيمة فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول المبارك يوم مولد نبينا محمد صلا الله عليه وسلم من سنة ثمان وسبعين وستمئة (الاحد ٢٣ يوليوز سنة ١٢٧٩ م) فورد كتاب الفتح على أمير المسلمين وهو محاصر لمسعود بن كاثون بجبل سكسيوة فخر لله تعالى ساجدا ، ولم يزل لله تعالى شاكرا وحامدا ، ثم أمر باخراج الصدقات وتسريح السجون وعمل المفرجات وضرب الطبول فى جميع بلاده ، وكان رحمه الله من حين اتصل به حصار الجزيرة الخضراء لم يستلذ مناها ، ولم يستطب طعاما ، ولم يقرب امرأة ولا غيرها ولم يصف له عيش الى أن وصله خبر الفتح وفساد الأفروطة وفرار المحلة واقلاعها عن الجزيرة الخضراء ، وجار الأمير يوسف باثر هاذا الفتح الى الجزيرة الخضراء وذلك فى غرة ربيع الثانى (الجمعة ١١ غشت) فخافت الروم فى جميع الاقطار وعملوا على الحصار فى جميع الأمصار ، فعاقه عن غزو بلادهم تنافسه مع ابن الأحمر فى أخذ مالقة فصالح الأمير يوسف الفونسو على أن يترك معه غرناطة وجاز الى العدو وجوز معه زعماء الروم وسار بهم الى أبيه ليتم لهم الصلح بين يديه ، وظن أن فعله ذالك مما يرضي أباه ، فلما سمع أمير المسلمين بذالك غضب له ولم يرضه ، وسار الى بلاد السوس وأقسم ان لايرا واحدا من الزعماء الذين أتا بهم ولده الا ان رأهم فى بلادهم ، فانصرف الزعماء خائبين ورجع أمير المسلمين من بلاد السوس فنخل

حضرة مراكش وأقام بها أياما وخرج الى مدينة فاس فوصلها واستقر بحضرته من المدينة البيضاء منها ، وانفذ الكتب الى قبائل بني مرين والعرب يستنفروهم للجهاد ، ثم خرج من حضرة المدينة البيضاء قاصدا الى الأندلس برسم اصلاح أحوالها وتسكين فتنها وجهاد عدوها ، وذلك في غرة رجب من سنة ثمانية وسبعين المذكورة (الثلاثاء ٧ نونبر) فوصل طنجة في وسط رجب المذكور ، فنزل قصبته واستشرف على أحوال الأندلس منها فوجدها قد اضطربت نارا وعظم النفاق في جميع أقطارها بين المسلمين والروم ، واغتنم العدو فرصته فيها بغية أمير المسلمين عنها وتغيره على ابن الأحمر بسبب مالمقة ، فبعث رسوله الى ابن الأحمر ليرد عليه مالمقة ويصالحه فامتنع ابن الأحمر من صلحه وأغلظ له في القول ، وكان ابن الأحمر قد صالح يغمراسن بن زيان ، وبعث اليه أموالا جلييلة وهدية عظيمة على أن يشغل عنه أمير المسلمين ويشغل عليه نار الحروب ويشن الغارات على بلاده حتى يمنعه الجواز الى الأندلس ، فأخبر أمير المسلمين بخبرها فبعث رسوله الى يغمراسن يسأله عن الذي بلغه ويطلب منه تجديد الصلح ، فقال للرسول لاصلح بيني وبينه أبدا ، وليس له عندي ما عشت الا الحرب وكل ما وصله من صلحي مع ابن الأحمر فهو حق ، فقل له يتأهب للقائى ويستعد لقتالى ونزالى فأبلغه الرسول المقالة ، فاسترجع أمير المسلمين وقال اللهم انصرنى عليهم ياخير الناصرين ، ثم خرج من طنجة راجعا الى مدينة فاس فدخلها في آخر شوال من سنة ثمان وسبعين المذكورة فكانت مدة اقامته بطنجة ثلاثة أشهر وسبعة ايام ، فأقام بمدينة فاس وبعث رسوله ثانية الى يغمراسن ليقم عليه الحجة ، ويبين له المحجة ، ويقول له يامغرور ، الى متى هذا الضلال والغرور ؟ أما أن أن تنشرح الصدور ، وتنقضي هذه الشرور ؟ أما علمت ان السن قد انتهت وذهب الشباب وجاوزت معترك المنايا ، فهل الى الصلح الذي جعله الله تعالى خيرا للعباد ، واسلك منهاج التقوا وبادر الى التعاون على البر والتقوا والجهاد :

واعمل على الجهاد والرباط وكن بغزو الروم ذا اغتباط

متى متى لاترعوي حتى متى
فان أبيت السير للجهاد
لابد من كأس الحمام للفتا
وحدت عن مناهج الرشاد
فلتترك الناس الى جهادهم
مؤمنين فى حما بلادهم
واقعد ولا تنهض الى تجين
فانهم فى العهد مع مرين

فوصلته الرسل وبلغته الرسالة ، وأدوا اليه الموعظة والمقالة ، فلما
سمع ذكر تجين فى اثناء اللفظ ، قام منزعا وقعد وكاد يتميز من الغيظ ،
وقال والله لاكففت عن تجين ، ولو رأيت النفس فى سجين ، فليصنع
مابدا له ، وليتأهب للحرب قهري أولا له ، فلما قطع المنصور من صلحه
الاياس ، خرج الى قتاله من مدينة فاس ، وذلك فى شهر ذي الحجة سنة
تسع وسبعين وسبعمئة ، فسار حتى وصل فج عبد الله ، فاجتمع هنالك
بولده الأمير يوسف ، ثم ارتحل الى رباط تازة فأقام به أياما ، ثم خرج
فنزل وادي ملوية وليس فى جيشه خمسمئة فارس ، فأقام عليه أياما
فتلاحقت به الجيوش والأبطال ، وتوافدت عليه قبائل مرين الأقبال ، وقدمت
العساكر كالسيول ، حتى ملأت محلاته الربا والسهول ، فارتحل حتى وصل
تافنا فتوفي هنالك ولده ابراهيم ، ثم سار حتى نزل وادي تافنا وأما
يغمراسن فنزل أمامه بالمال والعيال والنقير والقطمير ، وقدمت معه قبائل
العرب بالشاة والبعير ، فمنع أمير المسلمين الناس من القتال فاشتاقت
بنو مرين الى الحرب والنزال ، فخرج جماعة منهم متصيدين ، وعلى محلة
يغمراسن مشرفين ، فأدت بهم لذة الصيد الى أن وصلوا أطراف محلة
يغمراسن فخرجت لهم بنو عبد الوادي ، وبادرت اليهم الأعراب كالجراد
فكسروهم حتى وصلوا شفير الوادي ، فلما رأى أمير المسلمين بني عبد
الوادي فى أثر خيله وكان كما سلم من صلاة الظهر ركب جواده وركب
الجيوش من مرين والعرب وسائر الأجناد وأقبلوا نحوهم كالآساد ، ومرت
الخيال على قسمين نصف قصد محلة يغمراسن ، ونصف سار الى محلة
العرب الذين أقبلوا معه ، وتأخر أمير المسلمين هو ولده الأمير فى الفي
فارس من أنجاد بنى مرين فالتحم القتال ، وحمل الوطيس ، واشتد الحرب
بين الفريقين وصرخ ابليس ، ولم يزل القتال يشتد بينهم الى صلاة العصر

فأقبل أمير المسلمين في نحو ألف فارس من بنى مريـن وأقبل ولده الأمير يوسف كذلك من ناحية أخرى وكل واحد منهما بطبوله وبنوده فأحدقوا بهم من كل جانب ، وأحاطوا بهم كالعذاب الواصب ، فرأى يغمراسن ما لا يقدر عليه فولا هارباً مهزوما وخلف القباب والأموال ، والمضارب والعيال ، وفر في البيداء كمواثده ، ولم يفكر في أمواله ولا في نواهده ، فقتلت جنوده ، وكسرت بنوده ، ودخل إلى حضرته ، ونحسه باد على غرته ، وانتهب الناس جميع محلته ، ولم يزل الناس طول ليلتهم إلى الصباح ينتهبون سائر البلاد والفواحي وباتت طبول أمير المسلمين في محلته تضرب في الخيام وأخذت أموال العرب بأسرها ، وامتألت أيدي مريـن من شاتها وبعيرها ، ووصل الأمير أبو زيان بن عبد القوي إلى أمير المسلمين يعقوب فبايعه وأقام معه ببلاد يغمراسن هو وقبيلته من بني تجين يدمرون ويخربون ويفسدون ، فلما استأصل جميع بلاده ، وأكل زروعها ، ونهبها وخرب ربوعها ، أمر بني تجين بالرجوع إلى بلادهم وأعطاهم أموالاً جزيلة في جهازهم وأقام هو على تلمسان حتى وصلت تجين إلى بلادها ثم ارتحل راجعاً إلى المغرب فوصل مدينة فاس فدخلها في شهر رمضان من سنة ثمانين وستمئة ، فأقام بها إلى آخر شوال وارتحل إلى مدينة مراكش في أول شهر ذي قعدة من سنة ثمانين المذكورة (الأربعاء ١١ يرباير سنة ١٢٨٢ م) فدخلها في غرة المحرم من سنة احدى وثمانين وستمئة (السبت ١١ ابريل سنة ١٢٨٢ م) فبنا بها بامرأة مسعود بن كانون ، وبعث ولده الأمير يوسف إلى بلاد السوس ، وأقام هو بمراكش ، فوصله بها رسول الفونسو العاشر وكتابه يدعوه فيه إلى نصرته ويقول له أيها الملك المنصور ان النصارا نقضوا عهدي ، وثاروا علي مع ولدي (١٧٩) وقالوا شيخ

(١79) كان الفونسو العاشر ملك قشتالية الملقب بالعالم والحكيم (السابيو) كثير الاشتغال بالعلوم والآداب ، والمحبة لجزائره المسلمين والتقدير لعلمهم وثقافتهم والرغبة في مهادنتهم ، فسخطه رعبه التي كانت ترا أن الممالك لا تنهض إلا بالسياسة والحروب ، فثار عليه في الأول أخوه الإنفانت فليب مع جماعة من النبلاء سنة ١270 م (669 هـ) ، ثم ولده سانشو سنة ١282 م (681 هـ) فحدثت بين الأب والابن حروب أهلية استمرت عامين وانتهت بوفاة ألفونسو العاشر طريداً مهزوماً سنة ١284 م (683 هـ) والتاج الذي رهنه ألفونسو العاشر بقي محفوظاً بالقصر الملكي بفاس إلى عهد ابن خلدون .

كبير قد ذهب رأيه وفني عقله ، فأعنى عليهم ، ويكون سيرى معك اليهم ، فاعتنم المنصور هاذه الحال ، وجعل جوابه الارتحال ، فارتحل عن مراكش فى ربيع الاول ، فلم يدخل بلدا ولاثبت ولا أمهل حتى وصل الى قصر المجاز فجاز منه الى الجزيرة الخضراء وذلك فى ربيع الثانى من سنة احدا وثمانين المذكورة ، فوجد النصارا فى غاية الضعف وغاية الشتات ، فأتته حصص بلاد الأندلس فسلموا عليه ، وارتحل فنزل بصخرة عباد ، فأتاه بها الفونسو العاشر خاضعا ذليلا فأكرمه أمير المسلمين وأعظم قدره ، فشكا اليه بقله ذات يده ، وقال مالي غياث سواك ، ولا ناصر الاك ، ولم يبق لى الا التاج ، وأتا فى هاذه الحركة محتاج ، وهو تاج أبى واجدادى فخذ رهنا فى المال ، واعطني ماانفقه فى الحال ، فأعطاه أمير المسلمين مئة الف دينار ، وسار معه يغزو فى بلاد الروم حتى وصل الى قرطبة فنزل عليها وقتلها أياما وولد الفونسو محصور بها وبعث سراياه الى جيان فأفسد زروعها ثم ارتحل أمير المسلمين الى أحواز طليطلة يقتل ويسبى ويخرب الغرس والحصون حتى وصل الى مجريط من أحواز طليطلة ، وقد امتلات أيدي المسلمين بالسبى والغنائم ، فرجع لأجل ذلك الى الجزيرة الخضراء ، وكانت غزوة عظيمة لم يكن مثلها فى سالف الدهر ، فدخل الجزيرة فى شعبان من السنة المذكورة ، وهى وخرج فى أول المحرم من سنة اثنتين وثمانين وستمئة (الخميس ١ ابريل سنة ١٢٨٣ م) ، فنزل مالقة وفتح بأحوازها حصونا كثيرة منها حصن قرصة وذكوان وسهيل .

وفى هاذه السنة اصطلح ولد الفونسو العاشر مع ابن الأحمر لأجل صلح والده مع أمير المسلمين يعقوب رحمه الله ، فاشتعلت الأندلس نارا ، وأصل ذلك مالقة وضافت الدنيا على ابن الأحمر ، فبعث رسله الى الأمير يوسف ببلاد العدو يسأله الجواز ليصلح هاذه الخطوب ، فجاز الغزوة السادسة ، فأقام بالجزيرة الى آخر ذي الحجة من العام المذكور الأمير يوسف الى الأندلس فى شهر صفر من سنة اثنتين وثمانين وستمئة بعد ان دام النفاق بينهما مدة ، فأصلح الله تعالا على يديه بين المسلمين

ورفع ببركته علم الدين ، واجتمعت كلمة الاسلام ، ورجع الغزو لعبدة الأصنام ، وبث أمير المسلمين سراياه فى بلاد الكفرة ، فغنموا وسبوا ، ثم خرج من الخضراء غازيا الى قرطبة وهي غزاة البرت .

الخبر عن خروج أمير المسلمين الى غزاة البرت

خرج اليها من الجزيرة الخضراء فى أول يوم من ربيع الثانى من سنة اثنتين وثمانين وستمئة (الثلاثاء ٢٩ يونيو سنة ١٢٨٣ م) فسار حتى وصل الى قرطبة ، فغزا بلادها وغنم حصونها وخرب معموورها وارتحل نحو البرت ، وترك محلته على بياسة بالمغانم والأنفال ، وترك بها خمسة آلاف فارس من حماة الأبطال ، وكان فى ذلك ذا رياسة وسياسة ، فانها دارت بها بلدانهم ، فجد أمير المسلمين السير الى البرت ، فسار يومين بأرض خالية حتى وصل الى العمران ، فأغارت الخيل حتى وصلوا الى أحواز طليطلة ، ولم يبق بين أمير المسلمين وبينها غير مرحلة واحدة ، وماصده عن غزوه الا كثرة ما بأيدي المسلمين من الأموال والسبي ، وقتل فى هاذة الغزاة من الروم ألوف لاتحصى ، ورجع أمير المسلمين على طريق آخر يحرق ويخرب ويسبى ويقتل ، حتى وصل الى مدينة أبذة ، فقاتلها ساعة من النهار ، فرماه عليج من سورها بسهم أصاب فرسه الذي كان عليه ، وسلم الله تعالى أمير المسلمين منه ، فارتحل عنها الى محلته التى تركها على بياسة ، فأقام بها ثلاثة أيام حتى استراح الناس ، وارتحل عنها بعدما دمرها وانتسف أثارها ، فسار الى الجزيرة الخضراء ، وقدم بين يديه من السبي والأموال والكراع مايعجز عنه الوصف ، فدخلها فى شهر رجب من سنة اثنتين وثمانين المذكورة ، وقسم بها المغانم بين المسلمين وجاز الى العودة فى أول يوم من شعبان (الاثنين ٢٥ أكتوبر) فأقام بطنجة ثلاثة أيام وارتحل الى مدينة قاس ، فدخلها فى العشر الأواخر من شعبان المذكور ، فصام بها رمضان وعيد بها عيد الفطر ، وارتحل الى مراکش ،

فوصل رباط الفتح فأقام به شهرين ، ثم ارتحل الى حضرة مراكش فدخلها فى المحرم من سنة ثلاث وثمانين وستمئة ، وبعث ولده الأمير يوسف الى بلاد السوس برسم غزو العرب ومن بها من القبائل الخارجة ، ففرت العرب أمامه الى الصحراء ، فتبعهم حتى بلغ الساقية الحمراء ، ومات أكثر العرب جوعا ، ومرض أمير المسلمين يعقوب بمراكش حتى أشرف على الموت ، وكتب الى ولده الأمير يوسف أن يسرع الوصول قبل أن يعاجله الموت ، فارتحل نحو مراكش ، ولما وصل الى والده فرح به وسر الناس بقدومه ، ووجد أمير المسلمين الراحة ، واستقل من مرضه ، وعاد الى صحته ، فارتحل عن مراكش برسم بلاد الأندلس عازما على الجهاد ، وذلك فى الآخر جمادى الآخرة من سنة ثلاث وثمانين (الثلاثاء ١٢ شتنبر سنة ١٢٨٤ م) فدخل رباط الفتح فى نصف شعبان من سنة ثلاث وثمانين المذكورة ، فصام به رمضان المعظم فتوفيت هنالك الحرة المباركة أم العز بنت محمد بن حازم والدة الأمير يوسف فكان موتها فى سابع وعشرين من رمضان المعظم من سنة ثلاث وثمانين المذكورة ، ووفد عليه برباط الفتح أشياخ بلاد المغرب وفقهاؤها برسم السلام عليه والتهنئة بصحته وكان فى ذلك العام قحط شديد ولم ير الناس ماء الا فى الآخر رمضان المعظم يوم موت الحرة المذكورة .

وفى الآخر شوال من هاذه السنة ارتحل أمير المسلمين من رباط الفتح الى قصر المجاز ، فكتب الى قبائل المغرب يستنفرهم للجهاد ، ثم شرع فى تجويز الجيوش الى الأندلس بقية سنة ثلاث وثمانين وستمئة .

فلما كان فى أول يوم من صفر سنة أربع وثمانين وستمئة (الاحد ٨ أبريل سنة ١٢٨٥ م) وقد تكامل الناس بالجواز جاز الى الأندلس فنزل بطريف ثم سار منها الى الجزيرة الخضراء .

الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب

رحمه الله إلى الأندلس وهو الجواز الرابع

قال الملف عفا الله عنه :

جاز أمير المسلمين يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد وهو الجواز الرابع ، وذلك فى يوم الخميس خامس يوم من صفر سنة أربع وثمانين المذكورة ، فنزل بجزيرة طريف ، ثم سار منها إلى الجزيرة الخضراء ، فأقام بها أياما ، ثم خرج منها غازيا إلى بلاد الروم ، فسار إلى أن وصل وادي لك ، فوجد الزروع فى اقبالها ، والخيرات فى تناهيها ، فبث الغارات فى بلاد الروم ، ثم ارتحل فنزل مدينة شريش فحاصرها وشرع فى افساد زروعها وقطع مرافقها وافساد أعنابها وأشجارها ، وعزم رحمه الله على أنه اذا دمر بلاد شريش ينتقل إلى غيرها من بلاد الروم حتى يأتي على آخر بلدان النصارى التى تولاهم المسلمون قديما وانتزعها الروم من أيديهم ، وينزل على كل قاعدة من قواعدهم حتى يفنى مرافقهم وأقواتهم بالتدمير والفساد ، ثم عزم على تفريق الجيوش على قواعدهم لتحاصرها حتى يقضي الله تعالا فى ذلك مايشاء ، فكانت هذه نيته أيده الله تعالا ونفعه بقصده ، وكان نزوله مدينة شريش المذكورة فى الموفى عشرين من صفر من سنة أربع وثمانين المذكورة (٢٧ أبريل سنة ١٢٨٥ م) ، فكان من يوم نزوله أياها اذا صلا الصبح ركب وركب جميع المجاهدين فيقف على باب مدينة شريش ، ثم تفترق الجيوش فى أحواضها لافساد الزروع وقطع الثمار وتخريب القرا ، فلا يزال رحمه الله واقفا من أول النهار إلى صلاة العصر فاذا صلا العصر رجع إلى بيته ورجع المسلمون إلى محلاتهم ، فكان لايفتر عن تحريض المسلمين ولا عن الوقوف عليهم ، وسبب مداومته على هذا الحال أنه علم ان النصارى دمرهم الله قد فرغت مخازنهم من الزروع ، والغلاء قد عم بلادهم ، والجوع قد استولا على جميع أقطارهم ، فخاف ان يتمكنوا من هذه الصائفة فيرتفقون بها ويكون

لهم فيها بلغة عيش ، فداوم على افساد الزرع لأجل ذلك ، ودأب على قطع المرافق عنهم بالكلية ، وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر صفر المذكور (الثلاثاء ١ ماي) وصل الى المحلة من كان بقي على بحير ؟ وأقطارها من بني مرين والعرب بعدما أفسدت طول اقسامتها هنالك جميع ماكان على بحير من زرع وجنات وكروم وأشجار ، ومروا الى مدينة ابن السليم فافسدوا زروعها وقتلوا منهم وأسروا ، وفى هاذه الأيام وصل من كان من فرسان المسلمين بطريف ، ووصل الرجال الذين كانوا مرتبين فى حصون الاندلس بعددهم وأسلحتهم ، فاجتمعت الجيوش المنصورة ، وفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر صفر المذكور بعث أمير المسلمين عياد العاصمى الى حصن شلوقة فأغار عليه وقتل هنالك جملة من الروم ، وفى يوم الخميس السادس والعشرين من الشهر المذكور ركب أمير المسلمين فى جموع المجاهدين فوقف على مدينة شريش ، وبعث الخيل والبغال الى حصاد الزرع ونقله الى المحلة ، فلم يبق فى المحلة دابة الا جاءت موقورة بالقمح والشعير ، فرغد عيش المحلات منه وبعث أمير المسلمين وزيريه الشيخ محمد بن عطو ومحمد بن عمران برسم التطلع الى حصن القناطر وحصون روطه ، فركبا وسارا اليها فى نحو الخمسين فارسا فداروا بأسوارها من كل جهة فعاینوا من ضعف من بها من النصارا ماسرت به نفوسهم ، ثم رجعوا فأخبروا بذلك أمير المسلمين، وفى يوم الجمعة السابع والعشرين منه قعد أمير المسلمين فى محلته ولم يركب ، وكان قعوده فيها حيلة على النصارا حتى اطمأنوا وعلموا أنه لايركب اليهم فى ذلك اليوم ، فخرجوا ببقرهم وغنمهم يرعونها حول المدينة ، فكمن لهم الأمير أبو علي منصور بن عبد الواحد فى الزيتون فى نحو ثلاثمئة فارس من المسلمين مفترقة فأغاروا عليهم فقتلوا الرجال وغنموا الأموال ، ومع اقامة أمير المسلمين فى ذلك اليوم بالمحلة لم يقعد المجاهدون عن الغارات .

وفى يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر المذكور ركب أمير المسلمين وركب معه سائر المجاهدين ، فسار حتى وقف على مدينة شريش

فقاتلها ساعة ثم انصرف عنها وأمر الناس بقطع الأعناب وأشجار اللتين ، فقطع منها شيء كثير ورجع في عشي النهار إلى محلته .

وفي يوم الأحد التاسع والعشرين من الشهر المذكور عقد امتييز المسلمين لحفيده الأمير أبي علي منصور بن عبد الواحد راية على ألف فارس وبعثه إلى اشبيلية ، وركب هو على عادته إلى شريش ، فوقف عليها وأمر الناس أيضا بفساد الزروع وقطع الكروم والزيتون ، وسار أبو علي منصور بألف فارس من بني مريش وعرب العاصم والخط والأبج والأغزاز غدوة الأحد المذكور إلى نصف النهار فنزل على جبل أبيض فضلا هنالك العصر وركب الناس وساروا حتى غربت لهم الشمس على المقطرة من تحت الأقواس ، فنزل هنالك حتى أكلت الخيل يسيرا من علفها وأسرا بالخليل حتى أصبح بين جبال الرحمة وبين اشبيلية ، وكمن هنالك حتى ارتفعت الشمس فاستدعا الأمير أبو علي منصور برؤوس الجيش من المسلمين وأخذ معهم في المشورة فيمن يغير على اشبيلية ومن يبقا معه ، فاتفق رأيهم على أن تغير خمسمئة فارس منهم وتبقا خمسمئة مع الأمير أبي علي تمشي في أثرهم على مهل ، فأطلقوا الأعنة نحو اشبيلية ، فلما أشرفوا عليها طمع فيهم الروم لقتلهم فخرجوا نحوهم ، والتقا الجمعان ، وصير الفريقان ، وتكاثر جموع الكافرين ، وراموا استئصال المؤمنين ، فبينما هم كذلك وقد ضاقت من المسلمين الصدور إذ أقبل الأمير أبو علي منصور ورايته تشرق وطبوله تخفق ، فلما عاين الكفرة طلعة الجيوش المظفرة ولوا الأدبار ، واعتصموا بالفرار ، فتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويسبون ويخربون حتى أدخلوهم المدينة وقد قتلوا منهم نحو ألف وأسروا جماعة وافرة ، وأغارت طائفة من المسلمين من بني هوجع؟ وبني غفجوم وبعض برغواطة فصادفوا جمعا وافرا من النصارا فقاتلوهم قتالا شديدا حتى منحهم الله تعالى أكتافهم فقتلوهم وأسروا منهم جملة ، واجتمع سائر الجيش إلى الأمير أبي علي منصور ، فسأل الشيخ أباعلي ابن يوسف بن يزجائن وقال له على أي طريق يكون رجوعنا ؟ فقال أبو الحسن الرأي المبارك أن شاء الله تعالى في أخذ الطريق التي بين قرمونة

والقلعة ، فأمر الأمير أبو علي بالفنائم فجمعت وجعلها فى يد أمين وقدمها بين يديه وانصرف الى قرمونة ، فاشتد الحر على المسلمين والعطش ، فبعث الأمير أبو علي الفارس أباسمير وأمره أن يتقدم ويتطلع على أخبار قرمونة ، فمر أبو سمير مغيرا فلقى جمعا من المسلمين ممن خرج الى الاغارة فى أول النهار وهم قد جدوا السير محتفزين ومستوفزين ، فقال لهم أبو سمير ما بالكم ؟ فقالوا أجرينا الخيول نحو قرمونة فخرجت علينا منها الخيل والرجال ، وهامهم فى أثرنا خلف هاذي الربوة ، فوقف أبو سمير هنالك مع المسلمين حتى وصل أبو علي بالخيول والمغنم ، فأعلموه بذلك فقصد نحو النصارا ففروا أمامه فأدركهم قريبا من الباب فقتل منهم جماعة وتحصن الباقون بالمدينة ، ثم امر بحرق زرع قرمونة وقطع ثمارها فأقام كذا لك الى العصر وإرتحل ولحق بغنيمته مع غروب الشمس ، فبات بها بوادي لك ، ورحل منه الى الأقواس ، فأفسد ما هنالك من الزروع ، وأقام الى أن صلا العصر فارتحل بغنائمه الى وادي الملاحة ، ثم ارتحل منه الى المحلة فوصلها غدوة النهار سالما غانما .

وفى يوم الاثنين الموفى ثلاثين من صفر المذكور ركب أمير المسلمين وأمر سائر المجاهدين بقطع الكروم والزيتون واحراق الزروع فأفسد المسلمون من ذلك شيئا كثيرا ، وأقام رحمه الله تعالى يحرض المسلمين على تدمير أموال النصارا الى ان صلا العصر ، وكان يوما شديدا الحر ، فأمر رحمه الله تعالى سعيد بن يخلف وجماعة من العرب باحضار زقاق الماء العذب والوقوف بدوات الماء خلف المجاهدين ليتناولوا من شاء أن يشرب منهم ، فلم يزلوا على ذلك طول مدة الحصار .

وفى يوم الثلاثاء غرة شهر ربيع الاول المبارك من السنة المذكورة ركب أمير المسلمين ونادا مناديه فى الناس بالخروج الى افساد الزرع وقطع الأشجار ، فلم يرجع أيضا الى بيته حتى صلا العصر .

وفى هذا اليوم أمر رحمه الله عرب العاصمة أن يطوفوا على أبواب شريش برسم أخذ من فر منها وقتل من أراد الدخول فيها وأمرهم بالاغارة

على حصن شلوقة فأغاروا عليه فالفوا أهله مطمئنين وقد خرجوا بجميع أموالهم من البقر والغنم والبهائم فغنموها وأسروا منهم أربعة عشر رجلا فأثاب عياد العاصمي وجمعه ورجع بالغنيمة إلى المحلة .

وفى يوم الأربعاء الثاني من ربيع المذكور عقد أمير المسلمين رحمه الله لحصة من خمسمئة فارس وبعث بها إلى غزو استجة وأحوازا .

وفى هذا اليوم وصل الأمير عمر بن عبد الواحد إلى المحلة من العدو ومعهم جمع كثير من المجاهدين والمتطوعة خيلا ورجالا بالعدد الصافية والأسلحة الوافية .

وفى هذا اليوم وصل الفقيه قاسم ابن الفقيه أبي قاسم العزفي بغزة سبئة وهم خمسمئة رام مقاتلة ففرح أمير المسلمين بقدومه .

وفى هذا اليوم أمر أمير المسلمين رحمه الله الأمير مهلهل بن يحيى الخطي أن يختار من عرب الخلط ألف فارس يقيمون على شريش يحرسون أهلها ليلا يخرج منهم أحد وليقطع عنهم الميرة فلم يزل عرب الخلط يطوفون عليها ليلا ونهارا .

وفى يوم الخميس الثالث من شهر ربيع المذكور عقد أمير المسلمين رحمه الله رأيته لحفيده الأسعد عمر بن عبد الواحد على ألف فارس من المسلمين يرسم الاغارة على بلاد الكفرة فخرج من المحلة عند طلوع الشمس بعد أن ودع جده بخباء الساقة وسار بالجيش فجد إلى العصر فنزل في مرج الملاحة حتى علفت الخيل ثم أسرا من أول الليل فأصبح على قلعة جابر ، فكمن دونها إلى المغرب ، ثم أسرا بهم إلى ثلث الليل الأول ، ونزل بوائقي لك ، فأقام به حتى أصبح ، وكمن به إلى الظهر طلبا لانتشار النصارا في الأرض ، فلما صلا الظهر قسم الجيش على فرقتين ، فرقة أمرها بالاغارة على النصارا ، وفرقة أمرها أن تبقا عنده ، ثم انقسم المغيرون على فرقتين ، فرقة أغارت على مرشانة ، وفرقة أغارت على قرمونة ، فجدت الفرقة المغيرة على مرشانة حتى وقفوا على بابها ، ثم انتشروا في نواحيها فقتلوا خلقا كثيرا من النصارا وغنموا نساءهم

وأولادهم ممن وجدوه في الطرقات وفي الأرحية والجناد وفي أندر الزرع
وبقوا في تلك النواحي إلى آخر النهار فأوصلوا غنيمتهم إلى وادي لك

وأما الفرقة المغيرة من المجاهدين على جهة قرمونة فتوجهت إليها
وسار الأمير عمر في أثرها حتى وقف على برج هنالك فيه من النصارا
نحو الثلاثين رجلا ، أفقاتلهم قتالا شديدا حتى فتح الله تعالى له في أخذ
البرج واحتوا المسلمون على جميع ما فيه من الأسلحة والأمتعة والأموال
والروميات ، وقتل جميع من وجد به من الرجال ، وهدم البرج ، وانصرف
بالغنيمة سالما منصورا حتى وصل بها إلى وادي لك فاجتمع بالفرقة
التي أغارت على مرشانة وباتوا جميعا بغنائمهم هنالك ، فلما أصبح قدم
الغنيمة بين يديه ، وسار فبات بالأقواس ، وسار إلى المحلة ففرح به أمير
المسلمين ودعا له بخير

وفي يوم الخميس المذكور أغارت رماة سبنة على حصن من حصون
الروم فسبوا منه ثمانين نفسا بين رجال ونساء وأولاد ، وقدموا بها إلى
المحلة فصرف عليهم أمير المسلمين خمسة منها فاقسموا غنيمتهم فيما
بينهم

وفي يوم الجمعة الرابع من شهر ربيع الأول المذكور ركب أمير
المسلمين وسار معه جميع من بالمحلة من المجاهدين ، فامرهم بإفساد الزرع
وقطع الثمار على حسب عادته فوصل المسلمون إلى فدادين الزرع
وأخذوا في حصاده ودرسه وسار أمير المسلمين إلى زيتون شريش
وقعد به ليلا يخرج من النصارا من يضر بالمسلمين فأقام هنالك رحمه
الله تعالى حتى صلا المغرب وعلم أن جميع المجاهدين قد رجعوا إلى
منازلهم فانصرف إلى محلقه

وفي يوم السبت الخامس من الشهر المذكور ركب أمير المسلمين بعد
أن صلا الظهر فوقف على مدينة شريش فقاتلها قتالا شديدا حتى دخل
المسلمون أرباضها وحرقوها وقتل بها خلق كثير من النصارا ما يزيد على
سبعين رجلا ولم يمت فيها من المسلمين حاشا رجلا واحدا

وفى يوم الأحد السادس من ربيع الأول المذكور ركب أمير المسلمين أيضا الى شريش ، فوقف عليها وأمر الناس بالمسير الى حصاد الزرع ودرسه ونقله ، فخرج الناس من المحلة بالبغال والحمير والجمال فشرعوا فى الزرع ، وأقام هو رحمه الله بالزيتون حتى صلا المغرب حياطة على المسلمين ان يخرج اليهم العدو من البلد ، ورجع الى المحلة بعد ان علم ان المسلمين قد فرغوا من حصاد الزرع ونقله .

وفى هذا اليوم خرج علي بن عجاج الأستجى فى سبعين فارسا من اخوانه فأغاروا على روضة فغنمها وقتل بها عددا من الروم ورجع الى المحلة بغنيمته .

وفى يوم الثلاثاء الثامن من ربيع المذكور بعث أمير المسلمين سرية من خمسمئة فارس من المجاهدين فأغاروا على أركش فغنموها وسبوا منها ثمانين امرأة من الروميات وبقرا وغنما ودواب وقتلوا رجالا كثيرين وأتوا الى المحلة بغنيمتهم .

وفى يوم الأربعاء التاسع من ربيع المذكور عقد أمير المسلمين لولده الأمير محمد (أبى معرف) على ألف فارس من المجاهدين وأمره بتخريب اشبيلية والاغارة على أحوازها فساروا اليها .

وفى هذا اليوم أغار بعض عرب الخلط على برج من أحواز شريش فغنموا منه ثمانية علوج وثلاثمئة رأس من الغنم ومئة وسبعين رأسا من البقر والبغال والرمك ، وقدموا بها الى المحلة .

وفى هذا اليوم أغار رماة سببة وغزاتها على بعض حصون الروم فقتلوا به خلقا كثيرا وسبوا منه ثلاثة عشر علجا ورومية واحدة وقسيسهم وشماسهم ووجدوا مع القسيسين ذهبا كثيرا من ضرب المسلمين ، فصرف لهم أمير المسلمين خمسه منها .

وفى هذا اليوم أغار بعض قواد الأندلس على برج من بروج الروم فدخلوه بالسيف وقتلوا من به وسبوا به ستة أعلاج وأربع روميات ومئة رأس من البقر وقسيا وسلاحا كثيرا فأتوا بها الى المحلة فصرف عليهم

أمير المسلمين خجسته من ذلك كما فعل بأهل سبته ، وانصرف الأمير محمد (أبو معرف) في جيشه الذي عقد له عليه وركب معه والده أمير المسلمين مشيعا له حتى ودعه ودعا له وأوصاهم بتقوا الله تعالى في السر والعلانية والصبر والثبات ، ثم انصرف عنه فجاء الأمير أبو معرف السير يومه ذلك حتى وصل جبل ابريل فأقام به حتى صلا العصر وركب وجد السير الى المغرب فعلق الخيل بوادي لك ثم أسرا طول الليل حتى أصبح على حصن عين الصخرة فكمين هنالك الى العصر وركب وسار بجيشه الى وقت المغرب فنزل وعلقت الخيل ثم أسرا فأصبح وقد قارب القلعة فجمع الأمير محمد (أبو معرف) أشياخ المجاهدين فشاروهم فيمن يغير من المسلمين ومن يبقا معه فاختراروا للأغارة خمسمئة فارس فأطلقوا أعنتها في اثر المغيرين ، وكان النصارا قد خرجوا من اشبيلية خيلا ورجالا في عدد كثير لقتال المغيرين ، فلما جابنوا العلم المنصور والجيش على أثره بادروا الى المدينة فدخلوها وغلقوا الأبواب وتمنعوا بالأسوار والسهم فوقف الأمير محمد (أبو معرف) قريبا منها بحيث لا تلحقه السهم ، وأمر المجاهدين بالغارات في أنحائها وتخريق زروعها وتخريب قراها وقطع أشجارها ، ولم يزل واقفا أمام بابها الى الليل حتى اجتمع اليه جميع المسلمين الذين اجتمعوا للغارات والطبول تضرب على رأسه ترهيبا للعدو ، فغزم المسلمون غزيمة عظيمة وقتلوا من النصارا ما يزيد على ثلاثة الاف رجل ، وذلك يوم مولد نبينا ومولانا محمد صلا الله عليه وسلم وكان جملة ماغنموا فيها من الروميات والأولاد ثلاثمئة وثمانين نفسا ومن الزمك والبيغال والحمير ألف رأس وخمسمئة وستين رأسا ومن البقر والغنم شيئا كثيرا ولم يأسر فيها رجلا الا القتل ورجع الى المحلة بغنائمه سالما

وفى يوم الثلاثاء الخامس عشر من ربيع الاول المذكور بعث أمير المسلمين حفيده الأمير أبا علي منصور بن عبد الواحد في جملة من المجاهدين ، بعث معه مئة من رماة سبته وألف رجل من متطوعة المصامدة، وبعث معهم بالبيغال تحمل جواليق السهام والمساحي والقوس والمعاول

الى برج كان بينه وبين المحلة نحو الثمانية أميال كان به جمع من النصارا يقطعون الطرق على من خرج من المحلة منفردا او فى قلة ، فسار المسلمون الى البرج فشرعوا فى قتاله واطهر من كان فيه من النصارا من الصبر على الحرب مالا يوصف ، ورتبوا الرجال والرماة فى أعلاه وفى أسفله ، فنزل الأمير منصور عن فرسه وأخذ درقته بيده ، وزحف الى البرج على قدميه ، وتولا القتال بنفسه ، ونزلت معه فرسان العرب ففعلوا كفعله ، وتبعهم رماة سبئة ورجال المصامدة فدخلوا عليهم البرج عنوة بالسيف فقتلوا فيه ثمانين علجا وأسروا من بقي من الرجال والنساء المسبيلات ، ووجدوا فيه من السلاح والأمتعة والادام والدقيق شيئا كثيرا ، فأوصلوه الى المحلة فى عشي يومهم بعد ان هدموا البرج ونسفوا أثاره .

وفى يوم الثلاثاء المذكور ركب أمير المسلمين فى سائر جيوش المجاهدين فوقف على شريش وقاتلها قتالا عظيما وخرج لقتاله فى ذلك اليوم جميع من كان بها من الخيل والرجال والرماة ، فتقدم الأغزار ورماة المسلمين الى جهادهم فرشقوهم بالنبال ثم وجفت عليهم خيل بنى مرين والعرب فهزم النصارا وقتل منهم خلق كثير بباب المدينة .

وفى يوم الخميس السابع عشر من ربيع المذكور ركب أمير المسلمين وسائر المجاهدين فسار الى برج كان بينه وبين المحلة نحو اثني عشر ميلا يعرف بمشقریط ، كان فيه من زعماء النصارا وأشرارهم خلق كثير ، فتشمر المسلمون لحربه ، وتحصن الكفرة بالبرج واستعدوا للقتال ، فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا وأحدثت بهم رماة المسلمين فقتلوا منهم نحو الستين رجلا ، وانضم الرجال تحت البرج ، فدخلوا عليهم فى أسفله وملأوه حطبا وأضرموا فيه النيران وخرجوا عنه فبقيت النار تعلق يومها ذاك والليل كله ويوم الجمعة الى نصف النهار ، فلما رأى النصارا مالا طاقة لهم به من النار والسهم استسلموا وألقوا بأيديهم الى الأسر ، فأسر منهم مئة وتسعون علجا وأربع وتسعون امرأة ، وغنم المسلمون جميع أموالهم ودوابهم وأسلحتهم وهدموا البرج وقطعوا ماحوله من الأشجار ورجع أمير المسلمين الى المحلة .

وفى يوم السبت التاسع عشر من ربيع المذكور وصل الى المحلة عبد الرزاق البطوى ، فاخبر امير المسلمين بقدوم ولده الأمير يوسف رحمه الله من بلاد العدو ، وأنه تركه بمحلته على مدينة ابن السليم وأنه وصل بجيش عظيم من المسلمين يغص بهم الفضاء وتضيق بهم الأرض ، وأنه قاتل أهل مدينة ابن السليم قتالا شديدا فقتل منهم خلقا كثيرا ، ففرح المسلمون بقدومه وخرج الى لقائه الشيخ على بن جدار فى جماعة من بنى عسكر .

الخبر عن قدوم الامير يوسف من العدو

برسم الجهاد

لما خرج الأمير يوسف من بلاد العدو الى الأندلس فى جيوش وافرة من المجاهدين والمتطوعة سار حتى قرب من محلة والده أمير المسلمين وبعث الى والده يخبره بقدومه ، فركب أمير المسلمين الى لقائه وركب معه جميع من فى محلته من المسلمين ، وانضاف كل واحد من بنى مريـن والعرب والأغزاز الى قبائلهم ، ولزموا رايتهم ، واحتفل الناس للبروز ، وبرزت كل قبيلة بما عندها من العدد ، وتقدمت الرجال والرماة أمام الخيل ، وميزت قبائل المتطوعة من المصامدة فى ذلك اليوم فى ثلاثة عشر ألف رجل ، وميزت قبائل المغرب من أوربة وغمارة وصنهاجة ومكناسة وصدراتة ولطة وبنى وارثين وبنى يازغة وغيرهم فى ثمانية آلاف رجل ، وأقبلت الجيوش والقبائل كل قبيلة منها ممتازة عن الأخرى ، ولما قرب الأمير يوسف من والده أمير المسلمين يعقوب ترجل أمير المسلمين عن فرسه فوقف بازائه تواضعا منه لله تعالا ، وترجل الأمير يوسف فمشا على قدميه اداء لحق والده وتواضعا وأدبا ، فلما وصل اليه قبل يديه وسلم عليه ، ثم ركب أمير المسلمين وأمر ولده الأمير يوسف بالركوب ، فركب وأقبل الناس يسلمون بعضهم على بعض ، واجتمعت الجيوش وضربت

الطبول حتى ارجيت الأرض-وساروا الى المحلة فنزل أمير المسلمين بخباء الساقة ، ونزل معه ولده يوسف وأشياخ بنى مريـن والعرب ، فأتي بالطعام ، فأكل الناس وانصرف الأمير يوسف الى محلقه ، وانصرف معه الرماة الذين توجه معهم للملاقاة ، وكانوا مئتي رام

وفى يوم الاثنين الحادي والعشرين لربيع المذكور ركب أمير المسلمين فى جميع جيوشه وقدم بين يديه الرجال والرماة فساروا الى حصن القناطر ، فقاتله المسلمون حتى دخلوا روضه بالسيف وأضرموا فيه النيران وقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية وغنموا جميع ما وجدوه فيه من الغنم والبقر والدواب

وفى يوم الأربعاء الثالث والعشرين منه ارتحل أمير المسلمين بجميع محلته فبذل المنزل لأنه استقذره لطول اقامة الناس به فعمروا وادي لك ، ونزل الناس فى وسط الكروم والجنان بقرب شريش وقاتلها فى ذلك اليوم من وقت الضحا الى صلاة الظهر

وفى يوم الخميس الرابع والعشرين منه ركب أمير المسلمين بجميع المجاهدين الى شريش فقاتلها أيضا من طلوع الشمس الى صلاة الظهر وانصرف الى بيته

وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين منه عقد أمير المسلمين لولده الأمير يوسف على جيش من خمسة آلاف فارس وأمره أن يتوجه بهم الى غزو اشبيلية ، ويجوز الوادي الكبير فيغزو ما فى عدوته من البلاد فخرج بعد صلاة الظهر من يومه ذلك وتبعه أمير المسلمين الى طرف المحلة وأوصاه الله تعالا ودعا له وودعه ورجع عنه ، فوقف على باب شريش فقاتلها الى العصر ثم دار بأسوارها ورجع الى المحلة

وفى يوم السبت التالى له أمر أمير المسلمين ولده الأمير محمد (أبا معرف) أن يركب فى جيش المجاهدين فيقاتل شريشا ويلازمها بالحروب فى كل يوم ، فسار اليها وقاتلها النهار كله الى الليل ، ولم يزل الأمير محمد يتردد بجيوش المسلمين الى شريش فى كل يوم يقاتلها من أول

النهار الى الليل فكان يقتل كل يوم منهم خلقا كثيرا ويسبى النساء والأولاد، وسبب لزومه لقتالها والوقوف عليها ليمنعهم عن الخروج الى مرافقهم وليتأمن المسلمون الذين انتشروا في الأرض لحصاد الزرع ودرسه ، فكان الناس في هذه الأيام كلها يخرجون من المحلة بالدواب فيحصدون الزرع ويدرسونه ويحملونه الى المحلة ، فكثرت الخيرات بها وتوفرت الأرزاق ، فكان القمح والشعير والفواكه والادام لايباع ولايشترا والمجاهدون فيها في رغد من العيش ، فصارت المحلة بمنزلة قواعد المدن ، اجتمع فيها جميع أصناف الصنائع والتجارة ، فأخبر من تفقد أسواقها من أهل البحث أنه رأى فيها أصناف الصناعات ، كل قد تلبس بصناعته واحترف بحرفته ماعدا الحياكة خاصة ، وأما سوق الغزل والكتان فقد كانا بها اذ أخذ سوق المحلة السهل والوعر اذا غاب عنك رفيقك أو من تعرفه لاتكاد تلقاه الا بعد اليومين والثلاثة لكثرة الخلق .

ولما خرج الأمير يوسف من المحلة الى غزو اشبيلية في خمسة آلاف من أهل الديوان وألفي فارس من المتطوعة وثلاثة عشر الف رجل من المصامدة وسائر قبائل المغرب وألفين من رماة قبائل بلاد المغرب وحمل معه البغال والأخبية والجمال عليها السلاح والازواد فعل فعل من لايعبأ بالروم ولايكثر بكثرتهم ولايهوله ماعزم عليه من الدخول في أقطارهم والتوغل في بلادهم ، فدخل بجيوشه المظفرة المنصورة حتى نزل جبل أبريد ، فعلق به ، ثم أسرا الى الأقواس فارتفعت هنالك أصوات المسلمين بذكر الله سبحانه والتكبير والتهليل حتى ارتجت الأرض من أصواتهم ، فسار بالمجاهدين من تلك الليلة وهم على حال نكرهم حتى أصبح لهم على عين الصخرة ، فصلا الناس بها صلاة الصبح ، وأقاموا بها الى العصر ، ثم ارتحل وسار بالناس حتى أظلم عليهم الليل بوادي لك ، فصادف المسلمون هنالك الطرق الوعرة والشوك وأماكن الحجارة فجاء الأمير يوسف السير في تلك الأوعار والناس خلفه يتقاطعون ، فانقطع عنه أكثر الجيش وتفرقوا في ظلام الليل لايسدري أحد أين سار صاحبه ، ففتقد الأمير يوسف المسلمين فعلم أنه تقدمهم بمسافة طويلة ، فوقف وأمر الخيل بالرجوع الى

من تأخر من المجاهدين وأمر بضرب الطبول لسمعها من ضل عن الطريق فيقصد نحوها ويهتدي إليها ، فضربت الطبول فسمعها المجاهدون فأتوا نحوها من كل ناحية ، والأمير يوسف واقف في موضعه لا يزال عنه حتى اجتمع اليه كل من تأخر من المسلمين ، فسار بالجميع حتى أصبح فصلا الصبح قريبا من الوادي الكبير ، وسار بالمسلمين يسيرا حتى طلعت الشمس ، فنزل عن قريب وتدرج وتأهب الناس وجددوا نياتهم للجهاد وضجوا بالدعاء الى الله تعالى ثم ركب الأمير يوسف ومن معه من المجاهدين فعبروا الوادي وأمر الناس بالانغارة والانتشار في بلاد المشركين فأغارت كل فرقة من المسلمين على ناحية ، فخرج بنو عسكر وعرب الخلط الى ناحية فلم يكن الا ساعة واذا هم قد قدموا على الأمير يوسف بغنائم لاتحصا من البقر والغنم والدواب والعلوج والنساء وأغارت عرب سفيان على حصن من حصون الروم فدخلوا عليهم بالسيف وأضرمو النيران في أبوابه ، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية وغنموا الأموال وقدموا بغنيمتهم على الأمير يوسف وانتشرت طوائف المجاهدين في تلك البلاد يقتلون الروم ويأسرون ويفسدون ويحرقون ويقدمون بالغنائم على الأمير يوسف وهو رحمه الله يمشى في اثر المغيرين على مهلة في جماعة من وجوه بنى مرين وأشياخ العرب ، وخرج شيخ الأغزاز في مئة فارس الى قلعة الوادي فأغار عليها وقتلها ، فقتل على بابها مايزيد على سبعين علجا وأسر منهم كذلك ، وشرع المسلمون في حرق الزرع وافساد المرافق الى العصر فرجع الناس وقدموا بالغنائم من كل ناحية ، وشرع الناس في ذبح الغنم فذبح منها نحو العشرة الاف رأس ، ثم أمر الأمير يوسف بإحصاء الغنم وجمعها فأحصى عددها في زمام ، وجعلت في أيدي الأمناء وبات المجاهدون هنالك في غبطة وسرور ، وأمر الأمير يوسف بثلاثمائة فارس من المجاهدين يحرسون المسلمين تلك الليلة فباتوا طول ليلتهم يطوفون بعساكر المسلمين حتى أصبح ، فصلا الأمير صلاة الصبح وأمر بضرب الطبول فضربت وركب الناس واجتمعوا فبخل بهم في قرا الغاية وقرا الشرف ، فأقبل المسلمون عليها بالحرق والنهب والتخريب والفساد

وتحريق الزروع وقطع الثمار وهدم الديار ، وقتلوا بها من الروم ألوفاً كثيرة ، وأسروا من النساء والرجال والأولاد كذلك ، فأقام بالغابة والشرف يومين حتى لم يترك بهما للنصارا ما يتصرفون فيه ، وارتحل راجعا حتى وصل الوادي الكبير فجازه وجوز الغنائم بين يديه ودخل هنالك حصنا بالسيف وقتل جميع من كان به من الروم وغنمت أموالهم ، فبات المجاهدون تلك الليلة هناك ، فلما أصبح ارتحل الأمير يوسف وسار بالغنائم على مهل ، فبات قريبا من قرمونه ، ثم ارتحل من الغد فسار طول يومه حتى نزل بالأقواس وجبل أبريد فأقام هنالك الى الثلث الأخير من الليل ، فارتحل وأسرا بقية ليلته فأصبح قريبا من المحلة ، فاتصل الخبر بأمر المسلمين يعقوب فركب فى جيوشه الى لقائه فالتقا الجمعان فى جرف شريش ، وذلك يوم الاحد الخامس من ربيع المذكور ، وقدم بغنائم ملأت الأرض طولاً وعرضا ، وجاءت جيوش المجاهدين بغنائمهم والرجال فى الأغلال والنساء مقرنين فى الحبال ، وبرزوا بها عليها نكاية لمن بها من الروم وارهبا لهم ، ووقف أمير المسلمين على باب المدينة بجيوشه الموافرة ورايته المنصورة والغنائم تسير أمامه ، فضربت الطبول وضج الناس بالتكبير ، فكان يوما عظيما ابتهجت به نفوس المجاهدين وانبسطلت أمال المسلمين .

وفى يوم الاثنين السادس من ربيع الثانى وصل الأمير أبو زيان من طريف فى جيش عظيم من المسلمين ، فيه الرماة والمتطوعة وخمسمئة فارس من عرب بنى جابر ، فبرز بجميع من قدم معه على شريش وقتلتها ذلك اليوم قتالا شديدا .

وفى يوم الثلاثاء التالى له عقد أمير المسلمين لولده الأمير أبى زيان على ألف فارس من المجاهدين وأمره بالاغارة على اقليم الوادي الكبير ، فخرج الأمير أبو زيان من خباء المساقاة يعلم أبيه ومعه ألف فارس ، منهم ثلاثمئة فارس من عرب بنى جابر عليهم يوسف بن قيطون ، وسبعمئة فارس من قبائل بنى مرين ، فسار النهار كله الى الليل ، فبات قريبا من الأقواس ، ثم ارتحل وقدم بين يديه خمسين فارسا وأمرهم بالاغارة على

قرمونة ، فأغاروا عليها وقتلوا بها جملة من الروم وسبوا النساء والأموال ، فخرجت عليهم الخيل من قرمونة وتواترت عليهم الرجال ، فلم يزالوا يقاتلونهم حتى لحق بهم الأمير أبو زيان فهزم الروم وقتل منهم خلقا كثيرا ، ثم سار الى برج هنالك فيه جمع كثير من الروم بنسائهم وأموالهم وقتلهم فيه ساعة من النهار ، وترجلت جماعة من عرب بنى جابر فأخذوا درقهم فى أيديهم واقتحموا السهام حتى دخلوا البرج عنوه بالسيف ، فقتلوا رجاله وسبوا نساءه وغنموا أمواله ، ثم شرع الأمير أبو زيان فى تحريق الزرع وقطع الثمار وتخریب القرا وسار ما بين قرمونة واشبيلية يخرّب القرا ويقطع الثمار ويسبى ويقتل حتى وصل الى برج فى قبلة اشبيلية ، فقاتله المسلمون وأوقدوا حوله النيران حتى دخلوه بالسيف ثم اختار الأمير أبو زيان من جيشه خمسمئة فارس فأغار بها على اشبيلية ، فسبوا من خارجها مئة وخمسين امرأة وأربعمئة عالج ، وقتلوا فى غدان واحد ما يزيد على خمسمئة نصرانى وجدهم يحصدون زرع الفونسو فلم يبق منهم أحد ، وغنموا من الخيل والبغال والبقر والغنم ما لا يوصف ، ثم جمع الغنيمة وقدمها الأمير أبو زيان أمامه وسار فى اثر محله ، فوصلها فى وقت المغرب فبات بها وارتحل من الغد الى محلة أبيه وفى يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الثانى المذكور ركب الأمير يوسف فى ثلاثة آلاف من المجاهدين وثلاثة آلاف من الرجال والرماة الى جزيرة كبتور التى بازاء قصر البرت بعد أن بعث اليها القطائع فى البحر ، فأغار المسلمون فوصلوا اليها وأتت الخيل فاقتحمت الوادي فدخلوا الجزيرة وقتلوا جميع من وجدوا فيها من الرعاة والناس ، وغنموا ما فيها من الاموال والخيل والبقر والغنم وسبوا النساء والذرية وأبلا فى هذه الغزوة رئيس الأغزاز وابن عمه بلاء حسنا .

وفى يوم الخميس السادس عشر من الشهر المذكور توجهت قطائع المسلمين من جزيرة كبتور الى الجزيرة الخضراء لياتوا منها بالمجانيق والسهام وألة الحرب لينصب ذالك كله على شريش .

وفى يوم الجمعة أغار عرب سفيان على بعض الحصون فغنموا منه

ثلاثمئة رأس من البقر وأربعة ألاف رأس من الغنم وثلاثين رومية وستة عشر علجا وقتلوا منهم عددا كثيرا وقدموا الى المحلة بالغنائم •

وفى يوم الثلاثاء الحادي والعشرين منه بعث أمير المسلمين حصّة من ثلاثمئة فارس فأغارت على قرمونة وأحوازها ، فسبت مالا كثيرا من الدواب والبقر والغنم والنساء والذرية وقدمت بها الى المحلة •

وفى يوم الخميس الموفى ثلاثين من ربيع الثانى المذكور أغار عياد ابن أبى عياد العاصمى فى جماعة من اخوانه على حصن من حصون الوادي ، فدخل ربهضه بالسيف ، وحرقه وقتل فيه ماينيف على ثلاثمئة رجل من المشركين ، وسبا منه ستا وسبعين امرأة وعشرين علجا فقدم بهم الى المحلة •

وفى يوم الجمعة غرة جمادا الأولا خرج النصارا من شريش برسم الارتفاق والاحتطاب ، فحال عرب سفيان بينهم وبين المدينة فقتلوا منهم نيفا وخمسين علجا •

وفى يوم السبت الثانى منه عقد أمير المسلمين للحاج طلحة بن علي على منّتي فارس وأمره ان ينصرف بهم الى اشبيلية فيخربها ويطلع على أخبار سانشو ملك النصارا فان أخبره قد انقطعت عنه ، فبعث هاذة الحصّة لتغير وتطلع على أحوال البلاد وتسمع الأخبار ، وبعث معه الجواسيس من الأندلس واليهود •

وفى يوم الاثنين الرابع منه ركب أمير المسلمين فى جميع جيوش المجاهدين خيلا ورجالا وسار الى حصن شلوقة فقاتله حتى دخله بالسيف وأحرق أرباضه ودياره ، وقتل رجاله وسبا نساءه ، وغنم الأموال ، ولم يبق فى هاذا اليوم بالمحلة أحد من المجاهدين الا عرب سفيان ، فانهم أقاموا يحرسون المحلة •

وفى يوم الخميس السابع من جمادا المذكورة كمن عياد العاصمى مع جيش من اخوانه فى حفير شريش ، ثم سار فى أربعة نفر منهم وبيده راية حمراء حتى وصل الى باب المدينة ، وترك باقي اخوانه فى الكمين ،

فأبصر به الروم فخرجوا اليه من شريش خيلا ورجالا شعلة واحدة ، وطعموا في أخذه ، فجرهم حتى جاز بهم الحفير فخرج عليهم الكمين فقطعهم عن البلد فقتلوا منهم ثلاثا وسبعين علجا ، وكان عياد رحمه الله من أشد المسلمين ذكاية في الروم لا يغفل عن الاغارة على بلادهم ليلا ولا نهارا ، ولم يترك الجهاد ساعة واحدة من يوم نزول المسلمين على شريش الى يوم رحيلهم عنها ، ولم يزل أمير المسلمين يعقوب رحمه الله من يوم ارتحاله عن طريف ونزوله عين الشمس وذلك يوم السبت السابع من شهر صفر من سنة أربع وثمانين وستمئة ، وبطول اقامته على حصار شريش الى أن ارتحل في الثامن والعشرين لجمادا الأول من السنة المذكورة في كل يوم يشن على بلاد العدو الغارات شرقا وغربا ويبث فيها سرايا فتكثر في أنحائها قتلا ونهبا ويعقد الرايات لبنيه وحفدته وبيعهم في الجيوش العظيمة الى الغزوات ، فكان رحمه الله أيام حصاره لشريش المذكورة اذا صلا الصبح دعا بأحد بنيه أو حفدته أو أحد أشياخ بني مرين فيعقد له راية وبيعه في مئتي فارس سرية ، ويأمره بالتوجه والاغارة على الناحية التي يريد غزوها من بلاد العدو حتى انتسف جميع ما قرب منها وما بعد ، وكانت سراياه رحمه الله تقطع مسافة الايام الكثيرة وتغير على قواعد البلاد الخطيرة كلبلة واشبيلية وقرمونة واستجة وجبان وجبال الشرف وغيرها ، فلما أفذا تلك البلاد ودمرها وأكل زروعها وغنم أموالها وقطع ثمارها ولم يبق للنصارا شيئا يرتفقون به وأقبل فصل الشتاء وقل العلف في المحلة وغلّت أسعارها ارتحل عنها الى بلاده ، فاتصل به وهو بالطريق ان النصارا دمرهم الله قد عمروا أفروطة ونزلوا بها الزقاق (١٨٠) ليقطعوا بها المجاز ، فأسرع السير بالرجوع الى طريف، فنزل بها وأمر بعمارة الأجقان ، فعمرت في الحين بسبته وطنجة ورباط الفتح وبلاد الريف وبالجزيرة وطريف والمنكب ، فاجتمع منها ستة وثلاثون جفنا غزوية معدة للرماة والغزاة والعدد الكاملة ، فلما عمت أفروطة

الروم بعمارة أجفان المسلمين وقدموها الى حربها وتحققت وفودها عليها وقصدها نشرت شرايعها وفرت أمامها خوفا أن تلقاها فتفني حمايتها ، فأقبلت أساطيل المسلمين المظفرة حتى وافقت حضرة أمير المسلمين بالجزيرة ، فبرزت أمامه بالمرسا وهو جالس بمشور قصره من البلد الجديد ، فلبعوا أمامه فى البحر وتناطحوا قدامه كفعلهم فى حربهم ، فأمر رحمه الله لكافتهم بالاحسان الجزيل ، وصرفهم الى وقت الحاجة اليهم فيأمرهم بالاتيان ، فلما رآا سانشو ملك النصارا أن بلاده خربت وحماته قتلت وأموال رعيته نهب وغنمت ونساءهم سبيت وأفروطته التى كان بعثها لقطع الجواز فرت وهزمت جنح الى السلم والطاعة ، وأخذ فى التذمم والضراعة .

الخبر عن وصول الرهبان والاقسة من الروم

إلى حضرة أمير المسلمين يرغبون فى الصلح

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما ارتحل أمير المسلمين عن شريش ورجع الى بلاده لأجل زمان الشتاء الذي أقبل خرج سانشو ملك النصارا من اشبيلية الى شريش فرأا من أثر عيث المجاهدين فى بلاده وماقطعه المسلمون من التخريب والتحريق والقتل والسبي والتمزيق فى نجوده ووهاده ، ما أشعل النار بفؤاده ، وبذل نومه بسهاده ، فبعث ثقته الزند غرسية فى جماعة من الاقسة والرهبان والزعماء المجريين الى حضرة أمير المسلمين فانقلبوا اليها صاغرين ذاخرين متذللين ضارعين فى السلم راغبين ، فلم يسمع منهم أمير المسلمين قولا ولارد عليهم صرفا ولاعدلا ، فرجعوا الى مرسلهم خائبين ، فأعادهم ثانية وقال ارجعوا اليه فعساه ان يلين ، فاتوه الثانية وقالوا له أيها الملك المنصور ، جئناك بقلوب منكسرة ، وأقئدة متقطعة ، نرجو عفوك ، ونطلب صلحك ، فالصلح خير ، فلاتخبب قصدنا،

ولا ترد سؤلنا ، فقال لهم لا أصالح سبطانكم الا على شروط اشترطها عليه مع رسول أبعثه اليه ، فان قبلها سلمته ، وان حاد عنها نابذته ، ثم دعا بالشيخ عبد الحق الترجمان وقال له تسير الى هذا المعين وتقول له يقول لك أمير المسلمين لأسالك ولا أترك حريك وغزو بلادك الا على شروط منها أن لا تتعرض بعد هذا لبلد من بلاد المسلمين ، ولا لجفن من أجفانهم ولا تصلهم بأذية في بر ولا بحر ، كان ذلك من اهل طاعتي او غيرهم ، وتكون أنت لى بمنزلة الخديم فيما أمرك به وأنهاك عنه ، وان يكون المسلمون يسيرون في بلادك لتجارتهم وطلب معاشهم بالليل والنهار لا يتعرض لهم بشر ، ولا يلزمهم درهم ولا دينار ، ولا تدخل بين سلاطين المسلمين بلفظة واحدة ، ولا تعقد مع أحد منهم محاربة ، فسار اليه عبد الحق ليبلغه الرسالة ، ويشترط عليه ما ذكر أمير المسلمين من المقالة ، فوصله وهو بحضرة اشيبيلية أعادها الله للإسلام ، فدخل عليه وأبلغه رسالة أمير المسلمين فاحتملها وأعلمه بالشروط التي اشترطها عليه فالتزمها ، فقال له عبد الحق ياسلطان أما الشروط فقد قبلتها ، فاسمع منى مقالة أقولها ، قال تكلم بما شئت ، قال ياسلطان قد صح عند الملتين ، وثبت في قلوب الفريقين أن أمير المسلمين يعقوب أيده الله صاحب دين وأمانة وعهد ووفاء ، في الميثاق ، فانه اذا عاهد وفا ، واذا قدر عفا ، وأنت لانعلم لك مذهبا فانك فعلت مع والدك ما فعلت ، وخرجت عليه ظلما ونكثت ، فسار الناس ينقضون عنك لكثرة أسائكك لهم ، فقال له سانشو لو علمت أن الملك يعقوب يرضا أن أكون من جملة خدامه لبادرت اليه مبتثلا ، فقال له عبد الحق الترجمان أما والله لو خدمت مولانا أمير المسلمين وظهر له منك النصح في الخدمة لتجدنه كما تريد ، فقال سانشو فأي اثر أصنع أولا مما يرضيه ؟ قال اول أمر تصنعه أن لا تدخل نفسك في أمور المسلمين بكلمة واحدة ، وتترك التضريب بينهم ، ولا تعرض لبلادهم ، وان كان بينك وبين ابن الأحمر كلام او ربط فارتكه وأخرج من أموره بالكلية ، واصرف رسله اليه ، فيهاذا يرضا عنك أمير المسلمين ويصالحك ويؤمن بلادك ، وكان ابن الأحمر قد بعث رسله اليه يعقدون معه

الصلح على بلادهم ، وتكون أيديهم واحدة على حرب أمير المسلمين ، وكانت عند سانشو أجفان حربية معدة للسفر بالوادي ، فلما فرغ عبد الحق من كلامه قال له سانشو غدا تسمع ما أقول ، وترا ما أفعل ، فلما كان من الغد ركب سانشو الى شاطيء الوادي فوقف عليه وأقبلت رسل ابن الأحمر فقعدها بين يديه ، فلما استقر بهم المجلس بعث الى عبد الحق رسول أمير المسلمين ، فأقبل اليه فأجلسه الى جانبه وأخذ معه فى الحديث الى أن ظهرت الأجفان وهي مقلعة ، فقال له رسل ابن الأحمر ماهاذه الأجفان المقلعة أيها الملك ؟ فقال لهم سانشو هاذه الأجفان أعدناها لخدمة أمير المسلمين يعقوب تتصرف فى حوائجه وقضاء أغراضه حيث كانت ، فلما سمعوا ذلك منه سقط فى أيديهم ونظر بعضهم الى بعض ، ثم قالوا له ونحن أيضا بأي شيء نذصرف عنك أيها الملك ؟ فقال لهم أما ما جئتم اليه من الصلح مع ابن الأحمر فلا أعرف له وجهها كيف أصلحه أو عى أي شيء أعاديه ، أهو كفؤ لى أو قرينى حتى أعقد معه الصلح وماجرت عادة بهاذا مع الصغير والكبير ، وهذا الملك أمير المسلمين يعقوب هو ملك المسلمين بالعدوتين ، وصاحب حضرة مراكش وفاس ، ملك المسلمين بالمغرب ، وقهر جميع الملوك بصدق نيته وسعده ، وغلبهم بقوته وكثرة جنده ، وأفنا ملوك بنى عبد المومن وسلب ملكهم وقطع دولتهم ، وليس فى الأرض ملك أخشاه سواه ، وقد علمتم أنه قهرنى وقهر أبى من قبلى ، واستولا على بلادنا ، وقتل رجالنا وأبطالنا ، وسبنا حريمنا وغنم أموالنا ، وليس لنا طاقة بقتاله ، ولا قدرة لحربه ونزاله ، ومع هذا كله فقد كاتبه جميع ملوك الانصراية يرغبون فى مسالته ومهادنته ، فكيف أترك صلح أمير المومنين وأتكلم مع من هو دونه فى القدرة والقوة والحرب ؟ فأبلغوا ابن الأحمر كلامى وقولوا له لاكلام بينى وبينه أبدا ، فانى رأيت ذلك مصلحة لى ولبلادي ولرعيتى ، وأعلموه انى لأقدر على مدافعة أمير المسلمين عن نفسى فكيف عن غيرى ، والمال الذى أخذته منكم هو مصروف اليكم على رغم انفى بسبب أمير المسلمين يعقوب فانصرفت أرسال ابن الأحمر وقد يئسوا من نصرة سانشو آياه ، فقال له

عبد الحق هاذه ارسال ابن الأحمر قد انصرفت وأنا بأي شيء أنصرف الى مولانا أمير المسلمين ؟ فقال سانشو أنا أخذ بخدمته ممثل لأمره ونهيه ، مبادر الى مايرضيه ، فقال عبد الحق يرضيه أن تصل اليه فتجتمع معه ، فقال سانشو نعم وكرامة ، فلما عزم سانشو على الخروج ليجتمع مع أمير المسلمين اجتمعت عليه النصارا وغلقوا أبواب اشبيلية دونه ومنعوه من السير والخروج ، وقالوا أنا نخاف عليك من ملك المسلمين ، فقال لهم انى أليت على نفسى أن أصل اليه وأخذ معه مشافهة فيما يقع الصلح بينى وبينه عليه ، فدعوه يصنع بى ماشاء ، فلما رأوا عزمه خلوا سبيله ، فسار حتى بعد عن اشبيلية بمرحلة ، فأدركه الخوف وداخله الجزع ، وقال يا عبد الحق ما أظن أصحابى فى منعمهم اياي الا على بصيرة ولكنى أريد ان تعاهدنى وتحلف لى أنى الأمن منه ولا أرا منه الا مايسرنى ، فحلف له عبد الحق على ذلك فى تهليل (١٨١) كان عنده ، فاطمان قلبه فى الظاهر ، ثم سار حتى وصل مدينة شريش ، فازداد جزعا وقال لعبد الحق انى لأقدم على أمير المسلمين يعقوب حتى اجتمع بولسي عهده يوسف فيؤمننى ويسكن خاطري بأن أقدم معه الى والده فى ندمته وأمانه وأسير معه .

فلما سمع ذلك عبد الحق خاف ان يكون قد دبر مكيدة على المسلمين ، فقال له نعم تصل اليه ، ولكنه ملك كبير ، وسلطان عظيم ، اذا وصل اليك فى جيشه وأنت فى بلد من بلادك وتطلب منه ان يشفع لك عند أبيه وجب عليك ان تخرج عن ذلك البلد ، فان المملكة توجب ذلك ، ولا يمكنك الا الخروج له عن شريش اذا دخلها ، وان لم تفعل كنت مقصرا فى حقه ، وخافضا من قدره ، فاعمل رأيك فى أي الأمرين أوفق ، وأما وصوله اليك فأنا الكفيل به ، فلما سمع سانشو مقالة عبد الحق قال أنا أخرج للقاءه ، فألقاه خارج المدينة ، فسار عبد الحق الى الأمير يوسف

(١٨١) طرف من جلد أو ملف مطروز بالحرير فى الغالب يوضع فيه مصحف أو شبهه

- مثل دليل الخبرات - يعلق على الجنب تمودا .

فعرفه بخبر سانشو واستجارته به وميله الى جانبه وأعلمه برضاه
بعمده ، وأنه يركب فى ذمته حتى يصل به لأمير المسلمين ، فأجابه الأمير
يعقوب الى ذلك وأسجفه فسار مع عبد الحق الى لقاء سانشو فى
جيش عظيم من أنجاد بنى مرين وشجعانها ، وأهل الباس والفتك منها
فتلقاه سانشو على مسيرة أميال من شريش ، فسلم عليه وأظهر له
السرور والفرح والبشاشة فأخرج له الضيافة ولجميع الحلة قامر
الأمير يوسف بالنزول بخارج البلد ، فضربت قبابه ومضاربه ، ونزل فيها
ونزل سانشو فدخل معه فى خبائه ، وقال له أيها الأمير الأسعد ، والسلطان
المبارك الأصعد انى اردت أن أكون دخيلك وفى وفاء ذمتك ومتقيًا بظل
خدمتك حتى اجتمع مع أمير المسلمين والدك ، فأعطاه الأمير يوسف أمانه ،
والتزم له مايرضيه من والده وتكفل له بقضاء جميع أغراضه وشؤونه
عنده فقال له سانشو الآن طابت نفسى ورجعت الي فلما كان فى
عشي النهار ركب الأمير يوسف الى خارج محلته ، فوقف بها وخرج جميع
من بشريش ينظرون اليه فركبت ابطال بنى مرين تلعب بين يديه وركب
سانشو ووقف بازائه وبنو مرين فى لعبها ، فقال سانشو وأنا ايضا لعب
سرورا بما من الله عز وجل به علي من اقبالكم الي واسعادكم لى بالصلح
والمهادنة ، فانا أولا الناس بالسرور ثم أخذ الرمح والترس فلعب مع
زعمائه بين يدي الأمير يوسف فلما غربت الشمس رجع الأمير يوسف
الى منزله ودخل سانشو الى شريش ومن الغد سار الأمير يوسف
وسانشو الى لقاء أمير المسلمين فاجتمع به فى حصن عين الصخرة
على مقربة من وادي لك واستعد أمير المسلمين للقاءه فى ذلك اليوم
وأمر جميع جيوشه بلباس الأبيض والعدة الكاملة فسابيضت الأرض
ببياض المسلمين ، وأقبل سانشو فى عقدة من المشركين مسودة فكان
ذلك عبرة للمعتبرين فسلم على أمير المسلمين وقعد بين يديه تأديبا
معه ثم قال يا أمير المسلمين ان الله أسعدنى بلقاءك وشرفى فى هذا
اليوم برويتك ، وانى لأرجو أن أنال طرفا مما اعطيت من السعادة لأقهر
بها ملوك النصرانية ، ولاتظن أنى جئتكم رضا منى ، ولأطوعا من نفسى

بل والله ما قدمت لحضرتك الا على رغم انفي ، لانك خربت بلادنا وهتكت حرمتنا وسبيت نساءنا وحريمنا واولادنا ، وقتلت جماتنا ، ولا طاقة لنا بحريك ولا مقدرة على معاندتك ، فكل ما تأمرني به امتثله ، وكل ما تشترط علي التزمه وأحمله ، وينك الباسطة على جميع بلادى ورعيتى تحكم فى الكل بما شئت ، ثم قدم له هدايا نفيسة ، وتحفا عظيمة ، وكذلك لولده الامير يوسف استجلابا لمرضاتهما فكافاه امير المسلمين بأضعافها ليخرج عن أياديهم ، وتم الصلح بينهما وذلك يوم الأحد الموفى عشرين لشعبان المعظم من سنة أربع وثمانين وستمئة (٢١ اكتوبر سنة ١٢٨٥ م) .

ولما صرفه الى بلاده أمره رحمه الله ان يبعث اليه بما يجده فى بلاده بأيدي النصارا واليهود من كتب المسلمين ومضاهفهم فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملا فيها جملة من الكتب ككتاب الله العزيز وتفسيره كابن عطية والثعالبي ، ومنها كتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستبصار ، وكتب الأصول والفروع واللغة والعربية والأدب وغيرها ، فأمر رحمه الله بها فحملت الى قاس فحبسها على طلبة العلم بالمدرسة التي كان يناما نفعه الله بقصده .

وبعد انصرف سانشو الى بلده رجع امير المسلمين الى الجزيرة الخضراء ، فدخلها فى السابع والعشرين من شعبان المذكور ، فوجد القصر الذي بني له بالمدينة الجديدة والمشور والجامع قد تم ذلك كله وفرغ منه ، فنزل بالقصر المذكور ، وأقام به شهر رمضان وصلا الجمعة بجامعها المكرم ، وصلا بمشورها صلاة الاشفاق ولم يتخلف عنه ليلة واحدة ، فكان رحمه الله لا يزال قائما من أول الصلاة الى آخرها مواظبا على ذلك حتى تقضى شهر رمضان المعظم ، وقد قضا حقه صياما وقياما على قدر طاقته ، وكان الفقهاء يبيتون عنده فى كل ليلة منه فيذاكرهم فى فنون العلم ، فاذا كان ثلث الليل الأخير قام الى ورده ومناجاة ربه يصاله خلاص نفسه وعق رقبته رحمه الله حتى انصرف شهر رمضان ، فلما كان يوم عيد الفطر وصلا صلاة العيد وانصرف من الصلا الى قصره وقعد بالمشور المجزك دخل عليه اشيخ بنى مرين والعرب ، فقعدوا بين

يديه يأكلون الطعام ، فلما فرغوا من أكلهم رفع اليهم الفقيه الأديب البارع عبد العزيز الكناسي الدار المزوزي النجار قصيدة ذكر فيها غزوات أمير المسلمين في تلك السنة وغزوات بنيته وحفدته ، وامتدح فيها قبائش بني مرين ورتبهم على منازلهم ، وذكر فضائلهم وقيامهم بالجهاد وأمر الدين ، وذكر قبائل العرب على اختلافها وبناء البلد الجديد الذي على الجزيرة والدار وحلول أمير المسلمين بها وصلاته بجامعها وذكر منبرها الشريف والتهنئة بعيد القطر والشكر له على قيامه بأمر الدين واهتباله بأمر العلم فأنشدها بين يديه بمجلسه ذالك قارئه الفقيه عبد الرحمان الفاسي الدار المعروف بالغرابلي وأمير المسلمين يصغى الى انشادها وجميع أشياخ بني مرين والعرب يستمعونها حتى آتا على آخرها وقبل يده الكريمة فأمر للقارئ بمئتي دينار ، وأمر للناظم بألف دينار وخلع له ثيابا ومركوبا وهاذا مطلع القصيدة :

بحمد الله افتتح الخطابا	وأبدأ في النظام به الكتابا
لعل الله يبلغني الاماني	يفتح بالسرور علي بابا
ويرشدني الى نقل صحيح	ويرزقني من القول الصوابا
هو الملك الذي خلق البرايا	وصورهم وقد كانوا ترابا
الاه واحد حي مريد	عليم قادر بالجود حابا
يرا أثر النملة حين تمشي	وتقطع في الدجا الصم الصلابا
ويسمعها اذا دبت عليه	وجنح الليل قد أمسا غرابا
تقدس عن صفات الخلق طرا	وان يعزا له الوصف اكتسابا
يحيط بعلم ما تحوي عليه	طباق السبع ان دعي استجابا
ويعلم في الاراضى السبع علما	يحيط بعد حصباها حسابا
ولم لا وهو أنشانا امتنانا	وواعدنا على الحسنات المتابا
وانشأ في السماء لنا بروجبا	والبسها بزينتها ثيابا
وأجرا الشمس ثم البدر فيها	وسخر بالرياح لنا سحابا
لتسقي بلدة ميتا بغيث	همول بالحياة هما وصابا
وأجرا في بسطقتها عيوننا	مدفقة وأودية عذابا

وأرسل في الورا منهم رسولا
محمد النبي المجتبا من
وقد أسرا به مولاه ليلا
دنا من حضرة العليا تدلا
عليه صلاة رب العرش تترا
وماسحت بماء لمزن سحب
هو المبعوث بشرنا ببشرا
وحرضنا على قتل الأعادي
ونبذل في جهاد الكفر نفسا
فصدقه أبوبكر عيق
وثالثهم أبو عمرو ، ووفيا
هم الخلفاء أربعة تواصلوا
وباقى العشرة المرضي عنهم
سعيد وابن جراح وسعد
هم قد بايعوا المختار طوعا
وأن تفنا نفوسهم احتماء
وهم قد جاهدوا في الله حقا
عليهم رحمة الرحمان تملأ
فمذ بانوا وبان من اقتفاهم
وعاد الدين بعدهم حقيرا
وصار بغربنا الأقصا غريبا
ولم يعلم جهاد للأعادي
السي أن فتح الرحمان فيه
لمولانا أمير العدل ملك
فهناه الإله السعد فيه
دعا لله دعوة مطمئن
فلما الله دعوته وسنا

شفيعا مصطفا يتلو الكتابيا
سلالة هاشم فالأصل طابيا
وجبريل له أخذ الركابيا
وحاز القرب منه فكان قابيا
مدا الأيام تورثنا الثوابيا
فحلا الزهر بالزهر الهضابيا
من المولا وأنزنا العقابيا
تضيق بهم تلالا او شعابيا
ومالا قد جمعناه اكتسابيا
وثانيه أبو حفص أجابيا
أبو حسن طعانا او ضرابيا
على الاسلام صونا واحتجابيا
سموا وعلا ابن عوفهم المشهابيا
زبير ، طلحة ، كرموا صحابيا
على أن لايضام ولا يصابيا
لدين الله بعدا واقترابيا
وسلوا في عاداتهم الذبابيا
بنور من قبورهم الرحابيا
خفا نور بدا منهم وغابيا
ومنسحقا وممتنها مصابيا
فياللدين يغترب اغترابيا
بهاذي الأرض يحسب احتسابيا
ليعقوب بن عبد الحق بابا
أرانا في العدا العجب العجابيا
ونية صدقه برا أثابيا
لمولاه دعاء مستجابيا
له الحسنات وجنبه الصعابيا

فجاز البحر مجتهدا مرارا
فألبس ملكهم ذلا فصارت
أبعد جواز أرض البرت فخر
هو القطب الذي دارت عليه
بنوه نجومه والبدر فيهم
أبو يعقوب مولانا المرجا
هو الملك الذي أعطا وأغنا
وأبناء الامارة ترتجيهـم
أوفى حقهم فردا ففردا
وأذكر غزو هذا العام حتى
وأنشر من فخر مرين بردا
وأروى مدحهم في الدين شعرا
ليبقا ذكرهم في الأرض يتلا
فعزهم مكين في المعاني
سأودع غزوهم في الروم نصا
وأذكر من وقائعهم أمورا
فهل من سامع خيرا لبابا
فبصغى سمعه نحوي امتنانا
وذاك أن مولانا أناخت
فجاز البحر في صفر خميسا
وحل طريفا المولا بجمع
وفى غد يومه ضريت لديه
زمت حسنا وجملها سناها
ولم ير مثلها في الحسن لكن
فحل بها كأن الشمس لاحت
فيا لك قبة يحكى سناها
وخلف عامرا وأتا قريبا
يقود الى العدا الخيل العربا
به الاملاك ترتهب ارتهايا
تزيد به منالا واعتجايا
نجوم السعد لاتخشا اضطرابا
ولي العهد من بالفضل حابا
لدفع الخطب ان ارسا وابا
وصير طعم عيش مستطابا
وأحفاد العلا اعتصبوا اعتصابا
كما جعلوا الجهاد لهم نصابا
أذكر كل شخص ما أطابا
كما احتزبوا لدينهم احزابا
أدونه وأودعه الكتابا
يراه الركب زادا واحتقبا
وعز سواهم أضحا سرايا
نظاما لاخاف به اضطرابا
يصير بهن طعم الشرب صابا
يرد علي بالصدق الجوابا
يقول اذا أصبت نقد أصابا
عزائم بطجة الركابا
بخامس شهره ركب الغرابا
كسا شم المعازل والهضابا
هنالك قبة تسبى القبابا
لها اختاروا من الحبر الثيابا
قد انتخبت بسبقة انتخابا
بطلعته ازدهاء واعتجايا
سنا الفلك المحيط بها انتسابا
من أركش ثم رام به احتلابا

ورام نكاية الأعداء فيه فأوسعه احتراقا وانتهايا
ومنه آتا شريشا فى جموع ووافته محلته ايايا
فأوسعت الزروع بها احتصادا وأوسعت الغروس بها احتطابا
أذاقت من شلوقة كل ربع وروض من قناطرها عذابا
مدينتها وقلعتها بخير أشاعوا فى نواحيها الخرابا
وجهز للعدا منصور جيش ليترك دارهم فقرا ييايا
على اشبيلية أجرا خيولا فأوسع من بساحتها انتهايا
سبا منهم وغادر الف عالج تطارد عنهم الطير الذئابا
وآب مظفرا وابو علي أخوه آتا وقد حمدوا الايايا
وجهز جيشه عمرو ووافا نرا قرمونة يحكى العقابا
ولم يترك بها أحدا سوى من بها ينكب فى الأرض انكيايا
آتا بغنائم ملات عديدا بسيط الأرض بل غطت شعابا
وجيش أبى معرف المعل ولد سيد الثقلين يشهد على اشبيلية حط القيايا
آتا بغنيمة فيها سبايا له فيما سباه وما أصابا
فذاك اليوم سار أبو علي وأوصل من مراكبهم ليايا
وغزوة مشقريط ليس تخفا الى برج قصيره خرابا
ولا أنسا البروز على شريش فضائلها لقد حسنت مآيا
فذاك اليوم أعظم يوم حرب فأهل البرج قد ذاقوا العذابا
ويوم وصول مولانا المرجا رأيناه اذا ذكروا الضرابا
هناك بروز أهل الدين ردت أبى يعقوب أشرق واستطابا
ولا أنسا القناطر حين دارت محاسنه على البهر الشبابا
وأهل شريش لما أن تراءا بها الاسلام توسعا انتهايا
هنالك خصص المولا بجيش ولي العهد قد فرقوا ارتعابا
بأربعة من الآلاف خيلا أبا يعقوب مولانا وحابا
وأجرا الخيل من كل النواحي مسومة مظفرة عرابا
فلم يترك بتلك الأرض خلقا على اشبيلية شرفا وغابا
أسارا أو سبايا أو سلابا

فتلك غنيمه ما ان سمعنا
وبعد اتا ابو زيان وافنا
بهاذا اليوم جهزه بألف
وجاء بزرعها وانحاز عنها
وقتل اهلها وسبا وولا
ومولانا ابو يعقوب وافنا
الى كبتور اعمل حد عزم
أحاط يربعها برا وبحرا
وخلف أرضها غبرا واضحت
ولما دوخ المولا النصارا
ولم يترك بارضهم طعاما
وأعوزة بها علف وطالت
وقد ظهرت لأسطول الاعادي
يؤم الى الجزيرة رام منه
الى اشبيلية ليبيد منها
وينزلها يقيم بها شتاء
فلما حل ربع طريف والا
فيامر أن يجهز للاعادي
فجهزها ووافت باحتفال
هنالك سانشو وافنا شريشا
فوجه منه ارسال النصارا
يطالبه بعقد الصلح يعطى
ولم يقبل لهم قولا وأبت
ولم يرددهم المولا سوى من
فقرب جيشه المنصور بحرا
فلما برز الأسطول فرت
وما ألوت على متبعيها

بهاذا العام أكثرها انجلايا
شريشا بالبروز وما استرابا
الى قرمونة وافنا الصوابا
الى اشبيلية ولها استتابا
حميدا فى سرور من استتابا
شلوكة ثم خربها خرابا
لو أن الهند مس به لذابا
فدمرها وصيرها يبابا
حمامة حسن معناها غرابا
والبسهم من الذل النيبا
ولا عيشا هنيئا مستتابا
بها حركاته قصد الايابا
علامات تزيدهم ارنيايا
يجدد غزوة تدنى الثوابا
طغاة طالما عبدوا الصلابا
يهدمها ويقيها خرابا
الى أجفانه الغر الكتبا
أساطيله فأسرعت الجوابا
ويأس منه رأس الكفر شابا
بليل ثم عاين ما ارابا
الى المولا ليسعفه الطلابا
له ماذا أراد وما استجابا
له الارسال حائرة خيابا
حديث البحر لايربو ارنيايا
الى أفروطة الكفر انسيابا
جيش الكفر فى البحر انرابا
ولو سئلت لمأردت جوابا

فجاز الى الجزيرة فى سرور
فوافته بها الأرسال تبغى
فأسعفهم بها جازاه ربى
ويجعل فيه للإسلام طرا
وذلك من أمور قد حكاهما
فبادر سانشو فى الصلح حتى
وجاء لغيله الأعلأ وأعطأ
فكان هناك بينهما أمور
واسرع سانشو للعدد حرصا
فتم الصلح بينهما لعذر
فهأذى جملة والشرح عندى
هنيئأ يأمرين لقد علوتم
وفأخرتم بمولانا البرايأ
أبعد الفتن وأبن الفتن يبقأ
فحزب مرين حزب الله يحمى
أذا سلوا السيوف ترا الأعادي
هم أشفار عين الملك تدرى
وهم مثل الأنامل حيث مدت
أنظم فيهم مدحى ففيهم
فمن أولاد عبد الحق أبدا
هم الأمراء أن ذكرت علامهم
ومنهم تجتلا شمش المعالى
وهم أساد حرب ، من يوازى
وهم للجود بحرفيه تلفى
فما قدرت من كرم ففيهم
وفخر بنى حمامة ليس يخفا
سموا قدرا وعز بهم حمامهم

يجدد غزوة تبدى العجايا
بعطفته من الصلح اقترابا
على أرائه الحسنأ الصوابا
مصالحها التى ترد الطلابا
لنا المولا وأحصأها حسابا
تقرب من مدينته اقترابا
هديات لمولانا رغبأ
يتسنى السرور بها الخطابا
وأظهر فيه للمولا ارتعابا
مبين واضح والسر غابا
سأوضحه بأيضأ كتابا
بنى الأملاك بأسا وانتجابا
فأعطوكم قيادا وانغلابا
رضاكم لأخاف به الغيابا
حما الإسلام لأخشا عقابا
وقد حل الربأ مدت رقابا
عن الملك القتام أو الترابا
يد الأمر التى تعطى الرغابا
أناس طالما نظموا القبابا
بدمج عرفه يحكى الرضابا
ترا الأقمار تنتسب انتسابا
لدار الملك تحتط المرقابا
مقامهم أذا ما الخطب نابا
نفيس الدر أو تجد السحابا
أصخ تسمع لذي لهم جوابا
كنور الشمس يرتقب ارتقابا
فجارهم عزيز لن يصابا

فأنهم القراية حين يعزوا
وعترته السراة بنو علسي
هم الفضلاء والشرفاء حقا
ومم أحوال مولانا المرجيا
وسادة عسكر قوم أحاطوا
شجاعتهم وجودهم استفاضوا
بنو ونجاسن افتخروا افتخارا
إذا لبسوا الحديد ترا أسودا
ونجدة تربعين قد استقرت
فمنهم ابتدى يبنى وراغ
بنو سوخم أراهم خير قوم
وسائر تربعين إذا تداعوا
بنو يابان ان ذكروا تجدهم
سيوفهم تقد الهام طولا
وناس بنى تنالفت استمرت
إذا حضروا الحروب ترا عداهم
بنو وطاس فازوا بالمعالي
بنو ورتاج اعتزوا قباها
بنو الخير أناس من تساما
بنو وارثين ارتفعوا فعالوا
وسائرهم متى ذكروا توالى
بنو قودود والحشم استمروا
وقربهم وصيرهم لديه
واذكر خدمة العرب التى قد
فحازوا عنده أعلا مكان
إذا نصح الخديم يثل مناه
فانتم أيها العرب انتصرتهم

لمولانا وقد عزوا جنابا
لأنهم أبوا ذما وعابا
فسل تجد العلاء والانتسابا
أبى يعقوب ، فخرا لن يعابا
بأوصاف العلا وسموا طلابا
تدقق كفهم يحكى العبابا
بعزم علم السيف الضرابا
تميد الأرض ان كانوا غضابا
فزادوا فى علومهم انتصابا
وباسهم إذا سيموا الضرابا
إذا حضروا الوغا التهب التهابا
لحرب فرت الروم ارتهابا
أسودا تورث الاعداء ارتبابا
وماء سخائم يهمى انسكابا
مريرتهم فبلغنا النطابا
بغات الطير ابصرت العقابا
قلم يخشوا لمجدهم انتكابا
فغارهم عداتهم احتجابا
ورام بهم حلول الضيم خابا
بعزمهم وبأسهم الرقابا
شجاعتهم إذا البطل استرابا
على نصح لمولانا فحابا
من الرهط الذى نال اقترابا
اعزتهم لدى المولا جنابا
مكين لن يرام ولن يصابا
ويحرز من نوى العليا احتسابا
لعزكم فالزمكم منابا

أليس لحمير لكم انتساب
وانتم اخوة نسبا وصهرا
وجسد جميعكم سبا وقيس
ولم لا والرضا عنكم توالا
فسفيان سموا قدرا ففيهم
لهم أيام صدق ليس تخفا
بنو جرمون أنجهم وفيهم
سيوف العاصم اشتهرت وصارت
سما عيادهم قدرا ووافيا
لقد نصحوا ويشهد في علام
وللخلط السيوف سيوف حنف
هبيرة من لمجدهم افتخار
مقدمهم تقدم في المعالسي
جماعة جابر قوم كرام
فجروا منه يوم الحرب ذبلا
بيوسف ابن قيطون تساموا
وقل للابنجي دامت علاه
سيوفكم تدبر على الأعادي
فلابن عجاج الأرض علي
لئن أخرجتم في الأرض يشهد
فهذا سعد مولانا المرجا
فقد حل الجزيرة والأمانسي
أقام بها والقا الرحل منها
مكان القرية المشهور منها
وقد ذكروا الجدار بها وفيها
فصدق قولهم عنها فلوس
لها ألف من الأعوام زادت
كذاك مرين ان رفعوا انتسابا
فما حدثم عن الفخر لجتنايا
من الأعلام في العرب انتصابا
من المولا به ملا القبايا
سراة العز يولون الرغابا
لها حس تعالا أن يعابا
هلال بدرهم يجلو السحابا
بأرض الروم تغمدوا الرقابا
باخوته مولانا اعتصابا
بما فعلوا الذي كتب الكتابا
تصير هام أعادهم قرابا
أخطب هاج أو حرب أرابا
بهم ومهتل أحبا الذبابا
كسوا من صدق نصيحهم ثيابا
على الأعداء تنسحب انسحابا
فغزوا جانبنا وسموا جنابا
فكم ساقاتكم تدنو اقترابا
كؤوس ردا سفوا منها شرابا
فخار يورث الشوك اكتسابا
لكم في سبقكم من حل زابا
ونيته التي تدني الطلابا
تساعده وقصد الشوك خابا
لبلدته الجديدة حين الابا
على ما أودع الله الكتابا
مكان الصخرة انتصب انتصابا
بها وجدت مصورة عجابا
من المثين أربعة حسابا

وقد دثرت رسوم الربيع مهن
وجديدها وشاد السور منها
بطالع سعده فسى خير دار
قواعدها على السعد استقرت
ومشورها البهيج يروق حسنا
تطالعه نجوم السعد منها
ومسجدها المبارك قد تلالا
ومنبزه الرقيع يقوم فيه
ويدعو الله مبتها عساه
ويجعل من تمادى الخير فيها
بنى الدار السعيدة للأمانى
بعزمة مخلص بر صفى
أناس دأبهم نشر المعالى
هم خدموا لولاه فوفوا
وقد ورخت دولتكم وصارت
وكل منظم شعرا سيفنا
أمير المسلمين بقيت تعلو
وابقاكم الاله العرش عزا
فهاذا العام عام الفتح بيدى
وهاذا العيد عيد الفطر وافقت
فعمرك الاله سنين عدا
فانك قد رفعت العلم قدرا
وبالصلحاء قد زدت اعتناء
وزدتهم احتفالا وارثاء
قدم فسعود ملكك فى ازدياد
سلام الله متصلا يوافى

فأحياها وقد كانت خرابا
وانشأ فى جوانبها القبابا
مؤسسة بها تولى الرغابا
تقابل من جبال الفتح بابا
تحلا من حلا البحر العبابا
قريبا تورث الشرك التبابا
سنا أنواره يحكى الشهابا
أمامكم فيخطب اختطابا
يزيدكم السعادة والثوابا
بشائر والفتوحات العجابا
بنو العزفى وشادوها قببا
محب لنوفاء قد استنابا
فهاهم قد كسوا منها ثيابا
لماحكم بيعيته الثوابا
حلا يحبو بها الحادي الركبا
ويبقا فيكم مدحي كتابا
سعودكم التى ترضى اصطحابا
تنال بكم أمانها الرغابا
بتاريخ السعود لك الحسابا
يه اسراء كالنظر انسكابا
بلغنا الاماني والطلابا
وصنت ذويه كي تحوي ثوابا
وبسرا واعتلاء واقترابا
به للخلد تنقلب انقلابا
وجمع عدائك انتكبوا انتكابا
مقامكم كعرف المسك طابا

قال المؤلف عفا الله عنه :

وفى العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم من سنة أربع وثمانين وستمئة المذكورة (نونبر ١٢٨٥ م) بعث أمير المسلمين ولده الأمير أبا زيان فى جيش ليوقف على الحد بين بلاده وبلاد ابن الأحمر ، وأمره أن لا يحدث فى بلاد ابن الأحمر حدثا ولا يتوصل لها بأذية ولا مضرة ، فانصرف الى حصن ذكوان بالقرب من مالقة فسكن بخارجه .

وفى شهر رمضان المذكور توفي الوزير المرحوم أبو علي يحيى بن أبى منديل العسكري بالجزيرة الخضراء .

وفى آخر شوال من السنة المذكورة أمر أمير المسلمين عياد بن أبى عياد العاصمى أن يرتحل بجميع اخوانه الى اسطبونة فيسكن هنالك ، فارتحل اليها فنزلها فى غرة ذي قعدة من السنة المذكورة .

وفى يوم الاثنين السادس عشر لذي قعدة المذكورة جاز الأمير يوسف من الجزيرة الخضراء الى العدو يتفقد أحوالها فى غراب القائد المجاهد محمد ابن القائد أبى القاسم الرجراجى رحمه الله ، فنزل بقصر المجاز .

وفى هذه السنة بنيت زاوية تافرطست على قبر الأمير المرحوم عبد الحق وتصدق عليه أمير المسلمين ولده بمحرث أربعين زوجا .

وفى آخر شهر ذي قعدة من السنة المذكورة ابتدأ أمير المسلمين مرضه الذي توفي منه ، فلم يزل ألمه يشتد وحاله يضعف الى أن توفي رحمه الله بقصره ببلدته الجديدة من جزيرة الأندلس ، وذلك فى ضحا يوم الثلاثاء الثانى والعشرين لمحرّم من سنة خمس وثمانين وستمئة (١٩ مارس ١٢٨٦ م) فحمل رحمه الله الى رباط الفتح من بلاد العدو ، فدفن بمسجد شالة منها ، فكانت أيامه فى الخلافة تسعا وعشرين سنة ، وذلك من حين بويج له بحضرة مدينة فاس بعد وفاة أخيه أبى بكر ، ومن حين ملك حضرة مراكش وقطع ملك بنى عبد المومن وخلص له أمر المغرب سبع عشرة سنة وعشرين يوما ، فانا لله وانا اليه راجعون ، فلقد انصدع

بموته الاسلام ، ورزيء بوفاته جميع الأنام ، تلقاه الله عز وجل بالروح والريحان ، والمغفرة والرضوان ، وجبر الله صدع الاسلام فيه ، وأبقا خلافته وبركته مؤيدة فى حفدته وبنيه ، وصلا الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف

ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق عفا الله عنهم ورحمهم

هو عبد الله يوسف أمير المسلمين ، ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق .

كنيته : أبو يعقوب .

لقبه : الناصر لدين الله .

أمه حرة علوية تسمى أم العز بنت محمد بن حازم العلوي .

مولده : فى شهر ربيع الأول من سنة ثمان وثلاثين وستمئة .

بويغ له بالخلافة بالجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس يوم وفاة أبيه ، وكان غائبا ببلاد العدو فآخذ له البيعة الوزراء والأشياخ وبعثوا اليه ، فاتصل به الخبر وهو ببعض أحواز مدينة فاس فجد السير الى طنجة فوجد الأسطول هنالك ينتظره ، فجاز الى الجزيرة وبها جميع قبائل مرين وقبائل العرب فجددت له البيعة بها واجتمع على بيعته كافة قبائل مرين وقبائل العرب وجميع من بالعدوة والأندلس من المسلمين ، وذلك فى غرة صفر من سنة خمس وثمانين وستمئة (الجمعة ٢٩ مارس ١٢٨٦ م) وسنه يوم بويغ خمس وأربعون سنة وثمانية أشهر .

ولما تم له الأمر واستقامت له الخلافة فرق الأموال على جميع قبائل مرين والعرب والأندلس والأغزاز وسائر الأجناد ، وأحسن الى الفقهاء والصلحاء ، وأخرج الصدقات الى الضعفاء ، وسرح السجون فى جميع

بلاده ، وتصدق بترك الفطرة (١٨٢) على الناس ، وقال من وجب عليه أداؤها يتصدق بها لنفسه حيث شاء ، ورفع الأنزال عن ديار الرعية ، وكف أيدي الظلمة والعمال عن الناس ، وأزال المكوس ، وأمر بهدم المروس ، وقمع البغاة ، وأباد الطغاة ، وأمن الطرقات ، وأزال أكثر الرتب والقبالات التي كانت بالمغرب إلا ما كان منها بالبلاد الخالية والمفازات العالية ، فخضعت مدين تحت قهره وصلح أمر الناس في أيامه .

صفته : كان رحمه الله أبيض اللون حسن القد مليح الوجه أقنا الأنف ، مهيبا لا يكاد أحد يبتدئه بالكلام من مهايته ، ذا أناة وسياسة ، فإذا عزم بطش ، وإذا أخذ أقنا ، يستبد برأيه دون وزرائه ، قاهرا في سلطانه ، إذا أعطا أغنا ، وإذا صال أقنا ، شفيقا بالضعفاء ، متفقد لأحوال رعيته وبلاده ، غليظ الحجاب ، لا يكاد يوصل إليه إلا بعد الجهد .

حاجبه : عتيق مولاه ، ثم عنبر مولاه .

وزرائه : أبو علي عمر بن السعود الحشمي ، وأبو سالم إبراهيم بن عمران الفودودي ، وتوزر له في آخر عمره يخلف بن عمران الفودودي

كتابه : الفقيه عبد الرحمان بن الحرار ، والفقيه محمد العمراني ، ثم القيه الأجل المرحوم عبد الله ابن أبي مدين ، وهو القائم بأمر المملكة كلها وعلى يديه تتصرف أحوالها ، ومن كتبه الفقيه البار محمد المغيلي كان يتولا العرض والانشاء وبهده العلامة الى أن مات رحمه الله فولي العلامة بعده الفقيه محمد ابن أبي مدين ، ومن كتبه الفقيه الأجل أوحده عصره ونخبة دهره أبو علي بن رشيد ، كان يتولا التنفيذ .

قضاته : بحضرة فاس الفقيه الصالح المبارك أبو حامد ابن البقال ، ثم الفقيه الخطيب محمد بن أيوب (أبي الصبر) ثم الفقيه محمد المغيلي ، وقضاته بحضرة مراکش الفقيه أبو فارس العمراني ، والفقيه محمد السقطي ، ثم الفقيه أبو عبد الله بن عبد الملك ، وقاضيه بحضرة تلمسان

الجديدة الفقيه الأجل المحدث المشاور علي بن أبي بكر المليلى .

شعراؤه : الفقيه البارع مالك ابن المرحل (١٨٣) والفقيه الأديب أبو فارس المكناسى ، والفقيه أبو العباس الفشتالى ، والفقيه أبو العباس الحميشى ، هاؤلاء الشعراء الذين كانوا ملتزمين بخدمة بابيه الكريم تجري عليهم المرتبات والاحسان .

أطبأؤه : الوزير الطبيب محمد ابن الغليظ الاشبيلى ، والوزير عمار المكناسى .

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما تمت البيعة لأمير المسلمين يوسف خرج من الجزيرة الخضراء الى مريالة ، فنزل بظاهرها وبعث رسوله الى ابن الأحمر ليجتمع به ، فبادر اليه فى احتفال عظيم وعسكر جسيم ، فاجتمع به هنالك ، فعزاه عن أبيه وهنأه بالخلافة ، فصالحه يوسف وصرف عليه جميع ماكان بيده مما كان أخذ له والده من بلاد الأندلس ، ولم يحبس منها حاشا الجزيرة الخضراء ورندة وطريف ووادي أش وأحوازها ، وكان اجتماعه به وصلحه اياه فى العشر الأول من شهر ربيع الأول من سنة خمس وثمانين المذكورة ، ورجع الى الجزيرة الخضراء فأقام بها بقية ربيع الأول .

وفى يوم الأحد الثانى من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة قدم عليه ارسال سانشو فجدد معه الصلح على ماكان عقد معه والده رحمه الله ، فلما فرغ من اصلاح بلاد الأندلس وهدنها وسكن دهماءها دعا بأخيه الأمير أبى عطية ففقد له ماكان بقي بيده من بلاد الأندلس وأوصاه بتقوا الله تعالا وضبط ثغوره ، والحزم فى جميع أموره ، ثم دعا بالشيخ المجاهد المرحوم علي بن يوسف بن يرتاجن ففقد له على أعنة خيل الأندلس وجندها ، وقلده أمر حربها وغزوها ، وترك معه ثلاثة آلاف فارس من بنى مرين والعرب ، وجاز الى العدو يوم الاثنين سابع ربيع

183) ينظر عن مالك ابن المرحل الاطاعة (غير مطبوع) وجذوة الاقتباس ص 221
وسلوة الانفاس 3 : 99 وذكريات مشاهير المغرب ع 8 .

الأخر من السنة المذكورة ، فنزل بقصر المجاز ثم سار الى مدينة فاس فدخلها فى ثمانى عشر من جمادى الأولى من العام المذكور ، فلما استقر بحضرته من فاس الجديدة خرج عليه ابن عمه محمد بن ادريس بن عبد الحق فى جماعة من بنيه بجبال ورغة من احواز فاس فسار اليهم الأمير أبو معرف محمد ابن أمير المسلمين يعقوب فتابعهم فى خلافهم وانضموا الى جملتهم ، فلم يزل أمير المسلمين يوسف يبعث اليهم بالجيش ويدبر عليهم السياسة حتى نزل اليه أخوه بأمانه وأتاب الى طاعته ، وفر محمد ابن ادريس وبنوه الى تلمسان فقبض عليهم فى الطريق فقيدوا فى الحديد وأتي بهم الى رباط تازة فبعث أمير المسلمين أخاه الأمير أبا زيان لقتلهم فقتلوا بخارج باب الشريعة منها وذلك فى شهر رجب من سنة خمس وثمانين المذكورة .

وفى هاذة السنة خرج عليه الأمير عمر بن عثمان بن يوسف الهسكوري بقلعة فندلاوة من جبال بنى يازغة ، وأمر أمير المسلمين يوسف قبائل بنى عسكر ومن بتلك الجهات من قبائل البربر من سدراته وبنى وارثين وبنى يازغة وبنى سبتان وغيرهم بحصاره وقتاله ، فحاصروه مدة من شهر ثم خرج أمير المسلمين اليه بنفسه ، فسار حتى وصل قرية سدوره من بلاد بنى وارثين وقدم بين يديه الرماة والمانجنيق والآلات الحرب ، فعلم عمر بن عثمان بقدومه وعلم أنه لا طاقة له بالحصار ولا مقدرة له على مدافعة أمير المسلمين ، فبعث اليه الصلحاء يأخذون له الأمان منه ، فأمنه ونزل اليه فبايعه وصرفه الى تلمسان بجميع أهله وماله .

وفى شهر رمضان من السنة المذكورة ارتحل أمير المسلمين يوسف من مدينة فاس الى حضرة مراكش ، فدخلها فى شوال من السنة المذكورة ، فأقام بها الى يوم الخميس الثالث عشر لذي قعدة من العام المذكور ، فهرب الحاج طلحة بن علي البطونى الى بلاد السوس فأقام بها ودعا لنفسه ، فاتصل خبره بأمر المسلمين فدعا ابن أخيه الأمير منصور بن الأمير عبد الواحد فعمد له على بلاد السوس وأمر له بالأموال والجيش وأمره بقتال طلحة بن علي الخارج بها ومن وافقه ببلاد السوس فغزا بها عرب بنى

حسن فقتل بها خلقا كثيرا ، وذلك فى شهر ذي حجة من العام المذكور ،
ثم سار الى قتال طلحة وحصاره •

ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمئة ، وفى يوم الاثنين الثالث عشر من
جمادى الآخرة منها قتل طلحة ابن علي الثائر ببلاد السوس فى المعترك ،
وقطع رأسه فبعث به الأمير منصور الى عمه أمير المسلمين يوسف فأمر ان
يطاف به فى جميع بلاده ويعلق على باب رباط تازة ، فلم يزل عليها طول
أيام خلافته معلقا فى شبكة من نحاس •

وفى شهر رمضان منها خرج أمير المسلمين يوسف لغزو العرب ببلاد
قبلة درعه الذين كانوا يقطعون فى طريق سجلماسة فخرج اليهم من حضرة
مراكش فى اثني عشر ألف فارس من بني مرين ، فجدا السير على جبال
هسكورة حتى خرج الى بلاد درعة ، ثم سار حتى أدركهم فى القبلة مما
يلي الصحراء فصبحهم فقتل منهم خلقا كثيرا وسبا أموالهم ونساءهم
وأمر بقطع رؤوسهم وحملها الى مراكش وقاس وسجلماسة وتعليقها فى
الأسوار ، ثم وصل الى مراكش فدخلها فى آخر شوال من سنة ست
وثمانين المذكورة ، فأقام بها بقية عامه ، وعيد بها عيد الأضحا •

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمئة فى نصف ربيع الآخر منها
خرج أمير المسلمين يوسف رحمه الله من حضرة مراكش الى حضرة
مدينة فاس وفيها وافته أرسل ابن الأحمر مع ابنة الأمير موسى بن رحو
فأعرس بها بحضرة فاس •

وفيها أعطى أمير المسلمين لابن الأحمر مدينة وادي أش وحصن
رانجة وحصن بليانة وحصن الدير ، والأبتير وغور ، وغورب ، وذلك
فى شهر صفر من سنة سبع وثمانين المذكورة •

وفى نصف ربيع الثانى منها تحرك أمير المسلمين من مراكش الى
فاس كما قدمنا فأقام بها الى أن خرج عليه ولده الأمير أبو عامر ، فسار
الى حضرة مراكش وذلك يوم السبت الرابع والعشرين من شوال ، فثار
بها مع واليها محمد بن عطو البربري الجناتى ، وكان دخوله لمراكش

وقيامه بها فى أول يوم من ذي القعدة من سنة سبع وثمانين المذكورة ، فانتها الخبر الى أمير المسلمين يوسف فبادر الى مراكش ، وذلك فى زمن الشتاء فوصلها ونزل بظاهرها فخرج ولده الأمير أبو عامر الى حربه، فرجع مهزوما فدخل لمراكش وغلقها فى وجه أبيه ، فأقام بقصرها الى الليل ، وقتل مشرقها ابن أبى البركات ، وحمل ماكان فى بيت مالها وخرج منها فى نصف الليل فارا الى بلاد القبلة وأسلم انبلد فدخلها أمير المسلمين من الغد ، وهو اليوم التاسع من ذي الحجة من السنة المذكورة، فعفا عن أهلها وسار الأمير أبو عامر مع ابن عطو الى بلاد القبلة ، فأقام بها مدة من ستة أشهر ، ثم سار الى تلمسان فوصلها للثانى عشر من رجب من سنة ثمان وثمانين وستمئة ، ثم رجع الأمير أبو عامر الى والده أمير المسلمين فعفا عنه .

وفىها كتب أمير المسلمين الى عثمان بن يغمراسن أمير تلمسان ان يسلم اليه عامله ابن عطو الذي نجا اليه ، فامتنع عثمان من ذلك وقال والله لاأسلمه أبدا ولا أبيع حرمتى واترك من استجار بى حتى أموت ، فليصنع مايدا له وأغلظ للرسول فى القول ، وتكلم بالقبيح وثقفه فى الحديد ، فأنف لذلك أمير المسلمين يوسف وعمل على غزوه فसार اليه .

وفى سنة تسع وثمانين وستمئة فى السابع والعشرين من ربيع الثانى منها خرج أمير المسلمين يوسف من حضرة فاس الى غزو تلمسان ومن بها من بنى عبد الوادي ، وهي أولا غزواته فसार نحوها وبقي يرتحل فى أحوازها ويأكل زروعها ويسبي ويغنم أموالها ويخرب قراها ، فلم يخرج اليه أميرها ، فلما رأى عجزه عن ملاقاته قصد الى حصاره ، فنزل عليه فى أول يوم من رمضان من سنة تسع وثمانين المذكورة ، فحاصره وضيق عليه بالقتال ، ونصب عليه المنجنيق ، فأقام عليه ستة عشر يوما وارتحل عنه راجعا الى المغرب ، فدخل رباط تازة فى ثالث ذي القعدة من العام المذكور .

ثم دخلت سنة تسعين وستمئة فيها انفسد الصلح بين أمير المسلمين وسانشو فكتب أمير المسلمين الى قائد أعنته ببلاد الأندلس وهو الشيخ

علي بن يوسف بن يزجائن يأمره ان ينازل مدينة شريش وان يشن الغارات على بلاد النصارا شرقا وغربا فصار علي بن يزجائن بمن معه من المجاهدين حتى نزل مدينة شريش ، وذلك في ربيع الآخر من السنة المذكورة وشرع في قتالها وشن الغارات على أحوازها .

وفي شهر ربيع الآخر المذكور خرج أمير المسلمين يوسف من حضرة فاس الى قصر المجاز برسم الجواز الى الأندلس والجهاد وكتب الى قبائل المغرب يستنفرهم ، فوصل الى قصر المجاز في جمادى الأولى من السنة المذكورة ، فشرع في تجويز المجاهدين من بني مرين والعرب فسمع سانشو لعنه الله بقدومه فأراد قطع المجاز عليه فحمر الأجفان وبعثهم الى الزقاق فنزلوا به فتنبسط أمير المسلمين عن الجواز بقصر المجاز وأمر بتعمير أجفان تقابل أجفان الروم .

وفي شعبان من هاذة السنة انفسدت قطائع المسلمين في الزقاق فقتل قوادها وقطع غزاتها فأقام أمير المسلمين بقصر المجاز حتى عمر الأجفان واستعد للجواز فجاز فنزل بطريف وذلك في العشر الأواخر من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ثم خرج الى غزو بلاد الروم فنزل على حصن يحيا فأقام محاصرا له مدة من ثلاثة أشهر ، وجيوشه تخرج كل يوم من المحلة فتغير على شريش وأحوازها وحصن الوادي حتى هتك جميع البلاد ودخل فصل الشتاء فأقلع عنه ورجع الى الجزيرة الخضراء ، فجاز منها الى العدو في أول شهر محرم من سنة احدا وتسعين وستمئة وقد انفسد ما بينه وبين ابن الأحمر .

وفي سنة احدا وتسعين اصطلح ابن الأحمر مع الانفونش وتواطأ معه ان ينازل بلدة طريف حتى يملكها ليقطع جواز أمير المسلمين يوسف الى الأندلس وشرط له ان ينفق عليه وعلى محلته طول اقامته عليها فنزلها الانفونش في أول يوم من جمادى الآخرة من سنة احدا وتسعين المذكورة ، فأقام اللعين يقاتلها ليلا ونهارا وابن الأحمر يبعث اليه الميرة والعدد والسهم ، وكل ما يحتاج اليه حتى ملكها صلحا من أهلها فدخلها في آخر يوم من شوال من السنة المذكورة ، وكان قد اتفق مع ابن الأحمر

أنه اذا أخذها يسلمها اليه فلما ملكها تمسك بها فاعطاه ابن الأحمر بسببها حصن شكيش وطلبيرة ونقطة وبلدس وقشتل والمسجير ، وهب ذلك كله فى حق طريف ولم ينض له منها شيء ، وذلك فى سنة احدا وتسعين المذكورة .

وفى شهر شعبان من السنة المذكورة أقبل عمر بن يحيى الوزير الوطاسى الى حصن تازوطة من قلاع الريف فدخله ليلا غدرا من أهله ، وكان به الامير منصور بن عبد الواحد ، فخرج منه فارا بنفسه فى جوف الليل فلحق برياط تازة ، فأخذت أمواله وقتل رجاله ، وملكه عمر بن يحيى الوزير بجميع ماكان به من المال والسلاح والأمتعة وأعشار الروم التى كانت مخزونة به فكان كما قال المتنبي :

تملكها الآتى تملك سالىب وفارقها الماضى فراق سليب

فاتصل الخبر بأمر المسلمين يوسف فبعث اليه من حينه وزيره أبا علي عمر بن السعود ، فسار فى جيش عظيم حتى نزل به فحاصره هو والامير أبو علي منصور بن عبد الواحد فأقام الأمير أبو علي أياما ، ثم مرض فمات غما رحمه الله ، ودفن بجامع تازة .

وفى شهر شوال من السنة المذكورة خرج أمير المسلمين يوسف من مدينة فاس الى حصار تازوطة ومعه عامر بن يحيى الوزير أخو عامر الشائر بها ، فضمن له اخراج أخيه عنها ، واستأذنه فى الدخول اليه ، فأذن له فدخل الحصن وتكلم مع أخيه فيما أحب ، فأخذ عمر كل ماكان فيه من المال والمتاع ، فخرج به ليلا على حين غفلة من الناس وتوجه به الى تلمسان وأسلم الحصن لأخيه عامر ، فبلغ عامر أن أمير المسلمين يوسف عزم على قتله بآبن أخيه منصور ولافلات عمر أخيه الجانى عليه ، فتمسك بالحصن وامتنع من الهبوط وأقام به الى أن قدم الرئيس أبى سعيد بن اسماعيل ابن الأحمر صاحب مالقة بهدية من الأندلس الى أمير المسلمين يوسف راغبا فى الصلح مع ابن الأحمر فنزل بأجفانه فى مرسا غساسة ، فبعث اليه عامر ابن يحيى الوزير وسأله أن يشفع له عند أمير

المسلمين يوسف فشفع له فأظهر له أمير المسلمين الاسعاف بذلك فـ
يطمئن عامر بنفسه وبعث بعض خدامه الى المرسا نهارا فطلع أكثرهم فر
أجفان الرئيس ابي سعيد ليدخلوا فيها الى الأندلس ، وبقي عامر الى
جوف الليل ، فخرج من القلعة كأنه يريد التوجه الى المرسا ففر الى
تلمسان فخرجت الخيل فى أثره فركض فرسه فنجأ وقبض على ولده ابي
الخليل فقتل بفاس وصلب وأهبط رجاله من أجفان الرئيس ، فضربت
أعناقهم وظفر بمن كان فى الحصن من المقاتلة فقتلوا عن آخرهم ، وحمل
نساؤهم وأولادهم الى زباط تازة فتقفوا بها .

وفى هذه السنة قدم على أمير المسلمين وهو بتازوطة رومى جنوى
من صاحب جنوة بهدية جليلة ، فيها شجرة مموهة بالذهب عليها أطياف
تصوت بحركات هندسية مثل التى صنعت للمتوكل العباسي .

وفى هذه السنة رفع عن أولاد الأمير أبى بكر بن عبد الحق غدر
ففروا الى تلمسان وأقاموا بها الى أن أذن لهم أمير المسلمين فى الرجوع
فأقبلوا الى مدينة فاس فسمع بذلك الأمير أبو عامر وهو ببلاد الريف
فجعل العيون عليهم فأتاه الجاسوس فأخبره بقومهم ، فخرج الى الفتك
بهم فوافاهم بصبرة (١٨٤) من بلاد ملوية ، فقتلهم ورجع الى المزمة ، وهو
يرا أنه وافق غرض أبيه فى قتلهم ، فاتصل الخبر بأمر المسلمين يوسف
فأظهر البراءة من فعل ولده أبى عامر وأبعده وأقصاه ، فلم يزل طريدا
فى بلاد الريف وبلاد غمارة الى أن مات فى بلد بنى سعيد من بلاد غمارة ،
وحمل الى مدينة فاس فدفن بها فى الزاوية التى بداخل باب الفتوح ،
وذلك فى شهر ذي حجة من عام ثمانية وتسعين وستمئة وخلف ثلاثة من
الولد ، وهم عامر وسليمان وداوود ، كفلهم جدهم أمير المسلمين يوسف
الى أن مات فولى عامر الخلافة بعد جده ، ثم ولي سليمان بعد وفاة أخيه
عامر ، وسيأتى ذكر أيامهما بعد ان شاء الله تعالى .

وفى شهر ذي القعدة من سنة احدا وتسعين المذكورة أعطا ابن الأحمر حصن الابط الى شانسو .

وفىها أمر أمير المسلمين يوسف بعمل المولد وتعظيمه والاحتفال له فى جميع بلاده ، وذلك فى شهر ربيع الأول المبارك من السنة المذكورة ونفذ الأمر به عنه رحمه الله وهو بصيرة من بلاد الريف فى آخر شهر صفر من السنة المذكورة ، فوصل برسم اقامته بحضرة فاس الفقيه الخطيب أبو يحيى ابن أيوب (أبى الصبر) .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وستمئة فيها وقد على أمير المسلمين رسول ولد الرنك ملك برتغال ورسول ملك بيونة ورسول ملك تلمسان ورسول ملك تونس ، وذلك فى جمادا الأول من سنة اثنتين وتسعين المذكورة .

وفىها فتح حصن تازوطة وذلك يوم الجمعة الحادي عشر لجمادا الآخر من السنة المذكورة وانصرف أرسال ابن الأحمر ، وهم الرئيس أبو سعيد ، وأبو سلطان الراضي من حضرة أمير المسلمين يوسف بفاس الى الأندلس فى العشر الأوسط من رجب عام اثنين وتسعين المذكورة ، وخرج الأمير أبو عامر الى قصر المجاز برسم النظر فى أمر الأندلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة ، وجاز السلطان أبو عبد الله ابن الأحمر برسم لقاء أمير المسلمين يوسف والاعتذار اليه عما فعل فى أمر طريف ويرغب منه فى نصرة بلاد الأندلس ، فخرج لساحل بلاد بليش من حوز مدينة سبتة ، ثم ارتحل الى طنجة وقدم بين يديه هدية عظيمة منها المصحف العزيز الذي كانت ملوك بنى أمية يتوارثونه بقصر قرطبة ، يقال أنه بخط أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان وصوله الى طنجة فى يوم السبت الثانى والعشرين لذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين المذكورة ، فتلقاها بها الأميران أبو عبد الرحمان يعقوب وأبو عامر ، وخرج أمير المسلمين برسم لقائه من مدينة فاس ، وذلك بعد صلاة العصر من يوم الابعاء الثانى والعشرين لذي القعدة المذكورة ، وخرج معه جميع بنيه فتوفي ولده الأمير عبد المؤمن

فى طريقه ذالك ببلد ازاجن (١٨٥) وذالك يوم الأحد الموفى ثلاثين لىذى القعدة ، وحمل الى مدينة فاس قدفن بالحصن الذى يقبله الجامع بالمدينة الجديدة ، ووصل أمير المسلمين يوسف الى طنجة ، فاجتمع بها مع ابن الأحمر فأراه من القبول فوق ما أمله ، وبالحق فى بره وإكرامه ، وأسعفه بجميع مطالبه ، ولم يعدد عليه شيئاً مما سلف منه ، وبذل لـه هدية عظيمة أضعاف ماقدم به ، وانصرف ابن الأحمر الى الأندلس وذالك يوم السبت الموفى عشرين لىذى الحجة من السنة المذكورة .

وفى هاذه السنة بذل أمير المسلمين يوسف الى ابن الأحمر الجزيرة ورندة وماوالاهما من الحصون مثل حصن يامننت وابدونة ورنش والصخيرات وبيغ والقار ونشيط وقردلة ومشغور وطيط وحصن المدور والشيطيل والطشاش وابن الدليل واسطبونة ومجلوش وشمينة والنجور وتنبول ووادير وقمارش .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين فيها جاز جيش أمير المسلمين يوسف مع وزيره أبى علي عمر بن السعود الى الأندلس لحصار مدينة طريف ، فنزل عليها وحاصرها مدة .

وفىها كانت المجاعة الشديدة بالمغرب والوباء العظيم ، فكان الناس يحملون من الموت أربعة وثلاثة واثنين على نعش ، وبلغ القمح فيها عشرة دراهم للمد والدقيق ستة أواقى بدرهم .

وفىها أمر أمير المسلمين يوسف بتبديل الصيعان وجمعها على مد النبي صلا الله عليه وسلم ، وذالك على يد الفقيه عبد العزيز الملوزي الكناسى .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين فيها صلح أمر الناس وانجبرت أحوالهم ورخصت الأسعار فى جميع الأقطار ، فبيع القمح بعشرين درهماً للحقة ،

(١٨٥) لعلها أسجن التى ينطق بها أزجن أيضاً فربة بطن بنى زكون من قبيلة رهونة بدائرة وزان .

والشعير بثمانية دراهم •

ثم دخلت سنة خمس وتسعين فيها خرج أمير المسلمين يوسف لغزو بلاد تلمسان ، فنزل بجانب حصن تاوريرت ، وكان نصفه لعثمان بن يغمراسن ونصفه لأمير المسلمين ، لأنه كان الحد بين بلادهما ، فطرد عنه عمال عثمان بن يغمراسن المذكور ، ثم أخذ في بناء الحصن فابتدأ ببناء سورته في أول يوم من شهر رمضان من سنة خمس وتسعين المذكورة ، ففرغ من تشييده وبنائه ، وركبت أبوابه مصفحة بالحديد وذلك يوم الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ، فكان رحمه الله يصلى الصبح ثم يقف على بنائه بنفسه ، ثم رجع الى رباط تازة ، فعيد عيد الإفطر على وادي ملوية بعد أن أسكن بحصن تاوريرت المذكور قبيل بني عسكر ، وقدم عليه أخاه الأمير أبا يحيى ابن أمير المسلمين يعقوب رحمه الله •

وفى سنة ست وتسعين وستمئة غزا أمير المسلمين يوسف بلاد تلمسان خرج اليها من حضرته بفاس فسار حتى نزل مدينة ندرومة فحاصرها وشد في قتالها أياما ثم ارتحل عنها فنزل على وجدة فأمر ببنائها فبنيت وحصنت أسوارها ، وبنا بها قسبة ودارا ومسجدا وحماما ، ونقل اليها قبيل بني عسكر مع أخيه الأمير أبى يحيى وأمره بالاغارة على مدينة تلمسان وأحوازها مع الساعات والأحيان ورجع الى مدينة فاس • ثم دخلت سنة سبع وتسعين فيها غزا أمير المسلمين يوسف أيضا مدينة تلمسان فنزل عليها وحاصرها •

وفيهما نكب أمير المسلمين جماعة من خدلمه ، منهم عبد العزيز المزروزي الشاعر ، ومحمد الكتاني ، والفقيه أبو يحيى ابن أيوب (أبى الصبر) وفيها قتل أشياخ مراكش عبد الكريم ابن عيسا وعلي بن محمد الهنتاتي قتلهم ولده الأمير علي المعروف بابن زيجة بكتاب لبس به عليه كاتب أبيه أحمد الملياني •

-- وفيها مات الأمير أبو زيان •

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمئة فيها نزل أمير المسلمين يوسف مدينة تلمسان النزول الأخير الذي لم يقلع منه الا ميتا رحمه الله .

الخبر عن حصار تلمسان

حرسها الله تعالى

قال المؤلف عفا الله عنه :

كان أصل حصار تلمسان وفناء بني عبد الوادي ان ابن عطو لما فعل ما فعل وفر الى عثمان بن يغمراسن ملكها كتب اليه أمير المسلمين يوسف ان يسلمه اليه ، فامتنع من ذلك ، فغزاه بسببه ولم تزل العداوة تتركب بينهما الى ان غزاه ثانية فى شهر رجب من سنة سبع وتسعين ، فوصل الى تلمسان ، فخرج اليه عثمان ملكها فقاتله بخارجها فانهزم عثمان المذكور ودخل المدينة وسد أبوابها واعتمد فيها على الحصار ، فحاصره بها أياما ، ثم أقلع عنه ورجع الى مدينة فاس وترك أخاه الأمير أبا يحيى مع قبيلة بنى عسكر بمدينة وجدة ، وأمره بحرب تلمسان وأحوازها وندرومة وماوالاها ، فكان لايرفع عنها يدا بالغارات ، فضاق أهل ندرومة بذلك ذرعا ، فأقبل أشياخها الى الأمير أبى يحيى فبايعوه وطلبوا منه الامان ، فأمنهم ومكنوه من البلد فقبضه وبعث بالفتح والأشياخ الى أخيه أمير المسلمين يوسف ، فوصلوا الى مدينة فاس فبايعوه بها وذلك يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر رجب سنة ثمان وتسعين وستمئة وسأله التوجه الى بلادهم ليريحهم من عدوهم ، فاتحل من فوره الى مدينة تلمسان فنزلها فى شهر شعبان من السنة المذكورة ، وكان نزوله عليها فى يوم الثلاثاء وقت الضحا ثاني يوم من شعبان المذكور ، فملك ندرومة وهنين ووهران وتاوانت ومزگران ومستغانم وتنس وشرشال وبرشك والبطحاء ومازونة وونشريس ومليانة والقصباء والمدينة وتازجدت ، وجميع بلاد بنى عبد الوادي وبلاد تجين وبلاد مغراوة ، وببايعه صاحب الجزائر ،

ووفدت عليه رسل أمير تونس بالهدايا ، وخدمه أهل بجاية وقسنطينة وهو مع ذلك محاصر مدينة تلمسان ، وقد أحذفت بها محلاته وجيوشه ، ورتب قواده لقتالها ، فكانوا يخرجون إليها في كل يوم مناوبة إلى أن دخل فصل الشتاء ، فابتدأ أمير المسلمين ببناء قصره فبناه في موضع نزوله حيث ضرب قبابه ، ثم بنا جامعاً كبيراً ، وأقام فيه الخطبة بازاء قصره ، وأمر الناس بالبناء فانتشر الناس في البنيان بالحلة يمينا وشمالا ، فأدار السور على قصره وعلى الجامع الذي بازائه .

وفي سنة اثنتين وسبعمئة أمر أمير المسلمين يوسف ببناء السور الأعظم على تلمسان الجديدة ، فابتدأ ببناؤه في الخامس من شوال من سنة اثنتين وسبعمئة المذكورة ، وتوفي عثمان بن يغمراسن في الحصار فولي بعده ولده محمد المكنى بأبى زيان فضبط بلده وقام بأمره .

وفي سنة احدا وسبعمئة توفي ملك الأندلس أبو عبد الله ابن الأحمر ، وولي بعده ولده محمد المخلوع ، فكتب بالبيعة إلى أمير المسلمين يوسف ، وبعث إليه بهدية عظيمة ، وتوفي الأمير أبو عبد الرحمن بتلمسان الجديدة فحمل إلى رباط تازة فدفن بصحن جامعها ، ووفد على أمير المسلمين يوسف وهو محاصر لمدينة تلمسان وفد أهل الحجاز ورسلك الملك الناصر صاحب مصر والشام بهدية عظيمة ، ووفد عليه رسل ملك أفريقية بهدايا جليلة ، وبنا تلمسان الجديدة وهذبها ، وبنا بها الحمامات العظيمة والفنادق والمرستانات وجامعا كبيرا للخطبة أقامه على الصهرج الكبير ، وبنا به منارا عظيما وجعل على رأسه تقافيج من ذهب بسبعمئة دينار ، وأمر صلحاء المغرب بالمشي إلى الحجاز ، وبعث معهم مصحفاً مكللاً بالجواهر والياقوت أهده إلى الكعبة ، وبعث أموالا كثيرة برسم التفريق على أهل مكة والمدينة ، وبعث إلى الملك الناصر بأربعمئة جواد من عتاق الخيل بجهازاتها برسم الجهاد وغير ذلك من النقائس والذخائر، وأضعف أهل تلمسان بشدة الحصار حتى أشرفوا على الهلاك ، وبلغه هناك غدر أهل الأندلس بأهل سبتة في السابع والعشرين من شهر شوال من سنة خمس وسبعمئة ، وكان قد فسد حال أهلها عند أمير المسلمين

يوسف وقطع عنهم جميع المرافق ، وغدر بها الرئيس أبو سعيد فدخلها وملكها وثقف بها بنى العزفى وحملهم الى الأندلس ، واحتوا على جميع أموالهم ، فاتصل الخبر بأمير المسلمين يوسف وأن الرئيس أبا سعيد قد تملك سبّة بدعوة المخلوع ، فعظم عليه الأمر وبعث ولده الأمير ابراهيم فى جيش عظيم الى حصارها ، وحشد اليها جميع قبائل الريف وبلاد تازة فلم يغن بها شيئاً ، وأقلع عنها مهزوما ، فهجره لذلك والده أمير المسلمين فبقي مهملًا ، وقتل أمير المسلمين يوسف غيلة بقصره من حضرة تلمسان الجديدة فى يوم الأربعاء السابع لذي القعدة من سنة ست وسبعمئة ، وجأد في بطنه وهو نائم خصي من فتياه اسمه (لأسعادة) كان لأبى علي المليانى ، فتوفي من تلك الضربة قريباً من عصر ذلك اليوم ، فحمل الى رباط شالة (١٨٦) من رباط الفتح ودفن به ، والبقاء لله وحده .

(١86) شالة : اسم حاضرة مغربية عتيقة واحة على نهر أبى رفراف غير بعيدة عن مصبه فى المحيط الأطلسى حيث المدينتان التاريخيتان . الرباط وسلا ، كانت فى الأصل قرية بربرية وأنشأ بها القرطاجيون متجراً عرف فى عهدهم باسم سلفيس . ثم احتلها الرومان وسموها سلا - كولونيا ، وكانت فى نهاية ما امتد اليه نفوذهم وانبسط عليه حكمهم من أرض المغرب الأقصى ، واستمرت شالة مستعمرة رومانية مدة تقرب من خمسمئة عام الى أن ضعف أمر الرومان فتندهورت وخربت ، يقال ان الواندال هم الذين خربوها وذلك غير صحيح لأن أقدامهم لم تطأ المغرب الأقصى ، ولما فتح عقبة بن نافع المغرب أسلم أهلها على يديه ثم ارتدوا بعد استشهاده فى تهودة الى أن أسلموا مرة ثانية على يد موسى بن نصير ، فتحها الامام ادريس وتداول أبناؤه ملكها من بعده الى أن انتزعها منهم موسى ابن أبى العافية سنة 3١7 هـ وفى أواخر القرن الرابع الهجرى صارت عاصمة لليفرنيين ، وخربت بعد ذلك خلال الحروب التى جرت بين برعواطه والمرابطين ، وفى هذا التاريخ زارها الشريف الادريسي الجغرافى المغربى الشهير ، ووصفها بأنها حراب وبها بقايا بنيان وهياكل سامية ، ولما أسس الموحدون الرباط أفقرت شالة لما انتقل اليه أهلها وحرفها وصنائعها ، وحاول المرينيون بعدهم تجديد بنائها فسوروها وبنوا بها مدارس ومساجد واتخذوها مدفنًا للملوكهم وأعيالهم ، ولكن ذلك لم يعد اليها الحياة ، وقد بدأ العمل فى أول هذا القرن فى رفع أنقاضها وترميم آثارها ثم توقف ليستأنف فى السنين الأخيرة .

الخبر عن دولة أمير المسلمين عامر

ابن الأمير عبد الله بن أمير المسلمين يوسف

هو أمير المسلمين عامر ابن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين
يوسف ابن أمير المسلمين يعقوب ابن عبد الحق .

كنيته أبو ثابت .

أمه حرة اسمها بزوا بنت عثمان بن محمد بن عبد الحق .

مولده في غرة رجب من سنة ثلاث وثمانين وستمئة .

أيامه ببيع بعد وفاة جده بحضرة تلمسان الجديدة باجماع من
الناس واتفاق من أشياخ مرين وأشياخ العرب على بيعته ، وذلك في
صبيحة يوم الخميس الثامن من ذي القعدة عام ستة وسبعمئة ثاني يوم
وفاة جده ، وتوفي رحمه الله بقصبة طنجة في يوم الأحد الثامن من
شهر صفر من سنة ثمان وسبعمئة ، فأيامه سنة واحدة وثلاثة أشهر ويوم
واحد ، وسنه يوم توفي أربع وعشرون سنة وسبعة أشهر عدا أسبوع .

وزرأؤه : ابراهيم بن عبد الجليل الونجاسي ، وابراهيم بن عيسا

اليرناني .

كاتبه الضابط لأمره والقائم بأمر ملكه الفقيه عبد الله بن أبي مدين

حاجبه فرج مولاد ، ثم عبد الله الزرهوني .

قاضيه الفقيه أبو غالب المغيلي .

لما ولي رحمه الله وتمت بيعته جمع أشياخ مرين والعرب ورؤساء
الناس ، فاستشارهم في أمر تلمسان هل يقيم على حصارها أم يرذل عنها
الى المغرب ؟ فكلهم أشار عليه بالرحيل والانصراف ، وقالوا له أدرك بلاد
المغرب وسكنه فان عثمان بن علي بن أبي العلاء بسبته وقد سمع بموت
جده وخرج قاصدا الى مدينة فاس وقد دخل قصر كتامة ومدينة أصيلة ،
وان الناس قد قنطوا في هذه البلاد ولهم بها عن أولادهم وعيالاتهم أربع

عشرة سنة ، فسر الى بلادك حتى تؤمنها وتسكن جأش أهلها ، وبعد ذلك تنظر فيما تريده ان شاء الله تعالا ، فلما رأى اجماع الناس على الرحيل بعث الى أبى زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن فصالحه وصرف عليه جميع البلاد التى كان أخذها جده لهم ، حاشا تلمسان الجديدة التى اختطها أمير المسلمين يوسف فى أيام الحصار ، فانه اشترط عليه ان لايدخلها وأن يبقياها على حالها وأن يتعاهد مساجدها وقصورها بالاصلاح وما تحتاج اليه ، ومن أراد الاقامة بها من أهل المغرب فما لأحد عليه من سبيل ، فاشترط له ذلك كله (١٨٧) وبعث الى جيوش جده وجنوده ورماته وحصصه التى كانت متفرقة فى بلاد المشرق تضبط ثغورها فأتوه وأسلموا البلاد الى أهلها ، وكتب الأوامر الى قواعد المغرب يخبرهم بوفاة جده وبيعته ، وقدم الى مدينة فاس ابن عمه الأمير أبا علي ابن الأمير عامر بن عبد الله بن أمير المسلمين يعقوب رحمه الله فى جيش عظيم ، وأمره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها ، وتفريق الأموال على الخاصة والعامة ، ففعل ذلك ، وقتل عم أبيه الأمير أبا يحيى ، ثم قتل عمه الأمير أبا سالم ابن أمير المسلمين يوسف ، وارتحل الى المغرب عن مدينة تلمسان فى أمم لاتحصى ، وذلك فى غرة ذى الحجة من سنة ست وسبعمئة ، فعيد عيد الأضحا بالطريق بين مدينة وجدة ومدينة تلمسان ، ثم ارتحل الى مدينة فاس فدخلها فى المحرم من سنة سبع وسبعمئة ، فأقام بها الى السابع من رجب ، فاتصل به أن يوسف بن محمد ابن أبى عياد قائده على مدينة مراکش قد خرج عليه بها ودعا لنفسه وقتل عاملها الحاج المسعود ، فخرج الى حربه وقدم له بين يديه يوسف بن عيسا الحشمى ويعقوب ابن أزنك فى جيش من خمسة ألاف فارس ، فالتقوا بعدوة وادي ام الربيع فهزموه فرجع الى مراکش مهزوما ، فقتل جمعا من الروم الذين بها وسبا ديارهم وخرج منها الى أغمات ، فلم يستقر بها ، ففر الى جبال هسكورة ،

(١٨٧) ما كاد الجيش المغربى ينسحب عن تلمسا حتى خرج العبد الوادىون منها كأنما نشروا من القبور ، وكان أول شئ فعلوه تخريب تلمسان الجديدة فى ظرف وجيز .

فنزل على مخلوف بن هنو من أشياخ الهسكرة دخيلا عليه ، فغدر به وثقفه بالحديد ودخل أمير المسلمين عامر حضرة مراکش فى غرة شعبان من سنة سبع المذكورة ، فسيق له يوسف بن محمد بن أبى عياد يرسف فى القيود ، فقتله بالسوط ثم قطع رأسه وبعث به الى مدينة فساس ، فطيف به فيها ، وقتل ممن كان معه ورازره على فعله نيفا على ستمئة رجل وعلق رؤوسهم من باب الرب أحد أبواب مدينة مراکش الى برج دارالحرة عزونة ، وقتل فى أغصات كذا لك ، ثم خرج فى الخامس من شعبان المذكور الى بلاد تامزورت فنزل بها ، فبعث اليه السكسيوي وقبائل زكنة بالبيعة والهدية والضيافة ، وبعث قائده يعقوب ابن أزنك فى جيش من ثلاثة آلاف فارس الى بلاد حاحة برسم قبائل زكنة ، ففروا بين يديه حتى دخلوا بلاد القبلة ، فكر راجعا الى بلاد تامزورت فوجد أمير المسلمين عامر ينتظره بها ، فأعلمه بهدنة البلاد وسكونها ، فارتحل أمير المسلمين الى مراکش ، وذلك يوم السبت مهل شهر رمضان المعظم من سنة سبع المذكورة ، فدخل لمراكش وأقام بها الى الخامس عشر من رمضان المذكور ، وخرج الى رباط الفتح فأخذ على بلاد صنهاجة وجاز وادي أم الربيع من مجاز كتامة فى القوارب الكثيرة ، ثم ارتحل فى بلاد تامسنا ، فتلقت بها وفود العرب من الخلط والعاصم وبنى جابر وغيرهم من بنى جوشم برسم السلام عليه والوداع له ، فلم يأذن لأحد منهم فى الانصراف ، وسار حتى نزل بظاهر مدينة أنفا ، ثم دعا بأشياخ العرب ، فشقف منهم ستين شيخا بسجن أنفا ، وضرب أعناق عشرين رجلا من أشرارهم الذين كانوا يقطعون الطريق بتلك الجهات وصلبهم على أسوار أنفا ، وارتحل الى رباط الفتح فدخلها فى اليوم السابع والعشرين من رمضان المعظم المذكور ، فعيد هناك عيد الفطر وقتل به ثلاثين رجلا من أشرار العرب وفتاكهم وصلبهم على أسوار العدوتين ، وارتحل برسم عرب رياح الذين هم بأبى الطويل والجزائر وفحص أزار (١٨٨) وذلك فى الخامس عشر من شوال من سنة سبع

وسبعمئة المذكورة ، فغزاهم وقتل منهم خلقا وسبوا ذراريهم وأموالهم وارتحل الى مدينة فاس فدخلها فى نصف ذي القعدة من العام المذكور ، فأقام بها حتى عيد عيد الاضحا ، فخرج برسم حصار سبتة ، وذلك فى رابع عشر ذي الحجة ، فسار حتى وصل قصر عبد الكريم ، فأقام عليه ثلاثة أيام حتى استوفت عليه قبائل مرين والعرب ورماة البلد ، وارتحل الى قلعة علودان ، فدخلها بالسيف ، ودخل قلعة دمنة ، فقتل الرجال وسبوا النساء والذرية والأموال ، وسبب فعله ذلك بهم أنهم كانوا قد بايعوا عثمان ابن أبى العلاء ودلوه على الطريق وجوزوه على بلادهم وبالغوا فى تضييفه واکرامه ، ودخلوا قصر عبد الكريم وبلد أصيلة ونهبوا كثيرا من أموالهما ، ولما فرغ من أهل جبل علودان ارتحل فدخل مدينة طنجة فى أول المحرم عام ثمانية وسبعمئة ، ثم أخذ فى بعث الجيوش الى أحواز سبتة ، وشرع فى بناء مدينة تطوان وبعث الفقيه أبا يحيى ابن أيوب (أبى الصبر) رسولا الى ابن الأحمر يطلب منه ان يتخلا له عن سبتة ، وأقام هو بقصبة طنجة ينتظر ما يأتى به رسوله ، فعاجله الموت ، فتوفي بها فى يوم الأحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعمئة المذكورة ، وحمل الى شالة من رباط الفتاح ، فدفن بها مع سلفه رحمهم الله ورضي عنهم ، فولى بعده أخوه سليمان ابن الأمير عبد الله .

الخبر عن دولة أمير المسلمين سليمان

ابن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف

هو الأمير سليمان ابن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق .

كنيته : أبو الربيع .

أمه : أم ولد مولدة من تالد العرب اسمها زيانة .

كاتبه : كاتب أخيه الفقيه عبد الله ابن أبى مدين ، وهو المدير لدولته الى أن قتله ، فاستكتب مكانه أخاه الحاج الفقيه محمد ابن أبى مدين وزراؤه : ابراهيم بن عيسا اليباني ، وعبد الرحمان بن يعقوب الوطاسي .

بُيع له بقصبة طنجة بإدارة كاتب أخيه ووزرائه ، وذلك يوم الاثنين التاسع من شهر صفر سنة ثمان وسبعمئة ، وسنه يوم ببيع تسع عشرة سنة وأربعة أشهر ، فتقف عمه علي المعروف بابن أبى زريحة ، فانه كان قد دعا لنفسه وبأبيه كثير من الناس ، فقبض عليه وثقفه وبعث الى من فى محلة تطوان الذين كانوا بها فأقبلوا اليه ، ففرق الأموال فى قبائل بني مرين والعرب والاندلس والأغزاز والرماء ، وارتحل الى مدينة فاس ، فخرج ابن أبى العلاء من سبتة فى جمع عظيم من رجاله وبنيه وأخوانه ليضرب على محله ليلا ، فأخبر بذلك أمير المؤمنين سليمان ، فارتحل تلك الليلة فى نصف الليل فالتقا به وهو راحل ، فكانت بينهما حروب شديدة فر فيها ابن أبى العلاء وأسر ولده وجماعة من عسكره وقتل الآخرون وسار أمير المسلمين سليمان الى مدينة فاس فدخلها فى اليوم الحادي عشر من ربيع الاول من سنة ثمان المذكورة ، فأقام بها مولد النبي صلا الله عليه وسلم وفرق الأموال وتهدنت البلاد واستقامت له الأحوال وخدمته الملوك ، وجدد الصلح مع أصحاب تلمسان .

وفى آخر يوم من ذي القعدة قتل أمير المؤمنين سليمان كاتبه القائم بأمره الفقيه عبد الله ابن أبى مدين فكانت أيام كتابته له وقيامه بأمره تسعة أشهر وواحدا وعشرين يوما .

وفى غرة ذي الحجة من سنة ثمان المذكورة بعث أمير المسلمين سليمان قائده تاشفين بن يعقوب الوطاسي الى حصار سبتة ، فسار اليها فى جيش عظيم من بني مرين ففتحها عنوة بأمر أشياخها وموافقة عامتها ، فانهم كرهوا إمارة أهل الأندلس عليهم ، وكان فتحها يوم الاثنين العاشر من صفر سنة تسع وسبعمئة ، وكتب تاشفين بالفتح الى أمير المسلمين

سليمان ، وبعث اليه بأشياخها وقبض على قائدها متولى حربها الشيخ
أبي علي عمر بن رحو بن عبد الحق .

وفى شهر جمادا الأول في أول يوم منه عزل أمير المسلمين قاضيه
أبا غالب المغيلي عن قضاء مدينة فاس ، وقدم على قضائها الفقيه المشاور
أبا الحسن علي المعروف بالصغير (١٨٩) .

وفى شهر جمادا المذكور صالح أمير المسلمين سليمان ابن الأحمر
على أن أعطاه الجزيرة الخضراء ورندة وأحوازهما ، وطلب منه العروسة
أخت ابن الأحمر فأنعم له بذلك كله ، وبعث اليه الأموال والخيل برسم
الجهاد مع ثقته عثمان بن عيسا اليرنياني .

ثم دخلت سنة عشر وسبعمئة في شهر جمادا الأول منها هرب وزيره
عبد الرحمان بن يعقوب اللوطاسي وابن رحو وقائد الروم غنصالو الى
رباط تازة ، وكانوا قد اتفقوا مع جماعة من بنى مرين على خلع سليمان
وتولية عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق ، ولما استقروا برباط
تازة بعثوا الى عبد الحق فاتاهم فبايعوه وتسموا بأمر المسلمين وأخذ في
جمع الجيوش ، وكتب الى خاصته من بنى مرين والعرب والأشياخ يدعوهم
الى بيعته ، فاتصل الخبر بأمر المسلمين سليمان فخرج نحوه الى رباط
تازة ، وقدم بين يديه يوسف بن عيسا الحشمي وعمر بن موسا الفودودي
في جيش كثيف من بنى مرين ، وسار هو في أثرهم ، فلما اتصل خبر
قدومه بعبد الحق القائم وابن رحو وابن يعقوب علموا أن ما لهم بحربه
من طاقة ، وكانوا يظنون أنه لا يخرج اليهم ، ففروا ليلا عن رباط تازة
وساروا الى تلمسان ، ثم جازوا منها الى الأندلس ، فدخل أمير المسلمين
سليمان رباط تازة ، فقتل فيها ناسا ممن كان بايع عبد الحق وتابعه على
أمره ، وأقام بها فاعتراه مرض ونفذ الأجل ، فتوفي بها ليلة الأربعاء بين
العشاءين منسلخ جمادا الآخر من سنة عشر وسبعمئة المذكورة (٢٢)

(189) على بن عبد الحق الزرويلي ، المعروف بابي الحسن الصغير ، ينظر عنه جلدوة

نوفمبر سنة ١٣١١ م) ، ودفن فى ليلته تلك بصحن جامعها ، فكانت أيامه سنتين وخمسة أشهر ، وكانت كلها غالية ، لم يزل السعر بها مرتفعاً ، إلا أنها كانت ممعشة ، وغلت فى أيامه الأملاك فبيعت الدار فى أيامه بألف دينار ذهباً ، واتخذ الناس فى أيامه الدواب والكسا والحلي ، وتأنقوا فى فى البنيان بالزليج والرخام والنقوش •

قال المؤلف عفا الله عنه :

بل كان هروب الوزير ابن يعقوب وابن رحو وغيرهما من حضرة فاس يوم السبت الثالث والعشرين من ربيع الثانى من سنة عشر وسبعمئة المذكورة خلافا لما تلقته عن البعض والله أعلم •

الخبر عن دولة ملك الزمان ، وسراج الأوان

الامام السعيد ، والخليفة الرشيد ، أمير المسلمين أبى سعيد عثمان

هو الخليفة فى وقتنا هذا ، وهو سنة ست وعشرين وسبعمئة ، أطال الله أيامه ، وخلد ملكه ونصر أعلامه ، وأمضا فى الأعادي سيوفه وأقلامه ، وهو عثمان أمير المسلمين المنصور بالله ، ابن أمير المسلمين المنصور بالله القائم بالحق ، يعقوب بن عبد الحق •

كنيته : أبو سعيد •

لقبه : السعيد بفضل الله •

أمه : حرة اسمها عائشة بنت أمير عرب الخلط أبى عطية مهلهل بن يحيى الخلطي •

مولده : يوم الجمعة التاسع والعشرين لجمادى الآخرة من سنة خمس وسبعين وستمئة (٨ دجنبر سنة ١٢٧٦ م) •

صفته : أبيض اللون أزهره ، معتدل القد ، مليح الوجه ، جميل الصورة ، حسن القبول ، وطيب الأكتاف ، لم يزل متواضعا فى ذات الله

تعالا ، شديدا فى حدود الله تعالا ، شقيقا رفيقا جوادا كريما ، متوقفا فى سفك الدماء ، ذا أناة ودهاء وسياسة وعقل ، وهو أحد السواس من الملوك ، اذا أعطا أغنا ، واذا قدر عفا ، لايقدر على عطائه أحد من الملوك وزرائه : فى أول دولته يوسف بن عيسا الحشمي ، وأبو علي عمر

ابن موسا بن عمران الفودودي ، ثم توفي فاستوزر بعدهما أبا عبد الله ابن أبى بكر بن علي ، وابراهيم بن عيسا اليرينائى .

كتابه : الحاج الفقيه محمد بن أبى مدين ، ومنديل الكنانى ، ثم توفي فكتب له بعدهما الفقيه الأجل ، الكاتب الأبرع الأحفل ، عبد المهيم ابن الفقيه العالم الاوحد المشاور المجتهد القاضى الأعلل محمد الحضرمي ، والفقيه الكاتب صالح ابن حجاج ، والفقيه الكاتب أحمد ابن القواق .

قضاته الفقيه القاضي أبو عمران الزرهونى ، ثم الفقيه الأجل العالم الاوحد المشاور المجتهد قاضي الجماعة محمد ابن الشيخ الفقيه العالم المحدث المجتهد الصالح الورع المبارك قاضى الجماعة أبى الحسن بن أبى بكر المليلى .

أطبائهم : أبو عبد الله ابن الغليظ الاشبيللى ، ثم ولده الوزير أبو الحسن ، والوزير أبو محمد غالب الشقوري .

بويغ له بالخلافة ليلة الاربعاء منسلخ جمادا الاخر من سنة عشر وسبعمئة بقصبة رباط تازة ، بايعه الوزراء والكتاب والاشياخ والخاصة، وكتب الأوامر فى تلك الليلة وصرف بها البريد للبلاد يخبر ب وفاة سليمان وبيعته ، وبعث ولده الأمير الأجل ، المبارك الأسعد الاكمل ، أبا الحسن علي الى مدينة فاس ، فوصلها فى وقت العصر من يوم الاربعاء غرة شهر رجب من سنة عشر وسبعمئة المذكورة (٢٤ نونبر سنة ١٢١١ م) ، فدخل المدينة الجديدة دار ملكهم وقرار سلطانهم ، فملكها وضبط أمرها ، وحاز القصر وبيوت الأموال والخزائن والسلاح ، وأمر بضرب الطبول وعمل المفرحات ، ولما أصبح أمير المسلمين يوم الاربعاء غرة رجب المذكور ركب من قصر رباط تازة الى خارج المدينة فى زى عجيب ، واحتفال عظيم ،

فجددت له البيعة هنالك ، وبايعه جميع قبائل مرين وكافة العربب والأندلس والاعزاز وقواد الروم ، ثم بايعه الفقهاء والقضاة والخطباء والصلحاء وأشياخ المدينة ببيعة عامة من جميع الناس عن رضا من قلوبهم وطيب من نفوسهم اختيارا له على من سواه ، وذلك لما جمع الله عز وجل فيه من الخلال السنية ، والأخلاق السرية المرضية ، والشيم المحمودة ، والمناثر الجميلة المشهودة ، والحزم والدين ، والشفقة على جميع المسلمين ، والفضائل الواغية ، والسياسة الشافية التى لاتصلح للخلافة الا بها ، فكان كما قيل :

اتته الخلافة منقادا	اليه تجرر اذيالها
فلم تك تصلح الا له	ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره	لزلزلت الأرض زلزالها

ولما تمت له البيعة واستقام له الأمر فرق الأموال على قبائل بنى مرين والعرب والأجناد ، ووصل الفقهاء والصلحاء ، وأحسن الى الخاصة والعامة ، وجلس للنظر فى أمور بلاده ورعيته ، وباشرها بنفسه ورفع المظالم عن الناس وحط المغارم ، وسرح أهل السجون الا أهل الفساد فى الأرض منهم وأصحاب الدماء ومن حبس فى حق شرعى ، وأمر بتفريق الصدقات فى الضعفاء وأهل الستر من البيوتات ، ورفع عن أهل مدينة فاس ماكان يلزم رباعهم من الوظائف المخزنية فى كل سنة ، فصلح حال الناس فى أيامه وكثرت الخيرات فى أيديهم ، فالأيام بدولته مشرقة ، والخيرات بها متتابعة متسقة ، والرعية بحمد الله بها فى جنات ذات منزل رحب ، ومشرب عذب ، وظل ظليل ، وحرز كفيل ، وخير كامل ، وصلاح شامل ، فلياليهم مشرقة بواسم ، وأيامهم أعياد ومواسم ، وذلك بيمين خلافة أمير المسلمين وبركة امامته التى اتخذ الحق فيها امامه ، ومك يده زمامه ، وأجرا عليه فى القوي والضعيف أعماله وأحكامه ، ورفع لدعوة المظلوم حجاجه ، وفتح على الضعفاء بالخير بابيه ، ووطأ الرعية بالحلم أكنافه ، وأفاض عليهم عدله وبذل أنصافه ، أطال الله عمره وخذ ملكه .

وفى العشر الاواخر من شهر رجب خرج أمير المسلمين أبو سعيد

عثمان من رباط تازة الى مدينة فاس ، فدخلها وقدمت عليه وفود البلاد بها وفقهاؤها وقضاتها واشياخها للسلام والتهنئة بالخلافة ، فاقام بمدينة فاس وعيد بها عيد الفطر .

وفى شهر ذي القعدة خرج أمير المسلمين عثمان من مدينة فاس الى رباط الفتح برسم التفقد لأمر رعيته والنظر فى أحوال بلاد الأندلس وانشاء الأجفان لغزو العدو ، فوصلوها فى اخر ذي القعدة (الثلاثاء ٢٠ ابريل سنة ١٣١٢ م) فعيد بها عيد الأضحى وأصلح أحوالها وأمر بإنشاء الأجفان فى بحرها ، ورجع الى مدينة فاس .

وفى سنة احدا عشرة وسبعمئة ولا أمير المسلمين عثمان أخاه الأمير يغيش الجزيرة وردة وأحواهما من بلاد الأندلس ، وأمر بإنشاء الأجفان بدار صناعة مدينة سلا برسم غزو الروم ، وكان بهاذه السنة قحط ، فاستسقا الناس له ، فخرج أمير المسلمين عثمان الى اقامة سنة الاستسقاء ، فمشى على قدميه حتى وصل المصلا والفقهاء والصلحاء والقراء بين يديه بالذكر ، كل ذلك خضوعا لله تعالى وتواضعا لجلاله واقامة لسنة نبينا محمد صلا الله عليه وسلم ، وقدم بين يدي نجواه الصدقات ، وفرق الأموال فى ذوي الحاجات ، وكان خروجه للاستسقاء المذكور فى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان المكرم من سنة احدا عشرة وسبعمئة المذكورة (٥ يناير سنة ١٣١٢ م) ، ثم سار فى يوم السبت السابع والعشرين من شعبان المذكور فى جميع جيوشه حتى وصل الى جبل الكندرتين لزيارة قبر الشيخ الصالح أبى يعقوب الأشقر (١٩٠) نفع الله به ، فدعا الله تعالى هنالك ، فقبل المولا دعاءه ، ورحمه ورحم بلاده ، وأغاث عباده ، ولم يرجع من هنالك الا بالمطر العام بجميع البلاد . ولم يزل أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أطال الله أيامه من أول

(190) هو يعقوب بن الأشقر البهلولى المنسوبة اليه حمة مولاى يعقوب قرب فاس توفى سنة 689 هـ والمعروف أن الجبل المدفون فيه يسما جبل بنى بهلول ، وقد سماه المؤلف هنا جبل الكندر ، وسماه فى محل آخر يأتى جبل الكندرتين . فاثرتا التسمية الثانية حتى لا يلتبس بجبل كندر الواقع جنوبى فاس حيث مصطفى موزار الحال .

خلافته إلى الآن يعود المرضا ويشهد جنائز الصلحاء ويعطي الشرفساء والفقهاء والصلحاء في كل سنة الأموال والخلع والزرع وجميع ما يحتاجون إليه .

وفي سنة ثلاث عشرة وسبعمئة خرج على أمير المسلمين عدي بن هو الهسكوري ببلاد هسكورة ، فخرج إليه أمير المسلمين حتى نزل على قلعتيه ، فأمكن الله تعالى منه ، فدخل بلده ونهبت أمواله وثقف في الحديد وقدمه بين يديه موثقاً مغلولاً إلى مدينة فاس فثقف بها .

وفي سنة أربع عشرة وسبعمئة خرج أمير المسلمين أبو سعيد عثمان من مدينة فاس إلى غزو تلمسان ، فسار حتى وصل وادي ملوية (١٩١) في أمم لاتحصا وجيوش عظيمة لا يعلم لها عدد ، فقدم بين يديه ولديه الأميرين أبا الحسن علي وأبا علي عمر بمحلتها وجيوشهما ، وسار هو بمحلته خلفهما في بلاد يغمراسن يأكلون زروعها وينهبون أموالها ويقتلون حمايتها ، فسار حتى وصل مدينة وجدة فزّلها وقتلها قتالاً شديداً ، ثم ارتحل عنها نحو تلمسان حتى نزل بالمطلب ، فبعث ولده الأجل أبا الحسن علي حتى وقف على بابها ، فلم يخرج له أحد من بني عبد الوادي ، ولا ظهر له أحد في ذلك الوادي ، واعتمد أميرها موسى بن عثمان فيها على الحصار ، وترك بلاده ورعيته للدمار ، ولما هتك أمير المسلمين أبو سعيد عثمان جميع أحواز تلمسان وهتك جبال بني يزناسن وفتح معاقلها رجع إلى رباط تازة فأقام بها .

وفي سنة أربع عشرة وسبعمئة ، في شهر ذي الحجة منها ، عقد أمير المسلمين لولده الأمير الأجل أبي علي عمر على بلاد القبلة ومدينة سجلماسة وبلاد درعة وما والا ذلك إلى الصحراء ، وفوض له الأمر في خراجها وجميع أمورها .

وفي هذه السنة ولا أمير المسلمين أبو سعيد القائد يحيى ابن الفقيه

(191) في الأصل مدينة ملوية ، ولعلها خطأ من المؤلف أو من النسخين ، إلا أن يكون عنا بمدينة ملوية قرية كرسيف الحالية .

أبى طالب العزفى مدينة سبته وفوض له فى جميع أمورها وعقد له على أسطولها .

وفى سنة خمس عشرة وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان ببناء الباب أمام القنطرة من مدينة الجزيرة الخضراء ، ثم بعد ذلك أدار الستارة بالمدينة المذكورة .

وفىها سار أمير المسلمين الى حضرة مراكش فأقام بها مدة حتى أصلح أحوالها وعاد الى مدينة فاس .

وفى سنة ست عشرة وسبعمئة نزل القائد يحيا (ابن أبى طالب العزفى) بجبل الفتق وحاصره أياما حتى دخل ربهضه .

وفىها أفسد يحيا المذكور أجفان الروم ببحر الزقاق وقتل قائدها جزماق ، وكان اذاية على المسلمين فروح الله منه .

وفى شوال من هاذة السنة ثار القائد يحيا العزفى بسبته وتمنع عن الوصول الى حضرة أمير المسلمين أبى سعيد عثمان ، فبعث أمير المسلمين الى حصاره وزيره ابراهيم بن عيسا اليرنيانى ، فسار اليه فى جيش عظيم وحاصره مدة .

وفى سنة تسع عشرة وسبعمئة خرج أمير المسلمين أبو سعيد عثمان من مدينة فاس الى طنجة برسم النظر فى أمر سبته وبلاد الأندلس .

وفىها أمر ببناء الجيوب فى رأس قبور الأغزاز فبنيت ، وأقام أمير المسلمين بمدينة طنجة أياما ثم رجع الى مدينة فاس .

وفى شعبان من سنة عشرين وسبعمئة خرج أمير المسلمين الى مراكش فأقام بها مدة حتى سكن أحوالها وتفقدها وضبط ثغورها واستخلف عليها كندوز ابن عثمان ورجع الى مدينة فاس فدخلها فى آخر سنة عشرين .

وفى سنة احدا وعشرين وسبعمئة تحرك أمير المسلمين عثمان الى رباط تازة فأقام به مدة من ثلاثة أشهر ، وأمر ببناء حصن تاوريرت

وشحنه بالرجال والرماة والخيول ، وفي هذه السنة أمر ببناء سور مدينة كرسيف .

وفي ربيع الثاني من سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة خرج أمير المسلمين الى مراكش فوصلها وأقام بها مدة حتى سكن أحوالها وهدن انحاءها وضبط ثغورها ورجع الى مدينة فاس .

وفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة كان القحط الشديد بالمغرب فاستسقا الناس وخرج أيضا أمير المسلمين الى اقامة سنة الاستسقاء ، وقدم بين يديه الصدقات .

وفي سنة أربع وعشرين وسبعمئة وصدر من سنة خمس وعشرين كانت المجاعة بالمغرب ، وارتفع السعر في جميع البلاد ، وغلت الأسعار في جميع الأمصار ، فوصلت صحيفة القمح تسعين دينارا ، ومد القمح خمسة عشر درهما ، والدقيق أربع أواق بدرهم ، واللحم خمس أواق بدرهم ، والزيت أوقيتان بدرهم ، والعسل كذلك ، والسمن أوقية ونصف بدرهم ، وعذمت الخضر بأسرها ، دام ذلك من أول سنة أربع وعشرين الى شهر جمادى الأولى من سنة خمس وعشرين ، فأغاث الله عز وجل بلاده ، ورحم عباده ، وصنع أمير المسلمين في هذه الشدة والمجاعة مع رعيته من الخير ما لا يقدر واحد على وصفه ، فتح لهم أهراء (١٩٢) الزرع وأخرجه للبيع ، فبيع أربعة دراهم للمد ، والناس يبيعونه بخمسة عشر درهما ، وأمر بالصدقات ، فلم يزل يفرقها بطول أيام الشدة ، يمر بها الثقات على حارات المدينة فيعطونها أهل التستر والبيوتات وذوي الفاقات والحاجات كل على قدر حاله وضعفه ، فكانوا يأخذونها من دينار ذهبا الى ربع دينار ، ولم يزل من يوم ولايته الى الآن يأمر بالجباب والأكسية في زمن الشتاء والقر للضعفاء والمساكين ، وأمر بمن مات من الغنماء أن يجهز ويكفن في الثياب الجديدة ويقام بحق دفنهم أحسن قيام ، فعه الله تعالى بفعله ، وأبقا على المسلمين أيامه بمنه وفضله ، أنه سبيع مجيب

(192) جمع هري : مخزن الزرع ونحوه ، والكلمة لاتينية معربة ، ما زالت مستعملة بهذا المعنى الى الآن في عامية المغرب .

الخبر عن الأحداث التي كانت بالمغرب

من سنة ست وخمسين وستمئة إلى سنة ست وعشرين وسبعمئة

فى سنة ست وخمسين وستمئة بويح أمير المؤمنين يعقوب رحمه الله بمدينة فاس .

وفى سنة ثمان وخمسين وستمئة غدر النصارا بمدينة سلا فدخلوها بالسيف فكان بها الحادث العظيم وذلك ثانى يوم من شوال .

وفى سنة تسع وخمسين كانت وقعة أم الرجلين بين أمير المسلمين يعقوب رحمه الله وجيش المرتضا .

وفى سنة احدا وستين وستمئة توفي الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يعقوب على مدينة مراكش .

وفيها كان ظهور النجم أبى الذوائب ، وذلك يوم الثلاثاء الثانى عشر من شعبان من السنة المذكورة ، وبقي يطلع كل ليلة فى وقت السحر مدة من شهرين .

وفى هاذه السنة جاز المجاهدون من بنى مرين الى الأندلس برسم الجهاد تطوعا ، وكان رئيسهم عامر ابن ادريس والحاج القاهرتي .

وفى سنة اثنتين وستين توفي أبو العلاء ابن طلحة عامل أمير المسلمين على بلاد المغرب .

وفى سنة ثلاث وستين وستمئة هدم الفقيه العزفى سور مدينة أصيلة وقصبتها .

وفى سنة أربع وستين وستمئة قدم أبو دبوس على أمير المسلمين يعقوب بحضرة فاس مستنصرا به .

وفى سنة ست وستين وستمئة سرق بيت المال من قصبة مدينة فاس ، سرق منه اثنا عشر ألف دينار وثلاثمئة قلادة .

وفي سنة ست وستين المتقدم ذكرها كانت غزاة أمير المسلمين يعقوب
ليفمراسن بن زيان بمدينة مليانة (١٩٢) فملكها .

وفي سنة سبع وستين وستمئة توفي الشيخ الصالح أبو مروان
الرنجاسي بمدينة سبتة .

وفيها غزا أمير المسلمين محمد بن يحيى الخفصى الملقب بالمستنصر
ملك أفريقية عرب رياح فقتلهم وغنم أموالهم وسبوا نساءهم ورجع إلى
تونس .

وفيها وصلت هدية المستنصر ملك أفريقية إلى أمير المسلمين يعقوب
رحمه الله مع أبي زكرياء ابن صالح .

وفي شهر صفر من سنة ثمان وستين وستمئة دخل الروم مدينة
المراش فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأموالها وأضرموها نارا وأرسلوا
عنها في أجفانهم .

وفيها قتل طلحة بن علي يعقوب بن عبد الله .

وفي يوم عيد الأضحا منها ولد الأمير مسعود ابن أمير المسلمين
يوسف ابن أمير المسلمين يعقوب وتوفي بطنجة في ذي الحجة سنة
اثنين وتسعين .

وفي غرة محرم من سنة ثمان وستين وستمئة (السبت ٣١ غشت
سنة ١٢٦٩ م) ملك أمير المسلمين يعقوب حصن مراکش فدخلها .

وفي يوم الأربعاء بعد صلاة العصر وليلة الخميس الخامس
والعشرين لذي الحجة من سنة ثمان وستين وستمئة (١٩٤) ذل لويس

193) كذا بالأصل ، والحقيقة أن النصر الذي حققه يعقوب بن عبد الحق المريني في
السنة المشار إليها على خصمه يغمراسن بن زيان كان بوادي تلاغ القريب من قرية كرسيف
لا بمليانة التي لم يصل إليها يعقوب المريني قط بعدها ، انظر ص 305 من هذا الكتاب .

194) كذا بالأصل ، والذي عند العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب الصمادني في
خصلات تاريف تونس أن نزول الفرنسيين بالطلال قرطاجنة وقع في آخر ذي القعدة عام 668 (21)
بربور سنة 1270 م) .

التاسع الملقب بالقدیس ملك الافرانسیس الرومی مدينة تونس فی مراکب لاتحصا فنزلوا فی البر وملكوا حصن القلعة ، وهم فی اُمم لایعلم لها عدد ومددهم فی البحر متصل ، فكانت الروم فی أربعین الف فارس ، ورماتها مئة ألف رام ، ورجالها مئة الف راجل (١٩٥) .

وفی الخامس والعشرین من ربیع الثانی من سنة تسع وستین توفي لویس التاسع ملك الافرنسیس المحاصر لتونس فأقلعوا عنها بسبب وفاته (١٩٦) .

وفی سنة تسع وستین غزا أمير المسلمين یعقوب العرب ببلاد درعة . وفيها نافق محمد ابن ادريس وموسا ابن رحو بجبل أمرکو من أحواز فاس فحاصره به أمير المسلمين یعقوب ثلاثة أيام فأذعنوا للطاعة فعفا عنهم .

وفی رجب من سنة سبعین وستمئة غزا أمير المسلمين یعقوب بلاد یغمراسن بن زیان فهزمه بوادي ایسلى وفر الى تلمسان مهزوما فحاصره بها مدة .

وفی سنة اثنتين وسبعین وستمئة فتح أمير المسلمين مدينة طنجة ، وفيها نزل الأمير یوسف سبعة .

وفی سنة ثلاث وسبعین وستمئة فتح أمير المسلمين یعقوب مدينة سجلماسة .

وفی ثالث شوال من سنة أربع وسبعین وستمئة (السبت ٢١ مارس سنة ١٢٧٦ م) أسست المدينة الجديدة على وادي فاس .

وفی ثانى شوال المذكور قتل العامة من اليهود لعنهم الله بمدينة فاس مايزید على اثني عشر ألفا ، فكفهم أمير المسلمين عنهم .

(١٩5) هاذہ من مبالغات ابن أبی زرع ومؤرخی العصر الوسیط علی العموم ، والمحقق تاریخیا أن عدد جیش لویس التاسع النازل معه بتونس لم یتجاوز أربعین ألفا .
(١٩6) الذى عند الأستاذ المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب أن لویس التاسع توفي يوم عاشوراء عام 669 هـ (3١ غشت ١270 م) .

- وفيها جاز أمير المسلمين الجواز الأول الى الأندلس برسم الجهاد .
- وفيها ملك من بلاد الاندلس الجزيرة الخضراء ومدينة طريف ورندة
- وفيها كانت غزاة دون نونيو دي لارا
- وفيها بنيت قصبة مكناسة .
- وفي سنة خمس وسبعين وستمئة جاز أمير المسلمين يعقوب الى
- الجهاد الجواز الثاني .
- وفيها توفي الرئيس عبد الله ابن أشقيلولة بمالقة .
- وفي ربيع الأول من سنة سبع وسبعين وستمئة نزلت أفروطة الروم
- على الجزيرة الخضراء .
- وفيها وصلت هدية يحيا الواصل ملك افريقية .
- وفي شعبان منها غدر عمر بن علي عامل أمير المؤمنين على مالقة
- وباعها لابن الأحمر .
- وفي شوال منها نافق مسعود ابن كانون السفيناني .
- وفيها بني الجامع بالمدينة الجديدة .
- وفي سنة ثمان وسبعين أفسد المسلمون الأفروطة المحاصرة
- للجزيرة الخضراء .
- وفي سنة تسع وسبعين وستمئة توفي أبوزيان بن عبد القوي التجيني .
- وفيها كان الجراد ببلاد المغرب ، أكل جميع زروعها فلم يترك بها
- مخضرا ، وفيها كانت المجاعة وصل القمح فيها عشرة دراهم صاع .
- وفيها علقت الثريا في الجامع الجديد بفاس ، وذلك يوم السبت
- السابع والعشرين لربيع الأول من العام المذكور ووزنها سبعة قناطر
- وخمسة عشر رطلا ، وعدد كؤوسها مئة كأس وسبعة وثمانون كأسا .
- وفيها نزل الرئيس ابو الحسن ابن اشقيلولة وألفونسو العاشر
- مدينة غرناطة .

- وفى سنة ثمانين وستمئة غزا أمير المسلمين يعقوب يغمراسن بن زيان
فهزمه بالمعلب من أحواز تلمسان .
- وفيهما توفي عبد الواحد السكسيوي الثائر بأحواز مراکش .
- وفى شهر ذي القعدة بنيت قنطرة وادي النجاة وقنطرة ماريـز .
- وفيهما توفي مسعود بن كانون السفيناني .
- وفى سنة احدا وثمانين وستمئة توفي القائد الرنداحي بسبـطة .
- وفيهما جاز أمير المسلمين يعقوب الى الأندلس برسم الجهاد ، وهو
الجواز الثالث ، فاجتمع مع ألفونسو العاشر على صخرة عباد ، وأعطاه
ألفونسو تاجه رهنا فى مئة ألف دينار .
- وفيهما هرب الملند الرومي من قـصبة فاس .
- وفيهما دخل أحمد ابن مرزوق الشهير بابن أبى عمارة مدينة تونس
وذلك فى أول شهر ذي القعدة .
- وفيهما قتل الأمير أبو اسحاق بالقرب من قسنطينة .
- وفيهما توفي يغمراسن بن زيان .
- وفى سنة اثنتين وثمانين وستمئة نزل أمير المسلمين يعقوب مالقة .
- وفى شهر محرم منها مات ألفونسو الأحول أخـزاه الله (١٩٧) .
- وفى ربيع الثانى منها خرج أمير المسلمين من الجزيرة الخضراء
حتى جاز البرت وغزا أحواز طليطلة .
- وفيهما توفي الأمير تاشفين بن عبد الواحد ببلاد الأندلس .
- وفى سنة ثلاث وثمانين وستمئة وصل ماء عين غبولة الى قـصبة
رباط الفتح بأمر أمير المسلمين يعقوب على يد علي ابن الحاج المهندس .
- وفيهما ملك ابن الأحمر حصن قمارش .

- وفيها مات ابن أبي عمارة بتونس فتولا أبو حفص (عمر ابن أبي
زكرياء يحيا الملقب بالمستنصر الثاني) .
- وفي العشر الأول من شعبان منها توفي الأمير عيسا بن عبد الواحد
على شريش بسهم مسموم .
- وفي السادس من شهر رمضان منها توفيت الحرة أم العز بنت محمد
ابن حازم برباط الفتح فدفنت بشالة .
- وفي سنة أربع وثمانين وستمئة جاز أمير المسلمين يعقوب رحمه
الله الى الجهاد وهو الجواز الرابع
- وفي محرم من سنة خمس وثمانين وستمئة توفي أمير المسلمين
يعقوب رحمه الله .
- وفيها بنيت قصبة تطوان .
- وفيها عملت الناعورة الكبرى بوادي فاس ، بنيء بالعمل فيها ففى
شهر رجب من سنة خمس وثمانين ودارت ففى شهر صفر من سنة ست
وثمانين .
- وفي سنة ست وثمانين غزا أمير المسلمين يوسف العرب بقبلة بلاد
درعة .
- وفي شهر رمضان منها بني قصر المجاز وركبت أبوابه .
- وفيها غرست المصارة (١٩٨) وبنيت الدار البيضاء من البلاد
الجديدة .
- وفيها دخلت جزيرة ميورقة من بلاد شرق الأندلس دخلها اسعدى
دمرد الله وذلك فى شهر ذي الحجة منها
- وفيها قتل طلحة بن محلى الثائر بسوس .
- وفي سنة سبع وثمانين فتح الملك المنصور صاحب الديار المصرية

مدينة طرابلس الشام •

وفيها اعطا أمير المسلمين يوسف وادي أش وجميع أحواضها الى
ابن الأحمر •

وفيها توفي الرئيس أبو الحسن ابن اشقيلولة بقصر كتامة من
بلاد العدو •

وفيها آخر الفقيه أبو حامد البقال عن قضاء مدينة فاس وولي القضاء
مكانه الخطيب محمد ابن أيوب (أبى الصبر) •

وفيها ثار الأمير أبو عامر بحضرة مراكش •

وفى سنة سبع وثمانين وستمئة غزا أمير المومنين يوسف مدينة
تلمسان وحاصرها ونصب عليها المجانيق •

وفى الآخر سبع وثمانين المذكورة كانت الريح الشرقية المتواليّة
والقحط الشديد ، وتوالا ذلك الى الآخر عام تسعين ، ولم ينزل مطر الى
شهر ابريل من سنة تسعين ، فحرث الناس عند ذلك وحصدوا ماحرثوه
من زرع عن أربعين يوما •

وفيها توفي الشيخ الفقيه أبو يعقوب الأشقر بالكندرتين من بلاد بني
بهلول (١٩٩) وانفسدت قطائع المسلمين فى شعبان سنة تسعين •

ونزل علي بن يوسف بن يزكاتن مدينة شريش فى عام تسعين •

وفى رمضان منها جاز أمير المسلمين يوسف برسم الجهاد ، فنزل
حصن يحيى ، وفيه بني جامع تازة ، وفيه نزل سانشو مدينة طريف
فحاصرها حتى ملكها فى الآخر شوال منه (عام ٦٩١ - الاثنين ١٣ أكتوبر
١٢٩٢ م) •

وفيهِ فتح الملك الاشرف مدينة عكا •

(٢٩٩) هو المعروف بملوى يعقوب المنسوبة اليه الحمة الشهيرة قرب فاس ، وكانت وفاته
سنة 689 هـ . انظر عنه سلوة الأنفاس 3 : 216 .

- وفيه بنيت قبة مكناسة ورباعها .
- وفي شعبان منه نافقت تازوطة .
- وفيه أعطا ابن الأحمر الحصن الأبيض لسانشو الباسل .
- وفيه أمر أمير المسلمين يوسف بعمل المولد وتعظيمه في جميع بلاده .
- وفي سنة اثنتين وتسعين فتح حصن تازوطة .
- وفي سنة ثلاث وتسعين وستمئة فرغ من بناء جامع تازة ، وعملت الثريا بالجامع وزنتها اثنان وثلاثون قنطارا من النحاس ، وعدد كؤوسها خمسمئة كأس وأربعة عشر كأسا ، وأنفق في بناء الجامع وعمل الثريا من المال ثمانية آلاف دينار ذهبا . --
- وفيها جاز ابن الأحمر الى العدو برسوم لقاء أمير المسلمين يوسف والاعتذار اليه مما صنعه في أمر طريف .
- وفيها كسفت الشمس فغاب ثلثا قرصها ، وذلك يوم الأحد قرب الزوال في التاسع والعشرين من رجب ، وصلا بالناس صلاة الكسوف الخطيب محمد بن أيوب (أبى الضبر) بجامع القرويين حتى انجلت ، فخرج من المحراب ولم يبق منه غير خمسة عشر رجلا من أهل العدالة وكانوا أربعة وتسعين ، وذلك يوم الاثنين الحادي عشر من شوال .
- وفيها توفي الأمير عبد المؤمن ابن أمير المسلمين .
- وفي سنة ثلاث وتسعين بعث أمير المسلمين يوسف وزيره ابن السعود فجاز الى الأندلس ونزل مدينة طريف .
- وفيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم بالمغرب وإفريقية ومصر ، هلك فيها خلق كثير وبلغ القمح فيها عشرة دراهم للمد والدقيق ست أواقى بدرهم .
- ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمئة فيها صلح أمر الناس ورخصت الأسعار ، وفيها كسف بالشمس الكسوف العظيم الذي غاب القرص كله ورجع النهار ليلا كما يكون بين العشائين ، بدت نيرات النجوم وعظم

الأمر لولا ماتدارك الله سبحانه بسرعة الانجلاء ، وذلك بعد صلاة الظهر من يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ذي الحجة من سنة أربع وتسعين المذكورة .

وفى سنة خمس وتسعين وستمئة بنا أمير المسلمين يوسف حصن تاويرت .

وفى سنة ست وتسعين وستمئة نزل مدينة ندرومة .
وفىها أمر ببناء وجدة .

وفى سنة سبع وتسعين وستمئة نزل أمير المسلمين يوسف مدينة تلمسان فأقام عليها أياما ورجع الى مدينة فاس .
وفىها قتل أشياخ مراکش عبد الكريم ابن عيسا ، وعلي ابن يحيى الهنتاى .

وفى سنة ثمان وتسعين وستمئة ملك أمير المسلمين يوسف مدينة ندرومة .

وفىها نزل مدينة تلمسان برسم الحصار لها وأن لا يرتحل عنها حتى يفتحها أو يموت دون ذلك .
وفىها فتح هنين وتاونت (٢٠٠) .

وفى سنة تسع وتسعين وستمئة فتح مدينة وهران ومستغانم وتنس ومليانة .

وفى سنة سبعمئة أسس مدينة تلمسان الجديدة وبنا سورها وحصنها وهو محاصر للقديمة .

وفىها فتح القصبات وبرشك وونشريس ومازوننه والبطحاء وتامزجدرت وبنا المسجد الجامع .

(200) تاونت : اسم حصن بفتة الجبل المطل على مرسا الغزوات ، وهين اسم مرسا يقع الى الشرق منه ، ولا يزال الاسمان معروفين الى الآن .

وفى سنة احدا وسبعمئة مات محمد بن محمد بن يوسف ابن الأحمر ملك الأندلس .

وفى شوال من سنة خمس وسبعمئة غدر الرئيس أبو سعيد مدينة سبنة فملكها .

وفيهما وفد على أمير المسلمين أمراء الترك من بلاد مصر بالهدية .
وفى سنة ست وسبعمئة توفي أمير المسلمين يوسف رحمه الله وولي بعده حفيده عامر بن عبد الله ابن أمير المسلمين .

وفى سنة سبع وسبعمئة نافق يوسف بن محمد بمراكش .
وفيهما غزا أمير المسلمين أبو ثابت العرب بأبى طويل .
وفيهما غزا قلعة علودان وقلعة الدمنة من أحواز طنجة .
وفى سنة ثمان وسبعمئة فى صفر منها توفي أمير المسلمين أبو ثابت بقصبة طنجة وولي أبو الربيع سليمان .

وفى صفر من سنة تسع وسبعمئة فتحت مدينة سبنة وملكها أمير المسلمين أبو الربيع سليمان .

وفى جمادا الأول من سنة عشر قام عمر بن عثمان برباط تازة ودعا لنفسه فلم يتم له أمر .

وفى منسلخ جمادا الآخر منها توفي أمير المسلمين سليمان برباط تازة وولي أمير المسلمين السعيد بفضل الله أبو سعيد عثمان ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق .

وفى يوم السبت السابع من شهر رمضان من سنة ست عشرة وسبعمئة توفي الصالح الشيخ المبارك أبو عمران التسولى فدفن فى قبلة مسجد الصابرين من داخل عدوة الأندلس .

وفى سنة عشرين وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد أيده الله ببناء مدرسة بحضرته من فاس الجديد فبنيت أتقن بناء ، ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم ، وأجرا عليهم المرتبات

والمؤونة فى كل شهر ، وحبس عليها الرباع والمجاشر ، كن ذلك ابتغاء وجه الله ورجاء مغفرته .

وفى سنة احدا وعشرين وسبعمئة أمر الأمير الأجل الموفق أبى الحسن علي ابن أمير المسلمين أبى سعيد عثمان ابن أمير المسلمين يعقوب ابن عبد الحق رضى الله عنه ببناء المدرسة غربى جامع الأندلس بفاس ، فبنيت على أتم بناء وأحسنه وأتقنه ، وبنا حولها سقاية ودار وضوء وفندقا لسكنا طلبة العلم ، وجلب الماء الى ذلك كله من عين بخارج باب الحديد من أبواب مدينة فاس ، وأنفق فى ذلك أموالا جليئة تزيد على مئة ألف دينار ، ورتب بها الفقهاء للتدريس ، وأسكنها بطلبة العلم وقرأ القرآن ، وأجرا عليهم الانفاق والكسوة وحبس عليها رباعا كثيرة نفقه الله بقصده .

وفى سادس عشر ذي القعدة من سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة هبت ربح شديدة بمدينة مكناسة وفاس ورباط تازة وأحوازها استمر هبوبها يومين بليقتيهما هدمت الديار وقلعت الأشجار ومنعت الأسفار وأقمرت من زيتون مكناسة وزيتون القرمدة شيئا كثيرا .

وفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة كانت أمطار عظيمة ببلاد المغرب وثلوج كثيرة فعدم فيها البياض (٢٠١) والحطب فبيع البياض بمدينة فاس بدرهمين للرطل .

وفى شهر محرم منها جرت العين الوالية للمشرق من عيون صنهاجة بدم عيبط من نصف وقت العصر الى ثلث الليل وعادت الى حالها .

وفى مهل شعبان منها أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أیده الله ونصره ببناء المدرسة العظيمة بازاء جامع القرويين شرفه الله تعالا بذكره ، فبنيت على يد الشيخ المبارك عبد الله بن قاسم المزوار ، ووقف أمير

المسلمين على تأسيسها ومعه الفقهاء والصلحاء حتى أسست وشرع فى بنائها نفعه الله بذلك وأجزل ثوابه عليه ، فجاءت آية فى الدهر لم بين مثلها ملك قبله ، وأجرا بها ماء العين الغزير ، ورتب فيها الفقهاء لتدريس العلم ، وأسكنها بالطلبة ، وقدم فيها اماما ومؤذنين وخدمة يقومون بأمرها وأجرا على الكل منهم المرتبات والمؤون ، واشترا الأملك ووقفها عليها احتسابا لله تعالى ورجاء ثوابه .

وفى شهر جمادا الاولا من السنة المذكورة احترق سوق العطارين الكبير من مدينة فاس ، فأمر أمير المسلمين أيده الله ببنائه وتجديده ، فبني وجدد من باب المدرسة المذكورة الى رأس عقبة الجزارين ، وعمل عليه هناك بابا عظيما مصفحا بالحديد ، وبنا على رأسه سورا مشرفا ، فجاء كأنه باب مدينة ، وأسكن السوق المذكور بالعطارين من الباب المذكور الى المدرسة لايشاركهم فيه غيرهم .

وفيهما كان القحط واستسقا الناس وارتفع السعر وبدأت المجاعة . وفى سنة أربع وعشرين وسبعمئة كان الغلاء العظيم والمجاعة الشديدة بالمغرب .

وفى يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة بعد صلاة العصر منه نشأ بخارج مدينة فاس من جهة جوفها سحب وظلمة شديدة ورياح هائلة واعصار عظيم أعقب ذلك برد عظيم كبير الجرم ، زنة الحجر منه أربع أواقى وأقل وأكثر ، ونزل منه أمثال الجبال، وفى خلاله مطر وابل ، فجاء منه السيول الطاغية ، فحملت الناس والدواب والمواشى والبقر والغنم والخيول والابل والدواوير ، وجاء وادى سد رواغ بسيل عظيم هلك فيه بشر كثير من الناس مايزيد على مئة وخمسين نفسا ، وأهلك جميع مايزالغ (٢٠٢) من الكروم والزيتون والشجر .

وفى ليلة الجمعة السادس والعشرين من جمادا الاولا من السنة

المعروفة بخمس وعشرين وسبعمئة موافق العاشر من مايو آتا سيل بوادي مدينة فاس أول الليل منها لم يعهد قبله مثله ، فهدم السور وحمل الشباك وخرب الجنات وقلع الأشجار العظيمة وهدم القناطر والديار وخرب جزاء ابن برقوقة ودور الرصيف وبعض دور برزخ (٢٠٣) وسوق الصباغين وسوق الرصيف وهدم القنطرة الكبيرة التي عليها سوق باب السلسلة وهدم سوق الرميطة ، وكان جملة من هلك فيه من الناس المعروفين بأسمائهم دون من لم يعرف سبعمئة وثلاثين نفسا ، ومن الديار ألف دار ومئة دار ، ومن المساجد خمسة ، ومن الأرحاء ثمانية بيوت ، ومن الأفران اثنين ، ومن الحوانيت أربعة وتسعون حانوتا .

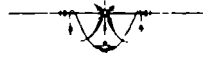
وفى شهر رجب من سنة خمس وعشرين وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أيده الله تعالى ببناء القنطرة الكبرى التي عليها سوق باب السلسلة ، فبنيت وبنيت الحوانيت التي عليها من الجانبين ، وبنى سوق الصباغين ، فعادت أحسن مما كانت ، وجاءت آية في الزمان نفعه الله بذلك وأجزل ثوابه .

وفيها أمر أمير المسلمين ببناء جامع جزاء ابن برقوقة وجامع السمارين فبنيا أتم بناء .

وفى سنة ست وعشرين وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أيده الله تعالى ونصره ببناء القنطرة الأخر سوق الصباغين ، فشرع في بنائها يوم الأحد التاسع عشر لشعبان المكرم من السنة المذكورة ، نفعه الله تعالى بذلك وأبقا أيامه وخلد ملكه وأبدى ، وأمتع ببقائه المسلمين وأسعده ، ولأزال سعده متصلا وملكه في ازدياد واعتلاء ، ماتعاقب الجديدان ، وأشرق النيران ، بمنه وطوله .

وصلا الله على سيدنا ومولانا محمد النبي المصطفى الكريم ، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكا التسليم ، والحمد لله رب العالمين .

الفهارس (1)



- 1) فهرس موضوعات الكتاب
- 2) فهرس أسماء الرجال والنساء
- 3) فهرس أسماء الأجناس والقبائل والبطون والجماعات
- 4) فهرس أسماء الأقطار والبلاد والأمكنة
- 5) فهرس أسماء الكتب

I رتب الفهارس ترتيب الألفبائية المغربية وهي : أ - ب - ج - د - هـ - ز - ح - ط - ظ - ك - ل - م - ن - ص - ض - ع - غ - ف - ق - س - ش - هـ - و - ي -

فهرس موضوعات الكتاب

- هذا الكتاب ٥
- مقدمة المؤلف ١٢
- الخبر عن ملوك المغرب من الأدارسة الحسينيين وتكر قيامهم
وبنيانهم مدينة فاس دار ملكهم وقرار سلطانهم رضي الله عنهم ١٥
- الخبر عن بيعة الامام ادريس الحسني رضي الله عنه ٢٠
- الخبر عن دولة الامام ادريس بن ادريس الحسني رضي الله عنه ٢٥
- الخبر عن بناء الامام ادريس بن ادريس رضي الله عنهما مدينة
فاس ، وذكر ماخصت به من الفضائل والمحاسن التي تفوق بها
جميع المغرب ٣٢
- الخبر عن دولة الأمير محمد ابن الامام ادريس بن ادريس الحسني
رضي الله عن جميعهم ٥١
- الخبر عن دولة الأمير علي بن محمد بن ادريس الحسني رحمهم
الله تعالى ورضي عنهم ٥٣
- الخبر عن دولة الأمير يحيى بن ادريس بن ادريس الحسني رحمهم
الله ٥٣
- الخبر عن جامع القرويين وصفته ، ومازید فيه في كل زمان من
حين أسس إلى وقتنا هذا وهو عام ٧٢٦ ٥٤
- الخبر عن بناء صومعة القرويين شرفها الله بذكره ٥٦
- الخبر عن خطباء القرويين في الدولة الموحدية والدولة المرينية
العبد الحقبة اظالها الله وخلصها ٧١

- ٧٦ - جامع الأندلس
- ٧٨ - الخبر عن دولة الأمير علي بن عمر بن إدريس الحسني بمدينة فاس وأعمال المغرب
- ٧٩ - الخبر عن دولة الأمير يحيى بن القاسم بن إدريس الحسني المعروف بالمقدم
- ٨٠ - الخبر عن دولة الأمير يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس بن إدريس الحسني
- ٨٢ - الخبر عن دولة الأمير الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس ابن إدريس الحسني المعروف بالحجام
- ٨٣ - الخبر عن دولة موسى بن أبي العافية بفاس وكثير من أعمال المغرب
- ٨٧ - الخبر عن دولة الأمير القاسم بن محمد بن القاسم بن إدريس ابن إدريس الحسني الملقب بكنون
- ٨٧ - الخبر عن دولة الأمير أبي العيش أحمد بن القاسم كنون الحسني
- ٨٩ - الخبر عن دولة الأمير الحسن بن كنون
- ٩٦ - الخبر عن الأحداث التي كانت بالمغرب في أيامهم إلى انقضاءها
- ١٠٢ - الخبر عن دولة زنقة المغراويين واليفرنينين بالمغرب وقيام ملكهم
- ١٠٨ - الخبر عن دولة الأمير المعز بن زيري بن عطية المغراوي بفاس وببلاد المغرب
- ١٠٩ - الخبر عن دولة الأمير حمامة بن المعز بن عطية الزناتى المغراوي
- ١٠٩ - الخبر عن دولة الأمير تميم اليفرنى بمدينة فاس وأعمالها وهي الدولة الأولى له بها

- الخبر عن دولة الأمير دوناس بن حمامة ١١١
- الخبر عن دولة الأخوين الأميرين الفتوح وعجيسة ابني الأمير
دوناس بن حمامة ١١١
- الخبر عن دولة الأمير معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن
زيري بن عطية المغراوي بمدينة فاس ١١٢
- الخبر عن الأحداث التي كانت بالمغرب في أيام زناته من مغراوة
وبنى يفرن وذلك من سنة ٣٨٠ الى سنة ٤٦٢ ١١٤
- الخبر عن ظهور الدولة المرابطية اللمتونية وقيامها بالمغرب والقبلة
وبلاد الأندلس وذكر ملوكهم ومدة أيامهم الى انقضائها وذهابها ١١٩
- الخبر عن دولة الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالي وقيامه بأمر
صنهاجة ١٢٢
- الخبر عن دخول الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي صنهاجة وقيامه
بها مع لمتونة والمرابطين من قبائل صنهاجة ١٢٤
- الخبر عن دولة الأمير يحيى بن عمر بن تلاكين الصنهاجي
اللمتوني ١٢٧
- الخبر عن دولة الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني المرابط ١٢٨
- الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين مجوس برغواطة وذكر مذهبيهم
السخيف وديانتهم الخسيصة ١٣٠
- الخبر عن دولة الأمير أبي بكر بن عمر الصنهاجي اللمتوني ١٣٣
- الخبر عن دولة الأمير يوسف بن تاشفين اللمتوني أمير المسلمين
وسيرته وغزواته ١٣٦
- الخبر عن جواز الأمير يوسف بن تاشفين الى الأندلس برسم
الجهاد وذكر غزاة الزلاقة ١٤٥
- الخبر عن دولة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بالمغرب

- ١٥٧ - وبلاطس
- الخبر عن دولة أمير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الملقب بـرحمة الله
- ١٦٥
- الخبر عن سيرهم والأحداث التي كانت في أيامهم رحمهم الله تعالى
- ١٦٦
- بمنه وكرمه
- الخبر عن الدولة الموحدية الموحية وقيامها علي يد محمد بن تومرت المسمي بالمهدي
- ١٧٢
- الخبر عن فتوحات المهدي وحروبه مع التونة
- ١٧٨
- الخبر وفاته رحمه الله
- ١٧٩
- الخبر عن صفته وسيرته وثبته من أحواله
- ١٨١
- الخبر عن الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي
- ١٨٣
- الخبر عن صفته أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي وسيرته وفضله رحمه الله
- ٢٠٣
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي
- ٢٠٥
- الخبر عن بيعته وأيامه رحمه الله
- ٢٠٨
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين يعقوب ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي رحمه الله
- ٢١٦
- الخبر عن غزاة الأندلس وهزيمة الروم بها وهي غزاة المنصور الثانية بالأندلس
- ٢٢٠
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين محمد الناصر ابن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي رحمهم الله تعالى
- ٢٣١
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف المنصور بالله ابن محمد

- الناصر بن يعقوب المنصور ، ابن يوسف ، بن عبد المؤمن ، بن علي
رحمهم الله ٢٤١
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد المخلوع رحمه الله ٢٤٣
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الله العادل ابن يعقوب المنصور
رحمه الله ٢٤٥
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين يحيى بن محمد الناصر ومزاحمته
لعمه إدريس المأمون ٢٤٧
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين إدريس الملقب بالمأمون ابن يعقوب
المنصور ٢٤٩
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد الرشيد رحمه الله ٢٥٤
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين علي السعيد رحمه الله تعالى ٢٥٦
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين عمر المرتضا ٢٥٨
- الخبر عن دولة إدريس الملقب بأبي دبوس آخر ملوك بني عبد
المؤمن رحمهم الله ٢٥٩
- الخبر عن الأحداث التي كانت في أيامهم من أولها إلى آخرها ٢٦٢
- الخبر عن الدولة السعيدة المرينية العبد الحقية أظالها الله وخلد
ملكها ٢٧٨
- الخبر عن نسب مرين الصريح وحسبهم العالي الصحيح ٢٧٨
- الخبر عن دخولهم المغرب وظهور ملكهم السنني المعجب ٢٨١
- الخبر عن دولة الأمير المبارك عبد الحق بن محبوب بن أبي بكر
ابن حمامة ٢٨٤
- الخبر عن دولة الأمير عثمان بن عبد الحق ٢٨٧
- الخبر عن دولة الأمير أبي معرف محمد بن عبد الحق ٢٨٩
- الخبر عن دولة الأمير أبي بكر بن عبد الحق رحمه الله ٢٩١

- الخبر عن دولة أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق المريني ٢٩٧
- الخبر عن سيره الجليلة وما أثره الجميلة ٣٠٠
- الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد وهي أولا غزواته التي بلاد الشرك ٣١٣
- الخبر عن غزاة أمير المؤمنين يعقوب إلى درن تونيودي لارا ٣١٦
- الخبر عن غزاة أمير المسلمين يعقوب رحمه الله في جوازه الأول ٣٢١
- الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب رحمه الله إلى الأندلس برسم الجهاد وهو الجواز الثاني ٣٢٣
- الخبر عن غزاة أمير المؤمنين الرابعة ٣٢٥
- الخبر عن غزوة أمير المسلمين يعقوب رحمه الله وهي غزوة قرطبة ٣٢٦
- الخبر عن خروج أمير المسلمين إلى غزاة البيرت ٣٣٩
- الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب رحمه الله إلى الأندلس وهو الجواز الرابع ٣٤١
- الخبر عن قدوم الأمير يوسف من العدو برسم الجهاد ٣٥٠
- الخبر عن وصول الرهينان والأقسمة من الروم إلى حضرة أمير المسلمين يرغبون في الصلح ٣٥٨
- الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن أمير المسلمين يعقوب ابن عبد الحق عفا الله عنهم ورحمهم ٣٧٤
- الخبر عن حصار تلمسان حرسها الله تعالى ٣٨٦
- الخبر عن دولة أمير المسلمين عامر ابن الأمير عبد الله بن أمير المسلمين يوسف ٣٨٩
- الخبر عن دولة أمير المسلمين سليمان ابن الأمير عبد الله ابن

- أمير المسلمين يوسف ٣٩٢
- الخبر عن ملك الزمان ، وسراج الأوان ، الإمام السعيد ،
والخليفة الرشيد ، أمير المسلمين أبي سعيد عثمان ٣٩٥
- الخبر عن الأحداث التي كانت بالغرب من سنة ست وخمسين
وستمئة الى سنة ست وعشرين وسبعمئة ٤٠٢
- فهارس ٤١٧
- فهرس موضوعات الكتاب ٤١٨
- فهرس أسماء الرجال والنساء ٤٢٥

فهرس أسماء الرجال والنساء

- أ -

- ابراهيم ابن الأغلب : ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٧
- ابراهيم ابن همشك ١٩٦
- ابراهيم بن اسحاق اللبتوني : ١٥٥
- ابراهيم بن اسماعيل الهزرجي : ١٧٦
- ابراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين : ١٦٥
- ابراهيم بن عبد الجليل الونجاسي : ٣٨٩
- ابراهيم بن عبد الله الكامل الحسنى ١٥ - ١٦
- ابراهيم بن عبد المؤمن بن علي الكومي ٢٠٣
- ابراهيم بن عمران الفودودي (الوزير المريني) ٣٧٥
- ابراهيم بن عيسا الياباني : ٣٩٣
- ابراهيم بن عيسا الميرنياني : ٣٨٩ - ٣٩٦ - ٤٠٠
- ابراهيم بن يحيى بن ابراهيم الكدالي ١٢٢ - ١٢٤
- ابراهيم بن يوسف بن تاشفين : ١٣٨
- ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي : ٢٠٦ - ٢١٤
- ابن أبي البركات (مشرف مراکش) : ٣٧٩
- ابن أبي زرع : أحمد : ٥ - ٦ - ٧٦
- ابن أبي زرع : محمد : ٥ - ٦
- ابن أبي زرع علي بن عبد الله (مؤلف القرطاس) : ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ١١

- ابن أبي طاطو ٢٩٥
- ابن أبي مدين : محمد (الكاتب) : ٣٧٥ - ٣٩٣ - ٣٩٦
- ابن أبي مدين : عبد الله (الكاتب) ٢٩٩ - ٣٧٥ - ٣٨٩ - ٣٩٣
- ابن أبي مطر ٣٧
- ابن أبي الضمير انظر محمد ابن أيوب وابو يحيى ابن أيوب
- ابن أبي العافية أبو الحسن : ٢٩٢
- ابن أبي عمارة (أحمد ابن أبي مرزوق) ٤٠٦ - ٤٠٧
- ابن أبي قريش ادريس (عامل قاس) : ٤١ - ٣٠٣
- ابن الأحمر (محمد بن محمد بن يوسف) ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٣٠٩
- ٣١٣ - ٣١٥ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩
- ٣٣١ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٧٣
- ٣٧٦ - ٣٧٨ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٧ - ٤٠٥
- ٤٠٦ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠
- ابن الأحمر محمد المخلوع ٣٨٧ - ٣٨٨
- ابن أزنك يعقوب ٣٩١
- ابن الأمين (عامل طنجة) ٣١١
- ابن الأغلب إبراهيم ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٧
- ابن الأفتس ١٤٦ - ١٥٦
- ابن أسباط أبو محمد (كاتب السلطان علي بن يوسف بن قاشفين) ١٥٧
- ابن أشقيلولة ٣١٥ - ٣١٩ - ٤٠٥
- ابن أشقيلولة أبو اسحاق ٣٢٣
- ابن أشقيلولة أبو الحسن ٤٠٥ - ٤٠٨
- ابن أشقيلولة : أبو محمد ٣١٥ - ٣١٩ - ٣٢٣ - ٣٢٨

- ابن الأشيري : الحسن (الشاعر المؤرخ) : ١٨٥
- ابن باديس ١٤٦
- ابن البان ٨٧
- ابن برجان عبد الرحمان ٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٤٨
- ابن برجان عبد الله بن عبد الرحمان ٢٤٨
- ابن برون الأزدي انظر علي بن محمد ابن برون الأزدي
- ابن بطلال : أبو الحكم : ١٩٥
- ابن البقال أبو حامد (قاضي فاس) ٣٧٥ - ٤٠٨
- ابن تاحميس أبو عبد الله بن جرير ٢٧٢
- ابن تافلوت : أبوبكر بن ابراهيم : ١٦١
- ابن تسميت أبو القاسم الأغماتي ٢٠٥
- ابن جامع أبو سعيد (حاجب الخليفة محمد الناصر الموحد)
٢٣١ - ٢٣٦ - ٢٣٨ - ٢٣٩
- ابن جامع ادريس (وزير الخليفة عبد المؤمن الموحد) ٢٠٥
٢٠٦
- ابن الجبر محمد ٢٨٣
- ابن الجد : أبوبكر : ١٩٢ - ٢٠٧
- ابن الجد : أبو عامر ١٩٥
- ابن جدار علي ٣٥٠
- ابن جنون : أبو القاسم (المؤرخ) : ٥٥ - ٦٠ - ١٦٦ - ١٩٨
- ابن جشار (مشرف فاس) ٢٩٥
- ابن الحاج : أبو عبد الله (والى قرطبة) ١٥٧ - ١٥٩
- ابن الحاج : أبو القاسم ١٩٢

- ابن حبوس (صاحب غرناطة) ١٤٦ - ١٥٦
- ابن حبيش ابوبكر الباجي ١٩٤
- ابن الحرار عبد الرحمان (الكاتب) ٣٧٥
- ابن حرزهم : علي بن اسماعيل ٢٦٥ - ٢٧٠ - ٢٧١
- ابن حزم : علي ١١٦
- ابن حكم : يوسف (القاضي) ٣٠٨
- ابن حمد علي (خطيب مسجد القرويين) ٦
- ابن حمدين أبو القاسم ١٦٤
- ابن حمدين حمدين (أبو جعفر القاضي الثائر بقرطبة) ١٧١
٢٦٢
- ابن حنينة عبد الملك العبد الوادي ٣١٢
- ابن حوط الله : عبد الله : ٢٣٢
- ابن حيون أبو مروان ٧٣ «
- ابن الخبا ٢٩٥
- ابن الخطيب : محمد السلماني الملقب بلسان الدين : ٥ - ٢٩٢
- ابن خلدون عبد الرمان (المؤرخ) ٥
- ابن الخشاب ٢٠٨
- ابن ذي النون ١٤٦ - ١٥٦
- ابن راشد : احمد بن محمد ٧٦
- ابن الربيب أبو عبد الله (الكاتب) ٢٩٩
- ابن رحو ٣٩٤
- ابن ردمير انظر القونسو الاول ملك اراكون
- ابن الرند علي بن عبد العزيز المعروف بالطويل : ٢١٢

- ابن رشد ١٦٤
- ابن رشد أبو الوليد ٢٠٧
- ابن رشيد أبو علي الكاتب ٣٧٥
- ابن رشيق المويسي (المؤرخ صاحب ميزان العمل) : ١٨٠ - ٢٥٨
- ابن زريق ٢٦٢
- ابن زهر : أبوبكر : ٢٠٧
- ابن طفيل أبو بكر ١٩٤ - ٢٠٧
- ابن الكتاني محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي (صاحب المستفاد) ٢٧٠
- ابن الكلبي ١١٩
- ابن اللبانة : ١٥١
- ابن اللجي (شيخ الرعاة بطانجة) ٣١٢
- ابن الملقى عبد الله (شيخ الطلبة) ٢٦٨
- ابن مبارك محمد ٣٢٢
- ابن محفوظ شعيب ٢٧٦
- ابن محسود عبد الله ١١٦
- ابن محشرة ٢٠٦
- ابن المرحل مالك (الشاعر) ٣٠٨ - ٣٧٦
- ابن مردنيش محمد بن سعد ١٩٣ - ١٩٦ - ٢٠٩ - ٢١١
- ٢٦٦
- ابن مرزوق محمد بن أحمد (الخطيب) ٥
- ابن مزين ١١٥
- ابن مطروح (المؤرخ) ١٧٢ - ١٨٧ - ١٩٦ - ٢٠٩ - ٢١٥

- ابن الملجوم أبو القاسم ٦٧
- ابن منقذ (صاحب شاطبة) ١٥٦
- ابن منشأ ٢٣١
- ابن مضا أحمد القرطبي (القاضي) ٢٠٦ - ٢١٦ - ٢٦٨
- ابن معطى : أبو عبد الله ٢٦٩
- ابن معيشة : عبد الحق (قاضي فاس)
- ابن مسونة محمد (أبو القاسم) ٧٦ - ٧٧
- ابن النحوى : يوسف : ٣٣ - ٣٤
- ابن نعيم أبو محمد ٧٤
- ابن صاحب الصلاة (المؤرخ صاحب المن بالامامة) ١٨٠ - ١٨٤
- ١٩٦ - ٢٠٢
- ابن صمادح معز الدولة (صاحب المرية) ١٥٥ - ١٦٩
- ابن صناديد : أبو عبد الله ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧
- ابن الصقر أبو عبد الله : ٢٠٧
- ابن عائشة : داوود (القائد المرابط) : ١٤٢ - ١٤٦ - ١٤٧ -
- ١٤٨ - ١٥٦
- ابن عباد اسماعيل ١١٨
- ابن عبد الملك محمد (القاضي) ٣٧٥
- ابن عبد العزيز (صاحب مرسية) ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٦
- ابن عجاج علي : ٣٧١
- ابن العجوز عبد الرحيم ١١٨
- ابن عذارى : أحمد (المؤرخ) ٧
- ابن العربى : أبو بكر : ١٩٠

- ابن عطوش (والى ازمو) ٢٦٠-
- ابن عطية : أحمد (الكاتب الوزير) : ١٩٢ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦
- ٣٠٤ - ٣٠٥
- ابن عمران محمد (قاضي فاس) ٢٩٨
- ابن عياش : عبد الملك : ١٩٤ - ١٩٦ - ٢٠٤ - ٢٠٦
- ابن غالب (المؤرخ) ٤٢ - ٤٩
- ابن غالب علي ٢٧٠
- ابن غانية ١٩١
- ابن غانية علي المعروف بالمبورقي ٢٦٩
- ابن غانية يحيى ٢٦٣
- ابن الغليظ محمد (الطبيب) ٣٧٦ - ٣٩٦
- ابن الغليظ علي بن محمد (الطبيب الوزير) ٣٩٦
- ابن فرحون ١٨٩
- ابن الفياض (المؤرخ) ٩٤ - ١١٥
- ابن القزاز علي بن أحمد (قاضي فاس) ٢٩٨
- ابن القطان علي ٣٢٢
- ابن قشوش محمد بن علي (عامل فاس) ٩٢ - ١٠١ - ١٠٣
- ابن قشوش علي ١١٥
- ابن القواق أحمد (الكاتب) ٣٩٦
- ابن السعدود عمر (الوزير) ٣٨١ - ٣٨٤
- ابن الشهيد ٢٣١
- ابن هارون (الحاج الفقيه) ٥٨
- ابن همشك ابراهيم : ١٩٦

- ابن هود : ٢٥١ - ٢٥٣ - ٢٧٥ - ٢٧٦
- ابن هود : المتوكل على الله : ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦
- ابن وانودين أبو علي ٢٨٣
- ابن الودون : عبد الله : ٢٨٧
- ابن الودون يوسف ٢٨٧
- ابن يبورك ٢٧٤
- أبو أمية الدلائى (قاضي فاس) ٤٣ - ٢٩٨
- أبو اسحاق (الأمير) ٤٠٦
- أبو بردعة النصراني انظر سانشو خيمينو
- ابوبكر ابن تافلوت ١٢٢
- أبو بكر ابن الجند ١٩٢ - ٢٠٧
- ابوبكر ابن حبيش الباجى ١٩٤
- أبو بكر ابن زهر ٢٠٧
- أبو بكر ابن طفيل ١٩٤ - ٢٠٧
- ابوبكر ابن الطيب (القاضي) ١٢٢
- ابوبكر ابن العربى ١٩٠
- ابوبكر بن عبد الحق المريتى ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٩ - ٢٧٧
- ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٩
- ٣٩٣
- ابوبكر بن علي بن يوسف بن تاشفين : ١٥٧ - ١٧٩
- أبو بكر بن عمر اللمتونى ١١٨ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٢ - ١٣٣
- ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٥٦
- ابوبكر بن يوسف بن تاشفين : ١٣٨ - ١٥٢

- أبوبكر بن يوسف بن عبد المومن بن علي : ٢٠٦ - ٢١٢
- أبو بكر المصديق : ٣٦٥
- أبو البهار بن زيري بن مناد : ١٠٢ - ١٠٣
- أبو بياش (بطوت المغراوي) : ١٠٢
- أبو ثابت بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب المريني انظر عامر ابن عبد الله المريني (السلطان)
- أبو جبل (بعلا الفاسي) ١٧٠
- أبو جعفر المزدغى (قاضي فاس) ٢٩٨
- أبو جعفر المنصور العباسي : ١٥ - ١٦
- أبو جهور (الشاعر) ١٥١
- أبو الجيوش عساكر ٢٣٦
- أبو حاتم العزفي ٣٣١
- أبو حامد ابن البقال (قاضي فاس) ٣٧٥ - ٤٠٨
- أبو الحجاج ابن قاسم ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩
- أبو الحكم ابن بطل : ١٩٥
- أبو الحكم هرمس ١٩٤
- أبو الحسن ابن أبي العافية : ٢٩٢
- أبو الحسن ابن عطية ٧١
- أبو الحسن المريني انظر علي بن عثمان المريني
- أبو الحسن الصغير ٣٩٤
- أبو الحسن القابسي ١٢٢
- أبو خزر : يخلف الأوربي : ٢٩٨ - ٢٧١
- أبو الخليل بن عامر بن يحيى ٣٨٢

- أبو نذر الخشنى ٧٥
- أبو ديبوس الموحد : انظر ادريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن
ابن علي الآخر خلفاء الموحدين...
- أبو الربيع التلمساني : ٢٧١
- أبو زيان بن محمد بن عثمان بن يغمراسن بن زيان العبد الموالدى
٣٨٧ - ٣٩٠
- أبو زيان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ٣١٣ - ٣١٤ - ٣٢٨
٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٦٨ - ٣٧٣ - ٣٧٧ - ٣٨٥
- أبو زيان محمد بن عبد القوي التجيني (أمير تجين) : ٣١١-٤٠٥
- أبو زيد ابن يكيث ١٩٥
- أبو طالب مكي (صاحب السوق بقرطبة) ١٦٨
- أبو الطيب سعد الكنانى (الكاتب) ٢٩٩
- أبو الليث الصفار ٢٢٩
- أبو محمد ابن زيدان ٦٢
- أبو محمد ابن حامد (الفقيه) ١٣٧
- أبو محمد التادلى (قاضى فاس) ٦٧
- أبو محمد عبد الحق ١٩٤
- أبو محمد عبد الغفار (خطيب مسجد القرويين) ٧٥
- أبو محمد القضاءى ٧٤ - ٧٥
- أبو مدين (شعيب بن الحسين الانصارى) ٢٧٠
- أبو مروان ابن حيون ٧٣
- أبو مروان الونجاسى : ٤٠٣
- أبو مزكيدة (الثائر) ١٩١

- أبو معرف المريني انظر محمد بن عبد الحق المريني
- أبو موسا بن يعقوب المصور الموحد : ٢٧٥
- أبو عامر ابن الجذ ١١٩٥
- أبو عامر بن يوسف بن يعقوب المريني : انظر عبد الله بن يوسف المريني (الامير)
- أبو العباس (أمير موحد) : ٢٩٣
- أبو العباس الحميشي (الشاعر) ٣٧٦
- أبو العباس الفشتالي ٣٧٦
- أبو عبد الرحمان (الأمير المريني) ٣٨٧
- أبو عبد الرحمان المغيلي (قاضي فاس) ٢٩٤ - ٢٩٥
- أبو عبد الله ابن تاحميس ٢٧٢
- أبو عبد الله ابن الريب (الكاتب) ٢٩٩
- أبو عبد الله ابن معطي ٢٦٦
- أبو عبد الله ابن صناديد ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧
- أبو عبد الله بن أبي بكر بن علي ٣٩٦
- أبو عبد الله التاودي ٢٦٦
- أبو عبد الله الدقاق ٢٧٠
- أبو عبد الله المغيلي ٣٤
- أبو عبد الله العمراني (الكاتب) ٢٩٩
- أبو عبد الله الشريف (قاضي مراکش) ٢٩٨
- أبو عبيدة : ١١٩
- أبو عثمان بن يخلف (صاحب محمد بن تومرت) ١٧٦
- أبو عثمان الوريكلي ٢٩٧

- أبو عطية بن يعقوب بن عبد الحق المريني ٣٧٦
- أبو العلاء بن طلحة : ٤٠٢
- أبو علي ابن أبي الحسن (الفقيه) ٦١
- أبو علي ابن أبي منديل العسكري (الوزير) : ٢٩٨
- أبو علي ابن وانودين ٢٨٢
- أبو علي ابن رشيد (الكاتب) ٣٧٥
- أبو علي بن رشيق المويسي (المؤرخ صاحب ميزان العمل) ١٨٠
- أبو علي الملباني ٢٧٨ - ٣٠٨
- أبو علي بن عامر بن عبد الله بن يعقوب المريني ٣٩٠
- أبو علي بن يوسف ابن يزكان : ٣٤٣ - ٣٤٤
- أبو عمران (قاضي قاس) : ٦٨
- أبو عمران ابن عبد المؤمن بن علي : ٢٠٣
- أبو عمران التميمي ٣٠٨
- أبو عمران التسولي ٤٠١
- أبو عمران الزرهوني (القاضي) : ٣٩٦
- أبو عمران الفاسي ١١٨ - ١٢٢ - ١٢٣
- أبو عيسا الترمذي ٢٧٠
- أبو العيش ابن القاسم الادريسي انظر احمد بن القاسم كنون الادريسي
- أبو غالب المغيلي (القاضي) ٦٨ - ٣٨٩ - ٣٩٤
- أبو الغمر ١٨٨
- أبو فارس الكناسي : انظر عبد العزيز الملزوزي
- أبو فارس العمراني (قاضي مراکش) : ٢٩٨ - ٣٧٥

- أبو الفتح التوسلي (قائد موسى ابن أبي العافية) ٨٤
- أبو الفضل ابن طاهر ابن محشرة (الكاتب) ٢٠٦
- أبو القاسم ابن تسميت (من اهل اغمات) ٢٠٥
- أبو القاسم ابن الحاج : ١٩٢
- أبو القاسم ابن حمدين (قاضي قرطبة) : ١٦٤
- أبو القاسم ابن الملجوم (ابن رقية) ٦٧
- أبو القاسم (محمد) ابن مسوثة ٧٦ - ٧٧
- أبو القاسم ابن حميد ٦٨
- أبو القاسم العزفي : ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٥
- أبو القاسم الشيعي ٨٦
- أبو قرن (خادم علي ابن حرزهم) ٢٦٥
- أبو سالم ابن يوسف المريني ٢٩٠
- أبو سمير ٣٤٤
- أبو سعيد (السلطان) : انظر عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني
- أبو سعيد ابن اسماعيل ابن الأحمر : ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٨ - ٤١٠
- أبو سعيد ابن جامع (حاجب الخليفة الموحد محمد الناصر)
٢٣١ - ٢٣٦ - ٢٣٨ - ٢٣٩
- أبو شامة الجباس ٧٧
- أبو شعيب (أيوب بن سعيد الصنهاجي دفين ازمور) : ٢٦٥
- أبو يحيى ابن أبي حفص : ٢٢٦ - ٢٢٧
- أبو يحيى ابن أيوب (أبي الصبر) : ٣٨٣ - ٣٨٥
- أبو يحيى ابن قاشفين (صاحب قرطبة) ١٦٣
- أبو يحيى ابن يكيث (صاحب محمد بن تومرت) ١٧٦

- أبو يحيى ابن يعقوب : ٢٨٥ - ٢٨٦
- أبو يحيى العقاد : ٦٢
- أبو يحيى القطرائى (عامل سجنماسة) ٢٩٦ - ٢٩٧
- أبو يعزى اليزميرى (مولاي بوعزة) ٢٦٧ - ٢٧١
- أبو يعقوب الأشقر (مولاي يعقوب) ٣٩٨ - ٤٠٨
- أبو يوسف ججاج (القاضى) : ٢٦٧
- الأثير بن فطر بن يتلوتان اللمتونى : ١٢١
- أحمد بن أبى بكر الزناتى (عامل قاس) : ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٨٥
- ٨٦ - ٨٨ - ٩٠ - ٩١
- أحمد ابن أبى زرع ٥ - ٦ - ٧٦
- أحمد ابن الجبر ٢٨٣
- أحمد بن محمد ابن راشد ٧٦
- أحمد ابن مضا القرطبى (القاضى) ٢٠٦ - ٢١٦
- أحمد ابن عطية (أبو جعفر) ١٩٢ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦
- ٣٠٤ - ٣٠٥
- أحمد ابن القواق (الكتاب) ٣٩٦
- أحمد بن أبى مرزوق المعروف بابن أبى عمارة ٤٠٦ - ٤٠٧
- أحمد بن ادريس بن ادريس الحسنى ٥١
- أحمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس الحسنى ٨٢
- أحمد (أبو العيش) بن القاسم (كنون) بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس الحسنى ٨٧ - ٨٨ - ٨٩
- أحمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومى ٢٠٦
- أحمد الجيائى (العريف) ٧٧

- أحمد المقندر (صاحب سرقسطة) : ١٦٨
- أحمد المقرئ (صاحب نفح الطيب) ٥
- أحمد الفاضل الإدريسي الحسني أنظر أحمد (أبو العيش) بن القاسم (كنون) الإدريسي الحسني
- أحمد الملياني ٣٨٥
- إدريس ابن أبي قريش (عامل فاس والغرب) : ٤١ - ٣٠٣
- إدريس ابن جامع (وزير عبد المومن) ٢٠٥ - ٢٠٦
- إدريس بن إدريس بن عبد الله الحسني : ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨
- ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤٢
- ٤٤ - ٤٦ - ٤٩ - ٥٠ - ٥٤ - ٥٧
- إدريس بن إدريس الثاني بن إدريس بن عبد الله الكامل الحسني ٥١
- إدريس بن محمد بن عمر بن عبد المومن بن علي الكومي (أبو دبوس الآخر خلفاء الموحدين) ٤٠٢
- إدريس بن عبد الله الكامل الحسني : ١٣ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨
- ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٩٢ - ٩٤
- إدريس بن عمر بن إدريس الثاني الحسني : ٥٢ - ٨١
- إدريس (المامون) بن يعقوب (المنصور) بن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي (ال خليفة الموحدين) ٢١٦ - ٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٤٦
- ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥١ - ٢٥٤ - ٢٧٤ - ٣٧٥
- إدريس بن عبد الحق المريني ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٧٧ -
- ٢٨٦ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦
- إدريس بن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي : ٢٠٦
- الأزدي : عمير بن مصعب : ٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١
- أكلثوم الأحول (قائد مرابطي) : ١٧٧

- البار رودريكيز (الأقرع النصراني) : ١٩٦
- البار فانييث ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٦٢
- الفونسو الأول ملك أراكون (ابن رذمير) ١٤٥ - ١٤٧ - ١٦٢
- ١٦٣
- الفونسو الثامن ملك قشتالية ٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٢ - ٢٢٨
- ٢٢٩ - ٢٣٣ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٣٥٥
- الفونسو الثاني ملك البرتغال : ٢٤٣ - ٢٧٣
- الفونسو العاشر : ٣٠٩ - ٣١٦ - ٣٢٣ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩
- ٣٣٠ - ٣٣٤ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٤٠٥ - ٤٠٦
- الفونسو السابع ملك قشتالية (السلطان) ١٩٣
- الفونسو السادس (ملك قشتالية) : ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦
- ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٥
- ١٦٠ - ١٦٨
- أمة الله بنت أبي اسحاق بن عبد المومن (أم الخليفة محمد
الناصر) ٢٣١
- أم البنين فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني : ٥٥
- أم العز بنت محمد بن حازم العلوي والمدة السلطان يوسف بن
يعقوب المريني : ٣٤٠ - ٣٧٤ - ٤٠٧
- أم اليمن بنت علي البطوي الزناتي أم السلطان يعقوب المريني ٢٩٧
- أفريقيش الحميري ١١٩
- الأقرع النصراني انظر البار رودريكيز
- اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ١٩
- اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين : ١٨٩
- اسحاق بن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي : ٢٠٦

- اسماعيل ابن عباد : ١١٨
- اسماعيل بن عبد المومن بن علي الكومي : ٢٠٣
- الأوربي : اسحاق بن محمد بن عبد الحميد : ١٩
- الأوربي : داوود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر : ٢٦
- الأوربي : يخلق بن خزر (أبو خزر) ٢٦٨ - ٢٧٥
- أيوب بن سعيد الصنهاجي : انظر أبو شعيب الصنهاجي دفين زمر

- ب -

- الباجي : أبو الوليد ١٧١
- باديس بن منصور بن بلكين : ١٠٧
- بتس دي لأكروا : ٨
- بر بن قيس عيلان : ٢٧٩ - ٢٨٠
- البرمكي : يحيى بن خالد : ٢١ - ٢٢
- البرنسي (المؤرخ) : ٢٤ - ٢٨ - ٣٨ - ٥٠ - ٦٦ - ١٨٠ - ١٨٨
- ١٩٨
- البرهانس انظر الفار قانيث
- بزو بنت عثمان بن محمد بن عبد الحق الميرني ٣٨٩
- بطي بن اسماعيل (قائد مرابطي) ١٥٤
- البطيوي عبد الرزاق : ٣٥٠
- بكار ابن ابراهيم (عامل فاس) ١٣٦
- البكري : أبو عبيد ٢٤ - ٢٨
- بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي : ٩٦ - ٩٣ - ١٠١

- البهاء بنت دهمان : ٢٧٩
- بهلول بن عبد الواحد المدغري : ٢٦ - ٢٧
- البياسي : انظر عبد الله بن محمد بن ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي

- ت -

- تاليت عمة حاميم المتنبي الغماري ٩٩
- تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب المريني ٣١٤ - ٤٠٦
- تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتونسي ١٥٧ - ١٦٤
- ١٦٥ - ١٦٦ - ١٨٨
- تاشفين بن يعقوب الوطاسي : ٣٩٣
- تجليدين الهسكوري ٢٢٥
- التجيني : أبو زيان محمد بن عبد القوي (أمير تجين) : ٣١٠-٣١١
- تكاتيون بنت مناد أم المعز بن زيري بن عطية المقرأوي ١٠٨
- تماضر بنت قيس عيلان : ٢٨٠
- تميم بن الأثير اللمتونسي ١٢١
- تميم بن بلكين (صاحب مالقة) ١٥٤
- تميم بن زيري بن يعلا اليفرنى الزناتى ١٠٩ - ١١٠
- تميم بن معنصر ١١٣ - ١١٤ - ١٤٠
- تميم بن يوسف بن تاشفين : ١٣٨ - ١٤٢ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠
- ١٦٣ - ١٦٤
- تميم الصنهاجي صاحب المهدية ١٤٩
- التميمي : أبو عمران : ٣٠٨

- ث -

- ثعلبة بن محارب بن عبد الله : ٧٩

- ج -

- جرمون بن رياح : ٢٧٥ - ٢٢٦

- الجزنائي علي ٥ - ٦

- جزماع (قائد الاسطول القشتيلي) ٤٠٠

- جعفر بن ادريس بن ادريس الحسني : ٥١

- جورجى الانطاكي ١٩٧

- جوهر الرومى : ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ١٠٠

- ح -

- الحاج التاهرتي ٤٠٢

- الحاج الكافر انظر علي بن غازى بن محمد ابن عانية

- الحاج الكافي انظر علي بن غازى بن محمد ابن عانية

- الحاج المسعود (عامل مراكش) ٣٧٠

- حامد بن حمدان الهمداني ٥٥ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥

- حاميم المتنبي الغماري : ٩٨

- حباب أم الخليفة الموحد عبد الواحد الرشيد ٢٥٤

- حجاج بن يوسف القاضي : ٢٠٣ - ٢٠٥ - ٢٠٦
- الحدودى : انظر محمد الحدودى وعلي الحدودى
- الحكم بن هشام المروانى : ٤٧
- الحكم المستنصر المروانى : ٩١ - ٩٣ - ١٠١
- حمامة بن المعز بن عطية المغراوي : ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠
- حمزة بن ادريس بن ادريس الخسنى : ٥٥
- حميد بن يصيلتين الكتامى : ٨٤ - ٨٥
- حنة اليهودية : ٧٧
- الحسن بن ابي العيش بن عيسا بن ادريس بن سليمان بن عبد الله الكامل ٨٤
- الحسن بن معاوية : ١٦
- الحسن بن عبد المؤمن بن علي الكومى ٢٠٣ - ٢٦٧
- الحسن بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى ١٦
- الحسن بن علي الصنهاجى : ١٩٧ - ١٩٨
- الحسن بن القاسم (كنون) بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى ٨٩ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥
- الحسن بن قاسم اللواتى (عامل قاس) : ٨٥ - ٨٦ - ٨٧
- الحسين بن عبد المؤمن بن علي : ٢٠٣
- الحسن الحجاج بن محمد بن قاسم بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٨١ - ٨٢ - ٨٣
- حسن حسنى عبد الوهاب الصمادى ٤٠٣ - ٤٠٤
- الحيونى (القاضى) : ٦٧

- خ -

- خالد بن الوليد ١٩٠
- خوسي دي سانطو انطونيو : ٨

- د -

- داوود بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥١
- داوود ابن عائشة (المقائد المرباط) : ١٤٢ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨
١٥٦
- داوود بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٣
- داوود بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب الميرني : ٣٨٢
- دراس بن اسماعيل : ٣٧ - ١٠١
- دوتاس بن حمامة بن المعز بن عطية المقراني : ٤١ - ٤٣ - ١١٠
١١١ - ١١٧
- دون فونيو دي لارا ٣١٦ - ٣١٨ - ٤٠٥

- ذ -

- ذننه : انظر دون فونيو دي لارا

- ر -

- راشد مولا ادريس بن عبد الله الكامل الحسنى ١٧ - ١٨
- ١٩ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٨
- رباب زوجة عمر بن ادريس بن ادريس الحسنى ٥٢ - ٥٣
- رباح بن عثمان المرى (عامل المدينة المنورة) ١٦
- ربيع بن سليمان ٧٩
- رذمير : ١٦١
- الرنداحى (قائد الأسطول) ٤٠٦
- رقية بنت اسماعيل بن عمير الأزدي ٥٢
- رقية بنت يوسف بن تاشفين ١٣٨
- الرشيد (ال خليفة الموحد) انظر عبد الواحد
- روجار الثانى (ملك صقلية) ١٩٧
- ربحان المكناسى (عامل فاس) ٨١ - ٨٢

- ز -

- زانات بن جانا ٢٧٩
- الزبير بن بكار ١١٩
- زكرياء بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومى ٢١٨
- الزند غرسية ٣٥٨
- زيانة أم السلطان سليمان المرىنى ٣٩٢
- زيرى بن عطية المغراوى ٥٠ - ٩٢ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣
- ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١١٦
- زينب بنت اسحاق الهوارى : ١٣٤ - ١٣٨

- زينب بنت القاسم الجعدي : ٥٢ -

- ط -

- طلحة بن محلي ٤٠٧

- طلحة بن علي (الحاج) : ٣٥٦

- طلحة بن علي البطيوي (هل هو المتقدم ؟) (٣٢١ - ٣٧٧ - ٣٧٨
٤٠٣

- طوال بن أبي يزيد (عامل فاس) ٨٤

- طورنبرك ٨

- ك -

- كانون بن جرمون السفيناني ٢٥٤

- الكفاني أبو الطيب سعد ٢٩٩

- الكفاني : محمد (الكاتب) : ٢٩٩ - ٣٨٥

- كندوز بن عثمان (خليفة السلطان بمراكش) ٤٤٠

- كنزة زوجة ادريس بن عبد الله الكامل ٢٥ - ٥١

- كوتة بنت يوسف بن تاشفين : ١٣٨

- كوندى : ٨

- ق -

- كتون : انظر القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسني

- ل -

- لقمان المغراوي ١٠١
- لقوط بن يوسف بن علي المغراوي ١٢٩
- لويس التاسع ملك فرنسا ٤٠٣ - ٤٠٤
- ليفي بروفانصال ٧

- م -

- مادغيس الأيتز ٢٨٠
- مالك ابن المرحل السبتي (الشاعر) ٣٠٨ - ٣٧٦
- مالك بن أنس (الامام) ٢٩
- المامون ابن المعتمد ابن عباد ١٥٤
- المامون الموحّد انظر ادريس بن يعقوب (المنصور) بن يوسف ابن عبد المؤمن بن علي الكومي (الخليفة الموحّد)
- المتنبي ٣٨١
- المتوكل العباسي ٣٨٢
- مجارب ابن عبود الأزدي ٧٩
- محمد ابن أبي زلفي ١٥٨ - ١٧٠
- محمد ابن أبي مدين (الكاتب) ٣٧٥
- محمد (المنصور) ابن أبي عامر ٥٨ - ٩٤ - ١٠٢ - ١٠٣

- محمد ابن أبى عمران (قاضي فاس) : ٢٩٨
- محمد ابن أبى القاسم الرجراجى (قائد البحر) ٣٧٣
- محمد ابن أبى شعيب (قاضي فاس) : ١١٧
- محمد بن يوسف ابن الأحمر : ٢٧٥
- محمد ابن أصيب المعروف بابن مناصف ١٦٨
- محمد ابن نيفاوت (نارشنا) الملمتوني : ١٢١ - ١٢٢
- محمد ابن الحاج ١٦٠ - ١٦١
- محمد ابن داوود (قاضي فاس) ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣
- ٦٧
- محمد ابن الطلاع ١٦٩
- محمد ابن مزدلى ١٦٢
- محمد (أبو القاسم) ابن مسونة ٧٦ - ٧٧
- محمد ابن المولى ٣٧
- محمد ابن عائشة (قائد مرابط) ١٥٥ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٩
- محمد ابن عباد (القاضي المعتضد) ١٦٧
- محمد ابن عبد الملك (قاضي مراكش) ٣٧٥
- محمد ابن عطا الجاناتى (الوزير) : ٣٤٢ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٦
- محمد ابن عمران (الوزير) ٣٤٢
- محمد ابن الغليظ الاشيبلى (الطبيب) ٣٧٦
- محمد ابن فاطمة (قائد مرابط) ١٦٢
- محمد بن ابراهيم بن القاسم بن انريس الحسنى ٨٤
- محمد بن ابراهيم المهدي ٢٧٠
- محمد بن أحمد الخولانى (العريف) ٦٣

- محمد بن سعد ابن مردئيش : ٢١١
- محمد ابن فرج : ١٦٩
- محمد بن علي ابن قشوش (عامل فاس) : ٩٢ - ١٠١
- محمد بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥١ - ٥٢
- محمد بن ادريس بن عبد المحق المريشى : ٣٠٨ - ٣٧٧ - ٤٠٤
- محمد بن ابى اسحاق : ٢١٢
- محمد بن ايوب (ابى الصببر) : ٥٧ - ٦٥ - ٦٧ - ٧١ - ٧٦
- ٣٧٥ - ٤٠٨ - ٤٠٩
- محمد بن تميم الجدالى : ١٣٨
- محمد بن تومرت (مهدي الموحدين) : ١٦٧ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٧
- ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٤ - ١٨٥
- محمد بن ثعلبة بن محارب بن عبيد الازدى : ٨٤
- محمد بن حسن بن زيادة الله المزينى (خطيب لمسجد القرويين) : ٧٢
- محمد بن الحسن بن احمد بن يعقوب الهمدانى : ١١٩
- محمد بن خزر بن صولات المغراوي : ٢١
- محمد بن الخير بن محمد اليفرنى (عامل فاس) : ٨٨
- محمد بن زيادة الله المزينى : ٧٦
- محمد بن الطيب العلمى : ٥
- محمد (ابو القاسم) بن محمد بن يوسف المزدغى : ٧٥ - ٧٦
- محمد بن متغفاد الغمارى : ٢٢٥
- محمد بن مقاتل العكى : ٢٧ - ٢٨
- محمد بن ميمون الهوارى (قاضى فاس) : ٧٢
- محمد بن عامر المكتاسى (عامل فاس) : ١٠١ - ١٠٢

- محمد بن عبد الرحمان بن اليكتم : ٩٧
- محمد بن عبد الرحمان الشلبى (خطيب مسجد القرويين) ٧٥
- محمد (التقس الزكية) بن عبد الله الكامل النحسى : ١٥
- محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى ابن أبى العافية : ٨٦
- محمد بن عبد الله بن هود (الثائر) ١٩٠
- محمد بن عبد المؤمن بن علي الكومى ١٩٤ - ١٩٥ - ٢٠٢
- محمد بن عبد القوي التجياني ٣١٠ - ٣١١
- محمد بن علي بن أبى بكر المليلو : ٣٩٦
- محمد بن عمر بن ادريس بن ادريس الحسنى ٥٢
- محمد (أبو الفضل) بن يحيى بن محمد المزدغى ٧٦
- محمد بن يوسف المزدغى ٧٥ - ٧٦
- محمد (الناصر) بن يعقوب (المنصور) بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومى (ال خليفة الموحد) ٤٠ - ٤٢ - ٤٧ - ٤٩ - ٧٣
- ٧٤ - ٧٦ - ٧٧ - ٩١ - ٢١٦ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣
- ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٣١ - ٢٤٢
- محمد بن الفتح الخارجي : ٩٠ - ٩١
- محمد بن القاسم : ٩١
- محمد بن يحيى المستنصر الحفصى ٢٥٦ - ٤٠٣
- محمد (أبومعرف) بن يعقوب بن عبد الحق المرينى : ٢٨٩ - ٢٩٠
- ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٥١ - ٣٧٧
- محمد بن يوسف (والى قرطبة) : ٢١٩
- محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومى : ٢٠٦
- محمد البورى (عامل تلمسان المرباط) ١٦٦

- محمد المغيلي (الكاتب - قاضي فاس) : ٣٧٥
- محمد العمراني (الكاتب) : ٣٧٥
- محمد السقطي (قاضي مراكش) : ٣٧٥
- مخيو ابن أبي حمامة : ٢٢٥
- مخلد بن كيداد (أبو يزيد) : ٨١ - ١٠٠
- مخلوف بن هنو الهسكوري : ٣٩١
- مدرك التلكاني : ١٣٨
- مدين بن موسى ابن أبي العافية : ٨٤ - ٨٥
- المرتضا الموحد انظر عمر
- مرزدغ الصنهاجي (الثائر) : ٢٠٩ - ٢٦٤
- مرقسيل (قائد الروم) : ٢٥٤
- مريم بنت محمد الفهري القروي (بانية مسجد الأندلس بفاس) : ٥٥
- مرين بن وزتاجن (جد بني مرين) : ٢٧٨
- مزبلي (قائد مرايطي) : ١٤٣ - ١٥٩ - ١٦٢ - ١٦٨
- المزدغي أبو جعفر (قاضي فاس) : ٢٩٨
- المزدغي : محمد بن يحيى بن محمد : ٧٦
- المزدغي : محمد بن يوسف
- المزدغي : يحيى (أبو الحسن) بن محمد : ٧٦
- المظفر انظر عبد الملك بن محمد بن أبي عامر (الحاجب المظفر)
- المكيدى (القاضي) : ٢٥٢
- الملوzy : انظر عبد العزيز الملوzy (الشاعر)
- الملك الأشرف : ٤٠٨
- الملند الرومي : ٤٠٦

- الميثاني أبو علي ٢٧٨
- الميثاني أحمد ٣٨٥
- منادر البربري ٨٨
- منديل الكناني (الكاتب) ٣٩٦
- منديل المغراوي ٢٢٥
- المنصور ابن أبي عامر انظر محمد ابن أبي عامر (المنصور)
- منصور ابن حنزون ٢٥٧
- منصور بن بلكين ١٠٢ - ١٠٣
- منصور بن عبد الواحد بن عبد الحق المريسي ٣٤٣ - ٣٤٨
- ٣٤٩ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٨١
- منهل بن موسى ابن أبي العافية ٨٢ - ٨٣
- مصالة بن خبوش ٨٠ - ٨١
- المعتمد ابن عباد ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧
- ١٤٨ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٧ - ١٦٩
- معد بن اسماعيل العبيدي ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ١٠١
- المعز بن عطية المغراوي : ١٠٣ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٦
- ١١٧ - ١١٨
- المعز بن يوسف بن تاشفين : ١٣٨ - ١٤٤
- معلا بن يعلا المغراوي : ١٤٣
- معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن عطية المغراوي ١١٢-١١٣
- معنصر بن المعز بن عطية المغراوي : ١٠٨ - ١١٧
- المغراوي محمد بن خزر بن صولات : ٢١
- المغيلي : أبو عبد الرحمان (قاضي فاس) : ٢٩٤ - ٢٩٥

- المغيلي : أبو عبد الله : ٣٤
- المغيلي على ٣٠٨
- المقرئ : أحمد ٥
- المستعين ابن هود : ١٤٤
- مسعود بن سلطان الرياحي (أبو مسعود) ٢١٢
- مسعود ابن وانودين المغراوي : ١٢٧ - ١٢٨
- مسعود بن كانون السفيناني ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٤ - ٣٣٧
- ٣٧٨ - ٤٠٥ - ٤٠٦
- مسعود بن يوسف بن يعقوب المريني ٤٠٣
- المهدي بن كلاو ابن توالي ١١٩
- مهدي بن عيسا (خطيب مسجد القرويين) ٦٢ - ٧١
- المهدي بن يوسف الجزنائي (صاحب مكناسة) ١٤٠
- مهلهل بن يحيى الخلطي ٣٤٥
- موسى ابن أبي العافية ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥
- ٨٦ - ٨٧ - ٩٨ - ١٠٠
- موسى بن تمارا (صاحب محمد بن تومرت) : ١٧٦
- موسى بن حسن ابن أبي شامة (المهندس) ٦٤
- موسى بن رحو بن عبد الحق المريني : ٣٠٨ - ٤٠٤
- موسى بن عبد الله الكامل الحسني ١٥
- موسى بن عبد الله ابن سداب ٦٩ - ٧٠
- موسى بن عيسا بن عمران (قاضي يعقوب المنصور) ٢١٦
- موسى بن سعيد (قائد موحد) ١٨٩
- موسى بن سهل ؟ (قاضي عبد المؤمن) ٢٠٥

- موسى بن يحيى الصديقي ١١٦
- موسى بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٦
- موسى المعلم (خطيب مسجد القرويين) ٧٢ - ٧٣ - ٧٥
- ميمون بن علي ابن حمدون : ١٩٣
- ميمون الهواري (كاتب عبد المؤمن) ٢٠٥
- ميسور الفقا (قائد أبي القاسم الشيعي) : ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٩٩
- الميورقي علي ابن غانية : ٢٦٩
- الميورقي : يحيى بن اسحاق بن محمد ابن غانية : ٢١٨ - ٢١٩

- ن -

- الناصر الموحد انظر محمد الناصر ابن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (ال خليفة)
- نزار بن معد الفاطمي : ٩٣

- ص -

- صالح ابن حجاج (الكاتب) ٣٩٦
- صالح بن طريف البرغواطي ١٣٠٠
- صالح بن عبد الحليم ٥
- صالح بن عمران (قائد مرابط) : ١٤٢ - ١٤٣
- الصخراوي (المرباط) ١٩١
- صخر بن مسعود البناي : ٦٢ - ٦٣

- الصديقي : موسى بن يحيى : ١١٦
- صفية أم أبي بكر بن عمر الطموني : ١٣٣
- صفية بنت محمد بن سعد ابن مردنيش (زوجة يوسف بن عبد المومن) ٢١٢ - ٢٤٩
- صفية بنت عبد المومن بن علي الكومي ٢٠٣
- صولات بن وزمار العفري : ٨٨

- ض -

- ضوء الصباح أم تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين : ١٦٥

- ع -

- عائشة بنت أبي عطية مهلهل بن يحيى الخطي أم السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني ٣٩٥
- عائشة بنت عبد المومن بن علي الكومي ٢٠٣
- عائشة بنت القاضي موسى التيملي (زوجة عبد المومن) ٢٠٥
- عائكة بنت علي بن عمر بن ادريس الحسني ٧٧ - ٧٨
- العادل الموحد انظر عبد الله بن يعقوب المنصور (السلطان)
- عامر ابن القاسم (قاضي فاس) ١١٥
- عامر بن ادريس بن عبد الحق المريني ٣٠٣ - ٤٠٢
- عامر بن محمد بن سعيد القيسي ٢٧ - ٣٢
- عامر بن عبد الله بن يوسف المريني (السلطان أبو ثابت) ٧٧

- ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٣٥٨ - ٢٧١ - ٣٨٢ - ٣٨٩ - ٤١١
- عامر بن يحيى : ٣٨١ - ٣٨٢ -
- عامر الزعيم ٢٢٦
- العاصمي عياد ٣٧١ - ٣٧٣ .
- عبد الحق ابن معيشة (قاضي فاس) ٦١٠ - ٦٢ - ٧١
- عبد الحق بن عبد الحق ٢٥١ - ٢٥٨ - ٢٥٩
- عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد. الحق المريضي : ٣٩٤
- عبد الحق الترجمان ٣٥٦ - ٣٦٠ - ٣٦١
- عبد الحق المريني ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٣٧٣
- عبد الرحمان ابن أبي سهل المجذامي ٧٧ - ٧٨
- عبد الرحمان ابن أفلح : ١٦٩
- عبد الرحمان ابن بركان ٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٤٨
- عبد الرحمان ابن الحرار (الكاتب) ٣٧٥
- عبد الرحمان بن الحكم ٩٦ - ١٢١
- عبد الرحمان ابن حميد ٧٢
- عبد الرحمان بن خلف الكناني القرطبي المعروف بالزيتوني : ١٧٠
- عبد الرحمان ابن النوج ١٧٠
- عبد الرحمان بن ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي
الكومي ٢٤٦
- عبد الرحمان بن محمد ابن أبي عامر ١١٦ - ١١٧
- عبد الرحمان بن عامر البجلي ٢١١
- عبد الرحمان بن عبد الكريم بن ثعلبة ١٠٣ - ١١٥
- عبد الرحمان بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٣

- عبد الرحمان بن قاسم الشعبي المالقي ١٦٩
- عبد الرحمان بن يعقوب الوطاسي : ٣٩٣ - ٣٩٤
- عبد الرحمان بن يوسف بن عبد المؤمن ٢٠٦
- عبد الرحمان الغرابلي ٣٦٤
- عبد الرحمان الناصر المرواني : ٥٥ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٨ - ١٠٠
- عبد الرحيم ابن العجوز ١١٧ - ١١٨
- عبد الرزاق البطيوي ٢٥٠
- عبد الرزاق الفهري الخارجي : ٧٨ - ٧٩
- عبد الكريم بن ثعلبة ٩٢ - ١٠١
- عبد الكريم بن عيسا ٣٨٥ - ٤١٠
- عبد الله ابن ابراهيم بن موسى ابن أبي العافية ٨٦
- عبد الله ابن أبي حفص ٢٠٠ - ٢٤٢
- عبد الله ابن أبي مدين العثماني (الكاتب) ٢٩٩ - ٣٧٥
- عبد الله ابن اشقيلولة ٤٠٥
- عبد الله ابن جبل (كاتب عبد المؤمن) ٢٠٥
- عبد الملك ابن حنينة العبد الوادي (عامل سجلماسة) ٣١٢
- عبد الله ابن حوط الله ٢٣٢
- عبد الله ابن المالقي (شيخ طلبة الحضر) ٢٦٨
- عبد الله ابن محسود الهواري ١١٧
- عبد الله ابن الودون : ٢٨٧
- عبد الله بن أبي عبيد محمد بن مقلد بن اليسع بن صالح بن
طريف : ١٣٢
- عبد الله بن ادريس بن ادريس الحسيني : ٥١

- عبد الله بن بكر (صاحب جيان) ١٥٦
- عبد الله (عبود) بن ثعلبة بن محارب الأزدي : ٧٩ - ٨٤
- عبد الله بن حسن الجوهري ١٧٠
- عبد الله بن مالك المالكي الأنصاري : ٢٧ - ٣٢
- عبد الله بن محمد ابن قاطمة : ١٦٠
- عبد الله (البياسي) بن محمد بن ادريس بن يوسف بن عبد المومن
ابن علي الكومي ٢٤٦ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥
- عبد الله بن مزديلي ١٦٢ - ١٦٣
- عبد الله بن موسى المعلم ٦٦ - ٧٣
- عبد الله بن ميمون القرطبي (القاضي) ٢٠٥
- عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم : ٧
- عبد الله بن عبد الرحمان ابن برجان ٢٤٨
- عبد الله بن عبد المومن ١٩٤ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٨ - ٢٠٩
- عبد الله بن علي الفارسي (خطيب مسجد القرويين) ٥٥
- عبد الله بن عمر بن ادريس الثاني ٥٢ - ٥٣
- عبد الله بن قاسم ازوار ٤١٢
- عبد الله بن سليمان ١٩٤
- عبد الله بن ياسين الجزولسي ١١٩ - ١٢٣ - ١٢٥ - ١٢٦
- ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣
- عبد الله بن يعقوب المريني ٣٠٣ - ٤٠٢
- عبد الله (العاذل) بن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المومن
ابن علي الكومي (الخليفة الموحد) ٤٩ - ٢١٦ - ٢٤٢ - ٢٤٤
- ٢٤٥ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٥٠ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٨٤
- عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني (أبو عامر)

٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٢ - ٤٠٨

- عبد الله بن يوسف بن عبد المؤمن : ٢٠٦
- عبد الله الأشقر بن محمد النفيس الزكية الحسنى ١٦
- عبد الله البجلي الرافضي ١٢٦
- عبد الله البشير (صاحب محمد بن تومرت) ١٧٦ - ١٧٧
- عبد الله الزرهوني (الحاجب) ٣٨٩
- عبد الله العباسي ١٣٨
- عبيد الله المعتزلي ١٣٠
- عبيد الله الشيعي ٥٥ - ٨٠ - ٨٥ - ١٢٩
- عبد الملك ابن بيضاء القيسي (قاضي فاس) ٦٢
- عبد الملك ابن عياش : ١٩٤ - ٢٠٤ - ٢٠٦
- عبد الملك بن محمد ابن أبي عامر (الحاجب المظفر) ٥٨ - ٩٤
- ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١١٦
- عبد الملك بن قاسم القرطبي ٢٠٧
- عبد الله الفشتالي ٢٦٣ - ٢٩٦
- عبد الملك الوراق ٤٢ - ٥٠
- عبد المهيمن الحضرمي ٣٩٦
- عبد المؤمن بن علي الكومي (أول خلفاء الموحدين) ٤٠ - ٤٢
- ١٨٤ - ١٦٥ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٦ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٤
- ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٩ - ١٩١ - ١٩٣ - ١٩٥ - ١٩٩
- ٢٠٠ - ٢٠٤
- عبد المؤمن بن يوسف بن يعقوب المريني : ٣٨٣ - ٤٠٩
- عبد العزيز المنزوي (الشاعر) ١١٩ - ٢٨٠ - ٢٨٢ - ٣٠٠
- ٣٠٣ - ٣٠٨ - ٣٦٤ - ٣٧٦ - ٣٨٤ - ٣٨٥

- عبد العزيز (أخو المهدي بن هود) : ١٩٥ -
- عبد العزيز بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٦ -
- عبد العزيز العمراوي (أبو فارس - قاضي مراكش) : ٢٩٨ - ٣٧٥ -
- عبد السلام بن محمد الكومي (وزير عبد المؤمن بن علي) : ٢٩٦ - ٢٠٥ - ٢٠٠ -
- عبد الواحد بن أبي بكر ابن أبي حفص : ٢٣٣ -
- عبد الواحد (الرشيد) بن إدريس (المامون) بن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (الخليفة الموحد) : ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٧٦ - ٢٧٧ -
- عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق المريني : ٢٠٦ - ٢٤٣ - ٣٠٧ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ -
- عبد الواحد (المخلوع) بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (الخليفة الموحد) : ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٨ - ٢٧١ -
- عبد الواحد الحضري : ١٧٦ -
- عبد الواحد السكسيوي : ٤٠٦ -
- عتيق (حاجب يعقوب المريني) : ٢٩٩ - ٣٧٥ -
- عثمان بن عبد الحق المريني : ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ -
- عثمان بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٦ - ١٩٨ - ٢٠٢ - ٢٠٩ -
- عثمان بن علي بن إدريس المريني : ٣٨٩ - ٣٩٢ - ٣٩٣ -
- عثمان بن عفان : ٢٥٠ - ٣٦٥ -
- عثمان بن عيسا اليرنياني : ٣٩٤ -
- عثمان بن يعقوب المريني (السلطان أبو سعيد) : ٣٩٩ - ٤٠٠ -
- عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (السلطان أبو سعيد) -

- ٨ - ١٢ - ١٢٨ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٤١١ - ٤١٤ -
- عثمان بن يغمراسن بن زيان : ٣٧٩ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ -
- عثمان السلاجي ٢٦٦ -
- عجاج الاستنجي ٣٤٧ -
- عجيسة بن دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي ٤٢
٤٣ - ١١١ - ١١٢ -
- عدى بن همو الهسكوري ٣٩٩ -
- العزفي : أبو القاسم : ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ -
- عطية ابن عطية ٢٠٤ -
- العكي : محمد بن مقاتل ٢٧ - ٢٨ -
- العلمي محمد بن الطيب ٥ -
- علون ٣٩ -
- علي والد عبد المومن ١٨٣ -
- علي ابن جندار ٣٥٠ -
- علي ابن الحاج ٧٥ -
- علي ابن الحاج (المهندس) ٤٠٦ -
- علي ابن حرزهم ٢٦٥ - ٢٧٠ - ٢٧١ -
- علي ابن حزم ١١٦ -
- علي ابن حمد ٧٦ -
- علي ابن عجاج : ٣٧١ -
- علي ابن غانية المعروف بالميورقي ٢٦٩ -
- علي ابن القزاز (قاضي قاس) ٢٩٨ -
- علي بن أبي بكر الليلي (قاضي تلمسان) ٣٧٦ -

- علي بن أبي زريعة : ٢٨٥ - ٢٩٢
- علي بن أبي طالب : ٢١ - ٢٦
- علي بن إدريس بن إدريس الحسني ٥١
- علي (السعيد) بن إدريس بن يعقوب المنصور (ال خليفة الموحد)
٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٧٥ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٧
- علي بن حمود الحسني ٩٣ - ٩٤
- علي بن محمد النفس الزكية ١٦
- علي بن محمد بن إدريس بن إدريس الحسني (السلطان) ٥٣
- علي بن محمد بن يرون الأزدي ٦٠
- علي بن محمد الأزرق العطار ٦١
- علي بن محمد الحدودي (عامل فاس) ٦٦ - ٧٨
- علي بن محمد الصدفى (الخطيب) ٥٥
- علي بن محمد الفشتالى : ٣٨٥
- علي بن عبد المؤمن : ١٩٨ - ٢٠٣
- علي بن عثمان المرينى (السلطان أبو الحسن) ٣٩٩ - ٤١٢
- علي بن عمر (عامل سجلماسة) ٢٩٧
- علي بن عمر بن إدريس بن إدريس الحسني ٥٢ - ٧٨ - ٧٩
- علي بن عمر الأوسى (مشرف فاس) ٤٩
- علي بن عيسى بن ميمون اللامتونى ٢٦٢
- علي بن غازى بن محمد ابن غانية (الملقب بالحاج الكافر والحاج الكافي) ٢٣٢ - ٢٣٣
- علي بن سليمان الهاشمى : ١٧ - ١٨
- علي بن يحيى الهنتاتى : ٤١٠

- علي بن يوسف بن قاشفين اللمتوني (السلطان) ٥٩ - ١٥٦
- ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٤ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٧
- ١٧٨ - ١٧٩
- علي بن يوسف بن يزكاتن ٣٧٦ - ٣٨٠ - ٤٠٨
- علي المغيلي : ٣٠٨
- علي السجلماسي ٦٤
- عمار الكناسي (الطبيب) : ٣٧٦
- عمران بن يعقوب المنصور الموحد ٢٥٣
- العمراني : أبو عبد الله ٢٩٩
- عمر أصناك ١٧٦
- عمر بن إدريس بن إدريس الحسني ٥١ - ٥٢ - ٧٨
- عمر (المرتضى) بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي
- الكومي (ال خليفة الموحد) ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٩٥ - ٢٩٦
- ٢٩٧ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤
- عمر بن تفراكين (عامل مراكش) ١٩٥
- عمر بن الخطاب : ٥٩
- عمر بن رحو بن عبد الحق المزيني ٣٩٤
- عمير بن مصعب الأزدي : ٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١
- عمر بن موسى بن عمران الفودودي ٣٩٤ - ٣٩٦
- عمر بن عبد الله ابن أبي عامر (أبو الحكم) : ٩٤ - ١٠١
- عمر بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ١٩٤ - ٢٠٢ - ٢٠٥ - ٢١١
- عمر بن عبد الواحد بن عبد الحق المريني : ٣٥٤ - ٣٤٦
- عمر بن عثمان بن يوسف الهسكوري : ٣٧٧
- عمر بن عثمان (أبي سعيد) المريني : ٣٩٩ - ٤١١

- عمر بن علي (والى مالقة) ٣٢٩ - ٤٠٥
- عمر بن سليمان المسوقي : ١٤٨٠
- عمر بن يحيى (المستنصر الثاني الحفصي) ٤٠٧
- عمر بن يحيى الوطاسى (الوزير) ٣٨٠
- عمر بن السعود الحشمى (الوزير) ٣٧٥ - ٣٨١ - ٤٠٩-٣٨٤
- عمر بن يحيى الهنتاتى (أبو حفص أبتى جد الحفصيين سلاطين تونس) : ١٧٦ - ١٩٠ - ١٩٣ - ١٩٨ - ٢٠١
- عمر بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومى : ٢١٨-٢٠٦-٦١
- عنبر (حاجب يوسف المرينى) ٣٧٥
- عقبة بن نافع ١٢٥
- عسكلاجة (قائد زيري بن عطية المفاوى) ١٠٢
- عسكلاجة : انظر عمر بن عبد الله ابن أبى عامر
- عياد ابن أبى عياد العاضى : ٣٥٦ - ٣٤٢ - ٣٤٥ - ٣٧١-٣٧٣
- عياض (القاضى) ١٩١
- عيسا ابن عمران (قاضى الجماعة بمراتش) : ٢٠٦ - ٢٦٨
- عيسا بن ادريس بن ادريس الحسنى ٥١ - ٥٢
- عيسا بن قومرت (أخو محمد المهدى) ١٩٥
- عيسا بن موسى بن علي العباسى ١٦
- عيسا بن عبد الله الكامل ١٥
- عيسا بن عبد المؤمن بن علي الكومى : ٢٠٣
- عيسا بن عبد الواحد بن يعقوب المرينى : ٤٠٧
- عيسا بن سليمان : ١٤٢
- عيسا بن سعيد (عامل فاس) : ١٠٧

- غ -

- غالب (قائد الحكم المستنصر ومولاه) : ٩١ - ٩٢ - ٩٣
- غالب الشقوري (أبو محمد - الطبيب) : ٣٩٦
- الغزالي (أبو حامد) ١٧٢ - ١٨٠ - ١٩٠

- ف -

- فارس بن يغمراسن بن زيان العبد الوادي ٣٦٠
- فاطمة الزهراء بنت الرسول محمد عليه السلام : ٢١
- فاطمة أم البنين : ٥٤ - ٥٥
- فاطمة بنت سير (أم يوسف بن تاشفين) : ١٥٧
- فتح الله السدراتي (الوزير) ٢٩٨
- الفتوح بن دوناس المغراوي : ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ١١١ - ١١٢
- ١١٣
- فرانز فون دوعبي ٨
- فرج (الحاجب) ٣٨٩
- الفشتالي عبد الله ٢٩٣ - ٢٩٦
- الفيلاي الهاشمي ٩

- ق -

- القادر ابن ذى النون : ١٦٨ - ١٦٩
- قاسم بن ابي القاسم العزفي : ٣٤٥
- القاسم بن ادريس بن ادريس الحسيني ٥١ - ٥٢
- القاسم بن محمد ابن ابي العافية : ٨٦ - ١٤٠ - ١٦٧
- القاسم (كنون) بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسيني : ٨٧
- قاسم بن عامر الازدي : ١٠٣
- قراقوش الارمني : ٢١٩
- القطراني : ابو يحيى (عامل سبلماسة) : ٢٩٦ - ٢٩٧
- قمر أم علي بن يوسف بن تاشفين : ١٥٧
- القومس (قائد الفونسو السادس) : ١٥٥
- القويقي (مشرف فاس) : ٤٩
- قيس بن عيلان : ٣٧٩

- س -

- سانشو بن الفونسو العاشر : ١٦٠ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٥٦ - ٣٥٨
- ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٦ - ٣٧٩
- ٣٨٣ - ٤٠٨ - ٤٠٩
- سانشو خيمينو (ابو برذعة) : ٢١٢ - ٢٦٧
- سبع بن منغداد ٢١٠
- سر الحسن (زوجة يعقوب المنصور) ٢٤٥
- السكسيوى ٣٩١
- سكوت البرغواطى ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٦٨

- السلاجي عثمان ٢٦٦
- سلام (قاتل زيرى بن عطية) : ١٠٦١
- السلطين انظر الفونسو الهايع
- سليمان ابن الاحمر ٣٩٤
- سليمان بن جرير ٢٢ - ٢٣ - ٢٤
- سليمان بن مخلوف (صاحب محمد بن نومرت) ١٧٦
- سليمان بن عبد الله الكامل : ١٥ - ١٦
- سليمان بن عبد الله بن يوسف المرينى (السلطان ابو الربيع)
٣٨٢ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٤١١
- سليمان بن عبد المؤمن : ٢٠٣ - ٢١٨
- سعادة (عبد يوسف المرينى وقالته) ٣٨٨
- السعود بن خرباش الحشمى ٢٩٤
- سعيد بن ميمون الصنهاجى ١٩٤
١٥٤ - ١٥٥ - ١٦١ - ١٦٢
- سعيد حجى ٩
- سفيان الثورى ٢٩
- سيدراى بن وزير ٢١٦
- سير بن ابي بكر اللمتونى : ١٣٨ - ١٤٢ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٣
- سير بن علي بن يوسف بن قاشفين ١٥٧
- سوط النساء ٣٠٨

- شانجه انظر : سانشو.
- الشديد الرومي (القائد) ٢٩٤
- شمعون بن يعقوب ١٣٠
- شمس (ام ابي دبوس الآخر خلفاء الموحدين) ٢٥٩
- شعيب بن الحسين الأنصاري (أبو مدين دفين تلمسان) ٢٧٠
- شعيب بن محمد ابن ابي مدين : ٤٧
- شعيب الهسكوري ٢٥٤

- ه -

- الهادي (الخليفة العباسي) : ١٦ - ١٧ - ١٨
- هارون الرشيد : ١٥ - ٢١ - ٢٧ - ٢٨
- الهاشمي الفيلاي ٩
- هرقل ٢٣٥
- هشام بن عبد الملك بن مروان ١٣٠
- هشام المؤيد الجرواني : ٥٨ - ٩٣ - ٩٤ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٥
- الهواري محمد بن ميمون (قاضي فاس) ٧٢

- و -

- واجاج بن زلو اللمطي : ١٢٣
- واضح مولا صالح بن المنصور : ١٧ - ١٠٥
- واضح الفتا : ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨

- واسول بن ميمون بن مدرار الصفرى : ٩٠
- الوراق عبد الملك بن محمود : ٢٤ - ٢٧ - ٤٢ - ٥٠

- ي -

- يتلوتان بن تلاكاكين الملتونى الصنهاجى ١٢٠
- يحيى نجل الخلفاء الموحدين ٧٧
- يحيى بن ابراهيم الكدالى ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٦
- يحيى بن ادريس بن ادريس الحسنى ٥١
- يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس الحسنى ٨٠ - ٨١
- يحيى بن أبى بكر بن يوسف بن تاشفين (والى فاس) : ١٥٨-١٥٩
- يحيى بن أبى طالب العزفى ٣٩٩ - ٤٠٠
- يحيى بن أيوب (أبى الصبر) ٣٩٢
- يحيى بن حازم العلوى (الوزير) ٢٩٨
- يحيى بن خالد البرمكى : ٢١ - ٢٢
- يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٧٧ - ٧٨
- يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس الحسنى (السلطان) ٥٣
- ٥٤ - ٧٧
- يحيى (المعتصم) بن محمد (الناصر) بن يعقوب المنصور (ال خليفة الموحد) ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٥١ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٧٤
- يحيى (أبو الحسن) بن محمد المزدغى : ٧٦
- يحيى بن منبعل العسكرى (الوزير) ٣٧٣
- يحيى بن عبد الله الكامل : ١٥

- يحيى بن عبد المؤمن بن علي الكومي ٢٠٣ - ٢٠٩ - ٢١٠
- يحيى بن العزيز ابن حماد : ١٩٣ - ١٩٤
- يحيى بن علي ابن غانية : ١٩١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٦٣
- يخلف بن عمران القودودي : ٢٧٥
- يحيى بن عمر اللموني : ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨
- يحيى بن القاسم الإدريسي : ٧٩ - ٨٠
- يحيى بن سكوت البرغواطي (الحاجب ضياء الدولة) : ١٤٣
- يحيى بن يومر : ١٩٥
- يحيى بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٦
- يحيى الحفصي (الوائق بالله) ٤٠٥
- يخلف الأوربي (أبو خزر) : ٢٢٥ - ٢٦٨ - ٢٧٥
- يخلف بن الحسن : ١٩٤
- ينو بن يعلا بن محمد اليفرنى ٩٠ - ١٠٤ - ١١٥ - ١١٦
- يزيد بن المياس العبدري ٢٧
- يطوت المقرأوى ١٠٢
- يلنور (أبو يعزأ) بن ميمون الهزميري ٢٦٧ - ٢٧٥
- يصلتين (ويصلاصن أيضا) قريب المهدي بن تومرت : ١٩٤ - ١٩٥
- يعلا بن محمد اليفرنى : ٨٩ - ٩٠ - ١٠١ - ١٠٤
- يعلا بن يوسف : ١٤١
- يعقوب ابن ازناك : ٣٩٠ - ٣٩١
- يعقوب بن جابر العبد الوادى أمير سجلماسة : ٢٥٧ - ٣٠٩
- يعقوب بن عبد الحق المرينى : ١٣ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٧٦ - ٢٤٠
- ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٨٥ - ٢٨٧ - ٣٠٠ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٥ - ٣٠٦

٣٠٩ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣٢١ - ٣٢٥ -
 ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٤٠ - ٣٥٤ - ٣٥٧ - ٣٦٠ - ٣٦٥ -
 ٤٠٣ - ٣٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧

- يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المريني : ٢٩٦ - ٤٠٣

- يعقوب بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٣

- يعقوب (المنصور) بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي
 (ال خليفة الموحد) : ٤٧ - ١٣٩ - ٢٠٦ - ٦١٥ - ٢١٦ - ٢١٨ - ٢١٩
 ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٨ -
 ٢٣٠ - ٢٥٤ - ٢٨٨

- يعيش (عامل الخليفة محمد الناصر على بلاد الريف) : ٢٧١

- يعيش بن يعقوب المريني : ٣٩٨

- يغمراسن بن زيان (سلطان تلمسان) : ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٩٣ - ٢٩٥
 ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٣٠١ - ٣٠٥ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢
 ٣١٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٤٠٣

- يسكر الجورائي (أبو محمد) ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢
 ٧٣ - ٢٧١

- يوسف ابن حكم (القاضي) ٣٠٨

- يوسف ابن النحوي : ٣٣ - ٣٤

- يوسف ابن قيطون ٣٥٤ - ٣٧١

- يوسف ابن الودون ٢٨٧

- يوسف بن تاشفين : ٨٦ - ١١٣ - ١٢٨ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦
 ١٣٨ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥ - ١٤٧ - ١٥٠
 ١٥٤ - ١٥٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٧٠

- يوسف بن داوود ابن عائشة ١٥٥

- يوسف بن محمد : ٤١١
- يوسف بن محمد بن أبي عبيد (قائد مراكش) : ٣٩٠ - ٣٩١
- يوسف بن محمد بن علي القسطنطي ٧٥
- يوسف (المنتصر) بن محمد (الناصر) بن يعقوب (المنصور) : ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٧٣ - ٢٨٣
- يوسف بن عبد الحق (قاضي فاس) : ٦١
- يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (السلطان) : ١٨١ - ١٩٥
- ١٩٦ - ١٩٨ - ٢٠٢ - ٢٠٥ - ٢٠٨ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢٨٨
- يوسف بن عمران (قاضي فاس) ٦٧ - ٧٥
- يوسف بن عمر (المؤرخ) ٢٠٨
- يوسف بن عيسا الحشمي : ٣٩٠ - ٣٩٤ - ٣٩٦
- يوسف بن سليمان : ١٦٨
- يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني (السلطان) ٥٧ - ٦٦
- ٦٧ - ٦٩ - ٧٦ - ٧٧ - ٣٠٨ - ٣٥٥ - ٣٦١ - ٣٦٣ - ٣٦٦
- ٣٧٠ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٧ - ٣٧٩ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤
- ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٤٠٤ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩
- ٤١٠ - ٤١١
- يوسف (الشیطان) العبد الوادی (قاتل الخليفة الموحد علي السعيد) ٢٥٧

فهرس (١)

أسماء الاجناس والقبائل والبطون والجماعات

- أ -

- أثبج ٣٠٢ - ٣٤٣
- الادارسة : ٣٢
- الأزد : ٢٩ - ٤٦
- الافرنج ١٤٣
- أهل القيروان ٤٧
- أهل صفرو ١٦٧
- أوربة : ١٩ - ٢٠ - ٢٨ - ٤٦ - ٥٢ - ٢٠٩ - ٢١٣ - ٣١٤ - ٣٢٣
- اولاد ابي يحيى ٣١١
- أيلان انظر هيلانة

- ب -

- بنى أمية : ٨٨ - ١٠١
- بنى الاغلب : ٩٨

(١) حذفنا من هذا الفهرس بعض الاسماء التى تتكرر كثيراً مثل العرب والبربر والروم وبنى مريس

- بنى ايوب : ٢١٩
- بنى بلكين ٢٦٩
- بنى بهلول : ٢٧٧ - ٤٠٨
- بنى تغالفت : ٣٧٠
- بنى جابر : ٣٠٢ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٧١ - ٣٩١
- بنى جرمون : ٣٧١
- بنى حمامة : ٣٦٩
- بنى حسن : ٣٠٢ - ٣٧٨
- بنى حفص انظر الحفصيين
- بنى الخير : ٣١ - ٣٢ - ٣٧٠
- بنى بخير ١٢٠
- بنى راشد ٣١٠
- بنى رهينة : ١٤٢
- بنى زياد : ١٢٠
- بنى لماس : ١٢٠
- بنى مدرار ١٠٠
- بنى مراس ١٤١
- بنى مروان انظر المروانيين
- بنى مكود : ١٤٢
- بنى الملجوم ٣٠
- بنى ملولة ٣٩
- بنى منير : ١٢٠
- بنى موسا ١٢٠

- بنى صبيح : ٢٦٧
- بنى العاصم ٣٧١
- بنى العباس : ٩٨
- بنى عبد الوادى ٢٥٧ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢
- ٣٣٦ - ٣٧٩ - ٣٨٦
- بنى عبيد ٩٢
- بنى العزفى ٣٧٢
- بنى علي : ٣٧
- بنى عسكر ٢٨٦ - ٣٥٣ - ٣٧٠ - ٣٧٧ - ٣٨٥ - ٣٨٦
- بنى غانية ١٨٨
- بنى غفجوم : ٣٤٣
- بنى فشتال : ١٢٠
- بنى فودود : ٣٧٠
- بنى سعيد ٣٨٢
- بنى سيتان ٣٧٧
- بنى سوخم ٣٧٠
- بنى هود : ١٦٠
- بنى وارث : ١٢٠ - ١٢١ - ٣٧٠ - ٣٧٧
- بنى وراغ : ٣٧٠
- بنى ورتاج : ٣٧٠
- بنى وطاس ٣٧٠
- بنى يابان : ٣٧٠
- بنى يازغة : ٣٧٧

- بنى بحصب : ٢٩
- بنى يزغتن (بنى يازغة) : ٣١ - ٣٢
- بنى يفرن : ٢١ - ٣٢ - ٨٨ - ١٠٩ - ١١٣ - ١١٤ - ١٢٩ - ١٣٣
- ١٣٨ - ١٣٤
- البجلية : ١٢٩
- برغواطة : ١١٠ - ١١٩ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٣ - ١٩٠
- ٣٤٣ - ١٩١
- بطوية : ٢٨٩
- المباشكنس : ١٤٣
- بهلوله : ١٣٩ - ٢٨٩

- ت -

- تجين : ٣٣٦ - ٣٣٧
- تربعين : ٣٧٠
- تكلانة : ١٢٠
- التسلول : ٨٣ - ٢٨٦ - ٢٨٩
- تينمل (قبيلة) : ٢٠٢

- ج -

- جانانة : ٢٨٨ - ٢٨٩
- جراوة : ٤٦

- جزولة ١٣٣ - ١٣٩
- الجلالة : ١٤٣
- الجنويون : ٢٧٦
- جسم : ١٩٩ (٢٦٠ - ٣٠٢ - ٣٠٩

- ح -

- حاحة : ١٢٩ - ٣٩١
- الحمويون ٥٢
- الحفصيون ٢٥٠ - ٢٧١

- خ -

- الخلط ٢٤٨ - ٢٥٥ - ٢٧٤ - ٢٧٦ - ٣٠٢ - ٣٤٣ - ٣٤٥
- ٣٤٧ - ٣٥٣ - ٣٧١ - ٣٩١

- د -

- رجراجة (ركزاة) ١٧٨
- الروافض ١٢٩
- رياح : ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٣٩١ - ٤٠٣

- ز -

- زكارة : ٢٨٩

- زكنة (لعلها تكنة بالناء) ٣٩١

- زنسنة ٢٠ - ٢١ - ٢٨ - ٣١ - ٣٢ - ٤٦ - ٥٢ - ٨٨

٩١ - ١٠٢ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٤ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٧ - ٢٠٢

٢١٩ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٧٩ - ٣٠٩

- زواغة ٢٠ - ٣١ - ١٣٩

- زواوة ٢٠

- ز -

- زنامة ٨٩ - ٩٠ - ١٥٩

- ز -

- كدالة ١٢٠ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦

- كدميوة ١٧٨ - ١٨٣ - ٢٠١

- كننيسة ١٧٢ - ١٧٩

- ل -

- لماية : ٢٠ - ١٣٩
- لقتونة ٣٢ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٤
- ١٢٦ - ١٤٠ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥١ - ١٥٦ - ١٥٨ - ١٦٦
- ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٢
- لمطة ١٢٠
- لواقعة ٤٦ - ١٣٩

- م -

- مدالج ٢٩
- مديونة ١٣٩ - ٢٨٩
- المروانيين (بنى مروان) ٨٨ - ٨٩ - ٩١ - ١٠٣
- مكناسة ٢٠ - ٢٨٦
- المنبات : ٢٩٧ - ٣١٢
- مئذاسة ١٢٠
- المصامدة : ٤٢ - ١٣٣ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٧ - ١٧٧ - ١٧٨
- ٢١٣ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٣٠٩ - ٣١٤ - ٣٢٣
- مصمودة ٤٦
- المعقل ٢٤٩ - ٢٥٥
- مغراوة : ٢١ - ٣٢ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٣
- ١١٤ - ١٢٨ - ١٣٤ - ١٣٨ - ١٤٠
- مغيلة ٤٦ - ١٣٩
- مسراتة (قبيلة) ١٢٠

- مسوفة ١٢٠ - ١٢٦

- ص -

- الصدف ٢٩

- صدينة : ١٣٩

- صنهاجة ٢٠ - ٢٨ - ٤٦ - ٥٢ - ٨٩ - ١٠٥ - ١١٩ - ١٢١

١٢٥ - ١٣٣ - ١٤٨ - ١٥٨ - ٢٠٩ - ٣٠٦ - ٣١٤ - ٣٢٣

- صنهاجة مفتاح ٢٠٩

- الصفرية ٧٩

- ع -

- العاصم ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٩١

- العبيدين (بنى عبيد) ٨٨ - ٩١ - ١٠٣

- العلويين ٩٢

- غ -

- الغز (الأغزان) ١٣٩ - ٢١٣ - ٢٢٦ - ٢٤٠ - ٢٥٨ - ٣٠٢

٣٠٧ - ٣٠٩ - ٣٤٣ - ٣٥٣ - ٣٧٤ - ٣٩٣ - ٣٩٦

- غمارة ٢٠ - ٢٨ - ٥٢ - ١٠٥ - ١٤٧ - ٢٠٩ - ٢٢٦

٣١٤ - ٣٢٣

- غبائة ٢٠ - ١٤٢

- ف -

- الفرس ٤٥

- فندلاوة ٣٧٧

- فشالة ٢٨٩

- ق -

- قيس (العرب القيسية) ٢٩ - ٤٦

- س -

- سدرافة ٢٠ - ١٣٩ - ١٦٧ - ٢٨٩ - ٣٧٧

- سفيان : ٣٠٢ - ٣٣٠ - ٣٥٣ - ٣٥٥ - ٣٥٦

- ش -

- الشيعان (اشنيخان ؟) ٤٦

- الشيعة ٥٨

- ه -

- هبيرة ٣٧١
- هرغة ١٢ - ١٧٩
- هتناة ١٧٨ - ٢٢٦ - ٢٢٧
- هسكورة ٢٤٨ - ٢٦٠ - ٢٦٧ - ٢٩٠ - ٣٠٤
- هواره ٢٠ - ٤٦ - ٥٤ - ١٢٠ - ٢٨٩
- هيلانة (ايلان) ٧

- ي -

- الیحصیبیون (بنی یحصب) ٤٦

فهرس (١)

- الإبتير : ٣٧٨
- أبتة : ١٥٤ - ١٩٣ - ٢٤٠ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٧٢ - ٣١٥ - ٣٣٩
- أبو الطويل (مكان قرب سلا) : ٣٩١ - ٤١١
- الأراك (مدينة) : ٢٢٣ - ٢٢٦ - ٢٢٨
- أرجونة : ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨
- أركش : ٢١٤ - ٣٤٧ - ٣٦٦
- أرنية ١٦٢
- أريونة : ١٦١
- أزاجن (أسجن ؟) : ٣٨٤
- أزرو (جبل) ٣٢١
- أزمور : ٣٤ - ٥١ - ٢٦٠
- أزغار (فحص) ٢٨٩ - ٣٩١
- أطرانكش ٢٠٠
- أكسفورد ٦
- أكدير (تلمسان) ١٨٨
- ألكاي ٨١ - ٨٣

(I) حذفنا من هذا الفهرس بعض الأسماء التي تتكرر بكثرة في صفحات الكتاب مثل المغرب والمشرق والأندلس وغدوة القرويين ومسجدها وغدوة الأندلس ومسجدها

- المربة (أنظر المربة)
- أندوجر : ٢٧٣
- أنفا : ٣٠١ - ٣٩١
- أم الربيع (وادي) ١٩ - ٣٩ - ٢٠١ - ٢٩٣ - ٣٠٢ - ٣٠٦
- ٣٩١
- أمركو (جبل - قلعة) : ٣٠٨ - ٤٠٤
- أصيلة : ٥١ - ٥٢ - ٨١ - ٨٤ - ٨٨ - ٥٠ - ٣٠٤ - ٣٨٩
- أغلان : ٣٩ - ٤٦
- أغمات : ٥٠ - ٥١ - ١٢٩ - ١٢٣ - ١٣٤ - ١٤٢ - ١٥٥ - ١٦٩
- ١٧٧ - ١٧٨
- افراغة : ١٣٦ - ١٥٦ - ١٦٩ - ٢٦٣
- أقليم : ١٥٩ - ١٦٠ - ١٧٠ - ٢٢٩ - ٢٦٨
- الأقواس ٣٥٤
- استجة : ٣١٦ - ٣٤٥ - ٣٥٧
- اسطبونة ٣٧٣
- اشبيلية : ١٤٣ - ١٤٩ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٦٢ - ١٦٩ - ١٩٥
- ١٩٨ - ٢٠٠ - ٢١١ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢٢٩ - ٢٣٤ - ٢٣٥
- ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٩ - ٣٦٦
- اشبونة (أنظر لشبونة)
- أشير ١٠٧
- الاهواز : ١٦
- أوريوالة : ٢٧٤

- ب -

- باب أبي سفيان (فاس) ٤٠
- باب أصليتين (فاس) : ٧٢ - ١٧٠
- باب أفريقية (فاس) ٣٩ - ٤٠ - ٤٦
- باب البنود (مراكش) ٢٦٠
- باب بني مسافر (فاس) ١١٤
- باب تخنست (سجلماصة) ٢٩٦
- باب الجديد (فاس) ٥ - ٤٢
- باب الجرف (فاس) ٤٢
- باب الجنزين (فاس) : ٢٩٦
- باب الحديد (فاس) : ٤٠ - ٤٦ - ٥٨ - ٧٧ - ٢٣٣ - ٢٧٢ - ٤١٢
- باب حصن سعدون (فاس) : ٣٩ - ٤٢ - ٤٦
- باب الخوخة : ٤ - ٤١
- باب دكالة (مراكش) ٢١٣
- باب الرب (مراكش) ٣٩١
- باب زيتون ابن عطية : ٤٠ - ٤٣
- باب الكنيسة (فاس) ٤٠
- باب الكنيسة (عجيسة) : ٤١ - ٤٢ - ١١٢ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧٢
- باب المحروق (فاس) ٢٧١
- باب المغيرة (فاس) ٤٢
- باب الصالحة (مراكش) ٢٦٠ - ٣٠٣
- باب الفاتحة (مراكش) : ٢٦٠

- باب فتوح (فاس) : ٥ - ٤٣ - ١١٢
- باب الفرج (فاس) ٤٠
- باب الفرس (فاس) ٣٩ - ٢٧١
- باب الفصيل (فاس) ٤٠
- باب الفوارة (فاس) : ٤٠
- باب القبلة : ٤١
- باب السلسلة (فاس) : ٤٠ - ٢٧٧ - ٤١٤
- باب سليمان (فاس) : ٤٢
- باب الشريعة (تازة) : ٣٧٧
- باب الشريعة (فاس) ٤١ - ٤٤ - ٣٧١ - ٢٩٣ - ٢٩٦
- باب الشيبوبة (فاس) : ٤٠
- باجة ٢٠٠ - ٢١٩ - ٢٦٩
- بادس : ٢٠١ - ٢٣ - ٢٧١ - ٣٣١
- برياط : ١٣٠
- البرت : ٣٦٦ - ٣٣٩ - ٤٠٦
- برنغال ١٦١
- بجاية ١٦٧ - ١٧٣ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ٢٠٣ - ٢١٠
- ٢٦٤ - ٢٦٩
- البحر الشامي ٩٧
- بحيرة ٤ : ٣٤٢
- البحيرة : ٣١٤
- برج نار الحرة (مراكش) : ٣٩١
- برج الذهب (اشييلية) : ٢٧٣

- برج الكوكب (فاس) : ٤٩
- برزخ (حومة سيدي العواد بفاس) : ٤٠ - ٤٦ - ٤١٤
- بركونة : ٢٧٦ - ٣٢٧
- برقة : ١٨ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢١٧
- يرشك ٣٨٦ - ٤١٠
- برشلونة : ١٦٠ - ١٦١
- بطليوس : ١٤٦ - ١٥١ - ١٦١ - ٢٠٠ - ٢٧٥
- بلاد أوربة : ٧٩
- بلاد تازة : ١٨٦
- بلاد التسول : ٨٠
- بلاد تيغز (تينغير ؟) ١٨٦
- بلاد جزولة : ١٢٩
- بلاد مكالة : ٢٦١
- بلاد الديلم : ١٥
- بلاد مديونة ٧٨
- بلاد مكلانة : ١٤٢
- بلاد مكناسة ١٣٣
- بلاد المصامدة : ٥٠ - ٥١ - ١٢٦ - ١٢٩ - ١٤٢ - ١٩٠
- بلاد نفيس : ١٢٢
- بلاد النوية : ١٦
- بلاد نول ١٩ - ١٩٩
- بلاد صنهاجة : ٥١ - ٣٠٦ - ٣٩١
- بلاد غمارة : ٥٢ - ١٤٠ - ١٤١ - ٢١٠

- بلاد غمالة : ١٨٦٠
- بلاد فازان : ٥١ - ١٤٢ - ١٦٧ - ١٨٦ - ٢٨٩ - ٢٩٤ - ٣٢١
- بلاد فندلاوة : ١٤١
- بلاد قشنيكية ٢٣٦
- بلاد السودان ١٦ - ١٢٤ - ١٢٦
- بلاد السوس : ١٢٨ - ١٢٩
- بلاد هزرجة ١٧٨
- بلاد هسكورة : ٣٩٩
- البلاءط : ١٥٤ - ٢٢٩
- بلد العناب ٢٦٤
- بلطة : ١٤٤
- بلنسية ١٤٦ - ١٤٩ - ١٥٦ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣
- ١٦٩ - ١٧٧
- بليانة (حصن) : ٣٧٨
- بليش (حوز سبتة) : ٣٨٣
- بنبلوثة : ١٤٦
- بنى تاودة (فاس البالي) : ٢٠٩
- البصرة (مغرب) ٥١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٨ - ٩١ - ٩٢ - ٩٥
- بغارة ١٢١
- بغداد : ٢٢ - ٢٤ - ١٢٢
- بهلولة (حصون) ٢١
- بونة (عنابة) : ١٩٣ - ٢٦٤
- بويبلان (جبل) : ٧٨

- بياسة : ٩٨ - ١٥٤ - ١٩٣ - ٢٤٦ - ٢٦٤ - ٢٧٣ - ٣١٥ - ٣٣٩ -

- ت -

- تاتكلاتين : ١٢١ -

- ناجرة : ١٨٣ - ١٨٩ -

- تادرارت : ١٦٧ -

- تادلة : ٢٠ - ٥١ - ١٢٩ - ١٤٢ - ١٨٦ - ٢٧١ - ٣٠٦ -

- تازة (رباط تازة) : ٥١ - ٨٠ - ٨٣ - ١٨٧ - ٢٤٩ - ٢٥٥ -

٢٦٢ - ٢٧٧ - ٢٨٦ - ٢٨٩ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٥ - ٣٠١ -

٣٠٦ - ٣١١ - ٣٣٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٨١ - ٣٨٥ - ٣٩٤ -

٣٩٩ - ٤١١ - ٤١٢ -

- تازوطة : ٢٥٧ - ٢٨٤ - ٢٩٢ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٤٠٩ -

- تاكرارت (تلمسان) : ٣٦٣ -

- تاكرارت (مكناس) : ١٩١ - ٣٦٣ -

- تامزجدرت : ٣٨٦ - ٤١٠ -

- تامزجدرت : ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٩٣ -

- تامزورت : ٣٩١ -

- تامسنا : ٢٠ - ٥١ - ٥٢ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣٢ - ١٤٢ - ١٩٠ -

٣٠١ -

- تانسيفت انظر نسيفة (وادي) -

- تافرطاست (زواية) : ٢٨٦ - ٣٧٣ -

- تافنا (وادي) : ٣٠٩ - ٣٣٦ - ٣٩١ -

- تاهدارت (وادی) ٥٢
- تاهرت (تيهرت) : ٨٨ - ٨٩ - ٩٨
- تاويرت : ٣٨٥ - ٤٠٠ - ٤١٠
- تاونت (الغزوات) : ٣٨٦ - ٤١٠
- تيريشة ٢١٤
- ترجالة : ٢٢٩
- ترغة ٥١
- تطوان : ٥١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٤٠٧
- تطيلة ٢٠٥ - ٢٧٣
- تلمسان : ١٦ - ١٩ - ٢١ - ٢٢ - ٥٠ - ٥١ - ٨٤ - ٨٥ - ٩٥
- ٩٦ - ٩٧ - ١٠٠ - ١٠٣ - ١٠٦ - ١٠٩ - ١٤١ - ١٤٣ - ١٥٩
- ١٦٥ - ١٦٧ - ١٩٤ - ٢٠٠ - ٢١٩ - ٢٥٧ - ٢٩٣ - ٢٩٥
- ٣٠٥ - ٣٧٧ - ٣٧٩ - ٣٨٢ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٩٩ - ٤٠٤
- ٤٠٨ - ٤١٠
- تلمسان الجديدة : ٣٨٧ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٤١٠
- قنس : ١٠٣ - ١١٠ - ١٤٣ - ١٦٨ - ٣٨٦ - ٤١٠
- انلسول (بلاد) : ٥١
- تونس : ٩٣ - ١٩٨ - ٢١٩ - ٤٠٣ - ٤٠٤
- تيكساس ٥١ - ٥٢
- تينسل : ١٦٥ - ١٦٦ - ١٧٦ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٦ - ٢٠٢
- ٢١٥ - ٢١٧ - ٢٤٨ - ٢٦٧

- الثغر الأعلا : ١٤٦ -

- ج -

- جامع الأشياخ (فاس) : ٣٨ - ٥٤
- جامع تازة : ٤٠٨ - ٤٠٩
- جامع حسان (الرباط) ٢٢٩ - ٢٦٩
- جامع القصبة (فاس) ٧٥
- جامع الزهراء (قرطبة) : ١٠٧
- جامع الكتبيين (مراكش) ٢٢٩ - ٢٦٩
- جامع المنصور (مراكش) ٢٥١ - ٢٥٨ - ٢٥٩
- جامع فاس الجديد ٤٠٥
- جامع الشرفاء (فاس) : ٣٨ - ٤٧
- جبال بنى يازغة : ٣٥ - ٦٩
- جبال بنى يزناسن ٣٩٩
- جبال الرحمة ٣٤٣
- جبال غمارة : ٩٨ - ١١٣
- جبال غيائة ٥١ - ١٧١
- جبال الشرف : ٣٢٥ - ٣٥٧
- جبال هسكورة : ٣٧٨ - ٣٩٠
- جبال ورغة : ٢٧١ - ٣٧٧
- جبل أبريل (أفريد) : ٣٤٧ - ٣٥٢ - ٣٥٤
- جبل بنى بهلول : ٣٣ - ٢٥٨ - ٢٩٦

- جبل تيزران (غمارة) : ٢١٠
- جبل الذهب : ١٣٣ - ٦٣٦ - ١٦٧
- جبل الكندرتين ٣٩٨ - ٤٠٨
- جبل الصوف : ٢١٣
- جبل العرض (فاس) : ١١٤
- جبل الفتاح : ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢١٤ - ٢٦٤ - ٢٧٥ - ٤٠٠
- جبل سليمان : ٢٢٩
- جبل سكسيوة : ٣٣٠ - ٣٣٤
- الجرف : ٤٠
- الجرف الأحمر : ٤٦
- الجريد : ٢٦٤
- جزاء برقوقة (فاس) ٣١٤
- الجزائر (قرب سلا) ٣٩١
- جزائر بنى مزغنة (الجزائر) ١٣٦ - ١٤٣ - ١٦٨ - ١٩٣
- ١٩٧ - ٢٣٢ - ٢٦٤ - ٣٦٤
- الجزائر الشرقية : ١٥٧
- الجزيرة الخضراء : ٤٢ - ٨٩ - ٩١ - ٩٣ - ١٠٦ - ١٤٥ - ١٤٦
- ١٥٢ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٨ - ٢٢٠ - ٢٢٢
- ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٧٥ - ٣٣٥ - ٣٥٨ - ٣٦٣ - ٣٧٣ - ٣٧٦
- ٣٨٠ - ٣٩٤ - ٣٩٨ - ٤٠٠ - ٤٠٥ - ٤٠٦
- جليانة ٣٢٥
- جليقة : ١٤٦
- جنوة : ٢٨٢
- جيان : ١٥٤ - ٢٦٣ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٣٨٧ - ٣٥٧

- ح -

- حارة ابن ابى برفوقة (فاس) : ٤٦
- حارة ابن ابى عامر (فاس) ٤٦
- حارة البادية ٤٧
- حارة الربط ٤٦
- حارة لواءة (فاس) ٤٦ - ٦٧
- الحجاز ١٥ - ١٧ - ١٥٩
- حجر النسر (قلعة) ٥١ - ٨٤ - ٨٧ - ٩٢ - ٩٤ - ٩٥
- حجر الفرج (فاس) ٤٠
- حمام الامين ٤٧
- حمام بنت البان (فاس) ٦٧
- حمام الجزيرة (فاس) ٤٧
- حمام الرحبة (فاس) ٢٧٧
- حمام رشاشة (فاس) ٤٧
- حمام الرياض : ٤٧
- حمام الكذان (فاس) ٤٧
- حمام كرواوة (فاس) ٤٧
- حمام قرقف (فاس) ٤٧
- حمام الشيخان (فاس) ٤٧
- حمة أبى يعقوب ٣٦
- حمة وشتانة : ٣٦
- الحصن الابيض ٤٠٩

- حصن بن بشير : ٣٢٧
- حصن الدير ٣٧٨
- حصن الزهراء ٣٢٧
- حصن العقاب : ٢٣٨
- حصن الوادي ٣٨٠
- حصن يحيى ٣٨٠ - ٤٠٨
- حصون بهلوله ٢١
- حصون مديونة ٢١
- حصن الفرّج ٢٢٩
- حصون همدان ٢١
- حصن القناطر ٣٥١
- حصون وطاط ١٤٢

- خ -

- خراسان ١٥
- خمار الورد ٣٢٦

- د -

- الدار البيضاء (فاس الجديد) ٤٠٧
- دار القبطون (فاس) : ٣٨
- دانية : ١٥٦ - ١٦٩ - ٢٧٤

- برن (جبل) : ١٩ - ١٢٩ - ١٧١ - ١٧٦ - ١٧٨
- درعة ١٢٧ - ١٢٨ - ١٤٢ - ١٨٦ - ٢٩٦ - ٣٠٧ - ٣٧٨
- ٣٩٩ - ٤٠٤ - ٤٠٧
- دكالة (أرض) : ١٦
- دلالية ٢٧٤

- ذ -

- ذكوان ٣٣٨

- ر -

- رافجة (حصن) ٣٧٨
- رأس العقبة (فاس) : ٤٢
- الرباط (رباط الفتاح) ٩ - ١٩٢ - ٢٠٢ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٦٩
- رباط تازة : انظر تازة
- ٢٨٧ - ٣٠٨ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٤٠ - ٣٥٧ - ٣٧٣ - ٣٩١
- ٣٩٢ - ٣٩٨ - ٤٠٧
- رحبة البير (فاس) ٣٨
- الرميطة : ٤٢ - ٤٧ - ٤٩ - ٤١٤
- رندة ٣٢٣ - ٣٧٦ - ٣٩٤ - ٣٩٨ - ٤٠٥
- الرصيف (حومة بفاس) : ٤١٤ - ٤١٤
- رهينة (حصن) ١٦٢

- رودة (تارودانت) : ١٢٩
- روطه : ٣٢٦ - ٣٤٧
- الريف : ١٤١ - ١٤٣ - ٢٥٧

- ز -

- الزاب ١٦ - ١٠٦ - ١٤٤ - ١٩٨ - ٢٧٢ - ٢٨٥ - ٣٧١
- الزلاقة : ١٤٥ - ١٥١
- زالغ (جبل) ٢٩ - ٤١٣
- زرهون (جبل) ١٩ - ٥٠ - ٢٩٢
- زكندر ٢١٢
- زيتون ابن عطية (فاس) : ٤٩

- ط -

- طرابلس ٢٣٠ - ٢٦٤
- طرابلس الشام ٤٠٨
- طرطوشة ١٤٦ - ٢٦٣
- طريانة (حومة بفاس) ٤٦
- طريف ١٤٣ - ٢١١ - ٢٣٤ - ٢٦٢ - ٣٥٤ - ٣٥٧ - ٣٦٦
- ٣٦٨ - ٣٧٦ - ٣٨٠ - ٤٠٥ - ٤٠٨ - ٤٠٩
- طلايوت : ٢٦١
- طلبيرة ٣٨١

- طليطلة ١٤٤ - ١٤٩ - ١٥٣ - ١٥٨ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٤
١٦٨ - ٢١١ - ٣٣٨ - ٤٠٦
- طنجة ١٩ - ٥١ - ٥٢ - ٨٣ - ٨٨ - ٩١ - ٩٧ - ١٠٠
١٠٤ - ١٣٦ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٩٤ - ١٩٩
٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٥٠ - ٣١١ - ٣١٣ - ٣٣٠ - ٣٣٥ - ٣٥٧
٣٧٤ - ٣٩٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤

- ك -

- كباله ٢٧٤
- كبتور ٣٥٥ - ٣٦٨
- الكذبان (فاس) ٤٧ - ١١١
- كركونة ٢١٢
- كريقلة ١٣٢
- كنانة (حصن) ١٦٨
- الكنيف (فاس) ٤٧
- كهف الرماد (فاس) ٤٣

- ل -

- كرسيف : ٨٦ - ١٤٣ - ٢٨٢ - ٤٠١
- كرواوة (فاس) ٣٢ - ٤٠
- كلينز (جبل) : ١٧٨ - ٣٠٣

- ج -

- لاردة : ١٦٢ - ١٦٣
- لعللة ١٩٥ - ٢٩٤ - ٢٧٦ - ٣٥٧
- لبيط : ١٥١ - ١٥٣ - ١٦١
- لكاعة (بلد) ٢٥٣
- لشبونة ٨ - ١٣٦ - ١٦١ - ٢١٤ - ٢١٨
- لواتة (مدينة) ٨٢ - ١٠١ - ١٣٣
- لورقة : ١٥٣
- لوشة : ٢٧٤

- م -

- الماء المغروش ٣١٤ - ٣٢١
- ماردة ٢٧٥ - ٢٦٣
- مازونة ٣٨٦ - ٤١٠
- مالقة : ١٨٩ - ٢٦٢ - ٣٢٨ - ٣٣٥ - ٣٣٨ - ٣٧٣ - ٤٠٥ - ٤٠٦
- ماسة : ١٢٩
- مجاز كنامة (أم الربيع) ٣٩١
- مجريط : ١٦١ - ٢٢٩ - ٣٣٨
- مجشر الشاطبي ٣٥
- المخفية (حومة بفاس) ٤٠

- مدرسة جامع الاندلس ٤١٢
- مدرسة فاس الجديد ٤١١
- المدور ١٥٤ - ١٥٥
- المدينة : ١٠٣ - ١٩٣ - ٣٨٦
- مدينة ابن السليم ٣٥٠ - ٣٤٢
- المدينة البيضاء ٣٣٥
- مدينة الدمنة ١٤٢
- مدينة سالم ١١٦
- مديونة (حصون) ٢١
- مديونة (مدينة) ٨٢
- مراكش ٣٢ - ٤٢ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٥٤
- ١٥٦ - ١٦٤ - ١٦٩ - ١٧٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩٤ - ١٩٨
- ٢٠٠ - ٢٠٤ - ٢١٠ - ٢١٣ - ٢٣١ - ٢٥١ - ٢٦٠ - ٢٧٧
- ٢٨٧ - ٣٠٥ - ٣١١ - ٣٢ - ٣٣١ - ٣٤٠ - ٣٧٣ - ٣٧٨
- ٣٩١ - ٤٠١ - ٤٠٣ - ٤٠٨
- مريالة ٢٧٣ - ٣٧٦
- مرج قرقة ٤٤
- مرسية ١٤٩ - ١٥٥ - ١٦١ - ١٦٣ - ٢٤٥ - ٢٤٦
- مرشانة : ٣٤٥ - ٣٤٦
- مروالة ٢٧٦
- المرية : : ١٥٣ - ١٥٥ - ١٦٩ - ١٩٣ - ٢٦٢ - ٣٣١
- المزمة : ٢٣٣ - ٢٧١ - ٣٨٢
- مزغران : ٣٨٦
- مكة : ١٦ - ١٧ - ٩٦

- مكناسة (مكناسة) : ١٠١ - ٢١٣ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٧٧ - ٢٨٩
- ٢٩٢ - ٣١٤ - ٣٢٣ - ٤٠٩ - ٤١٢
- مكناسة (بلاد - مدائن) ٥١ - ٨٢ - ١٠٦ - ١١٩ - ١٤٢
- مكس (وادي) ٣٥
- مكول (قرية) ٤٢٩
- ملالة (حوز بجاية) ١٧٣
- الملعب (حوز تلمسان) : ٤٠٦
- ملوية (نهر - بلاد) ١٩ - ٢٤ - ٨٤ - ٨٦ - ١٠٦ - ١٣٨
- ١٤٠ - ١٩ - ١٦٧ - ١٩٣ - ٢٩٣ - ٣٠٩ - ٣٨٥
- مليانة ١٩١ - ٢٦٤ - ٣٨٦ - ٤١٠
- مليلية ٨٤ - ١٤٣ - ٢٧١
- المنكب : ٣٣١
- المصاراة (جنة - فحوص) ٤١ - ٤٤
- مصر ١٥ - ١٦ - ١٨ - ٤٠٩ - ٤١٠
- مصمودة (بلاد) ٥١
- مصمودة (نهر وحومة بفاس) ٤٧
- مضيق الحية ١٠٦
- معدن عوام ٤٢ - ١٩٤ - ١٩٥
- المعمورة : ١٥٢ - ٢٠١ - ٢٠٢
- مغيلة (مدينة) ١٥٨
- المقرمدة ٣٨
- مستغانم ٣٨٦ - ٤١٠
- مسجد طريانة (فاس) : ١٧٣

- المسجد الحرام ٥٩
- مسجد الصابرين (فاس) ٤١١
- مسجد شالة ٣٧٣
- مسجد الشرفاء (فاس) ٥٥
- مسون ٨٥
- المسيلة ١٠٧
- مشقريط : ٣٤٩ - ٣٦٦
- المهدية (تونس) ٨١ - ٨٣ - ٩٠ - ١٩٧ - ١٩٩ - ٢٣٢
- ٢٣٣ - ٢٦٤
- معورقة ١٥٨ - ١٥٩ - ٢٣٢ - ٢٧٤ - ٢٢٥ - ٢٧٣ - ٤٠٧

- ن -

- نيرة ١٥٥
- ندرومة ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٤١٠
- نكور ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ١٤٣
- نفيس (مدينة) ٧ - ٥٠ - ٥١ - ١٢٣ - ٣٣٠
- نسيقة (قنطرة وادي) ٢٦٦
- نول لحطة : ٢١٧ - ٢٣٠

- ص -

- صبرة : ٢٨٢

- الصحراء ١٥٩
- صخرة أبى بياش : ٢٩٠
- صخرة عباد ٣٣٨ - ٤٠٦
- الصخرتين (جبل بظاهر تلمسان) ١٦٥
- الصخيرة ١٥٤
- صدينة (مدينة) ١٣٩
- صفاقس ١٩٨ - ٢٦٤
- صفرو ٧٩ - ٨٢ - ١٣٩
- الصفصيف (قرية قرب تلمسان) ١٦٥

- ع -

- العرائش ٥١ - ٤٠٣
- العراق ٢٢ - ٢٤ - ٣٩
- عكا ٤٠٨
- علودان (جبل) ١٤٢ - ٤١١
- عقبة عين علون (فاس) ٣٩
- عقبة السعتر (فاس) ٣٩ - ٤٢ - ١١١
- عوسجة ٩٩ - ١٤٠
- عين أصلين ٤٦
- عين اسحاق (التسول) ٨٥
- عين خميس ٢٠٢
- عين خومال (فاس) ٧٠

- عين دردورة (فاس) ٣٩
- عين الصخرة ٣٦٢
- عين علون (فاس) : ٣٩
- عين عمير ٣٠
- عين غبولة ١٩٢ - ٢٠٢ - ٢٦٤ - ٤٠٦
- عين القديح ١٨٧
- عين قرقف ٦١ - ٦٥
- عيون ابن اللبصاد ٤٠ - ٦٦
- عيون الكوازين ٦٦
- عيون صنهاجة (فاس) ٤١٢

- غ -

- غرناطة : ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٩ - ١٦٢ - ١٩١ - ١٩٦ - ١٩٨
- ٢٦٤ - ٣٢٦ - ٣٢٨ - ٣٣٤
- غروب : ٣٧٨
- الغزوات : ٤١٠
- غليانة ٣٢٦
- غساسنة (مرسا) ٣٨١
- غياثة (قلع - جبال) ٢١ - ٢٩٠
- غور : ٣٧٨

- ف -

- فارس ١٦
- غازاز (بلاد - جبال) ٢١ - ٤٢ - ١٣٤ - ١٤١
- فاس الجديد ٣٢٢ - ٣٧٧ - ٤٠٤
- فج عبد الله : ٢٤٨ - ٣٣٦
- فج الفرس ٥٢
- فحص اذاد ٨٢
- فحص بنى مصرخ (مصور ؟) ٩١
- فحص الصباب ١٦٤
- فحص عطية ١٦٤
- فخ : ١٧
- فندلاوة (حصون) ٢١
- فوارة (حومة بفاس) : ٤٧

— ق —

- قرطبة ٤٧ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٩ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١٥٤
- ١٦١ ١٦٩ - ١٩٥ - ٢٠٠ - ٣٢٦ - ٣٣٨ - ٣٣٩
- قرونة ١٥٤ - ١٥٥ - ١٩١ - ٢٣٨ - ٢٦٣ - ٢٧٣ - ٣٤٣
- ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧
- قطنيانة : ٣٢٥
- القلعة (فاس) ٤٠
- قلعة ايوب : ١٦٣
- قلعة جابر ٣٤٥

- قلعة خولان ٢١٤
- قلعة دمنة ٣٩٢ - ٤١١
- قلعة رياح : ٥٥ - ٢٢٩ - ٢٣٧ - ٢٣٨
- قلعة مهدي ١٤١
- قلعة علودان ٣٩٢
- قلعة الوادي ٣٥٣
- قلع غياثة ٢١
- قلعة فندلاوة (بنى يازغة) ٣٧٧
- القليعة (حصن) ٣٢٥
- قمارش : ٤٠٦
- القناطر : ٣٢٨
- قنطرة ابي الرؤوس (حومة بفاس) ٧٢
- قنطرة محمود ١٦٤
- قنطرة عزيمة (فاس) ٣٨
- القصبات ٣٨٦ - ٤١٠
- قصبه رباط الفتح ٤٠٦
- قصبه طنجة ٣٨٩ - ٣٩٢ - ٣٩٣
- قصبه مراكش ٢٣٠ - ٢٤١ - ٢٤٣ - ٢٤٨
- قصبه مكناسة ٣٢٢ - ٤٠٥
- قصبه فاس ٤٠٦
- قصر ابي دانس ٢١٩ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٦٩ - ٣٧٣
- قصر البرت ٣٥٥
- قصر الجواز (والمجاز ايضا) ٢١١ - ٢١٨ - ٢٢٢ - ٢٣٤

- ٣١٣ - ٣٢١ - ٣٣٨ - ٣٤٠ - ٣٧٣ - ٣٨٠ -
- قصر كنانة ٣٨٩ - ٤٠٨ -
- قصر مصمودة ٩٩ -
- قصر عبد الكريم ١٩٢ - ٢٨٩ - ٣٩٢ -
- قفصة : ٢١٢ - ٢١٨ - ٢٦٤ -
- قسنطينة ٩٤ - ١٩٤ - ٢٦٤ - ٤٠٦ -
- قشتالة ١٤٦ - ٢٣٦ -
- قورية ١٦٨ -
- قيجاطة : ٢٤٦ - ٢٧٣ -
- القيروان : ١٨ - ٨٠ - ٨٩ - ٩٠ - ١٩١ - ١١٩ - ١٢٢ - ١٦٤ -
٣٨٣ - ٤٠٧ -

- س -

- سانطامرية (وشقتمرية ايضا) ١٦٤ - ٢٣٩ -
- الساقية الحمراء ٢٤٠ -
- سايس (فحص) ٣٠ - ٤٦ -
- سبتة ٥١ - ٥٢ - ٨٨ - ٩١ - ٩٤ - ١٠٠ - ١٠٥ - ١٤٢ -
١٤٤ - ١٥٧ - ١٦٨ - ١٩٤ - ٢٠١ - ٢١٣ - ٢٥٠ - ٢٧٦ -
٣٥٧ - ٣٦٦ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٢ - ٤٠٠ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤١١ -
- سبو (وادي) : ٣٠ - ٣١ - ٣٤ - ٣٦ - ٤٦ -
- سجلماسة : ٨٨ - ٩٠ - ١٠٠ - ١٠٦ - ١١٧ - ١٢٧ - ١٣٨ -
١٤٢ - ١٩٠ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٣١٢ - ٣٧٨ - ٣٩٩ - ٤٠٤ -

- سد رواغ : ٤١٣
- سدورة (مسدورة ؟) : ٣٧٧
- سرقسطة : ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١
- ١٦٢ - ١٦٣
- سسلا ٩ - ٥١ - ١٩٢ - ١٩٥ - ٢٠٢ - ٢١٣ - ٣٠٨ - ٣٣١
- ٣٩٨ - ٤٠٢
- السند ١٦
- سهيل ٣٣٨
- سور الحجر : ١٣٨
- سوق الصباغين (فاس) ٤١٤
- سوق العطارين (فاس) ٤١٣
- السوس ٢٢ - ٥١ - ١٤٢ - ٢٠٢ - ٢٥٨ - ٣٢٢ - ٣٩٠
- ٣٣٤ - ٣٣٧ - ٣٤٠ - ٣٧٧ - ٤٠٧
- السوس الأدنى : ١٩
- السوس الأقصا ١٦ - ١٩ - ٩٥ - ١٠٣ - ١٩٩ - ٢١٨
- سوسة : ١٩٨ - ٢٦٤
- سويقة ابن مكتود ٢٠٦ - ٢١٨

- ش -

- شاطبة ١٥٦ - ١٦٩ - ٢١٥ - ٢٥٨ - ٢٦٠ - ٢٧٤ - ٢٩٦
- ٣٠١
- شالة : ٢٠ - ٥١ - ٥٢ - ٨٤ - ١١٠ - ٣٨٨ - ٤٠٧

- الشمام : ٩٧
- شانتفيللا : ٢٦٨
- شذونة : ٧٩ — ١٣٠ — ١٤٣ — ٣٢٦
- الشرف : ١٤٣ — ٣٢٥
- شرشال : ١٠٣ — ٣٨٦
- شريش : ١٦١ — ١٨٨ — ٣٥٤ — ٣٥٥ — ٣٥٦ — ٣٥٨ — ٣٦١
- ٣٦٢ — ٣٦٦ — ٣٨٠ — ٤٠٧ — ٤٠٨
- شكبيس ٣٨١
- شلب ٢١٩ — ٢٦٩
- شلبطرة ٢٣٦ — ٢٣٨ — ٢٧٤
- شلف ١٠٣ — ١٤٣ — ١٦٨ — ٢٣٣
- شلوقة : ٣٥٦ — ٣٢٦ — ٣٤٢ — ٣٦٦
- شنترين ١٣٦ — ٢٠٦ — ٢٠٧ — ٢٠٨ — ٢١٤ — ٢١٨
- شنيل : ٣١٦
- شقورة : ١٥٤ — ١٥٦
- الشيبوية : ٣١ — ٤٠
- شيشاوة (مدينة) ١٢٩

— ه —

- هنين ٩٦ — ١٨٣ — ٣٨٦ — ٤١٠
- هواره (بلاد) : ٥١

- و -

- وادی الش ۳۷۶ - ۳۷۸ - ۴۰۸
- وادی اشبيلية ۲۱۱ - ۲۲۹
- وادی ایسلی ۲۹۵ - ۳۱۰ - ۴۰۴
- وادی برتقال : ۲۹۴
- وادی بهت : ۲۹۲ - ۲۵۶
- وادی تلاغ - ۲۸۲ - ۳۰۵
- وادی نهلیط ۱۸۷
- وادی الحجارة : ۱۶۱ - ۱۶۲ - ۲۲۹
- وادی حسن (فاس) ۵۸
- وادی رداد ۱۰۵
- الوادی الكبير (فاس) ۴۸ - ۴۹ - ۳۵۳ - ۳۵۴
- وادی لك : ۳۴۷ - ۳۵۲ - ۳۶۲
- وادی مارین ۴۰۶
- وادی المطاحن ۸۲
- وادی منی (مضي) ۱۰۶ - ۱۴۳
- وادی مصمودة (فاس) : ۴۸ - ۷۷
- وادی الشجاة ۴۰۶
- وادی تکور ۲۷۲ - ۲۸۴
- وادی نفیس ۱۷۸
- وادی النساء ۳۱۳ - ۳۲۵

- وادی صیفیر ؟ : ۱۴۱
- وادی العبد ۲۵۳ - ۲۵۴ - ۳۰۶
- وادی غفو ۳۰۶
- وادی فاس ۳۲۲ - ۴۰۴ - ۴۰۷ - ۴۱۳
- وادی سبو ۱۵۲ - ۲۸۶
- وادی شدروع (سد رواغ ؟) ۱۵۹
- وجدة ۱۰۵ - ۱۰۹ - ۱۱۰ - ۱۴۳ - ۱۶۸ - ۲۳۳ - ۲۷۲
- ۳۱۰ - ۳۹۹ - ۴۰۰ - ۴۱۰
- ورغة : ۵۱ - ۱۴۱
- ورزیغة ۹۹
- وطاق (بلاد) ۱۶۷
- وایلی ۱۹ - ۲۰ - ۲۱ - ۲۲ - ۲۴ - ۲۵ - ۲۹ - ۳۰ - ۵۰
- ۹۵
- ونشريس : ۱۰۳ - ۱۴۳ - ۱۶۸ - ۲۶۴ - ۳۱۱ - ۳۸۶ - ۴۱۰
- وشقة ۷۹
- وهران ۹۵ - ۱۰۳ - ۱۴۳ - ۱۶۶ - ۱۶۸ - ۱۹۹ - ۲۰۱
- ۳۸۶ - ۴۱۰

- ي -

- یابسة (جزيرة) ۱۵۷ - ۲۷۶
- یابورة : ۱۶۱ - ۲۰۰ - ۲۱۹ - ۲۶۹

فهرس أسماء الكتب

- أ -

- الانيس المطرب بروض القرطاس ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ١٠٩
- ١١٠ - ١١١ - ١١٤
- الانيس المطرب ، فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب ٥
- الاحاطة ، في أخبار غرناطة ٥
- ازهار البستان ، في أخبار الزمان ١٩ - ١٣١
- الاكليل لمحمد المهداني ١١٩
- الاستبصار ، في عجائب الأمصار ٤٥
- الاستنكار ٣٦٣

- ب -

- البرهانية لغثمان المسالجي ٢٦٦
- البيان المغرب لابن عذاري ٧
- البيان والتحصيل لابن رشد ١٦٤
- بيوتات فاس الكبرى ٦ - ٧

- ت -

- تاريخ مدينة فاس لأبي القاسم ابن كنون ٥٥

- تفسير ابن عطية ٢٣٦-

- القشوف : ٣٤ - ١٧٠

- التهذيب ٣٦٣

- ج -

- جلاء الازهان ٨٧

- جنا زهرة الاس ، فى بناء مدينة فاس ٥ - ٦

- خ -

- خلاصة تاريخ تونس : ٤٠٣

- ذ -

- الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية : ٧

- ر -

- الرعاية للمحاسبي ٢٧٠

- ز -

- كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر : ٥

- ل -

- لقط القرائد من حلق القوائد ٥

- م -

- المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ١٨٠ - ١٨٤ - ٢٠٢

- مفاخر البربر ٧

- المقياس : ٢٤

- المسند الصحيح الحسن ، في محاسن مولاظ.أبي الحسن : ٥

- ميزان العمل ١٨٠ - ٢٥٨

- ن -

- نظم السلوك ، في الأنبياء والخلفاء والملوك ١١٩ - ٢٤٥ - ٢٨٠

- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٥

- ص -

- صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدير ٧

- ق -

- القبس لابن الفياض : ١١٥

- القرطاس أنظر الأنيس المطرب

- ه -

- الهداية ٢٧٠

جدول الخطأ والصواب

صواب	خطأ	س	ص
إسحاق بن محمد بن عبد الحميد	عبد الحميد	20	19
درأس	دازس	3	37
الجرف	الجوف	11	42
بعده	بعد	17	97
الصدني	الصدقي	12	116
يحيى بن إبراهيم	إبراهيم بن يحيى	5	124
درعة	رودة	13	129
برغواطة	براغواطة	22	129
والجلالة	والجلاقة	20	143
عبد الله البشير	محمد البشير	3	179
موسى بن سليمان	موسى بن سهل	4	205
بالمنتصر	بالمستنصر	1	241
أبى محمد	محمد	21	296
وأنفا	أنفا	26	301
أبا زيان	زيان	6	311
مهابة	مهابة	16	326
بمدح	بدمح	20	369
منها	مها	1	372

طبعت هاذا الكتاب ونشرته

دار المنصور

للطباعة والوراقة

حي مايبلا - مجموعة ج - نمرة 9 - 10 - 11

الرباط

تلفون 511.04

السجل التجارى نمرة 22.098

الحساب البريدى 195.49

الصندوق الوطنى للضمان الاجتماعى نمرة 48.786

نمرة التعريف المالى 511.215